حوارات

أغناطيوس الرابع
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

حوارات

١٩٨٩ - ٢٠٠٠

منشورات
بطريركية الروم الأرثوذكس
دمشق

المحتويات

توطئة

هذه الأرض أرض موحِّدة ١

حول الطائف ٦

تأملات في الطائف ١١

السلام آتٍ وآتٍ بسرعة ٢٦

الصراع القائم صراع مناصب ٣٦

هزيم وصل إلى البلمند وسيلتقي صفير ٥٠

القدس عاصمة العواصم ٥٣

التعايش يفترض العيش معاً ٦٢

لا يمكن أن يكون هناك نواب عن لا أحد ٦٦

نرفض التلاعب بتكوين الشخصية الانسانية ٦٩

لا يوجد عالَم مسيحي ٧٦

الأرض التي ليس فيها إنسان ليست وطناً ٨٨

نحن أنطاكيون وسنبقى أنطاكيين ٩٤

الخطر على الكنيسة أن تصبح مؤسسة وحسب ١٢١

بدون الحرية لا يتحقق إيمان ١٢٥

أخلاقية الكلمة أساسية جداً ١٤٢

للمسيح جغرافيا وللمسيحية جغرافيا ١٥٤

اجتماعنا تعبير عن وحدتنا ١٦٠

ليس العيب في أن يخالف أحدنا الآخر ١٦٥

لبنان بحاجة إلى إصلاح ديني ١٧١

لبنان موجود ليكون الجميع سعداء	١٧٦
لا نريد أن يُذَلّ إنسان لفقره	١٨٧
خطأ فقد التوازن بين الاهتمام بالحجر والاهتمام بالبشر	١٩٠
الفضائل لا تكون قسرية، القسر يشوِّه الانسان ذاته	١٩٤
عبادة الشيطان	٢٢٥
أشعر أن الكنيسة هي مجرد موضوع درس	٢٢٩
ليس من إنسان معصوماً عن الخطأ	٢٤١
كونوا لبنانيين من أجل لبنان كله	٢٤٤
نحن لسنا مشركين ، نحن موحِّدون	٢٤٨
سيرة ومسار	٢٥٦
يجب أن نواجه الوجود بوجود	٢٨٧
انطاكية حية وليست مجرد ذكرى	٢٩٧
لا يجوز أن نجهل الديانات الأخرى	٣١٠
الفكر لا يواجَه إلا بالفكر	٣١٢
لا شيء يعادل كرامة الانسان	٣١٧
لبنان لكل اللبنانيين	٣٢٨
القدس ليست يهودية	٣٤٥
الله يريد الخير لخليقته	٣٥٠

توطـــئـــة

لماذا هذا الكتاب؟

ألا تكفي عشرون سنة حتى يكون ما كتب قد طالته العتاقة وأصبح من الماضـــي؟ ألا يكفينا سلفية وإمعاناً في الماضي وكأن الحاضر لا يخصنا؟ ألا يجـــدر بنا أن نتوجه بأذهاننا وعقولنا وقلوبنا إلى الآتي نستشرفه لعلنا نرى أي مستقبل ينتظرنا وينتظر أولادنا؟ أليست المقابلات الصحفية ابنة يومها؟

أسئلة كثيرة مثل هذه ترد في أذهان الكثيرين لمجرد أن يلمحوا تواريخ الحوارات التي نحن ثبتناها عمداً لنضع القارئ في إطارها التاريخي.

فـــي المطـــلق قد يكونون على حق وأما في كتابنا فلا. فالذين سمعوا بعضـــاً مـــن هذه الأحاديث أو قرأوها يدركون تماماً أن ما قيل وكُتب لم يكن يصبو إلى تسجيل موقف ابن وقته ولا معالجة آنية. والقراءة المتمعنة والمتأنية تظهـــر بوضوح أن صاحب الغبطة كان يأخذ القارئ والمستمع إلى آفاق بعيدة وأن الحاضر بل المستقبل كان هاجسه، وأنه يحاول أن يقدّم للناس الأرثوذكسية بحـــلّة قشيبة وفكر مشرق يضج بالحياة يؤكد أن الكنيسة ليست جامدة متحجرة بل تواكب العصر والتطور وتمسحنهما. فالروح الذي عمل في الكنيسة الأولى هـــو نفســـه يعمـــل الآن وسيبقى فاعلاً إلى الأبد. وهو الذي يوائم بين الكنيسة والعالم فيجعل بينهما تناغماً وانسجاماً.

لقـــد تحـــــدث غبطـــته عـــن السياســـة ولكن بعيداً عن الحرتقـــات السياســـية وتفاهات السياسة الممارسة فسما بها إلى مســـتوى الخدمة الفعلـــية «لم آت لأُخدَم بل لأَخدُم».

وعـــندما سئل: لماذا يتدخل رجال الدين في السياسة؟ قال: أليس رجال الدين مواطنين؟ ألا يحق لهم إبداء آرائهم؟ كل الناس معرضون للخطأ ورجال الدين منهم. وجُلّ مَن لا يخطئ.

وكلمـــنا غبطـــته عن الانتفاضة وعن فلسطين والفلسطينيين والأماكن المقدســـة وشـــدد على أن ارتباطنا بهذه كلها هو ارتباط عضوي وحقيقي وأن خسارة الأماكن المقدسة خسارة فادحة تمسنا في حياتنا وإيماننا.

وتطـــرق كـــثيراً فـــي أحاديـــثه إلى موضوع المسيحية والإسلام بل المسيحيين والمسلمين لأن الوجود الفعلي هو للمسيحي مع المسلم أو العكس.

وأمـــا في العرب والعروبة فلغبطته آراؤه. «نحن العرب قبل الإسلام ومع الاسلام وبعد الإسلام».

ومـــن المعروف أن غبطته مثل الكرسي الانطاكي لمدة طويلة في كل المحافل الكنسية وكانت له جولات وصولات في العلاقات المسكونية: العلاقات مـــع الكنيسة الكاثوليكية، العلاقات مع الكنائس البروتستانتية وبالطبع العلاقات بيـــن الكنائس الأرثوذكسية وهو يعتقد أن الحوار خير طريق للتقارب والتفاهم وأما الخصومة فلا تؤدي إلا إلى السلبية.

وأما الكنائس التي نعايشها يومياً وكثيراً ما يشاركنا مؤمنوها الصلوات أو نشاركهم نحن صلواتهم فهؤلاء دينونة لنا، ووجودنا معاً هو امتحان لصدقية إيماننا وعمق محبتنا وخضوعنا للمسيح.

مـــاذا فعـــلت لأخيـــك؟ هذا السؤال يختزل كل علاقاتنا بمَن حولنـــا، والديـــنونة ستكون في الجواب عنه. لا يجوز أن يجوع إنسان وأخوه متخم من الشبـــع «إذا كنت لا تحب أخاك الذي تراه فكيف ستحب الله الذي لا تراه؟».

موضـــوعات كثيرة ومتنوعة جداً طرقها صاحب الغبطة. صحيح أنها حـــوارات صـــحافية وأنهـــا قيـــلت في ظروف معينة ولكن غبطته أبى عليها ظرفيتها وجعل منها حوارات هادفة في العمق تحمل في طياتها أرثوذكسية حية تبعدك عن العتاقة والجمود والقوالب الجاهزة لأن الروح ينفخ فيها.

وفي قراءة هذه النصوص ستشعرون أنها حديث من القلب للقلب وأنها تحمل لبناً نحتاجه جميعاً.

فإلى رفقة هذا الكتاب والكتاب التوأم ندعوكم.

هذه الأرض أرض موحِّدة

ورسالتها أن يكون الناس فيها متحابين*

صاحب الغبطة، ما هو التصور الذي كوّنتَه من خلال الاتصالات التي قمت بها؟

قناعاتي هي أن الجميع يدعون إلى أن تصدُر عن هذا الاجتماع نتائج إيجابية، وهم على قناعة بأن هذه الهمة من الدول العربية كانوا ينتظرونها منذ زمن. والشيء الذي كان غائباً عند بحث الأوضاع اللبنانية هو الوجود العربي. وهنا الجميع يعلقون الآمـــال الكبيرة عليها، مع العلم أن هنالك وعياً لتقويم الأمور، وهنالك اعتقاداً بأن هذه المرحلة هي مرحلة لبنان الواحد.

ما هي المعطيات العملية التي يجب أن تتوافر لإنجاح هذه المبادرة؟

أعتقد أن المخول بالإجابة عن هذا السؤال هم الذين يجتمعون لأننا لا نعلم حتى الآن ماذا يحصل وماذا يرسم. وقبل أن تتضح الصورة، من الصعب أن يستطيع الإنسان أن يبدي رأياً. ولكن ما هو ظاهر أن هذه المبادرة ليست «مبادرة في الهواء»، بل هي مبادرة إقليمية مدعومة، ويمكن أن يكون الدعم دولياً أيضاً. ونحن إذا كانت العناصـــر الإقلـــيمية والدولية إيجابية في القضية اللبنانية، عندها يزول قسم كبير من الصعوبات التي تصادفها المبادرات عامة في لبنان.

هـــل يعني أن نجاح هذه المبادرة يتطلب أن يكون معها توافق إقليمي ودولي، بغض النظر عن التوافق المحلي؟

هـــذا لا نتمناه، لأننا لا نريد أن يحل أحد قضية لبنان وكأنه وصي عليه أو

---

* صحيفة «الأنوار» اللبنانية، بيروت، دار المطرانية، الأحد ١٩٨٩/١/٢٩

بديل منه، ولكن ما نتمناه سواء على الصعيد الإقليمي أو الدولي، أن يكون بالاتصال مـــع اللبنانيين والانسجام معهم، لأنه في النهاية لا نريد أن يُفصِّل لنا أحد الثـــوب. اللبنانيون ليسوا قُصَّراً حتى يمكن أن يُعاملوا هذه المعاملة، ونحن نعرف أن كل معاملة من هذا النوع، تُحدِث ردود فعل سلبية.

التحركات الأرثوذكسية الأخيرة وُصفت بأنها محاولة لتفتيش عن دور معين، فماذا يقول الأرثوذكس أنفسهم؟

نحـــن حـــتى الآن لم نـــبحث عن دور بالاستقلال عن المواطنين الآخرين، ولســـنـــا نفتش اليوم كي نفرز أنفسنا ليرانا الناس. نحن نعتز بأن نكون من جملـــة اللبنانيين والمسيحيين بصورة خاصة، ونحن نعتبر أن وجـــودنا هو وجود لكل لبنان، وبالتالي إذا كان لدينا صوت نقوله، فيجب أن يكون دائماً مع جوقة الأصوات التي تُنادي بوحدة لبنان وشعبه ومؤسساته.

نحـــن نريد الوطن، لهذا فإن دورنا هو ليس دوراً لنا فقـــط، بل نحن نمارسه مـــع الآخرين. نحن لا نفتش عن فرز أناني أي بمعنى إبراز أنفسنا، إنما نعتبر أن الدور الأرثوذكسي هو الدور الذي يُشدد على وجود لبنان والباقي «كل شيء في وقته».

ألا تعتبرون في هذا المجال أنه حان الوقت للقيادات الروحية أن تلعب دورها؟

في وقـــت من الأوقات، شعرت ـــ عندما فوضت القيادات الروحية ـــ أنه صار المطلوب منها أن تلعب دوراً. الآن لا يوجد عندي شعور بوجود مبادرة، وأنها على مستوى المختلفين سياسياً، والتي مصالحهم متضاربة إقليمياً أو دولياً.

أعتقد أن الوقت لا يزال مبكراً للقول إن المبادرة أصبحت في أيدي القيادات الروحية مباشرة، لكن هذا لا يمنع أن تكون القيادات الروحية مشاركة في الاهتمامات والتحركات، وإن شاء الله بعد الزخم الذي نأمل أن يعطى لاجتماع تونس ومتابعته، نـــأمل أن يكون هنالك دور مباشر للقيادات الروحية، التي أظن أن هنالك حقلاً لا

دخل لها به، ولكن هناك حقل يستحيل ألا تدخل فيه، وهو الحقل الذي يهم الشعب والمواطنين، أي المصير. ونأمل أن نكون كلنا مشجعين وداعمين وزاحفين إذا لزم الأمر، مع كل من يقوم بهذا الأمر من رجال السياسة.

من خلال المشاورات التي قمتم بها، هل لمستم تغييراً إيجابياً بين الأطراف اللبنانيين؟

أنا أتصور أن هنالك تغييراً إيجابياً، وأن هنالك مناخاً حوارياً، وما يعكس ذلك هو أن الأطراف المجتمعة في تونس والهيئة المجتمعة في تونس، دليل على أن الأطراف كلها في حالة حوار، ومن هذه الناحية أيضاً لا أعتقد أن أحداً يُخرج نفسه من منطق الحوار. نحن في مرحلة جيدة، ونأمل أن تتبلور وتصبح مشروعاً، لا أن تبقى مجرد مناخ.

البعض اعتبر الكلام الذي قلتموه أثناء زيارتكم الأخيرة للبلمند وكأنه موجَّه ضد مبادرة البطريرك صفير، أين تقف من هذه المبادرة؟

أعتقد أنه حصل شيئان: الأول المناخ الذي حصلت فيه وهذا لا أعرفه، وهو الذي أدى إلى ربط كلامي بمناخ لا دخل لي به. فعندما تحدثت عن المبادرة، كنت لا أعرفها، وكنت أقصد فعلاً أنني لا أعرفها، ولا حق لنا أن نتكلم عن شيء لا نعرفه وخصوصاً ما يصدر عن شخص له هذا المقام، وله ما له من احترام وعلاقات شخصية وعامة معي. فلا يمكن أن أتطرق إلى أشياء أجهلها. كل الذي قصدته موضوعياً، هو أنني لا أعرف شيئاً. ويمكن أن السبب هو وجود مناخ، وهذا المناخ يجب أن يزول. ونحن نعتبر أن مطرانية بيروت كانت على مدى العصور وسيلة الاطلاع بالنسبة إلى البطريركية، لهذا يجب أن تكون هذه المطرانية مطلعة، ويجري معها الاتصال. وقبل قليل كنت أتحدث مع أحباء عن هذه الرغبة وعن هذا الإلحاح في هذا الموضوع.

مطرانية بيروت بالنسبة إلينا هي نوع من المقام البطريركي في لبنان من

الناحية الرسمية، أما من الناحية الاكليريكية فكلنا متساوون. وهذا لا يعطيها امتيازاً، لكـــن يعطيها مسؤولية، وهي الجهاز الصالح للقيام بدورها. من هنا أعتقد أن المناخ الذي كان سائداً آنذاك، ينقصه الكثير من التنسيق مع مطرانية بيروت، وهذا ما جعل الأشياء كلها تحمل على غير محملها، والكلام الصحيح يلزمه قلب محب حتى يقبله.

هل من جديد على الصعيد الكنسي وخصوصاً بالنسبة إلى جامعة البلمند؟

بالنسبة إلى الأمور الكنسية، هنالك أشياء كثيرة جديدة، وأهمها هو أنه أخيراً اجتمعت الكنائس المسيحية بأجمعها في الشرق الأوسط وأصبحت عائلة تلتقـــي من أجل أن تؤلف مجتمعة مجلس كنائس الشرق الأوسط، الذي أتمناه أن ينتقل من مجلس كـــنائس الشـــرق الأوســـط، إلى مجـــد كنائس الشرق الأوسط، فبعد سنوات من المفاوضات سنكون كلنا عائلة واحدة نطرح قضية الوجود المسيحي المهلهل وما هو مبرره.

منطقـــة الشرق الأوسط هي منطقة المسيحيين، وبالتالي إذا دخل الزيف أو الانحراف أو الانشقاق إلى المسيحية، فيجب ألا تدخل حيث يوجد قبر المسيح ومهد المسيح. اقرأوا الإنجيل تجدوا صور وصيدا مذكورتين، وبولس الرسول مر في الشارع الذي تقع فيه بطريركيتنا في دمشق، بمعنى أن هذه الأرض هي أرض موحِّدة ورسالتها أن يكون الناس فيها متحابين، ولا يجوز أن تكون الكنائس فيها منقسمة ومتحاربة، ولا يجوز أن تكون المسيحية مبرراً لأن يكون المسيحيون وكأنهم غرباء عن المنطقة.

نحـــن لسنا غرباء عن هذه المنطقة وفخورون بأن الرب يسوع هو مولود في بيـــت لحم، وأن الرسل خرجوا من هذه المنطقة. لا أحد جاء من الخارج، ولا نقبل على أنفسنا أن نكون جماعة من الخارج، بالنسبة إلى هذه المنطقة.

أمـــا فيما يخص الجامعة، فقد شعرنا بأن الكثيرين أحبوا إعلانها بعد صدور قرار الترخيص لها. ونحن كنا سابقين لهذا القرار في الواقع. ونحن إن شاء الله، لا نخيب

آمـــال هذا البلد ومحبي المعرفة والكرسي الانطاكي بصورة خاصة. نحن نعمل والعمل قائم على قدم وساق، وكذلك التعليم. ربنا أعطانا أكثر من ٧٠٠ طالب في كليات اللاهوت والهندسة المعمارية والتربية وغيرها، ونأمل أن نكون أهلاً لهذه الآمال، ونحن نسير بخطى ثابتة وواثقة لمجد الله ومجد البلاد.

حول الطائف*

كنـــتم حلقة الوصل بين الوفود وبتفويض من رؤسائها للوصول إلى صيغة مشتركة فماذا حصل معكم؟

وصلنا إلى هنا ووضع كل منا في مقر إقامته وظننا أن هذا مخطط لأن يبقى كل واحد منا في دائرته. ولكن كما تعلمون أن لنا علاقة شخصية بكل رؤساء الوفود دون استثناء وكذلك أيضاً رؤساء الطوائف دون استثناء. ونحن كطائفة أرثوذكسية لم ندخل في الصراع اللبناني، بالمعنى الذي دخل فيه غيرنا، ولم نعتقد به، وقلنـــا إنه من الأفضل أن نتصل ببعضنا، حتى لا تظن اللجنة أنها ترى متقاتلين. وبدأت الاتصالات مباشـــرة بكـــل وفد على حدة، لكي نحاول أن يكون لدينا موقف مشترك ولنسهل مهمة اللجنة. وأحب أن أقول بادئ ذي بدء أننا نحن رجال دين ولسنا رجال سياسة ولسنا هنا ببديل عن السياسيين في لبنان لذلك لا يطلب منا أن نُشرِّع، ولا يطلب منا أن نعطي المبادئ والرؤية المستقبلية وأن نذكر بالأهداف.

الشيء الثاني أننا لا نتدخل بتفاصيل هي من النوع الفني السياسي ونكتفي بـــأن نعطي ما يسمى بالأشياء العامة التي تتفق مع وضعنا كرجال دين. كانت هناك موافقة عامة على هذا الموقف. وأعتقد أيضاً أن هناك اتفاقاً في النية. وتم الاتفاق على النقاط التالية:

نحن نريد لبنان واحداً حراً مستقلاً وفي أفضل الحالات مع جيرانه وخصوصاً ســـوريا. ونريد أن تكون هناك دولة وأن تبسط سلطتها على كل أراضيها. كذلك نرفض الاحتلال الإسرائيلي في كل الوجوه ونطلب بإلحاح بأن تطبق قرارات مجلس

---

* صحيفة «الوطن» السعودية، الطائف، ١٩٨٩/٢/٢٤

الأمن خصوصاً القرار ٤٢٥، في هذا الموضوع. كما اتفقنا على أن يكون السلاح، في أيـــدي الشرعية فقط من أجل الدفاع ضد العدو وليس أن يكون في أيدي المواطنين، حتى يستعمل كل منهم السلاح ضد الآخر. وكذلك اتفقنا على أن هذه اللجنة التي نجـــتمع معهـــا لم تنبثق عن طريق الصدفة ومن العدم، ولكنها أتت في ظروف معينة وملائمـــة. وهـــي لجنة عربية تعبر عن الجامعة العربية والتي لبنان من أعضائها ومن مؤسســـيها. وبالطبع أيضاً هذه اللجنة لم تنبثق من لا شيء ولكن هناك أيضاً مناخ دولي يســـمح لميـــلاد مثل هذه اللجنة، وهذه الظروف يجب أن نستفيد منها لبحث القضية اللبنانية ضمن الحدود التي رسمناها. وكان الوفاق تاماً حول هذه الأشياء.

طرحتم قضية التزامن بين الإصلاحات والانتخابات الرئاسية كيف ستوفقون بنظركم بين القضيتين وما هو تصوركم لذلك؟

في موضوع قضية رئيس الجمهورية أو إصلاحات سياسية، قلنا إن أية وحدة منفصـــلة عن الأخرى لا تؤدي إلى الغرض لأن الكل يريد لبنان معاً، وقلنا إذا كان بالإمكـــان التزامن، فليكن. كيف؟ نترك ذلك لأولياء الأمر، بمعنى أنهم يريدون بحث الـــنقطة مـــن الوجهة القانونية. ولكن بقيت نقطة للتأمل وهي يجب أن يكون هناك الجهـــاز الدستوري الذي يعطي الصفة الدستورية ويمكن أن يكون القائلون بوجود رئيـــس الجمهوريـــة، يـــريدون الوصول إلى الغاية المنشودة، وهي أن يكون رئيس جمهورية وإصلاحات في نفس الوقت في حالة اختيار رئيس جمهورية موضع ثقة. لأن قصـــة التزامن مطروحة خوفاً من أن تحصل هناك واحدة دون أخرى. إذن لا بد أن تكون عندي ثقة بالشخص الذي اختير وتم التوافق عليه، وما دام نال الثقة وكان أهلاً لهـــذا الشـــيء، إذن ليـــس هناك مبرر طالما نحن نثق فيه، وقد يكون طرح الأمرين كقضيتين مستقلتين هو سبب عدم الثقة فيمن قد يأتي ويخشى أن لا يتمم هذا الشيء.

هل طرحت اللجنة أسماء مرشحين للرئاسة؟

لا

هل حددتم مواصفات أحد المرشحين للرئاسة؟

لم يبحث هذا الموضوع على الإطلاق، ولكن على الرئيس كائناً من كان، أن يكون محل ثقة من قبل الجميع.

هل تنطبق هذه الصفات على العماد عون؟

لم يبحث هذا الموضوع على الإطلاق.

هل لكم ملاحظات خلال الاجتماع مع اللجنة السداسية؟

بالحقيقة اللجنة عملت على خلق مناخات جيدة من أجل بحث الأزمة اللبنانية ونحن طرحنا وجهة نظرنا من الأهداف الرئيسية التالية: لبنان واحد، أرض واحدة، سلاح شرعي واحد، مواطن حاصل على حقوقه، ولا هيمنة من مواطن على آخر، ولا من فئة على أخرى.

وشعرنا أن اللجنة ملتزمة بالحوار ليس فقط بصفة حكم بين اللبنانيين ولكن بصفتها عضواً مشاركاً في إنقاذ لبنان من هذا الوضع الحالي المتردي وهذا يعني أنها تحمل التشجيع من كامل العالم العربي ومن المناخ الدولي. وقد سمعنا أنه إذا كانت الأزمة بالنهاية بين اللبنانيين أزمة ثقة لبناني بآخر فإن اللجنة مستعدة لتقديم الضمانات للمشككين. لأن الأهداف التي تذكر بالحوار هي بالذات الأهداف التي نسعى للوصول إليها، بمعنى أن اللجنة ملتزمة. ولا نريد أن نتصور الفشل للجنة لأن الفشل سيكون فشلاً لكل لبناني دون استثناء وخصوصاً طالبي الضمانات.

هـــناك مَـــن طرح اليوم المفتوح كخطوة للحل، أي أن يحمل هذا اليوم انتخابات هيئة مجلس النواب ورئيسه والاقتراع على الإصلاحات ومن ثم انتخاب رئيس الجمهورية؟

نعم هذه محاولة من المحاولات لطمأنة الطامحين لرئاسة الجمهورية، والمطالبين بالإصلاحات، ونحن نتأمل لكل المحاولات التي في هذا الاتجاه أن تنجح. وهذه ليست المحاولة الوحيدة ولكن أيضاً كما كنا نقول دائماً يجب أن نجد المخاطب قبل الخطاب. والآن المخاطب الدستوري غير الموجود والإصلاحات تحتاج إلى جهاز تنفيذي، مَن سينفذها؟

إذاً الشـــخص الدستوري غير موجود في لبنان لذلك أي لبناني قد يتفق مع أي لبـــناني آخر. إذا لم نبدأ بتنظيم الوضع الدستوري لنستطيع في المستقبل أن ننتزع القضايا التي في الشارع وأن توضع في مؤسسات دستورية لكي تتصرف فيها بحكمتها وبمعرفتها. لأنه في النهاية الخلافات ليست خلافاتنا الشخصية، إنها خلافات سياسية في المستوى السياسي.

الاجتماع مع القادة الروحيين ما هو إلا بلورة صورة، أي عملية تمهيدية لبحث الموضوع مع السياسيين.

على الأقل توضيح اتجاه معين في مسيرة الأبحاث.

هل حددتم شروطاً للإصلاح؟

نحـــن لا نستعمل كلمة شروط ولكن هم الذين توقعوا. كما قلنا نحن ليس عندنا ادعاءات أو مشكلة إلا مشكلة أن يكون هناك عدالة في التمثيل، عدالة شاملة حتى يشعر كل فرد في لبنان أنه في بلده. ونحن لا نقبل بالامتيازات، إنها تشوه وجه لبـــنان الحقيقي وكما نحب أن يكون لبنان موطن الحوار المستمر والمنبر للروحانيات الشرقية، ولا يجب التذكير أن الأديان السماوية قد ظهرت في الشرق وأن لبنان هو في

الشرق هذا. نحن لا نريد أكثر من هذا ونرفض أية قوقعة من أية طائفة والسير في أن تكون هناك امتيازات على حساب الآخرين. المهم أن يرتاح الجميع.

ما هو موقفكم من القوى الأجنبية الموجودة في لبنان؟

نحـــن حددنـــا مفهومـــنا للقوى الأجنبية. إنها إسرائيل في الدرجة الأولى والأخيرة. وأنا قلت أمام اللجنة إنه لا يمكننا السعي إلى لبنان واحد إذا كانت إسرائيل تقـــتطع جـــزءاً من أرضه. لذلك من الأساسي أن يحصل جهد في هذا الاتجاه لكي تذهب إسرائيل عنا، إذ يكفيها ما اغتصبته. فإذا أضافت اغتصاباً جديداً فهي تضيف إلى المصيبة مصيبة أخرى. إننا نتطلع بإيجابية إلى كل الأمور الأخرى ونعتقد بوجود حكومـــة مركـــزية قوية تبسط سلطتها على كل الأراضي اللبنانية، فتكون السلطة الوحيدة.

وفي الختام مهما قلت لا نقدر على التعبير عن الشكر للكويت وشكرنا على الاستقبال والمبادرة. وبلسان كل الوفود نقدم الشكر الجزيل لحضرة صاحب السمو الأمـــير وولي عهـــده ورئيس اللجنة على اهتمامهم وسعيهم الصادق والمخلص لحل الأزمة اللبنانية.

تأملات في الطائف*

هل شعورك اليوم هو الشعور نفسه في اليوم الأول لوصولك إلى الكويت أم هو مختلف؟

شعوري اليوم مختلف لا بل مختلف كلياً عنه يوم جئنا. لم نعرف أي نوع من الجو سيكون أمامنا مع معرفتي شخصياً بكل رؤساء الوفود، لأننا كنا ننقل معنا الجو المتوتر الموجود في لبنان. واليوم على العكس نحن في حالة انسجام وفي حالة وفاق. وحتى إذا تعددت وجهات النظر فمن قبيل التعدد لا من قبيل الرفض.

وضعنا اليوم ليس وضع جماعة ينازل الواحد الآخر في حقل معين مثلما كنا نشعر حيث كانت القضايا فعلاً ورد فعل. إن شاء الله بعد اليوم يصبح هناك تكامل ونحن اليوم في وضع جيد.

هل أنت مرتاح لمواقف كل المسؤولين الدينيين الذين حضروا المؤتمر؟

أعتقد أن هناك عنصراً مهماً جداً وهو الصدق. وأن لا يخلط الشخص بين مزاجه الشخصي وبين الموقف الذي يستجد في الوطن، في لبنان. من هذه الناحية هنالك استقامة، وعلى المستوى الذي كنا نبحث فيه الأمور كرؤساء دين. ولسنا مهيأين لندخل في تفاصيل هي من مسؤوليات المختصين بالسياسة. المواقف منسجمة كثيراً وأظن أنه في النهاية بإمكاننا أن نقول إن الكل كانوا على أفضل ما يرام، وأعتقد أنه لم يكن هناك أي نوع من العصبية والنرفزة.

اتفاق رجال الدين هل يبرهن أنكم نجحتم حيث فشل رجال السياسة؟

قد يكون الموقعون مختلفين بعضهم عن بعض لأننا نتكلم عن مستويين. نحن

---

* «النهار العربي والدولي» لبنان، الكويت، جبران تويني، العدد ٦١٦، السنة ١١، ٢٧ شباط ــ ٥ آذار ١٩٨٩

لسنا خبراء في التخطيط. وتنفيذ المبادئ، وتنفيذ الرؤية وتجسيدها تركناها للخبراء من رجال السياسة. إن مجرد اجتماعنا واتفاقنا أثبت أن لا خلاف دينياً في لبنان.

لماذا فشل رجال السياسة في الالتقاء والاتفاق حتى اليوم؟

أعتقد أن رجال السياسة ربما كانوا يفكرون طائفياً أكثر مما يفكرون وطنياً. إن المراحل التي عشناها منذ ١٩٤٣ حتى اليوم كان فيها عناصر متعددة داخلية وخارجية من كل الجهات أدت إلى ما سميته أنت الفشل.

عناصر داخلية وخارجية، يعني أنه كانت هناك ارتباطات بين الداخل وبعض القوى الخارجية؟

أعتقد هكذا، وهذا دليل على أن فكرة الوطنية اللبنانية كانت تحتاج إلى تقوية شديدة. هنالك كثير من الناس كانوا يعتقدون أنهم قادرون أن يكونوا لبنانيين إذا كان الاعتماد ليس على لبنان ولكن على غير لبنان.

موقف المسؤولين الدينيين واتفاقهم في الكويت هل تعتقد أنه سيحشر موقف السياسيين أمام الشعب اللبناني؟

أنا أعتقد أن الاتفاق ممكن وهذا هو السبب في مجيئنا إلى هذا المكان وقبولنا الدعوة. وأنا أعتقد أن الاتفاق ممكن لأنه إذا كانت قاعدة الاتفاق هي الشعب وفي موضوعنا الشعب اللبناني، فالقول إن الشعب اللبناني لا يستطيع أن يحيا في لبنان غير صحيح. وبالرغم من أنه مقهور على المعابر ــ الدليل على ذلك أنهم يضعون ناساً على المعابر لمنع الشعب اللبناني من الاتصال ببعضه البعض وليس لتسهيل الاتصال ــ. أعتقد أن الشعب اللبناني أثبت أنه يقدر أن يعيش كشعب حتى لو غابت الدولة في وقت من الأوقات، وأتصور الاتفاق ممكناً على أساس أن يعيش الشعب ويكون كل مواطن مواطناً. لكن في الوقت نفسه مع الاحترام لكل مواطن وعلى أن لا يكون تمييز

بين منطقة ومنطقة، بحيث يشعر اللبناني أينما كان أن لبنان كله له ولبنان له بكامله.

هل صار لديكم اليوم صفة تمثيلية أكثر من الأحزاب؟

نحـــن نحترم الأحزاب وكل الهيئات ولكن أعتقد أنها كلها عملـــياً اختبأت وراء الطـــابع الديـــني في لبنان، في وقت من الأوقات، حتى تقول إن الخلافات هي خلافات طائفية.

البعد الديني نحن نمثله في لبنان.

هل تعتبر أنه أصبح أمام لبنان فرصة جديدة للإنقاذ أم أننا لا نزال في دوامة الحرب التي نعيشها منذ ١٤ سنة؟ وهل تعتبر أن هذه الفرصة هي فرصة حقيقية؟

أعـــتقـــد أن هذه الفرصة فرصة متميزة، يبدو ذلك أولاً من المناخ الدولي المناســـب لا بـــل الذي فيه نوع من الإلحاح على حل القضية اللبنانية. والبعد الذي نعيشه في الكويت ولدى الجامعة العربية ليس منفصلاً عن الجو الدولي، وهو مدعوم دوليـــاً. يعني أن هناك اهتماماً جديداً من العالم العربي، وهذا واجب وحق لأن لبنان عضو مؤسس في الجامعة العربية كما نعرف كلنا.

كذلك هناك ميزة خاصة وهي أن اللجنة التي نجتمع وإياها ستكون مشاركة في دفع ثمن الوفاق إذا كان للوفاق ثمن.

ماذا يعني دفع ثمن الوفاق؟

معـــنى ذلك عندما نسمع أن الوفاق لا يكون إلا إذا كان هناك أناس يحبون أن يحترموا الآخرين ويحبون أن يقدموا لهم شيئاً.

إذا كـــان هناك تنازلات متبادلة فيجب أن تحصل وإلا كيف يكون هناك وفاق؟

لكن الذي سمعناه هو أن هذه اللجنة مخولة أن تكون نوعاً من الضمان للبناني الـــذي لا يزال يشكك في اللبناني الآخر. إنها عنصر ثالث واقعي وليست حكماً من بعيد ولا تنظر إلى الأمور وكأنها مجرد نظريات. وهي ليست موجودة كقاض ينظر في الدعوى بل كقاض ينفذ. هذا شيء مهم جداً وأعتقد أنه لم يكن متوافراً من قبل.

تكـــلمت عن تنازلات. هل حصلت تنازلات من قبل رجال الدين في هذه اللجنة؟ ومَن تنازل ولمصلحة مَن؟

أتكـــلم عن مبدأ الوفاق إجمالاً، لأنه في واقع لبنان لم تحصل كل الأحداث بطريق الصدفة، وما من شك أنه كان هنا شيء يمس علاقة اللبنانيين بعضهم ببعض، والعلاقة بين الطوائف المختلفة.

الـــبعض يشـــكو من هيمنة معينة، والبعض يشكو من قلة عدالة، والبعض يشـــكو من إهمال والبعض يظن أن هذه التقصيرات كانت خطة أكثر مما هي بطريق الصـــدفة. كذلـــك أعتقد أنه من الطبيعي أن تكون «عدالة أكثر» وأن يكون هناك حسن تمثيل للهيئات التي يتكون منها لبنان، ولا يكون من شعور للغبن الموجود، وهو موجود بين الطوائف الإسلامية وبين الطوائف المسيحية وليس فقط بين المسيحيين من ناحية، وبين المسلمين من ناحية أخرى. وأعتقد أنه لا بد من أن يكون هناك إصلاح.

وكيف تعالج الخوف؟

لا يجوز أن لا يعالج وأن يصبح أمراً مَرَضياً. يجب أن يصبح موضوع معالجة. ففي نظري من يخاف شيئاً يجب أن يعالج هذا الشيء بالشيء نفسه. نخاف عداوة، إذاً يجب أن نحل قضية العداوة. قبل كل شيء يجب أن أتحول أنا والشخص الذي يخيفني إلى صديقين، وإذا لم نتوصل لأن نكون صديقين فلا شيء يكون قد سُوِّي.

أعـــتقد أن معالجـــة قضية الخوف تقضي أن تكون هناك ضمانات بأنه لن

تكون هناك روح عدائية. وفي لبنان كلما اتسعت آفاق الصداقة والمواطنية الصحيحة ازداد الضـــمان. لذلك نحن لا نوافق مثلاً على شيء جرى الحديث عنه في وقت من الأوقات اسمه «التقسيم» لأنه لا يبعد العداوة لا بل فإنه يزيد من مخاوف الإنسان في نظام معين. ولا يمكن أن تعادي جارك، أو تعادي الذي يسكن في منزلك، أو تعادي زميلك أو أي شيء من هذا النوع. ساعتئذ لا يكون هناك فعل. لذلك أنا أعتقد أن ضـــمان اللبناني في لبنان هو أن يكون كل لبناني عبارة عن صديق وأخ، ويشعر أن فلانـــاً أخوه، ويشعر أن هذا البلد بلده. وهذا هو الضمان الوحيد الذي أراه ممكناً، وأعـــتقد أنها جدية ولا أعتقد أن سواها يمكن أن يكون جدياً إلا إذا كنا نتكلم عن تـــوازن القوى التي تتسلح في وجه بعضها البعض كما تفعل بعض الدول. هذا غير مقبول في الوطن الواحد.

شخصـــياً كـــنت تتكلم عن كنـــز التعددية، هل ما زلت على هذا الموقف بأن التعددية الطائفية تشكل كنـــزاً حقيقياً للوطن؟

أنا أعتقد أنه كما استعمل المال لغايات شريفة كذلك يمكن استعماله لغايات غـــير شريفة. كذلك يمكن استعمال الطائفية لأشياء جيدة جداً. الطائفية هي وضع سياسي. المبادئ الدينية هي الكنـــز الحقيقي الذي نتمنى أن لا نشوهه لأنه من تراث الشرق الأوسط. هنا مهبط الديانات السماوية ولا نستطيع أن ننفصل عن هذا البعد الـــذي يكوّن شخصيتنا المشرقية. أما الطائفية فهي حدث سياسي يجب أن ينظر إليه سياسياً. والتعددية هي ظرف. التعددية لا تعني الانفصالية أو التقوقع وليس معناها أن الإنسان يكون مختلفاً عن الآخر.

التعددية تعني التفاعل؟

نعم التفاعل فنحن لا نريد أن نكون جامدين. لا يمكنك أن تكون حراً إذا لم يكـــن عندك مكان للاختيار. والحرية جعلها الله من الأولويات وحداً فاصلاً بين

الحسن والسيء. لذلك أنا لا أقصد بالتعددية أن تجعل كل طائفة لنفسها دولة. هذا مرفوض كلياً ولكن ليست الأرثوذكسية غريبة عن لبنان ولا السُّنة غريبة عن لبنان. وبعـــد ذلـــك إن اللبناني تعايش في مكان وتبادل بالروحانيات. هذا تاريخ الشرق والشرق الأوسط بصورة خاصة.

وأعتقد أنه يجب أن نصحح مفهومنا للتعددية. فهذه كما استعملت في المدة الأخيرة كان المقصود بها الانفصالية.

في الـــبيت الواحد شاءت الإرادة الإلهية أن يكون الشخص وزوجته بطبعين مختلفين. ونكون غير واقعيين إذا لم نتكلم بتعدد البشر كما خلقهم الله. هذه نسمح بها ونصر عليها. ومحاولات جعل كل واحد من البشر صورة طبق الأصل عن الآخر تحصل في الدكتاتوريات القوية وفي العقائدية التي لا تقبل أن تواجه أو تناقش شيئاً من هذا النوع.

هل تعتبر إلغاء الطائفية السياسية في لبنان مخرجاً أو حلاً كما يطرح البعض؟

أعـــتقد أن واقـــع لبنان يستدعي أن يسير في قضية إلغاء الطائفية السياسية بطـــريقة حكـــيمة بحيث لا يؤدي الإلغاء إلى هيمنة وقلة عدالة. إن هناك تصوراً في مســـتوى معـــين لـــلـــوظائف في الدولة يمكن أن يكون عبارة عن أبواب مفتوحة للمشاركة لكل الطوائف. يمكن أن تلغى الطائفية السياسية اليوم على كل المستويات.

أنتَ إذاً مع تطوير هذا النظام؟

نعم، نعم.

الكويـــت استضافتكم. هل تعتبر أن هذه اللجنة ستتابع نشاطها بجدية من خلال رئيسها الشيخ صباح وزير خارجية الكويت؟

الواقع كل ما سمعته أن هناك جدية في الموضوع والتزاماً بالمتابعة والتدخل من أجل ضمان كل شيء. أعني تقديم ضمان لمن يظن أنه يحتاج إلى ضمان.

هل سمعت أنت هذا الكلام؟

أنا سمعته من اللجنة نعم.

وهل تكلم وزير الخارجية الكويتية عن الضمان؟

رئيس اللجنة قال إن هناك ضماناً لتنفيذ كل شيء.

وهل أنت مرتاح؟

لأول مرة أشعر أن هنالك تصميماً وجدية حتى النهاية.

كـــان عـــندك تصور حول موضوع «الدجاجة قبل البيضة أو البيضة قبل الدجاجة» أو الإصلاحات قبل انتخاب الرئيس. ما هو اجتهادك حول هذا الموضوع؟

يجب أن لا نمشي في مسألة الدجاجة والبيضة. وسبق أن أعلنت هذا الشيء في لبنان. لا نريد، بحجة رئيس الجمهورية، أن لا يصير إصلاح وبحجة الإصلاح أن لا يصير رئيس جمهورية.

الغاية أن نصل إلى الاثنين. وأعتقد أن الكل يريدون أن نصل إلى هذا الأمر، وهو أنه يجب أن يكون لنا رئيس جمهورية وأن يكون هناك إصلاح. في الواقع فكرة الإصلاح المطروحة سابقاً لم تكن موجودة عندما طرح مرشحون لرئاسة الجمهورية.

نتمنى أن لا تكون مطروحة الآن من أجل عرقلة انتخاب رئيس جمهورية.

أيـــة فكـــرة؟

فكـــرة الإصلاح أولاً أو انتخاب رئيس أولاً. أنا أعتقد أن الحل يكون إذا

كـــان التزامن ممكناً. نتمنى. لأنه يهمنا الوصول إلى الحل. أما النقطة الأساسية فهي معالجة الموضوع من جذوره. وجذوره أن هناك فئة من اللبنانيين ليست عندها الثقة الكافية بأنه إذا كان هناك رئيس للجمهورية سيفي بالوعد أو يكون قادراً على الوفاء بالوعد. ولهم الحق أن يشكوا بمَن يشاؤون، هذا حق من حقوقهم الوطنية.

ولكـــن الســـؤال: لماذا لا نركض إلى الحل مباشرة وهو أن نجد الإنسان الثقة، الشخص الذي لا يجعلنا نتصرف كأنه ليس لنا ثقة به؟

يجـــب أن نعطي ثقة للشخص ويكون هذا الشخص مسؤولاً وقادراً على الالتزام وصادقاً في قضية تنفيذه. وإذا لم نجد هذا الشخص لن يحصل شيء.

أنت مع مبدأ إقرار الإصلاحات ومع رئيس جمهورية ينفذ البرنامج الإصلاحي؟

ويكون أهلاً للثقة. وبالتالي موضوع اتفاق وبعد ذلك يرى جميع الناس أن رئيس جمهوريتهم غير مشكوك فيه لأن القصة هي قصة شك وثقة.

كـــل قصـــة التزامن مطروحة لأننا لسنا مؤمنين انه إذا تمت الأولى فلن تحصـــل الثانية والعكس بالعكس.

هـــذه تحـــل إذا كان الاتفاق على الشخص هو شخص ثقة ومتفقون معه. وهذا الشخص يؤدي في النهاية إلى الحل. وإلا سيكون هناك رئيس جمهورية يتعرض لهذه السابقة الخطيرة التي هي القطيعة، وبين قطيعة وقطيعة لا نقدر على حل شيء.

القطيعة هل كانت خطأ؟

كانت غير عادية و لم أتصور أنها كانت مفيدة للبنان.

هل تضمن اللجنة العربية أن الرئيس المنتخب سينفذ الإصلاحات؟

الـــرئيس المـــتوافق عـــليه هـــو رئيس أهل للثقة وتضمن اللجنة أن تنفذ

الإصلاحات على يده.

شاهدنا في المؤتمر أن الطائفة الأرثوذكسية قامت بدور معين.

نحن موجودون هنا لأننا دعينا ونحن مسرورون لأننا مدعوون مع أخوة لنا، لأنه لنا علاقات معهم وعلاقات شخصية كطائفة. والحمد لله نحن لم نحارب وإن شاء الله لن نُحارَب. لذلك فجونا فيه كثير من الصفاء بالنسبة إلى كل الاخوة. ونقول لكل الذين يطالبون بحق نحن معهم للوصول إلى حقهم. ولسنا معقدين تجاه هذه الأمور ولا نعتبر أنه إذا وصل الناس إلى حقوقهم نكون قد خسرنا شيئاً بل العكس. أنا هنا يسعدني أن تحصل الاتصالات معي حتى نكون مكان لقاء. والحمد لله أن النقاط المعقدة كلها كان لي الحظ أن أتكلم بها إفرادياً مع كل الاخوة وأن نتصل بهم ونأتي لاجتماعات اللجنة ونكون متفقين بالآراء تقريباً مئة بالمئة. وقد شعرتم أن الجو في اليوم الأول هو انفصالي والواحد بعيد عن الثاني وكأنه غريب عنه. وفي اليوم الثاني، قبل مواجهة اللجنة، لربما شعرتم باتصال وراحة، وفي كل هذه الأمور أعتبر أننا قمنا بواجبنا.

هل تعتبر أن طائفة الروم الأرثوذكس هي طائفة الحوار وهل برهن هذا في المؤتمر؟

نعتقد أننا في حالة حوار و لم ننقطع. نحن في حالة حوار مع كل الطوائف اللبنانية بدون استثناء وسنبقى كذلك لأنه يهمنا أن يبقى كل لبنان في حوار مستمر ودائم. والمقصود أنه إذا كان في لبنان تعددية لا تقوقع ولا وحدات سياسية منفصلة كما قلنا، فلبنان مدعو إلى حوار مستمر. الواحد لا يستغني عن الآخر. الواحد يهتم بما يريده الآخر. ونحن كأرثوذكس نفتخر بأن هذا هو خطنا وإن شاء الله لا نحيد عنه أبداً.

هل تعتبر أن الأرثوذكس طائفة الحوار في لبنان كما هم أيضاً طائفة الحوار بين العالم العربي والمسيحيين؟

أعـــتقد أن هذا ما نريده وأعتقد أننا نحتاج حتى نتكلم باسم المسيحيين أن يـــريد المسيحيون ذلك. وقلما نلجأ إلى أن نتكلم باســـم غيرنا، و لم نتطـــاول على غيرنـــا لنتكلم باسمه من دون أن يريد. العالم العربي أيضاً لم يكلفنا كفاية لنكون هذا الـــنوع من الجسر الذي ذكرته. أعتقد أنه يجب في المستقبل أن تكون الاستفادة منا أكثر من ذلك.

في وفدك كان هناك حضور لمطران بيروت وبعض المطارنة والقساوسة؟

مطران بيروت، هذا شيء طبيعي، لأن بيروت عاصمة لبنان. والقضية قضية لبنان. ومطران بيروت له وزنه، وكانت مطرانية بيروت دائماً هي المكان الذي ينوب عن البطريركية في غياب البطريرك. لذلك كان من الطبيعي أن يكون مطران بيروت حاضراً وخصوصاً أن المطران الياس عودة هو مطران ثقة والحمد لله وهو إنسان يخاف الله، ولا أريد أن أذكر الآن فضائله. والذين يعيشون معه يعرفون ذلك أكثر. والحمد لله لـــه تقدير عام عند الكثيرين. هذه ناحية والناحية الثانية كان عندنا مطران بغداد والكويت والإمارات وهذا طبيعي عندما نكون في أرض أبرشية نكون روحياً ضيوفاً عـــند المطران رئيس الأبرشية. لذلك نحن ضيوف عند المطران قسطنطين ونعتز جداً بهـــذه الضـــيافة. أما وجود القسيس أديب معنا وكان منتظراً أن يكون أحد الاخوة الســـريان معنا، والقسيس أديب إنجيلي، فهو إشارة إلى أننا في مجلس كنائس الشرق الأوسط تلتقي العائلات الأرثوذكسية والشرقية التي تجمع السريان والأقباط والأرمن مع الطوائف الإنجيلية.

كان متوقعاً لو توافرت الأمور العملية أن يكون الجميع معنا، ونحن ملتزمون بهـــذا الشـــيء. لقد حصل شيء ليس له سابقة في التاريخ وهو أنه في مجلس كنائس الشـــرق الأوسط الآن أصبحنا ثلاث عائلات: العائلة الكاثوليكيـــة دخلت كلها، العائلة الأرثوذكسية الشرقية والعائلة الإنجيلية. كل كنائس الشرق الأوسط وكل مَن

يـــنطق باسم المسيحية في الشرق الأوسط مندمج في مجلس كنائس الشرق الأوسط. وهـــذا مـــا سيجعلنا في حوار مستمر وفي محاولات مشتركة لمعالجة قضايانا. هذا لم يسبق له مثيل في التاريخ.

والكنيســـة المارونية هي من ضمن المجلس الكنائسي. نحن نتوقع أن يكون ابـــتهاج وتعمق بالأمور وحكمة وروية عندما سنجلس كلناً معاً ونبحث أمورنا في الشرق الأوسط.

الطوائـــف اللبنانية تصالحت في الكويت. هل تعتبر أن هناك خوفاً من أن تعود الطوائف لتختلف؟ أم أنك مطمئن؟

أنا مطمئن لكل ما حصل هنا وآمل أن لا نكون منعزلين عن جماعتنا. لقد أتينا باسم جماعتنا. آمل أن يلتزم الكل مع رؤساء طوائفهم على الأقل من الدينين.

لبنان الواحد المستقل الحر السيد الذي هو عمود من أعمدة الجامعة العربية والـــذي لا يقدر أحد أن يزايد عليه من هذه النواحي. أرجو أن لا نكون قد أعطينا آراء شخصية فردية مزاجية، ولكن همنا أن نعبر عن روح جماعتنا.

لبـــنان قســـم مـــن أرضه محتل وقسم منه يوجد فيه جيش غريب. هل تطرقتم إلى هذا الموضوع؟

في الدرجـــة الأولى والأخيرة والتي لا تقبل أي نوع من الجدل أنه يجب أن تنســـحب إسرائيل لأن هناك قرارات من الأمم المتحدة لكي تنسحب. وكيف يمكن لبـــنان أن يكـــون سيداً إذا لم يكن سيداً على أرضه؟ وهذا لا يحتاج إلى جدل وهو تحصيل حاصل. ونحن نصر على هذا الانسحاب ونشدد عليه. الشيء الثاني: نحن قلنا إنـــه ما دمنا في حال بناء الدولة اللبنانية نأمل أن تبسط سلطتها على كل الأراضي وتكـــون سيدة، وأعتقد أنها لن تلاقي مقاومة، ولا أعتقد أن سوريا تقصد أن تقتطع

من لبنان جزءاً أو هي جاءت لاحتلاله. وقد قيل لي كلام واضح في هذا الموضوع.

عـــندي تطمين وتأكيد أن سوريا لن تكون عقبة أمام بسط سيادة لحكومة لبنانية أصيلة، حكومة مركزية قوية. لن تجد مثل هذه الحكومة عائقاً أمامها من قبل سوريا.

هـــل تضـــمن أن سوريا وعندما تقرر الحكومة انتشار الجيش اللبناني، ستنسحب ضمن برنامج زمني؟

عـــندي كل المعطيات الرسمية المباشرة التي تؤكد لي هذا الشيء لأن سوريا تـــتحمل حملاً ثقيلاً وتتمنى من يرفع عنها هذا الحمل. لبنان يحمل حمله. والله يوفقه ويجعلـــه ضمن الاخوة الشاملة والعلاقات الحميدة. ولكن عندي تأكيدات واضحة صـــريحة ونهائيـــة أن سوريا ستدعم الشرعية دعماً مطلقاً في لبنان واحد مستقل حر وتقبض فيه الشرعية على كل شيء.

هـــل ستستمرون كمسؤولين دينيين في الاتصالات في لبنان تتمة للخطوة التي بدأت في الكويت؟

نحـــن من جهتنا نقدر أن نؤكد أننا سنستمر بالاتصالات، وأعترف أنها لم تنقطع في أي وقت.

الصورة لأعمال اللجنة المستقبلية؟

الأصح أن يوجه هذا السؤال إلى اللجنة نفسها. ما فهمته أن اللجنة عندها الكثير من المعطيات الموضوعية لتضع تصوراً، وهذا التصور يصبح لسان حال اللجنة.

انتخاب رئيس الجمهورية هل أصبح وشيكاً؟

أرجو ذلك. لكن لا يمكنني أن أحدد تاريخاً. أعتقد أن الفكرة ماثلة ويجب

أن تنضج عند اللجنة ولا أعرف الوقت الذي ستأخذه عند اللجنة. ولكن أعرف أن النية هي الوصول إلى الحلول للقضية اللبنانية بأسرع وقت ممكن.

هـل من الآن ولنهاية السنة ١٩٨٩ سيكون عندنا رئيس جمهورية ويدخل لبنان مرحلة استقرار مع حكومة واحدة؟

هـذا مـا نـرجوه ونتمناه ونسعى من أجله ونريده، لكن لسنا وحدنا في السـاحة، لذلك لا نقدر أن نقرر وحدنا. هذا عمل اللجنة. ولا نعرف ما تصادفه اللجنة هنا وهناك، ولكن نتمنى هذا الشيء.

هـل للـتطورات الإقليمية والدولية تأثير على أعمال اللجنة كوقف الحرب العراقية ـ الإيرانية وقيام غورباتشوف بسحب جيشه من أفغانستان؟

أنا لا أتصور أحداثاً مهمة من هذا النوع لن يكون لها تأثير، وأعتقد أن هذه عناصـر أساسـية، وأن لتصـرف الدول الكبرى انعكاسات. في ما يخصنا بالشرق الأوسـط عامـة ومسألة لبنان نرى هناك حساً أميركياً وتحولاً نحو الاهتمام الجدي بسلامة لبنان وعافيته. والاتحاد السوفياتي قام بنشاط في هذا السياق، وهناك اتصالات تحصـل، لم نعـرف مكانها، منذ زمن. هناك انصباب على قضايا الشرق الأوسط، القضية الفلسطينية والوضع في لبنان. وعندي آمال، إن شاء الله كل شيء يحل ضمن حدود العدل والإنصاف والكرامة.

إذا كان مطلوباً وصف اليوم الأول للمؤتمر، وصف كل رئيس طائفة، فماذا تقول؟

هـناك شـيء مشترك لاحظته وهو أن كل الحاضرين عندهم شيء لعرضه ويعتبرون أن هذه اللجنة لها حصة بالعمل و لم يأت أحد ليفرض أي شيء، وهذا ما شعرت به عند البطريرك صفير.

من ناحية هو يتمنى أن يكون مُعبِّراً عن كل الذي فوضوه ويتمنى أن يكون

كامل الصدق بالتعبير عن هذا الشيء. وفي الوقت نفسه لم أرَ منه أي نوع من العنف لا في التعبير ولا في أي شيء آخر.

كذلك المفتي الشيخ حسن خالد، هو صديق، ولم يتزحزح ذرة واحدة عن صداقته لي ومحبته للبنان، وعن كونه جاداً ويطلب من الله أن يرى لبنان بحالة سليمة. وهو متأثر من حالة الشعب.

البطريرك حكيم أنا شخصياً أحترمه إلى حد بعيد وأتفاهم معه على كثير من الأمور وخصوصاً الأمور الكنسية، وأعتقد أننا لسنا مختلفين بالرأي ونجد أنه يجب أن تكـــون عدالة في لبنان ولا يجوز أن تكون هناك هيمنة، البطريرك حكيم صاف جداً وكان إيجابياً كلياً.

الشيخ مهدي شمس الدين أتذكر في مقدمة أحاديثه قال: أنا آتي حتى أضحي بالطائفة الشيعية في سبيل أي شيء من أجل مصلحة لبنان ومصلحة التعايش، وأعتقد أنـــه حكيم جداً ولا يقول الكلام جزافاً. وشخصياً لمست منه بعدما التقينا مرات ما تعودت أن أراه. فهو لين وصادق في رغبته أن يستعيد لبنان عافيته.

وممثل شيخ العقل الشيخ مرسل نصر الذي نقل لنا رسالة خاصة من الأستاذ وليد جنبلاط.

خـــاصة لك؟

نعم خاصة لي وأشكر الأستاذ وليد وأصالته.

ما هي الرسالة أو خطوطها العريضة؟

من الأمور التي نتكلم عنها.

هل تتعلق بالمهجرين؟

إعـــادة المهجرين هي في النية والنية صادقة. في الوضع الحالي ننتظر ظروفاً مؤاتية. والنية صادقة والجهد صحيح.

مـــنذ الآن هناك ضحايا وقعت من أجل هذا الشيء. الأستاذ وليد جنبلاط مستعد لأن يستمر بهذا الخط ولو كان ذلك سيكلفه حياته.

سماحة الشيخ مرسل نصر كان كالآخرين جيداً إلى أقصى الحدود، وعبَّر عن رغبة الطائفة الدرزية في أن ترى لبنان في عافيته وحريته.

بعد لقاء الكويت هل تطمئن المسيحيين إلى مصيرهم في لبنان؟

أنـــا أقول للمسيحيين إنه يستحيل أن يكون أي نوع من الاطمئنان إلا إذا كان لبنان واحداً بكل من فيه من لبنانيين، وإذا كانت هناك قناعة أن كل لبناني هو ضـــمانة لكـــل لبناني. أي موقف آخر هو موقف لا يؤدي لأي نوع من الضمان. ضماننا نحن في البشر هم البشر. ضماننا أن تكون الدول العربية تحتضن هذه القضية وتتحسســـها وتثبت أنها شاعرة مع اللبناني ومشاركة له في آلامه. هذا هو الضمان. لبنان هو لبنان وليس غير لبنان. هذا شيء نعلنه على السطوح. هذا سمعته في سوريا من المراجع الرسمية وأعتقد أن عندنا كثيراً من الضمانات. وأية سلبية لا تؤدي إلى أي ضمان بل بالعكس ستشكل خطراً.

أقول هذا لا للمسيحيين بل لغيرهم، وأقول إن معالجة الخوف هي أن نبعد العـــداء والســـلبية وأن نكون مع الآخرين أصدقاء ويكونوا هم معنا أخوة، وعندما يكونون معنا أخوة نصبح عائلة ولن يكون المرء خائفاً.

السلام آتٍ وآتٍ بسرعة*

صاحب الغبطة، كنتم نجم اجتماع القادة الروحيين مع اللجنة العربية السداسية في الكويت، فتكلمتم مع كل القادة الروحيين إفرادياً، واتصلتم بهم. وهكذا تمت اجتماعاتكم مع اللجنة، وأنتم متفقون بالآراء تقريباً مئة بالمئة، مع ذلك لم توقعوا الوثيقة التي كان من المنتظر توقيعها. البعض يقول إن السبب هو التباين في آراء الزعماء الروحيين. هل لكم أن تشرحوا لنا حقيقة ما حدث بالضبط؟

أود أن ألاحظ أولاً بأن الذي كان نجم اجتماع القادة الروحيين مع اللجنة العربية السداسية في الكويت، هو كل واحد من القادة الروحيين بدون استثناء. ولولاهم لما كان الذي حصل قد حصل. صحيح أننا اتصلنا ببعضنا البعض. وكان غريباً جداً أن لا نتصل، خصوصاً لأن علاقاتنا هي على المستوى الشخصي قوية جداً، وفي مستوى الآراء قريبة جداً، الواحد مع الآخر.

لم نوقع وثيقة لأنه كان السؤال، هل لنا أن نصدر وثيقة أم لا؟ بعد التداول، وجدنا أننا نحن في الكويت بدعوة، ولم نتداعَ نحن لكي نجتمع. فالاجتماع ليس اجتماعنا، ولكنه اجتماع للجنة السداسية، لذلك فاللجنة السداسية هي المؤهَّلة لأن تصدر الوثائق والبيانات عن عملها، لها أن تقول ماذا حصل، وليس لنا أن نتطاول على ذلك الأمر.

ولو كنا نحن، قد اجتمعنا بمبادرة من أحدنا، لكان من الطبيعي أن نصدر الوثيقة بتواقيعنا. هذا هو الرأي الذي ثبت وكان مناسبة لأن نقول، نحن نحتفظ بحقنا بإصدار وثيقة عندما نجتمع. وقلنا أن لا شيء يمنع من أن نجتمع في بيروت، أو في

* مجلة «الصياد» اللبنانية، دمشق، نقولا صيقلي، ٢٥ آذار ١٩٨٩

لبـــنان في مكان ما، ونصدر وثيقة كهذه. إن التردد في إصدار الوثيقة كان من قبيل التهذيب واللياقة أكثر مما هو رفض لآراء وضعت فيها.

أليس التباين في الآراء هو الذي جعلكم تترددون في التوقيع؟

لا، لا، والدليل على ذلك، أنه عندما أصدرت اللجنة نفســـها بيانها، نحن تبنَّيـــنا جميعاً هذا البيان. وعندما أصدرنا بياناً نهائياً طلبنا من كل المعنيين بـــالأمر، وكل الفرقاء في لبنان، أن يدعموا اللجنة. إذاً، فلا يمكن أن نكون قد رفضنا وثيقة، ونكـــون قد دعمنا الذي كتب الوثيقة. هذا شيء يجب إيضاحه. إنها ليســـت قضية تباين في الآراء.

قلـــتم، صـــاحب الغـــبطة، إنه إذا تعددت وجهات النظر، فمن قبيل التعدد لا من قبيل الـــرفض. ومـــا دمنا نتحدث عن التعدد، فلا بد من التطرق إلى التعددية، التي قلتم إنها ظرف، ولا تعني الانفصال أو التقوقع، ولا بد أن نصلح مفهومنا للتعددية. كيف؟

هـــذا الموضوع ورد في سياق الحديث أكثر مما ورد في النصوص، أو في ما أعلنـــاه للجنة السداسية. هذا الحديث كان موجهاً إلى الصحافة وإلى الشعب. وهو حديـــث يشير إلى روحية الموضوع وباطن الأمور، أكثر مما يدل على ظاهرها. فإذا كانت هنالك ظاهرة تعددية في الآراء، فإنه، في الواقع، لم تكن هنالك ظاهرة تعددية في الـــباطن، أو انقسامية، لأننا نتحاشى أن نصل إلى هذا الحد. و لم ألاحظ عند أحد من الاخوة الرؤساء الروحيين، أي شيء يدعو إلى أن نقول إنه انقسامي في تفكيره.

إذاً، هنا أود أن أعبر عن هذين الأمرين: وحدانية، أو وحدة واتفاق في النية وفي القصد، ومن ناحية ثانية، تمايز في وجهات النظر فيما يخص القضايا التفصيلية في لبنان.

ولا شك، إننا نريد أن يكون لبنان الجديد هو لبناناً لكل واحد، ولكل فئة

في لبنان، بحيث ـــ وقد سبق لي أن قلت ذلك ـــ يشعر اللبناني، أو أية فئة لبنانية، أن لـــه، أو لها، كل لبنان وأن كل لبنان يتجاوب معها. من هنا، كنا نشدد على فكرة العدالـــة، العدالـــة الفردية، والعدالة التي تخص الهيئات والمجموعات، لأننا في لبنان لا نســـتحي بطوائفـــنا، ولا نستحي بكوننا خاضعين للعد، لأننا نعتقد أن من شروط الديمقراطية أن يكون هناك عد. وقد تكون هنالك صيغة تجمع المجموعات في نوع من الحكم الذي يعبر عن إرادة الجميع، ولكن النقطة التي قلناها وشددنا عليها هي ان كل شخص، أو بالأحرى حق الشخص وحق الفئة لا يكون على حساب شخص أو فئة أخرى.

الآباتي باسيل الهاشم، الرئيس العام للرهبانية المارونية، قال في حديث إلى «الصياد»، إن الـــزعماء الروحيين اتفقوا على مسلمات ثلاث: الانتخابات الرئاسية وضرورة إجرائها، الإصلاحات وحتمية إجرائها، وانسحاب كل القوى غير اللبنانية الموجودة على الأرض اللبنانية، لكن كان هناك بعض الخلافات على توقيت ذلك. ما رأيكم في هذا القول؟

أعـــتقد أن قـــول الآبـــاتي باسيل، الرئيس العام للرهبانية المارونية هو قول صـــحيح. وكـــانت الـــنقطة التي وجد فيها الناس مشكلة، هي نقطة تركناها نحن للسياســـيين، ولكنـــنا أكدنـــا أنه يجب أن تكون انتخابات رئاسية، يجب أن تكون إصلاحات، ويجب أن يشمل كل عمل في أحد هذين الحقلين الحقل الثاني. يعني، هنا يجب أن يتم الاثنان معاً.

التـــزامـــن؟

مـــن هنا قلنا بالتزامن، ولكن لم نقصد بالتزامن أنه يجب أن يكون بطريقة قسرية، لكن ضمن الإمكانيات، ضمن الأعمال، مع الملاحظة، وهنا كانت النقطة في نظـــري أن القصة ليست في الرئاسة، رئاسة الجمهورية وحدها، ولا في الإصلاحات وحدهـــا، ولكنها في أن فريقين ينظران إلى كل من هذين الأمرين، وكأنه تعبير عن

إرادته في وجه الآخر.

نحـــن قلنا، عندما توجد الثقة بين الفريقين، عندئذ تضعف هذه الازدواجية كثيراً. ومن هنا كان الرأي أنه يجدر بنا أن نفكر جدياً في أن ينتخب رئيس جمهورية حائز على الثقة من الطرفين. عندئذ يكون رئيس الجمهورية قد أتى، وعندئذ تكون الإصـــلاحات قد بدأت في شخصه، ومن ثم في برنامجه. هذا كان نوعاً من الاقتراح. القصة هي، إذن، قصة ثقة. وهذا هو الشيء الذي قلنا به.

أما من حيث انسحاب القوات غير اللبنانية، الموجودة على الأرض اللبنانية، فنحن قلنا أمرين: الأمر الأول هو أن إسرائيل، وضعها وضع العدو.

محـــتلـــة.

نعم، هي محتلة بكل معنى الكلمة، ويجب أن تنسحب. وقلنا في الوقت نفسه إنه عندما تكون لدينا حكومة مركزية قوية في لبنان، يجب أن تبسط سيادتها على كل الأراضـــي اللبـــنانية، وعـــندئذ لن تجد عائقاً من أي كان، هذا إذا كان الاحتلال الإسرائيلي قد انتهى.

ولذلـــك كنا نصر على القول، في رؤيتنا، إن لبنان يجب أن يكـــون ليس فقـــط واحداً ومستقلاً، ولكن حراً أيضاً. وهذا الذي نقصده، ونحن ننظـــر إلى هذا الأمـــر هكـــذا.

قلـــتم، صـــاحب الغـــبطة، إن اللجـــنة العربية جدية في الموضوع، وملتزمة بالمتابعـــة، والـــتدخل مـــن أجل ضمان كل شيء يعني تقديم ضمان لمن يظن أنه يحتاج إلى ضمان. وهـــناك مَـــن يقـــول إن اللجنة هي لجنة مساعٍ حميدة، تنقل الآراء إلى اجتماع وزراء الخارجيـــة العـــرب، الذي بدوره قد يدعو إلى قمة عربية، والقمة هي التي ستقـــرر، أو تقدم الضمان لمن يحتاج إلى ضمان.

هنا يوجد تناقض ظاهري، Paradox، كيف تشرحون ذلك؟

لنتكلم عن المراتبية في هذا الموضوع، من علاقة اللجنة، كيف ولدت، ومن أعطاها الوجود؟ هذا أمر. والأمر الثاني، كيف تتصرف هذه اللجنة؟

هذه اللجنة تتصرف بالفعل تصرف لجنة مسؤولة، وهي لجنة مدعومة بالمعنى الحقيقي للكلمة دعماً قوياً يخولها أن تعطي ضمانات إذا كانت توجد حاجة إلى الضمانات. لأنني سمعت هذه الكلمة مباشرة من فم مسؤول.

من الشيخ صباح الأحمد؟

نعم، من الشيخ صباح بالواقع. وقال أيضاً، نحن هنا لكي نكون طرفاً فاعلاً في القضية اللبنانية، وليس فقط طرفاً متعالياً، أو هيئة تحكيم بعيدة وباردة بالنسبة للأطراف.

هذا ما يجعلني أقول إن اللجنة كانت جدية، وهي جدية، ولا مبرر لوجودها إذا لم تكن بالفعل جدية، وهي قادرة أن تكون جدية. ولا أعتقد أن المعطيات التي ستكون في أيدي مجلس وزراء الدول العربية، وفي القمة العربية هي غير المعطيات التي تقدمها هذه اللجنة. ويمكن أن يرى الإنسان ذلك من طريقة عملها.

سيدنا، أنا أتكلم عن الضمان، هل في استطاعة اللجنة تقديم هذا الضمان، أم أن الضمان يعود إلى السلطة الأعلى التي شكلت هذه اللجنة؟

قد يكون هذا القول يعني أن هنالك ضماناً من اللجنة العليا إلى اللجنة التي أعطت لهذه اللجنة وجودها.

الحديث كثير عن التزامن بين الانتخابات الرئاسية، والإصلاحات. وكان لكم رأي في هذا الموضوع، وهو أن قصة التزامن لم تكن لترد لولا عدم ثقة البعض في الرئيس المقبل. فلو وجدنا وتوافقنا على شخص ذي ثقة، قادر على الالتزام، وصادق في التنفيذ،

لانتهت المشكلة. لماذا لم تتوافقوا على مثل هذا الشخص، أو على الأقل الإيحاء باسمه؟

الواقع أننا ما شعرنا أن من مسؤولياتنا أن ننتخب رئيس الجمهورية، ولذلك كان الموضوع يدور حول الخط الرئيسي، وأما الواقعي فيترك للسياسيين. لأننا صحيح أنـــنا نمثل طوائفنا ولكننا لسنا البديل عنها. من هنا وقفنا عند هذا الحد، لأننا رسمنا الخطوط العامة وأعطينا التصور للبنان المستقبل أكثر مما دخلنا في التفاصيل.

صاحب الغبطة، يقول البعض إنه ما دام الإصلاح أصبح رغبة شعبية عارمة فلن يستطيع الرئيس، أي رئيس الجمهورية، أن يحكم إلا إذا أنجز هذه الإصلاحات، وإلا وقع في حمأة القطيعة والمقاطعة كما شاهدنا سابقاً. هل هذا صحيح؟

أعتقد أن هذا صحيح، وأعتقد أن سابقة القطيعة خطيرة إلى آخر درجة.

نعم، لا نزال نعاني من ذيولها.

نعم، وإن شاء الله تكون سابقة ليس لها لاحقة. لذلك لا بد من السعي لكي تحـــدث انـــتخابات رئاسية، وتكون هذه الانتخابات الرئاسية نوعاً من الضمانة، أو خطوة نحو الضمانة لإجراء إصلاحات. والإصلاحات، كل الطوائف تكلمت عنها، وكلها أصدرت بيانات بها، وصار من الممكن إيجاد تصور عام على أساسها. وأعتقد أن اللجـــنة العربية السداسية ستفعل ذلك، بعد أن تستمع إلى السياسيين، ليس كل السياسيين ولكن فئة من السياسيين.

الفـــاعلـــين منهم؟

نعـــم، الفاعلين، وتسمع لآرائهم. أنا أعتقد أنه من الواجب أن يكون هناك رئيس للجمهورية وإصلاحات.

لكـــن سيدنا، هناك البعض يقول، لماذا تقييد رئيس الجمهورية قبل انتخابه؟ وأنه يجب أن يكون لرئيس الجمهورية مجال للمناورة.

لا أعتقد أن ذلك قيد، لأنه لا توجد مناورة، لقد تجاوزنا المناورات. وصار كل واحد معروفاً بماذا يفكر. ومعروف أن هذه الطوائف، والأشخاص، والمناطق في لبنان كله، تحب أن تكون هنالك عدالة، ويجب أن تؤمن هذه العدالة للكل. لا نريد مناورات ولا تأجيلاً ولا أي شيء آخر.

هـذا صـحيح، ولكـن لو فرضنا، سيدنا، أن رئيس الجمهورية وضع بنوداً إصلاحية، وطـرحها على مجلس الوزراء، ومن ثم على مجلس النواب، ولم يقبل بها لا مجلس الوزراء ولا مجلس النواب. ماذا يستطيع أن يعمل الرئيس في هذه الحالة؟

لأجل ذلك، هنالك كلام عن أن يكون هناك تضامن بين رئيس الجمهورية وحكومته، وأن يكون هذا التضامن طبيعياً جداً. وكذلك التنسيق مع مجلس النواب في حـال سـئل عن هذه المواضيع وأن يعطي آراء فيها. وفي النهاية فإن التصور هو مستخلص من هذه المعطيات.

إذاً، من الطبيعي أن يجد أحد أن هذه التصورات غريبة عنه مئة بالمئة، ولكن لا بد أن يجد أنه يجب بواسطتها أن يلتقي مع الآخرين، وأن يحترم حقوق الآخرين.

صـاحب الغبطة، أنتم مع إلغاء الطائفية السياسية بحيث لا يؤدي الإلغاء إلى هيمنة وقلة عدالة، وقيل عن لسانكم إنكم مع إلغاء الطائفية السياسية اليوم، وعلى كل المستويات. ألا تعـتقدون أنـه، بعد هذه الحرب، تعمقت الطائفية في النفوس، ويجدر إلغاء الطائفية السياسية على مراحل، أعني أن تلغى من النفوس قبل أن تلغى من النصوص؟

أنـا أعـتقد أن الحـرب أفرزت عناصر لا نستطيع إلا أن نحترمها. وهذه العناصر، يمكن أن تُعَد وألا تتجاوز العشرة عندما نرغب في التنفيذ. ولكن يجب أن تكون لدينا الخطة. أنا لا أوافق على إلغاء الطائفية السياسية الآن، ولكن أتصور أيضاً أن إيجـاد الطائفية السياسية من أعلى الهرم إلى أسفله يؤدي إلى أن يقسم لبنان إلى قسمين. لذلك أتصور أنا، حرصاً على مشاركة الطوائف، وبالتالي العدالة بالنسبة لها،

يجـــب أن تكـــون الطوائف في مستوى من المستويات، ممثلة حتماً. ولكن من ذلك المستوى وما دون يجب أن يكون هناك إلغاء للطائفية السياسية. هذا ما أعتقده.

اســـتطراداً قيل إن البعض اقترح لإلغاء الطائفية السياسية مدة ٤٠ عاماً، وأنكم تدخلتم لجعـــل المدة ٢٠ عاماً. كيف نوفق بين موقفكم الأول القاضي بإلغاء الطائفية السياسية اليوم، والموقف الآخر القائل بالتدرج في الإلغاء؟

نحـــن نتكـــلم الآن بما يناسب، وبما يجب أن يتقبله الشعب قبل أن يأتي إلى أشياء جذرية. وليس عندي فكرة عن تحديد الوقت على الإطلاق.

وكمـــا قلنا ومن أجل المشاركة يجب أن تكون هناك الوظائف من الدرجة الأولى وحتى من الدرجة الثانية موزعة طائفياً، لكي تحس كل طائفة أنها مشاركة في هذه الدولة. ولكن دون تلك الدرجات الكفاءة هي المقياس.

إذاً، قضية الـــ ٤٠ عاماً والـــ ٢٠ عاماً، لا وجود لها سيدنا؟

لا، أبداً.

أكـــدتم، صـــاحب الغبطة، أن عندكم المعطيات الرسمية المباشرة، بل تأكيدات واضحة صـــريحة ونهائية، بأن سوريا ستدعم الشرعية دعماً مطلقاً في لبنان واحد، مستقل، وحر، تقـــبض فيه الشرعية على كل شيء. في لبنان، اليوم يوجد توجه لبسط الشرعية، أقله في المـــنطقة الشـــرقية، تمـــثل في تسلم المرفأ، ووقف الضرائب غير الشرعية، وفتح المعابر، واليوم دخل الجيش اللبناني إلى الجنوب. هل تعتقدون أن سوريا تؤيد هذا التوجه؟

في كـــل الأحوال، الإعلام السوري واضح، ويمكن لكل إنسان أن يقرأه، وأظن أن المنطقة، منطقة الأمور التي سمعت عنها من سوريا، تدعم القول بأن سوريا تدعم هذا الاتجاه الذي نراه اليوم.

لماذا طوال ١٤ عاماً من المحنة، لم نستطع خلق شرعية توافقية؟

أعتقد أن لكل شيء وقتاً. وأعتقد أنه ذهبت مراحل العنف البشعة. وذهب الكثير من التشنج. والآن، إن شاء الله بفتح المعابر (الحديث أجري قبل إعادة إغلاق معبر المرفأ)، صار بإمكان الناس الاتصال ببعضهم أكثر. وأنا في حياتي لم أعتقد أبداً انهم لا يحبون الاتصال مع بعضهم البعض.

نأمل كثيراً، أن الجو ملائم، وأن الطبخة نضجت تقريباً، ونتصور أن الوقت الآن أصبح مناسباً. لذلك يجب أن لا نلوم أحداً. ومن الجيد أن تسير الأمور في هذا المناخ الذي نعيش فيه.

قيل إن غبطتكم، وغبطة البطريرك حكيم لا تستطيعان التحدث بصراحة مطلقة بسبب وجود مركزيكما في دمشق

ما هو المقصود بأنني والبطريرك حكيم نسكن في دمشق؟ بعد ذلك في أية نقطة كنا فيها غامضَين؟ وفي أية نقطة لم نكن فيها صريحَين.

على كل حال، مقياس الصراحة في وضعي أنا، أن أكون أعبر عن طائفتي في لبنان. أعتقد أنني أعبر كلياً عن طائفتي في لبنان. ولذلك أعتقد أنه لا توجد صراحة إلا هذه الصراحة.

والذي أستطيع أن أؤكد عليه، أننا بالفعل قلنا كل الذي أردنا قوله للجنة، مهما كان الثمن، ولا يستطيع أحد أن يفرض علينا قولاً، ولا أن يفرض علينا أي شيء.

صاحب الغبطة، قلتم لي قبل حضوركم اجتماعات الكويت، إن السلام في لبنان آتٍ والآن وبعد الكويت، وفي انتظار نتائج الجولة الثالثة من مهمة اللجنة العربية السداسية، مع السياسيين ورؤساء الميليشيات، هل نستطيع القول إن السلام الآتي

سيسرع في المجيء؟

أنا أعتقد أن السلام آتٍ، وأنه آتٍ بكثير من السرعة. ولقد أذاعت اللجنة العربية، أنها تنوي إنهاء المساعي حتماً في العام ١٩٨٩، وبالتالي أن تكون، على الأقل، بوادر السلام قد ظهرت واضحة كثيراً من خلال العام ١٩٨٩، ونحن نأمل أن تكون هناك أكثر من بوادر. نأمل أن نصل إلى حلول.

الصراع القائم صراع مناصب هدفه الوصول إلى "الكرسي"*

مـــن خـــلال موقعكـــم الديني ومسؤوليتكم، كيف يبدو لكم موقف رجال الأديان من الأزمات المستعصية في الشرق الأوسط؟

أنـــا أعـــتقد أن رجال الدين في الشرق الأوسط لا يمكن إلا أن يكون لهم اهـــتمام مباشر وفعلي بالأزمات التي تمر بها منطقتنا، لأن إنسان الشرق الأوسط هو إنســـان ديني وكل تنكر للبعد الديني هو تنكر لتراث مهم وعريق جداً. وتراثنا الذي أوجـــده الله مميـــز ورُباني وذلك بأن أنزل الله الديانات السماوية في الشرق الأوسط وليس في الصين أو في نيويورك مثلاً بحيث كان بإمكان الله سبحانه وتعالى أن يُنـــزل هذه الديانات في مكان آخر. إنما اختار هذه المنطقة، وهذه نعمة ربانية، لأن يولد كل فرد منا ولديه هوية دينية، والمزايدون قد يقولون: «هذه هي مصيبتنا»، وأنا أقول لهم: «كـــل شيء يمكن أن يصبح مصيبة إذا أُسيء استعماله». وطبعاً نحن درسنا تاريخ الفلســـفة وتاريخ الفكر الإنساني والتاريخ الشرقي، ولا أعرف شيئاً إلا والإساءة إليه ممكنة، ولكن كل هذا يتوقف على الفاعل أكثر مما يتوقف على الشيء بحد ذاته.

أنا أعتقد بأنه من الممكن أن نُعتَبَر مقصرين بحق الدين لأننا لم نأخذه كثيراً عـــلى حقيقته، ولم ندرسه كفاية، ولم نتفهمه كفاية، وخصوصاً ما يتعلق بالإسلام والمسيحية. نحن نعيش بالتساوي وليس بالتعاطف، وليس بالتدارس، وليس بالتفاهم. بمعنى أن هناك كثيراً من الناس يستغنون عن وجودي كمسيحي ويُكوِّنون أفكاراً عن

* مجلة «القومي العربي»، دمشق، زينة شريم، العدد ٣٥، السنة٢، ٧ــ٢١ نيسان ١٩٨٩

المسيحية بالطريقة التي يريدونها. كذلك يوجد مسيحيون يُكوِّنون الأفكار التي يريدونها عن الإسلام وهم يجدون ذلك مناسباً غير عابئين بالنبوغ الفكري الديني الأساسي. حتى جاري أحياناً يعيش كخطٍ موازٍ لي لا يلتقيني أبداً، ولا يحاول أن يعرف شيئاً عن مبادئ الرسالات السماوية. لذلك أنا أعتقد أننا في الشرق الأوسط يُساء استعمال كل شيء يصطبغ بصبغة روحية. فيستعمل طائفياً، لأن وجود الطائفة هو وجود على الأرض، وجود له تعبير اجتماعي، له تعبير سياسي، ولأن كل مجموعة حكماً يصبح عندها تعبير سياسي. وفي لبنان توجد طوائف ليست طوائف من المتقين، أو طوائف من القديسين. لا، قد يكون هناك طائفة تجمع بشراً ليسوا من المؤمنين إطلاقاً، وليس لهم صلة بالإيمان. لذلك ما يُسمى طائفة في لبنان، ليس بالضرورة دينياً. وما يحدث في لبنان بالفعل هو تنافس بين الفئات على السلطة فقط لا غير.

ماذا تعني بالمفهوم الديني؟

المفهوم الديني هو منطلق الاتفاق والاختلاف والسلوك مع الآخرين على أساس ديني حتمي. والشيء الذي نلاحظه، ونحن نتحدث عن لبنان، أن هذا الشيء قد لا يكون صحيحاً. فإن المجموعات التي تُسمى باسم ديني هي في الواقع هدفها ليس تأكيد أقوال القرآن الكريم ولا الإنجيل الشريف، غايتها الوحيدة هي الحصول على وظيفة محافظ أو الحصول على رئاسة جمهورية أو عدد من النواب، وما شابه ذلك. وهذه هي اللغة التي يجري الحديث بها حالياً في الساحة السياسية والعسكرية في لبنان.

غبطة البطريرك هزيم، هل تعتقد أن ما يحصل في لبنان عائد إلى عدم وجود تربية دينية صحيحة، في حين يرى البعض أن ما يحدث عائد إلى تدخل أجنبي. وإلا ما هو تصوركم لتصاعد الأحداث من جديد؟

في الواقع أعتقد أنه من الطبيعي أن يحصل تنافس بين الفئات في البلد الواحد

مـــن أجـــل المشـــاركة في الحكم وهذا يعني الديمقراطية بواقعها. أما صبغ الأحداث بالصبغة الدينية فهو غير صحيح. ولكن ما يحصل أحياناً يقوم تحت ستار تسمية دينية، فأنا لا يمكن أن أقول بأن الإنسان عندما يقتل إنساناً آخر يخدم ربنا أو أنه قام بعمل خيري لأن الله سبحانه وتعالى قادر أن يتحكم بموت عباده وليس بحاجة لأن يستعين بإنســـان ما ليقتل إنساناً آخر. فالأجواء التي يمر بها لبنان هي عبارة عن تنافس على الســـلطة فقـــط لا غـــير، ولكن يُلاحظ بأن كل ما يُقال فيه عن بحث واجتماعات ومشـــاورات هو لمصالح سياسية مشروعة. ونحن لا نقول لا. لأنه يجب أن ينتج من هذه المجموعات كلها دولة متمثلة بهيئة تتعاطى الشؤون السياسية والإدارية في البلد، وهـــذا أمـــر طبيعي إنما يجب ألا تأخذ الطابع الديني لأن هذا غير صحيح. فالتنافس الحاصل ليس في سبيل زهد أكثر أو تقى أعمق. أو في سبيل روحانية أسمى. كل هذا غـــير مطـــروح على الساحة اللبنانية. ونحن كرجال دين موجودين علينا في الدرجة الأولى أن نعمل على إصلاح الأمور حتى لا يختلط الدين بسواه ولإظهار الحقيقة فقط حـــول الصراع القائم في لبنان. فالدين شيء والصراع الطائفي شيء آخر، ولست أقول بأن الصراع الطائفي غير مشروع، خصوصاً إذا كانت النية جيدة والهدف جيداً والمقصود حسن المشاركة والعدالة في البلد الواحد.

ولكن المؤسف بأن هناك مجموعة تُقاتل أو مجموعات، إن صح التعبير، كلها مـــأجورة حيث يصبح أفرادها كتعبير للسلاح الذي يُعطى من الخارج بقصد اقتتال المجموعات اللبنانية بعضها ببعض.

غـــبطة البطريرك هزيم في سؤالي الأول سألت عن موقفكم كرجال دين من الصراعات القائمة في المنطقة عامةً، وفي لبنان خاصة، فما هي إجابتكم على هذا السؤال؟

نحـــن ننطلق دائماً من الواقع. فنحن دائماً مقصرون ونأمل بأن يكون هذا القول مسلكاً خلقياً لأننا لا نعتقد بأن إنساناً ما يمكن أن يصل إلى درجة الكمال في

عملـــه. لذلك قلت نحن مقصرون، وأقولها بكل تواضع وليس بعنجهية وليس بقصد الهيمنة على أحد. رجال الدين قصروا في كثير من الحالات، مثلاً في أن تكون نتيجة الديـــن سفك الدماء. وأعتقد بأن رجال الدين لا يقدرون أن ينفوا مسؤوليتهم عن التســـمية الدينية التي أطلقت مثلاً في لبنان، ونتج عنها سفك دماء الأبرياء. وهذا لا يجـــوز وليس هناك شيء يحلله ولا بصورة من الصور، ولكن بدون شك الوضع في لبـــنان بطبيعته غير ديني، ورجال الدين ليس لهم التأثير الذي يتهيأ للبعض. ومع هذا نحاول وعسى الله أن يوفقنا لما فيه خيرٌ للجميع.

ولكن الدين بمفهومه الحقيقي سياسي، فرجل الدين إذا لم يكن مُسيَّساً بأسلوبه الديني لا يمكن أن ينجح في نشر تعاليمه السماوية، وسؤالي يأتي من وجهة نظر تعامل رجال الدين مع السياسيين ومن ثم مع الأطراف المتنازعة. هل كان لكم الدور الفعال في ذلك؟

نعم هذا صحيح، ولكن إذا كان هناك من لديه استعداد ليسمعنا، فالسياسة فيها كثير من المصلحة، وصاحب المصلحة غير مستعد ليسمع التوجيهات من أحد. خاصة إذا كانت هذه التوجيهات في إطار المصلحة العامة مثلاً ألا يتعدى، وألا يقتل، وألا يكـــون عنيفاً، وإلى ما شابه ذلك. وهذا يعني أننا ضد كل ما اسمه حرب. نحن ضـــد الحـــرب بحد ذاتها ولا نرى لها أي مبرر مهما كانت الأسباب. والمؤسف بأن حـــرب لبـــنان وضـــعت رجال الدين جانباً وأصبح لكل فئة متقاتلة مرجعها المدني الخاص، ليس هذا فقط بل أصبح هناك نوع من الاحتقار. ففي وقت من الأوقات قيل عـــن رجـــال الدين: «هؤلاء الجماعة لماذا يتدخلون في شؤوننا، عليهم أن يتكلموا بالـــروحانيات فقـــط»، وكأن الروحانيات بنظرهم للهو والتسلية، وليس للمسلك الإنساني الصحيح والتعايش البشري الأخوي. ومع هذا أقول نحن مقصرون رغم كل الصعوبات التي تواجهنا ورغم عدم الاستماع لنا ولآرائنا. وأحياناً كان ما يطلب منا هو أن نسعى إلى قمة روحية وكنا نقول بأن القمة الروحية سهلة التحقيق لأن جميع

رؤساء الدين متحابون وأصدقاء والحمد لله، وليس لدينا أية مشكلة، وإنما المشكلة في علاقتنا مع الفئات المتقاتلة. وكثيراً ما سمعنا، وهذا حقيقة، أن بعض هذه الفئات كانت تذم رؤساء دينها وتطعن بهم.

خلاصة القول إن سلطة رجال الدين هي من نوع السلطة المعنوية التي هي اختيارية بطبيعتها وليست قسرية. كما أن الدين يحدد ذلك «فلا إكراه في الدين» ولا إكراه في الاتصال بنا أو بالحديث معنا، أو بإطاعتنا إذا أحبوا ذلك. فالناس أحرار فيما يريدون. إذاً نحن نحاول أن نساعد بالشيء الممكن وليس بالدور المتوجب علينا لأن هذا خارج عن إرادتنا. وعسى أن يهدينا الله جميعاً.

غبطة البطريرك هزيم، ماذا عن الاجتماع الذي شاركتم فيه في دولة الكويت وأي نتائج تتوخون له؟

اجتماع الكويت الذي ضم جميع الرؤساء الروحيين للطوائف الكبرى والمتمثلة بثلاثة رؤساء عن كل جهة، جاءت مشاركتي فيه ممثلاً لطائفة الروم الأرثوذكس لأنني أعتبر نفسي ابن لبنان كما أنا ابن سورية. وقد عشت معظم حياتي بين ربوعه الخضراء وليس لدي مشكلة في العلاقات البشرية السورية واللبنانية معاً. والحمد لله على نعمته بمحبة الجميع ونحن أيضاً نحب الجميع و لم نقاتل أحداً ولا أحد يقاتلنا.

في الكويت اجتمعنا ضمن إطار مهم، تبنته الجامعة العربية بتعيينها لجنة للاهتمام بشأن اللبنانيين. وأنا شخصياً لا أذكر أنه حصل أي اهتمام بشأن القضية اللبنانية منذ بدء الأحداث يوازي هذا الاهتمام وعلى صعيد العالم العربي من حيث العمل والجدية. والشيء الثاني، يبدو أنه إلى جانب كفاءات الأشخاص التي تألفت منهم اللجنة العربية هناك اهتمام دولي عام منصب على حل الأزمة اللبنانية فالجميع يريدون أن يكون لبنان حراً مستقلاً معافى من أزمته. وهكذا وضمن هذا المفهوم

اجتمعـــنا ونحـــن جميعنا سعداء وشاكرون هذا الاهتمام للجميع ولحكومة الكويت خاصة التي دعتنا إلى بلدها، ولما أبدته نحونا من استقبال مميز بالشهامة والكرم العربي الأصيل. وهناك التقينا برؤساء الطوائف الإسلامية والمسيحية كأصدقاء قبل اجتماعنا باللجنة العربية، وكان التمثيل على أعلى ما يمكن واتفقنا فيما بيننا على وضع بعض الخطوط التي تجمع جميع الفئات، وعلى أن نقول قولاً واحداً هو أن لبنان واحد وباق في الوجود سيداً مستقلاً حراً، ويجب أن يكون السلاح فيه بيد الحكومة الشرعية فقط لأن سلاح الشرعية موجه نحو العدو الذي هو إسرائيل.

عفواً، هل اتفقتم على الحكومة الشرعية خاصةً وأنه يوجد عندنا حكومتان حالياً؟

هـــناك لم نكـــن نصيغ لبنان إنما كنا نبحث على أي أساس يجب أن تكون صياغته. إن السلاح في يد الشرعية يكون موجهاً حكماً نحو العدو أما بقاؤه في أيدي المواطـــنين فهو حكماً موجه نحو المواطنين. وهذا غير شرعي وغير معقول ويجب أن يزول. ونقول هذا للجميع ومن أي جهة كان وأينما كان دون استثناء. وكلنا اتفقنا عـــلى هذا الرأي. وأيضاً أجمعنا القول على أن لبنان لا يمكن أن ينفصل عن سورية، وسورية لا يمكن أن تنفصل عن لبنان. ولقد أوجدهما الله دولتين متقاربتين في العادات والـــتقاليد تجمـــع بينهما روابط الجيرة والدم، ولهذا تاريخ عريق فلا يمكن لأحد أن يفصـــل بيـــنهما. وأثناء الاجتماع تساءل البعض حول قضية العلاقات بين سورية ولبنان، أي بين الدولة السورية والدولة اللبنانية وليس بين الشعب السوري والشعب اللبناني. وعلى كل حال نحن نعلم أو بالأحرى أنا شخصياً أعرف تماماً أنه ليس هناك نية سيئة في سورية، وخاصة على صعيد الدولة السورية تجاه لبنان وأمنه واستقراره. بالعكس إنها تحاول جادةً أن تزيح كل العوائق من أجل حريته واستقلاله. لهذا أقول: «فليطمـــئن الجميع بأن سورية لا تحمل أية نية عدائية للبنان الشقيق، كما أنه ليس لديها أية مصلحة أو غاية سوى عودة لبنان إلى أمنه واستقراره». أقول هذا بكل ثقة:

«ولا أحـــد يفكـــر في أن يقتطع من لبنان جزءاً، ولا أحد ينوي أن يضغط عليه». بالعكس تماماً فسورية كانت وما زالت الشقيقة الغيورة على لبنان شعباً وأرضاً، وهي تعمل كل ما بوسعها لوحدة شعبه. وأكرر مرة أخيرة وأقول: «بأن سورية حكومةً وشـــعباً تقـــف إلى جـــانب لبنان بكل صدق وأمانة وتضحي بالكثير من أجل أمنه واســـتقراره». أقـــول هذا وأنا واثق كل الثقة من كلامي لأنه لدي ما يؤهلني لقول الحقيقـــة خاصـــةً وأنني أعلم تماماً بأن سورية لم تكن يوماً عدوة للبنان ولن تكون، وليس هناك أية نية عدائية للبنان إطلاقاً.

ثم تابع غبطته ليقول: المهم وصلنا في اجتماعنا إلى نقطة مهمة وهي البحث في رئاسة الجمهورية، وهل ممكن أن يتم هذا أم لا؟ وكان الجواب من الضروري بأن يُصبح للبنان رئيس للجمهورية. ثم طرح البعض قضية الإصلاحات بمعنى أنه يجب أن يكـــون هناك إصلاحات حتى تُصبح المشاركة أكثر فعالية بين جميع الطوائف، وطبعاً كلـــنا يـــريد المشـــاركة والمساهمة، ثم طُرح سؤال هو: الإصلاحات أولاً أم رئاسة الجمهوريـــة؟ وأيضاً تلا هذا السؤال سؤال آخر: لماذا القضية مطروحة بهذا الشكل؟ وعلى ما أعتقد طُرحت بهذا الشكل بناء على معطيات موجودة عند كل فريق. وقد يجوز أنهم يريدون ضمانات حسب ظنهم. بمعنى أنه يوجد عدم ثقة بالموضوع، لذلك قلنا جميعاً نريد الاثنين معاً: رئاسة الجمهورية والإصلاحات، وبقيت العقدة في نظرنا هـــي فقدان الثقة حول من سيكون رئيساً للجمهورية في لبنان؟ وكان الجواب على ذلـــك: "طيب" اختاروا رئيساً للجمهورية تثقون به جميعاً وهذه خطوة تكون على مبدأ الإصلاحات الفعلية في لبنان وبدءاً لأداة التنفيذ، وبعد ذلك لا يبقى هناك خوف متبادل بين المواطنين. فعليكم أن تختاروا الرئيس الصالح للجميع والذي تثقون به، كما وأنـــه يجـــب أن تكون هناك حكومة قوية واحدة ومجلس نواب حازم يختار الرئيس المناسب. وأما أن تفعل اللجنة كل شيء فيعني هذا أن مهمة مجلس النواب «البصم» على بياض. ولكن المعروف بأن في لبنان لا أحد يبصم. بالعكس الكل يسأل ويريد

توضيحاً للأمور وبدقة، ومن حق الإنسان أن يتساءل وخاصةً فيما يخصه لكن شرط أن يـــلقى جوابـــاً يقتنع به، هذا إذا كان قابلاً للاقتناع. وهكذا ينادي بالديمقراطية ويصـــرخ عاليـــاً، مســـتعيناً بذلك بمجمل وسائل الإعلام. وإجمالاً الناس تخاف من الصوت العالي.

وفي كـــل الأحـــوال وكما قلت سابقاً نحن أمام اللجنة ظهرنا باتجاه واحد ولســـنا مغلقين في وجه أحد. كما وأننا نؤمن بأن لبنان واحد وكلنا في مستـــوى واحـــد والصـــراع القـــائم ما هو إلا صراع مناصب هدفه الوصول إلى "الكرسي" والشـــعب ليس لديه علم بكل ما يحصل حيث يبقى وحده الضحية. ومع هذا وبعد حرب ١٤ سنة متواصلة أثبت الشعب اللبناني على أنه شعب حي لا يزال يعمل ويُنتج ويســـتمر في العيش ليُثبت قوة شخصيته وإيمانه بالله وبوطنـــه، هذا الشعب القوي الذي يعيش وسط حواجز عسكرية تمنع تلاقيه اليومي وتحجز حريتـــه في التنقل بين منطقة وأخرى كم هو جبار، وكم كنا نتمنى أن يضعوا فيه قوة تدفع بالجميع للتلاقي وليس للفصل بينهم.

وهكـــذا نـــرى بـــأن مأساة الشعب كبيرة في تحكم من يُسمُّون أنفسهم سياسيين، وسلطة هؤلاء الذين منعوا تلاقي الناس مع بعضهم وبقوة السلاح وبالرغم عـــنهم. من هذا المنطلق نجد أن فتح المعابر والمرافئ وغيرها كما نسمع، هو موضوع مهـــم ويجـــب ألا يُتَحَدّث عنه إلا إيجابياً مئة بالمئة. وعلينا أن ننتهي من هذه المهزلة وخاصةً أن معظم هذه المعابر وغيرها ما هي إلا نوع من السخرية. ومن ثم علينا جميعاً أن نقـــوم بكل ما هو صالح للبنان وشعبه وبجرأة مهما اعترضت طريقنا صعوبات. أقول هذا لأنني أشعر كلياً بمرارة الشعب وما يُلاقي من ويلات وعناء وتعب. فقد آن له أن يتنفس الصعداء من مأساته.

ثم أضـــاف غبطـــته قـــائلاً: ما سمعناه من اللجنة العربية، والتي أتصور أنها

مسؤولة عما تقوله، خاصة وأنها تحمل اسم «لجنة المساعي الحميدة»، كما وأنها تسعى جـــادةً لإنقـــاذ لبنان من محنته. ما لاحظته في الاجتماع أنها تسأل وبدورها تستمع للإجابة فقط، وستتابع أعمالها بلقاء مجموعة من السياسيين في لبنان قريباً إن شاء الله. وأعـــتقد بـــأن لقاءاتهـــا هذه هي عبارة عن محاولة لتكوين صورة متكاملة من جميع الجهـــات والفئات وعلى أساسها تتصرف. وما عرفته وسمعته بأن هذه اللجنة مصرة على العمل المتواصل لحل جميع المشاكل المستعصية في لبنان خلال العام الحالي ١٩٨٩ وهـــذا بالتأكيد. ونحن نأمل ذلك، ونأمل أن يتحقق القرار /٤٢٥/ الذي أقره مجلس الأمن في الأمم المتحدة، والذي يقضي بخروج إسرائيل من لبنان وأن يكون هذا القرار في طـــليعة الحلول لأن مطلبنا جميعاً أن يكون لبنان حراً مستقلاً، آملين تحقيق ذلك بسيطرة القوى الشرعية على جميع الأراضي اللبنانية.

وفي حـــال عـــدم انسحاب الجيش الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية، هل تتوقعون حلاً نهائياً؟

«الآن سنعمل مثل الصحافيين، يعني بدنا نستنتج» لا أعتقد بأن الجهد الذي قـــامت به الجامعة العربية بإيجاد "لجنة المساعي الحميدة" سيذهب سدى، خاصة وأن أعمال هذه اللجنة لم تأتِ عن غباء، فهي لم تقم بهذه الاجتماعات إلا بعدما شعرت بأن هناك إمكانيات للخلاص خاصة وأن هناك علاقات تربطها بالدول الكبرى التي لها تأثيرها الفعال على إسرائيل وكل ما نأمله خير إن شاء الله.

ما هو تصوركم لعدم المشاركة السورية في اللجنة العربية؟

بـــالفعل أنـــا شخصـــياً سألت عن هذا الموضوع، وقد تأكد لي بأن عدم مشاركة سورية يعود لفسح المجال للأخوة العرب حتى يَطّلعوا بأنفسهم على حقيقة الوضـــع اللبناني وبأم العين، ولكي لا يعتبروا كما يُقال بأن القضية اللبنانية لها علاقة بالوجود السوري في لبنان.

كيف تفسرون تزامن التصعيد مع مساعي اللجنة العربية؟

حول هذا الموضوع لا يمكنني أن أتحدث لأن ما يحصل في لبنان حالياً يؤلمنا جميعاً ولا أرى مبرراً لهذا الاقتتال في الوقت الذي تصب فيه الجهود العربية لأمن لبنان واستقراره. وعودة الاقتتال بين الأخوة والأشقاء في الظروف الراهنة لا يخدم إلا مصلحة العدو، أما التزامن فناتج عن أن القتال في لبنان لا يعرف التوقيت. ولكن باعتقادي كلما حاولنا أن نجد حلاً لا بد وأن تعود وتلتهب وكأن هذا المسلسل الدموي مدروس وأصبح له أخصائيوه، خاصة وأن الثقة أصبحت معدومة بين الجميع ولم يعد أمامنا سوى العمل على إيجاد دعاة بين جميع الأطراف المتنازعة، دعاة إلى الثقة ببعضهم البعض، دعاة إلى التحابب والرحمة لشعب بريء مظلوم، دعاة إلى وحدة لبنان وللمشاركة الفعلية بين جميع الفئات، على أن تسود العدالة كل أبنائه ولا يعود هناك فئة تهيمن على فئة، أو يتسلط أحد على أحد. علينا أن نتعلم من الظروف القاهرة التي مررنا بها والأخطاء الماضية التي وصلت بنا إلى الاقتتال الأخوي ومن ثم أن نتجاوزها بروح وطنية صادقة حتى لا نقضي على كل شيء. وعندها لا ينفع الندم بعد فوات الأوان. خاصة وأن المقصود بتصعيد الاقتتال في لبنان، ومن فترة لفترة، تقسيمه حتى تسهُل السيطرة على المنطقة بكاملها. من أجل ذلك نحن ضد فكرة التقسيم والتفتيت والقتال. وهذا المطلب كنا واضحين فيه تماماً بأن النية في التقسيم تبدأ من لبنان ولكنها لن تقف عند لبنان فقط. وعلينا جميعاً بألا ننسى أن إسرائيل موجودة وفي قلب الخطة الجهنمية لجعل كل المنطقة تحت سيطرتها. وأي تصعيد في لبنان يكون خادماً لمصلحة إسرائيل فقط لا غير.

فلسطين، حيث القدس والناصرة وبيت لحم والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة، والقضية الفلسطينية هي قضيتنا جميعاً، مسلمين ومسيحيين، وما انتفاضة أهلنا في الأرض المحتلة إلا بمثابة البطولة المشرِّفة لنا جميعاً، فما هو موقعكم من هذه الانتفاضة؟

إن كـــنائس الشـــرق الأوسط بشكل عام، داعمة كلياً لانتفاضة شعبنا في الأرض المحتلة، وأعلنا ذلك ونعلنه في كل الأوقات. ونحن موجودون دائماً مع أطفال الحجـــارة، نحن موجودون في المدارس التي يتعلمون فيها وفي الأماكن التي يتعالجون فيها، نحن معهم أينما كانوا وموجودون في هذا المستوى الإنساني وباقون إلى جانبهم وســـنبقى حـــتى آخـــر دقيقـــة. وإن كانت للدول سياسات فنحن لا يوجد عندنا سياســـات. سياســـتنا هـــي الإنسان الذي هو أمامنا. هذا الإنسان المتشبِّث بأرضه والمدافـــع عـــن حقـــه ووطنه. وإننا نقدر بإجلال هذا العنفوان المشرف عند أولئك الشـــباب فلينصـــرهم الله ويوفقهم لأنهم يتمسكون ببيوتهم وبأرضهم حتى لا يكون مصيرهم التشرد. فهم لم يولدوا مشردين وإنما شُرِّدوا بسبب القهر والضغوطات التي مارســـها الصهاينة بحقهم. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق لهم النصر، ونحن مع هذه الانتفاضة وقد أعلنا ذلك مراراً وعلى استعداد أن نعلنه في كل وقت وسنستمر بمساعدتها بكل طاقتنا.

مـــن معتقدات الأخوة المسيحيين بأن مَن صلب سيدنا المسيح هم اليهود، في حين نرى دولـــة كبرى كأمريكا تدين بالديانة المسيحية، تمد يدها لمساعدة اليهود. كيف تفسرون لنا هذا؟.

ومَن قال لك بأن أمريكا تدين بالديانة المسيحية؟

هذا ما أعلمه وإلا ماذا؟

أولاً الـــدول ليســـت بذات دين، الدولة مؤسسة قائمة بحد ذاتها وعندها أخلاقيتها وديانتها الخاصة. ومن ثم أسألك: عندما تقتتل دولتان من الدول العربية ألا تكون إحداهما قد خرجت عن خطها الإسلامي؟. وأنا أعتقد بأن جهاز الدولة لديه طريقة للعمل ولديه أهداف لا يستمدها من الإنجيل أو غيره، فالدولة جهاز له منطقه الذاتي أي "مغطس" خاص وعندما يغطس فيه أي إنسان تصبح عيونه ترى غير ما نراه

نحن. هذا هو منطق الأمور اليوم.

ما هي توقعاتكم للانتفاضة في الأرض المحتلة؟

النصـــر بمشـــيئة الله آمـــلين أن يتحقق الهدف الذي قامت من أجله هذه الانتفاضة المباركة، فيعود الشعب الفلسطيني إلى أرضه، وتصبح له دولته وكيانه، حتى يعتز بوطنه، كأي شخص عربي آخر.

هل ترون بأن الدور العربي العام قام بما هو مطلوب لدعم الانتفاضة؟.

لا أعـــلم. بإمكـــانكم أنـــتم أن تعرفوا هذا. أنا بنظري أرى بأن القضية الفلســـطينية التي نتابعها منذ العام ١٩٤٨ والتي كنا نتوقع لها الحلول ولم نكن نتوقع نكســـات متتالية، أرى حالياً أن هناك جهداً عالمياً بهذا الاتجاه خاصة وأن الانتفاضة هـــناك تدعم، ونأمل بأن يكون هذا الجهد العالمي فعالاً في حل القضيتين الفلسطينية واللبنانية معاً.

غـــبطة البطريرك هزيم، يُلاحظ أن هناك مسلسلاً رهيباً لتوالي الحروب في المنطقة، وذلك بـــدءاً مـــن القضية الفلسطينية مروراً بحرب الخليج فالحرب اللبنانية، خاصة وأنها عندما هـــدأت في الخليج التهبت في السودان. هذا المسلسل الدموي المستمر لا يُعطينا التفاؤل الكلي بعودة الهدوء إلى أية دولة عربية. فما هي وجهة نظركم؟

أنـــا أعـــتقد بأن هناك مشجعات غريبة، إلى جانب ذلك يوجد شيء من التعصب، التعصب الذي باتت مشكلته بأن الإنسان لا يتمسك بحقيقة فقط، بل ينفي أن تكـــون هناك حقيقة عند سواه، فعلى الأقل عليه أن ينظر إلى غيره على أن عنده شـــيئاً مـــن الرأي الصواب. أعني بذلك أن تعترف بوجود غيرك معك على أساس المســـاواة عـــلى الأقل وخاصة أن ربنا واحد. أما عندما ينفي الإنسان وجود غيره ويفـــرض عـــليه أشياء لا تتفق ومبادئه ـــ وكثيراً ما تحدث هذه الأشياء ـــ يحدث

القتال. وبمعنى أوضح حب التسلط واحتكار الحق يسببان دخول المسلسل في تخطيط جهنمي لإشعال الفتنة لأن المشجِّعات كثيرة. فهناك من يريد أن يبيع أسلحة، وهناك من يريد تفتيتنا وتقسيمنا ومن ثم التحكم بنا والسيطرة علينا. وهناك من يريد أرضنا. ومصـــالح وقضـــايا وأشياء كثيرة وكثيرة، وكلها لمصلحة إسرائيل. نهاية القول: ما أعتقده أننا بحاجة إلى وعي أكثر.

ما رأيكم بالحلول السلمية لأزمة المنطقة؟

نحـــن نـــريد سلاماً عادلاً، سلاماً شريفاً. وإنما كيف يصلون إليه أم كيف يحققونه، لا أدري. لأن هناك أصحاب رأي وهم الذين يعملون على تحقيقه. وإنما لا نريد بأن يأتي يوم من الأيام ويصبح جميع الموجودين في الضفة وغزة أيضاً عندنا. نحن نريدهم في وطنهم أحراراً وأسياداً مستقلين كأية دولة عربية أخرى.

مـــنذ نشـــأتي وأنـــا أسمع عن السلام العادل، والسلام العالمي وغيره، وحتى الآن بقيت الأقوال أقوالاً، برأيكم لماذا لم يتحقق ذلك؟

ربما لأننا في الماضي مررنا في ظروف كثيرة كان يجب أن تُستَغَل وكان يجب أن يُســـتفاد منها ولكن للأسف لم نعرف كيف نستفيد. بمعنى أن القوى التي كانت تـــلعب بـــنا هي بارعة في القضايا السياسية أكثر منا. ويمكن القول بأنها تمكنت أن تفتتنا، ولكن كان علينا أن نأخذ درساً من ذلك حتى يتحقق لنا ما نريد. أما الآن فقد فات الأوان، وعلينا أن نبدأ من جديد ونتعلم من أخطائنا على الأقل حتى لا نقضي على بعضنا البعض.

وبالمناسبة، ما هو رأيكم بما سمعتموه حول كتاب سلمان رشدي "آيات شيطانية"؟

نحن ضد مبدأ القتل، ولا نوافق على هذا الشيء، على أساس أننا نعتقد بحرية الرأي. ولا نستغرب أن يكون هناك أشخاص كافرون في هذا العالم. ومن ثم فالكتب

التي تتكلم ضد المسيح والمسيحية كثيرة في الدول العربية.

نحـــن كلـــنا مع حرية الرأي والكلمة، ولكن يبقى هناك حرمة للأديان والرسل والكتب السماوية. فحرية الرأي شيء وحرمة الأديان شيء آخر؟.

أنـــا أقول نحن، أي أنني لست على استعداد لأن أكون ميليشيا حتى أُقاوم فلاناً الذي كتب عن المسيح كتاباً ما. هذا ليس من منطقنا.

ولكـــنني لم أقـــرأ ولم أسمع حتى الآن بكتاب صدر ضد سيدنا المسيح أو الديانة المسيحية على شكل كتاب «آيات شيطانية»؟

أعتقد لو ذهبت إلى جميع المكتبات لوجدت الكثير من ذلك. باختصار أنا لم أقـــرأ كتاب «آيات شيطانية» و لم أعرف ماذا يحتوي. ولكنني أستغرب بأن شخصاً كتب كتاباً يجب أن يُقتل. «يعني لو شخص شتم الإنجيل أقتله» هذا خطأ. ومع هذا نحن ضد فكرة ذم الرسل والأديان. وكان يجب أن يُصادر الكتاب ويمنع تداوله كلياً.

وأخيراً، ما رأيكم بطرح سماحة المفتي العام الشيخ أحمد كفتارو في تلاقي الأديان وخاصة المسيحية والإسلامية منها والذي أعقبته لقاءات ومؤتمرات دولية وعالمية؟

كل دراسة في موضوع ما هي جيدة. وكل إيضاح للأمور جيد أيضاً وهذا موضوع يتطلب لقاءً خاصاً به وإن شاء الله سنحدد لقاءً حوله.

هزيم وصل إلى البلمند وسيلتقي صفير*

بعـــد اســـتراحة قصيرة في الصالون، تحدث البطريرك هزيم إلى الصحافيين وقـــال: لبنان يسير دائماً نحو الأفضل، وإن شاء الله الأعياد المقبلة تكون أعياداً بالفعل. ونتوقع دائماً أن يكون المستقبل أفضل من الماضي وحتى أفضل من الحاضر.

إزاء المأزق الحاصل في لبنان، كيف تتصورون الحل؟.

أي مأزق، ليس لدي علم بمأزق!.

الوضع السياسي؟

اســـأل السياســـيين عنه ربما هم الذين افتعلوا المأزق، ولكن نأمل أن يظهر الضوء أكثر.

هناك دعوة للقاء مسيحي موسَّع؟

كـــل ما هو إيجابي علينا أن نُشجِّعه، وكلما دُعي اثنـــان من لبنـــان حتى يتفقا مع بعضهما فهذا شيء جيد وإيجابي. ونأمـــل أن تتحقـــق كل دعوة إلى اللقاء أو الاجتماع.

هـــل تـــتوقـــع أن يحمـــل العام المقبل تباشير حل للمشكلة اللبنانية وانفراجـــات لهذا الوضـــع المتأزم؟

أتوقـــع أن يظهر شيء إن شاء الله، وهذا تَمَنٍّ أكثر مما هو تأكيد، وخلال العام ١٩٩٠ نأمل أن تظهر أنوار هي لم تظهر جميعها.

---

* صحيفة «الأنوار» اللبنانية، دير البلمند، ١٩٨٩/١٢/٢٩

سبق وباركتم اتفاق الطائف الذي تحقق بإجماع القيادات السياسية اللبنانية، هل ترون أن هذا الاتفاق سيُنفَّذ بكامله؟

ما أتصوره أن القوى التي كانت مجتمعة وشجعت وعملت من أجل اتفاق الطائف أتصور أنها لم تعمل على أساس ألا تحققه، نأمل من هذه القوى تنفيذه وإن شاء الله خيراً.

برأيكم هل الموقف العربي ما يزال داعماً للوضع اللبناني ومعالجة هذه الأزمة؟

كل ما نسمعه نحن مشجع. ونأمل ألا يكون وراءه أي شيء آخر، وإن شاء الله هذا التشجيع الإذاعي يكون وراءه تشجيع فعلي.

استبعد بعض المصادر الأميركية الحل في لبنان في المدى القريب، وحتى في المدى المنظور، ما هو تعليقكم؟

أعتقد أن الأميركيين يهمهم في الدرجة الأولى القضية غير المحلولة التي هي قضية إسرائيل، ولا يُستبعَد أنها تريد أن يبقى الوضع في لبنان في حال انتظار.

برأيكم هل سيطول هذا الانتظار؟

أعتقد أن هذا كله مرتبط بحل القضية الإسرائيلية، ولا أسميها القضية الفلسطينية لأنني أعتقد أن أميركا لا تهمهما كثيراً قضية الفلسطينيين ولكن تهمها إسرائيل في الدرجة الأولى.

هناك في الوقت الحاضر بحث جِدّي للحوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين، إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا الحوار؟

إن شاء الله يصل إلى ما يتمناه كل الناس، حتى يصل كل شخص إلى حقه ويعيش في أمن واطمئنان. القضية الفلسطينية هي قضيتنا ولن نهدأ إلا عندما يستتب

أمن الفلسطينيين.

ما رأيكم بالاقتتال الدائر بين حركة "أمل" و"حزب الله" في الجنوب؟

لست من محبذي القتال من أية جهة كانت ومهما كانت الأسباب.

يخشى كثيرون من أن يُقسم البلد في ظل الأمر الواقع، هل تشارك المتخوفين من هذا الواقع؟.

لا أفهم ما الفرق بين حالة الانقسام وبين القسمة. أملنا في المستقبل ألا يكون هذا الوضع الحالي هو الوضع الدائم.

هل ستشمل زيارتك إلى الشمال قيادات؟

إذا أراد الله سأزور الرئيس سليمان فرنجية مثل العادة، وبعد ذلك حتماً سأزور بيت صديقنا المرحوم الرئيس رينيه معوض الذي لدي علاقة شخصية مع عائلته، وآمل كهنوتياً أن ألتقي البطريرك صفير.

أي أنك ستزور المنطقة الشرقية من بيروت؟

أين هو البطريرك صفير؟

في بكركي.

نعم في بكركي وسأزوره.

القدس عاصمة العواصم

ديانتنا ديانة شخص لا ديانة كتاب *

كيف ترون الأمور في لبنان، إلى أين هي سائرة وكيف تتمنونها أن تكون؟

نـــبدأ بما نتمناه. نحن نتمنى ما كنا نسمعه. نتمنى أن تكون كل التوجهات لمصـــلحة لبنان، وأن يكون لبنان كما كنا نصرح دائماً، موحَّداً مستقلاً سيداً حراً، وأن يعيش حياة كريمة، بعد هذه السنوات الطويلة من العذاب، هذا العذاب الذي في رأيي غير مبرر، وحتى يتمكن اللبناني من استعادة عافيته وحياته الطبيعية في بلده. فيما عـــدا ذلك، الذين يملكون التخطيط، لديهم فكرة واضحة عن المراحل التي يخطط لها ويعـــرفون الاتجـــاه. أما نحن فننظر إلى ظاهر الأمور، وننتظر حدوث الخطوة، وعلى أساسها نبني رأينا. ولكن تمنياتنا هي الخير والسلام وعودة الاستقرار. وهذا لا يتحقق، وكأن لبنان قطعة لا علاقة لها بالعالم أو بالمحيط والجيران. ونحن ندرك أن كل تصور مـــن هـــذا النوع لا يؤدي إلى أية نتيجة. ونأمل أن تكون هناك أجواء مساعدة في المـــنطقة، لأننا نعيش في منطقة لنا علاقاتنا التاريخية بها ووحدة في اللغة. لا يمكننا أن نعزل أنفسنا، ولا يمكن لأي منا أن يعيش بسلام وراحة، إذا كان جاره غير مرتاح.

صاحب الغبطة: لبنان هو الجسم المريض اليوم، أو الأكثر مرضاً في هذه المرحلة؟

مقاطعاً. أنا لا أوافق على هذه النظرية، أنا أقول، صحيح أن لبنان مريض، وأمـــلي أن يخرج من مرضه إلى الصحة، ولكنه ليس المريض الوحيد. واعتقادي أن هـــناك مرضاً مستشرياً في الشرق الأوسط، ولبنان أحد أمراضه، وهو ليس سبباً في الذي يحصل في الشرق الأوسط من أمراض. بنظري هذه تهمة في غير محلها.

---

* صحيفة "الأنوار" اللبنانية، باريس ــ ١٩٩٠/١١/٢٧

أين تحددون ـــ غبطة البطريرك ـــ أساس المرض في المنطقة؟

في رأيي أساس المرض، هو أولاً عدم وجود اتفاق، وأن العنصر الاسرائيلي، يـــبقى الأساس في خردقة المنطقة وما هو أخطر من العنصر الإسرائيلي الدعم الذي تلاقيه اسرائيل من الولايات المتحدة، ومن يتبع أو يؤيد سياستها الخارجية، هذا الدعم القهـــري بالسلاح والمال، وقمع القوى بصورة أن تبقى اسرائيل محاطة بعالم مفكك وبعالم ضعيف، وبعالم غير قادر على العيش بكرامة.

هنا تدخل أيضاً أزمة الخليج الحالية، والتهديدات بالحرب؟

أعتقد أنها من جملة الأمور والقضايا التي تصب في الأهداف نفسها، ولا بد لي هـــنا مـــن أن أسأل: لماذا بقيت أزمة الخليج حتى أصبحت أزمة بهذه الحدة، أين الأخوة العربية، أين الحكمة قبل حدوث الأزمة سواء من قبل جامعة الدول العربية، أو الزعماء العرب؟ إننا لم نسمع عن قيام أية لجنة أو تحرك عربي من أجل حل الخلافات بـــين الدول الأعضاء، وهي خلافات معروفة مسبقاً. فلماذا ننتظر حدوث الكارثة ثم نحـــاول معالجتها بعد فوات الأوان؟ فبمقدار وجود الأزمات في أية منطقة أو مجتمع، يعني أن هنالك فشلاً لدور المسؤول. وما حدث ما كنا نتمناه إطلاقاً.

هل تعتقدون أن هناك مجالاً لحل عربي لأزمة الخليج بعيداً عن طبول الحرب؟

لا أعرف، ولكن ما أراه خطر جداً، وهو أن نصل إلى طريق لا عودة عنها إلى الوراء وهي طريق الحرب. لقد أصبح من الحق أن نذكر هنا، أن سوريا تمثل دوراً أساســـياً للتخفيف من الاستعدادات للحرب. وللحؤول دون حصولها، وحصر الحل بالطرق السليمة. لأن حصول مثل هذه الحرب بين الأشقاء العرب يعني إيجاد الشرخ إلى الأبـــد، وهـــنا أعـــتقد أن سوريا بحكمة رئيسها حافظ الأسد، تعمل على منع الانجراف نحو الحرب وهذا ما لا استغربه.

هل يمكن أن يكون موقف سوريا صمام الأمان لمنع حصول هذه الحرب؟

بالطبع هذا هو الدور السوري الآن، كما هو ملاحظ، من دون أن ننسى أنه في وقت الاندفاع والحماسة اللذين كانا حاصلين كانت الولايات المتحدة تدفع الأموال لاسرائيل، وكان عدد المهاجرين اليهود يزداد، وكانت الأسلحة تتدفق، وكان الأميركيون يقومون بدور الإلهاء عما يحدث في المقابل. ولذلك كان عند سوريا كامل الوعي لترى الأمور بوضوح. وأعتقد أن اللقاء الذي تم في جنيف، كان محاولة أميركية لإغراق سوريا في نظريتها في شأن الخليج، لأن هم الولايات المتحدة أمران: الأول ألا تكون هناك قوى عربية قوية وقادرة، والثاني أن تبقى اسرائيل هي الأقوى.

وهنا لا بد لي أن أتساءل عن الحماسة الأميركية، أين كانت تجاه القضية الفلسطينية، أين كانت تجاه الجولان وأين كانت بعد احتلال اسرائيل للبنان وجنوبه. وهل أن القواعد الأخلاقية والإنسانية والمبادئ لم تكن منتهكة من قبل اسرائيل، ولماذا لم يتحدثوا عنها.

هذا يقودنا ـ غبطة البطريرك ـ إلى الحديث عن إمكان حصول تغيير جغرافي في المنطقة، طبعاً لا نريد أن يحصل ذلك، ولكن هل تخاف من حصوله؟

هذا يتوقف على نوعية التغيير، هناك متغيرات تثير الخوف، وأخرى لا تثيره. وفي اعتقادي أن هذه المنطقة التي لم تقرر ذاتياً كيف يجب أن تكون، ولكن قُرِّر لها أن تكون كما هي، لا بد لها من مرحلة نضوج، كما هو حاصل في أوروبا أو في غيرها، وهذا تغيير يهدف إلى البناء وليس إلى الهدم. من دون أن أستبعد أن تكون نية الهدم موجودة عند الذين وضعوا الصيغة الموجودة حالياً والتي وضعت من قبل الأجانب في ظل الاستعمار الذي مر على المنطقة. ومن أجل ذلك أقول إن هذا التغيير ليس مخيفاً، لا بل إذا جاءت التغييرات بقرار محلي وتوافق عليها، وكانت غايتها الخير وليس التفكيك والأضعاف والتفتيت يكون من المصلحة العمل على تحقيقها.

بـــرأيكم ـــ صاحب الغبطة ـــ أن "سايكس بيكو" يجب أن تنتهي وأن يعتمد توجه مماثل للتوجه الأوروبي؟

إن تفكيري نظري وليس سياسياً، ولكن أقول إذا كان غيرنا قادراً على أن يعمل ما هو خير فلماذا لا نفعل نحن ذلك ما دامت تتحقق مصلحتنا بذلك؟

قضـــية القـــدس والهجرة اليهودية إلى إسرائيل، والسؤال الذي يمكن طرحه ولو بوجه مســـيحي، كيـــف يـــوازن المســـيحيون في العالم بين دعمهم لاسرائيل وعدم اهتمامهم بـــالقدس، وهـــل هـــناك عمل جدي لمنع القدس من التهويد والإبقاء على حضـــارتها وعراقتها المسيحية؟

أنا أعتبر أن النظرة العامة إلى القدس هي مشكلة عامة، لأن القدس بالنسبة إلينا كمسيحيين هي عاصمة العواصم، فيها رب الأرباب. والمؤسف جداً، وكما يبدو من قراءة التاريخ، أن الاهتمام المسيحي انتقل من هذه العاصمة إلى العواصم الأخرى، وهـــي عواصـــم سياسية وليست دينية، أي أنه كان يقيم فيها الامبراطور، أو لأن عواصـــم أخـــرى قامت فيها تيارات ثقافية وروحية محددة، وكأن المسيح شخصياً، والذي بنظرنا هو الله متجسداً ولد في بيت لحم، وعاش في الناصرة، وعاش في القدس التي مات فيها، وكأنه بالنسبة إلى مسيحيي العالم وضع جانباً واستعيض عنه بمبادئ ومـــراجع أخرى. وهذا غير مقبول مسيحياً، لذلك فإن مشكلة المسيحيين، أولاً أن عـــليهـــم أن يعرفوا أنهم جماعة ديانة التجسد، وتالياً، لا يمكن أن نقول إن المسيح موجود روحياً في كل مكان، ما عدا المكان الذي وجد فيه روحياً وجسدياً.

هـــذه الاستعاضـــة عن المسيح بمبادئ روحانية أو علمية، أعتبره انحرافاً عن الدين المسيحي. ولذلك على العالم المدعو مسيحياً، أن يصون ذلك، ولا يفكر بالعمل السياســـي في القـــدس. فـــلماذا ننظر إلى القدس كحقيقة من هذا النوع، فإذا كان اليهـــودي بإمكانه أن يقول، إن هناك ما يربطه بالقدس وفلسطين، وإذا كان المسلم

يـــنظر إلى القـــدس وكأنها قبلته الأولى، فلماذا الأحجام المسيحي عن اعتبار القدس "عاصـــمة العواصم" بالنسبة إليه. وهذا موقف يدعم فيه الحق، وليس كما هو الحال الآن، وكأن القدس هي كل شيء، ما عدا المسيحية، وهذا غير معقول لا بل مرفوض رفضاً مطلقاً. ولكن أين هي القوى المهتمة بها على أنها مسيحية، لا نسمع منها حتى الصـــوت، وحـــتى مجرد الذكر، وهذا أمر غريب. لقد وصلنا إلى درجة وكأن هناك قناعة بان القدس انتهت وسلمناها إلى غيرنا. أقول لا، نحن كمسيحيين شرقيين، في الشـــرق، وإلى الأبـــد في الشرق لسنا على استعداد للتسليم بهذا النوع من الإلغاء. ونقول لكل من هو غير شرقي، أنت دخيل على المسيحية. من أجل ذلك لن نتخلى عن عاصمة المسيحية والمسيحيين التي هي القدس. ولن نستبدل الدين بكتاب فالكتاب هو من شخص فهل نأخذ الكتاب ونتخلى عن الشخص. هذه هي حضارة الحرب، يقرأون عنك ولا يفكرون فيك.

هل هناك عمل جدي لتركيز العودة إلى القدس، أي إلى الجذور المسيحية؟

هـــذا موضـــوع مطروح لدينا بشكل دائم. كما أن كنائس الشرق تحاول الـــتركيز على هذا الموضوع، مع أنها وحدها في الساحة، ونريـــد على الأقـــل أن يكـــون المسيحيون في الشرق مسيحيين بكل معنى الكلمة، ولا يكونون مجرد تمثيل، هـــناك تشويه للوجه المسيحي ملصق بالشرق إلصاقاً، وبشكل اصطنـــاعي، مع أننا نحـــن الأســـاس في الشرق، وهذا الوجه الحقيقي للتاريخ لماذا نتناســـاه، ونـــحاول إغفاله بهذا الشكل؟.

هـــنـــاك أيضـــاً ما يحصل بالنسبة إلى كنائس الشرق في الغرب، فهي أصبحت مرتبطة بأنظمته، كالكنيستين المارونية والكاثوليكية؟

لا أســـتبعد أن تكون خفايا الأمور تحمل سعياً إلى إزالة الوجه الشرقي في المسيحية، ومع تناسي أن المسيحية حدث شرقي وليس حدثاً غربياً. الإنجيل ككتاب

يتحدث عن عادات الشرق، يذكر صور وصيدا ودمشق وأرز لبنان. فالمسيحية هي واقـــع شرقي شرعي، وفي حديث لي مع مسؤولين دينيين في الغرب، قلت لهم إنه إذا أزيل الحدث الروحي الشرقي ـــ كما نظن أن هناك محاولات لإزالته ـــ فإن المسيحية ستخسر، والتراث والاختبار المسيحيين عبر العصور سيخسران كثيراً. وهو إن لم يكن في مكـــان واحـــد من العالم، فهو بصورة خاصة في الشرق، لأن من هناك كانت انطلاقته فلماذا التنكر له تنكراً أثيماً ومتعمداً بشكل يطعن في صميم المسيحية.

ولكن هذا يحصل على يد المسيحيين بالذات؟

لا أستبعد أن ذلك يعود سببه إلى الطغيان. فحتى حصول كنيسة القدس على اسم «أم الكنائس» وإعطاؤها مستوى البطريركية الأنطاكية، فقد بقي العالم المسيحي ٥٠٠ عـــام لإعطائها ذلك. هناك مأساة في تاريخ المسيحيين الشرقيين، وبالتالي في تاريخ المسيحية عامة. نحن ديانتنا ديانة شخص وليست ديانة كتاب.

حديثنا هذا يقودنا إلى الحديث عن الأقليات المسيحية في الشرق كيف تنظر إلى الواقع؟

أنـــا لا أعـــتقد ذلك، لا أقليات مسيحية في الشرق، المسيحيون في الشرق ليســـوا أقـــلية. الأقليات هي بالعدد أو بالانتخابات. المسيحية ليست شيئاً قليلاً في الشرق، وهي من ينابيع تكوين الشخصية الشرقية وشخصية الشرق. هي من الينابيع الأساسية، والمهمة جداً، وأعتقد أنه على الشرق أن يعي تراثه ولم يعد مسموحاً القول إن المسيحيين في الشرق أقلية. لو بقي هناك عشرة مسلمين، فبنظري هذا لا يعني أن المسلمين هم أقلية، لأنهم من صميم تراث المنطقة، وكما أن شخصاً واحداً في العالم بإمكانـــه من خلال تيار أن يصبح في صميم تاريخ أمة في تكوين شخصيتها، فكم بالأحرى إذا كانت لدينا كل هذه العناصر الدينية العريقة والمتجذرة في الشرق. هل يجـــوز أن نتـــنكر لها باسم العدد البرلماني أو الانتخابي، فالحقيقة لا تنتظر التصويت، وفكـــرة الأقـــليات هي فكرة لا علاقة لها بالقيم لأنه قد يصوت للحق واحد، وقد

يصوت للباطل كثيرون كما هو واقع.

عودة إلى لبنان، نحن كلبنانيين، وما نراه اليوم من خلال تنفيذ الطائف وعودة السوريين إلى مناطق سبق لهم وانسحبوا منها، هل تعتقد أن ذلك سيؤدي فعلاً إلى حل الأزمة اللبنانية، وعودة السلام إلى هذا البلد وهل سيساعدنا ذلك في الإنقاذ؟

هذا ما نأمله، ولكن الإنقاذ ممن وإلى أين؟

من العنف والقتل وشريعة الغاب إلى السلام وقيام الدولة.

نحن ضد العنف، أياً كانت الأسباب وأياً كانت النتائج لأننا نقدس الإنسان. وعندما يضحى بالإنسان لا يبقى أي شيء يستحق الاهتمام به. والذي نراه ونسمعه كأنه يتجه نحو تثبيت لبنان كبلد وإيجاد اللحمة إذا فقدت ـــ وهي لم تفقد في أي حال بين الشعب ـــ لأن هناك طبقة تلاعبت بالشعب، الذي كان المظلوم الأكبر. ووفق ما لدي من معطيات، فإن الجانب السوري يحب أن يرى لبنان في وضع غير مقلق. وأنا شخصياً، أرتاح كثيراً عندما أسمع أنه إذا كان لبنان منزعجاً يكون غيره منزعجاً، لأن هذا دافع إلى العمل على إعادة الحياة الطبيعية والمستقرة إليه، وهذا عكس الأجواء السابقة، التي كانت تسيطر سواء على لبنان أو على غيره.

هل تعتقد أن لقاء الأسد وبوش يساعد في إزالة هذا الكابوس عن لبنان؟

في رأيي أن الموجة الهستيرية التي فرضتها أميركا، كان الرئيس الأسد من القلائل إن لم يكن الوحيد الذي لم ينجرف فيها. وأنا شخصياً لا أستغرب هذا الموقف، لأن الرجل يتمتع بالرصانة وبعد النظر. وتصوري في ظل هذه الهستيريا، أن سوريا تلاحظ تنامي القوة الإسرائيلية، في وقت تجد فيه القومية العربية، مهددة بمواجهة عسكرية تشارك فيها جيوش عربية ليس في خندق واحد بل في خندقين متواجهين. والرئيس الأسد حذر في هذا المجال، ولا يمكنه أن يسير بالتوجه الأميركي، ولذلك يحاول الأميركيون من خلال لقاء بوش معه، أن يكون الهدف دفعه إلى السير

في هذا الطريق، وأعتقد أن ذلك لن يحدث.

هناك أيضاً موقف عقلاني تحلت به قيادات أوروبية؟

هـــناك الموقـــف الفرنســـي من دون أن ننسى الموقف الكبير أيضاً للرئيس السوفياتي غورباتشوف.

من الملاحظ أن مشاكل لبنان والقدس والأراضي المحتلة هي أيضاً لم تحرك العالم المسيحي بجدية كما تحركه تجاه قضايا أخرى؟

يظهر أن الدولة ليست كنيسة، وأن السياسيين ليسوا رهباناً وراهبات. إنهم يملكون منطقاً آخر ربما لا نعرفه.

ولكنهم بالنتيجة أولاد كنيسة؟

يمكـــن أن يكون لا. من أجل ذلك هناك أمور لا يمكن أن تكون فيها، وفي الوقت نفسه تأخذ موقفاً معارضاً لها. كالذي نضعه في الماء ونقول له لا تبلل نفسك. إذا قـــبل أن يكـــون في المـــاء لا يمكن إلا أن يبتل. يظهر أن الإنسان يجد نفسه في الأوضاع السياسية والاقتصادية في موقع لا يتحكم به.

سؤال أخير ــ صاحب الغبطة ــ يتعلق بجامعة البلمند وعلاقتها بالجامعات الوطنية؟

أعتقد أن الأرثوذكسية في الشرق لا يمكنها إلا أن تكون وطنية لأنها هي قبل الوطـــن. من أين نأتي بالمعلم أو التلميذ أو الكتاب؟. وما هو مطروح عند البعض في ظروف معينة هذا شأنه. نحن لا يمكننا إلا نكون مؤسسة وطنية، وإذا عدنا إلى الوراء، نحـــن قبل الجامعة الأميركية أو اليسوعية، كانت لدينا رخصة من العثمانيين للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي. منذ ذلك الوقت، أي منذ بداية العام ١٨٠٠. وعلينا ألا ننســـى أن الكنيسة كانت هي المدرسة الأولى لتعليم قراءة المزامير والإنجيل. وتاريخ البلمند في التعليم قديم، وهذا التاريخ سيستعاد. ونعتقد أن احتكار التاريخ في الأجهزة

الحاكمـــة لا ينصـــف الشعب ولا ينصف الوضع الفعلي. لذلك من أسباب وجود البلمند هو التهيؤ لإعادة قراءة التاريخ في المنطقة بكاملها. وهنا يدخل عنصر أساسي، وهو أن التاريخ لم يعد كتابة روايات. ولكن علم الآثار يمكن اعتماده لقراءة الواقع. والنقطة الثانية تتعلق بالإنسان في النظر الشرقي. فنحن كمسيحيين نقول إن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والإسلام يقول إن الإنسان هو وكيل على المخلوقات. وهـــذا يعني أنه يتمتع بمركز متميز وهذا المركز المتميز طغت عليه في الغرب بصورة عامـــة المـــنجزات من وجهة علمية وتكنولوجية. وهذا يختصر بكلمة مثلاً (الحرب الجـــرثومية) وهذه ليست كلمة، فهذا يعني أن كل الذي تحقق لا يستحق شيئاً، أو (الحـــرب الـــنووية) التي تعني شطباً على الإنسان. ومن مبررات وجود البلمند هو الإنسان، وهدفنا تأدية خدمة للبنان، لأن قيمة لبنان ليست عددية بل ثقافية وحضارية ومن واجباتنا أن نساهم بها.

التعايش يفترض العيش معاً *

مـــاذا عن النظام العالمي الجديد وعن تغييرات ستشهدها المنطقة. وأين موقع لبنان في كل هذا، وهل سيكون أحد المواضيع المطروحة أم يبقى على الهامش؟

شعوري أن لبنان مطروح لأن لدى لبنان قضية، لذلك أتصور أن كل من يتكـــلم اليـــوم عن حلول للقضايا المطروحة في الشرق الأوسط لا يمكنه أن يتجاهل لبنان، وعندي الاقتناع بأن هنالك إرادة واضحة إيجابية تريد أن تعالج القضية اللبنانية. فلبنان بلد محتل وكيف لا يكون من ضمن الاهتمامات الحالية؟ يعني هل تحل قضايا الشـــرق الأوسط ويبقى لبنان كما هو؟ لا أعتقد ذلك إذ أنه من الطبيعي أن يكون لبنان مطروحاً على بساط البحث مثله مثل غيره.

كيـــف تـــنظر إلى مستقبل التعايش بين الأديان في المنطقة ولا سيما بعد تكاثر الموجات الأصولية والتيارات الأصولية؟

أنظر إلى التعايش على أنه أساس عندما نريد أن ننشئ وطناً. أعتقد أنه كان دائمـــاً التباس، خصوصاً في لبنان، بين أن نريد أن ننشئ وطناً أو نريد في هذا الطور الـــذي نحـــن فيـــه أن نصمم على إنشاء وطن يكون للجميع على أساس أن تكون للكـــنائس خصوصيات، وهنا أستعمل كلمة كنيسة بالمعنى العام للكلمة تنطبق على المســـيحيين وعلى المسلمين. مكان اللقاء لا يكون في الخصوصيات، مكان اللقاء بين المواطنين يكون على أسس عامة يمكن أن تطبق على كل واحد من المواطنين. أعتقد أنـــه مـــا دام هنالك التباس بين هذين الأمرين لن يكون عندنا وطن بالمعنى السليم للكلمـــة. لذلك أتصور أن كلمة التعايش هي كلمة تفترض العيش معاً وتطرح على

* صحيفة "النهار" اللبنانية، بيروت، المطرانية ــ ١٩٩١/٣/١٤

مستوى العيش. في العيش كل الناس يطلبون أن يعيشوا ولكن لا يطلب من أحد أن يكون فكرياً وحتى روحياً نسخة طبق الأصل عن أي إنسان آخر. هذا يجب أن يكون مقبولاً ويجب أن يدرس. هذا خط يحتاج إلى دراسة واسعة. أما قضية الأصولية فأستغرب كيف أن الناس يتكلمون عنها كما لو كانت حدثاً حديثاً أو خاصاً. إن الأصولية في كل دين شيء عادي فيه. أليست عندنا أصولية نحن المسيحيين؟ ألم يكن عندنا أصولية في تاريخنا؟ ألم يكن هنالك عنف في معاملتنا لمن هو غير مسيحي أو لمن هو مسيحي ولكن بمعنى خاص؟ من هم أولئك الهراطقة الذين سميناهم هراطقة؟ أين محاكم التفتيش؟ أين كل هذا، أليس أصولياً؟ أعتقد أننا لم نعد أصوليين لأنه لم تعد عندنا قوة، قوة سلاح، قوة سياسية، لم نعد محميين ضمن إطار دولي. إذا كان سوانا يشعر أن هنالك دولاً تحمي دينه أو دولاً من دينه فهذا الشيء يمر به كل دين في مرحلة من المراحل.

ما هو تقويمكم للوضع اللبناني الداخلي؟ وما هي المعطيات التي يمكن أن توصل إلى التوازن الداخلي المفقود حالياً؟

السؤال يفترض أنني أعرف أن هناك توازناً مفقوداً. أنا لا يمكنني أن أتكلم في الأمر لأنني لا أعرفه تماماً، ولكن الشيء الأكيد هو أن الخط الذي يسير فيه لبنان الآن، هو خط متين. ليس دائماً من الحكمة أن يتخذ الإنسان مواقف سلبية بالنسبة إليه لئلا يرى نفسه في وقت من الأوقات قد سبقه الركب. إذا كنا نريد أن يكون لبنان واقعاً فلا يمكننا أن نكون خارج هذا الواقع، ويجب أن نعمل بجدية وبصلابة لكي لا نُكَوِّن نوعاً خاصاً من اللبنان الذي لا يمكن إنشاؤه. أعتقد أن ما أعرفه الآن وما قلته للكثيرين في الاجتماعات إن في البلمند أو هنا، هو أنه لا يمكن أن يكون خط التاريخ شيئاً نتسلى به. يجب أن نتصرف بمسؤولية ويجب أن نكون فيه لأن التاريخ دائماً يعدل من الداخل وليس من الخارج. إذاً هذا شيء أساسي جداً. لبنان يسير في طريق لا رجوع عنها ويسير في اتجاه لا رجوع عنه. لبنان المستقبل لن يكون

في كل شيء صورة طبق الأصل عما كان في وقت من الأوقات، وقد يكون هنالك أنـــاس، وأنـــا منهم، لا يتمنون أن يعود لبنان إلى صورة كان من نتائجها ما نعرفه جميعاً: ست عشرة سنة من الآلام والمتاعب التي تبدو في النهاية كأنها دليل غباوة أكثر منها دليل معرفة.

كيف ستنظر إلى بعض الطروحات وخصوصاً تلك المتعلقة بتعيين النواب؟

هناك مستويان لهذا البحث. المستوى الأول، المستوى المبدئي، تعيين النواب ليس شيئاً طبيعياً. النائب ينوب عن شخص ما، لا يمكنه أن يكون معيناً وخصوصاً إذا كان في بلد تعوَّد أن يقوم بالانتخابات أيا كانت الانتخابات، لكي ينتخب الجماعة الـــتي تمثله. المستوى الثاني أضعه بصورة سؤال: هل نحن في وضع استثنائي يستدعي اللجوء إلى هذه الطريقة التي ليست مألوفة في لبنان وليست عادية؟. وما هي النوعية الـــتي نفـــتش عنها ونريدها أن تكون في كرسي المسؤولية السياسية في لبنان؟ هذه النوعية ألا يمكن أن تكون إلا بالتعيين؟. ماذا تمثل هذه النوعية؟ من هي؟. أعتقد أنه يجب الجواب عن هذه السؤالات لكي يقتنع الإنسان بأن التعيين في المطلق هو شيء جيد. أنا غير مقتنع.

في إطـــار البحث في عملية السلام في الشرق الأوسط أين يقع لبنان وكيف ترى علاقته مع جيرانه في المستقبل؟

أنا مقتنع بأن قصة الجيران لم تعد موضوع بحث. أعتقد أنه من الخطأ دائماً أن يـــتجاهل الإنســـان جيرانه. هذا خطأ وقصر نظر لا شك في أن من يتبناه يؤاخذ عليه. إذاً نحن مع الجيران ونطلب من الجيران أن يكونوا معنا، نلعب دورنا في الجيرة بين الطرفين. هذا لا يمكن أن يكون إلا هكذا. لم يعد هنالك فواصل بين البشر. إذا كنا، بواسطتكم أنتم، نرى أن العالم يصبح بواسطة الإعلام وبواسطة التبادل واحداً، فكيف يمكنك أن تضع حاجزاً بينك وبين جيرانك؟ أعتقد أن عدم الوجود مع الجيران

شيء يؤذي، ويؤذي من؟ يؤذي لبنان بالذات. كذلك أعتقد أنه ضمن المعطيات التي لدى لبنان سيبقى لبنان وسيبقى ضمن حدوده الكاملة الدولية المعترف بها. في المنطقة نسمع ونريد أن نصدق أن المساس بالحدود غير مسموح، ونأمل أن يبقى هذا المبدأ، ومعلوماتي أنه حتى هذه الدقيقة مطبق في ما يخص كيان لبنان.

إن الحديث عن الجيران كان عن جارَيْ لبنان.

أنا كنت أفكر بالفعل في الجيران على أساس الجيران الذين ليسوا أعداء. إذاً أنا أفكر في سوريا حيث فكرة الاغتصاب غير مرتبطة بها، لابل يجب أن يتحول هذا الشيء إلى الأفضل لأن هنالك علاقات بين الشعب وعلاقات بالمصالح. أنا لم أكن أفكر في اسرائيل المغتصبة لأنها آتية لتأخذ. أنا قصدت بالجيرة حيث يمكن أن يكون التبادل، تبادل مصالح، تبادل تعامل، تعاون في كثير من الأمور. هذا ما كنت أقصده.

لا يمكن أن يكون هناك نواب عن لا أحد *

سئل أغناطيوس الرابع عن نتائج لقاءاته المسؤولين في لبنان؟

فأجاب:"إن اللقاءات التي تمت خلال هذه الزيارة والتي يغلب عليها الطابع البروتوكـــولي أعطتني فكرة من خلال ما سمعته من الكثيرين. وأعتقد أن هناك شقين في الـــذي سمعته من تقويم لما يحدث، وهذان الشقان يتكاملان. الأول يقول إن كل شيء يسير على ما يرام في الخط الذي سمي مسيرة السلام، وهذه المسيرة هي في طريق الـــتحقيق ولو كان التحقيق على مراحل وفي درجات معينة. والشق الثاني يقول إن هناك الكثير من الصعوبات التي هي نتيجة الأوضاع الصعبة التي مر بها لبنان ويمر بها حتى الآن. وهذه الصعوبات أمر طبيعي في طريق أية مسيرة وأن كل شيء يسير على أساس أن هذه الصعوبات ستذلل. ومن طبيعة الأمور في هذه الدنيا أن تكون صعبة لا أن تكون سهلة.

كيف يمكن تذليل هذه الصعوبات؟

لســـت أدري، فطريقة التذليل تكون ضمن إطار الحوار والتفاهم والشرح وضمن إطار أن يفهم الكل أن لبنان بكليته أهم من أي شيء جزئي فيه وأن الروح الوطنية الحقيقية تتطلب من كل إنسان أن يفضل الكل على الجزء.

مـــا هـــو رأيكـــم في قرار مجلس الوزراء حل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية؟ وما هو موقفكم تحديداً من قضية نزع السلاح الفلسطيني؟

ليـــس لنا أن نأخذ موقفاً شخصياً أو فردياً في هذا الموضوع وأعتقد أن كل لبناني يتوقع في وقت من الأوقات أن تزول آثار الأوضاع غير الطبيعية ومنها وجود

---

* صحيفة "النهار" اللبنانية، بيروت، المطرانية ــ ١٩٩١/٤/١٩

الميليشـــيات مـــن أي نوع كانت. أعتقد أنه من الطبيعي جداً أن يكون اللبنانيون يتوقعون حل الميليشيات. أما قضية السلاح الفلسطيني، ففي السؤال ذاته الذي تسأله كـــأنك تميـــز بين وضع السلاح عند الفلسطينيين ووضع السلاح عند سواهم، وقد يكون ذلك واقعياً، ولا شك في أن الدولة تعرف هذا الأمر وأعتقد أن معالجته تتطلب معالجة فيها شيء من الخصوصية لا توجد في معالجة قضايا الميليشيات الأخرى.

ما هو رأيكم في موضوع تعيين النواب؟

سبق لي أن قلت إن التعيينات النيابية في المستوى النظري هي هرطقة لأنه لا يمكـــن أن يكون هناك نواب عن لا أحد، ولكن يبدو أن القصد من ذلك هو إيجاد جهاز بالطريقة المتوافرة يعبر عن شرائح متعددة من المجتمع اللبناني التي لم تعد متمثلة بعدما توفي الكثير من النواب السابقين. فإذا كان الحل استثنائياً في حال استثنائية، فقد يكون هذا مألوفاً، أما رنين كلمة تعيين النواب، فهو رنين لا تستسيغه الأذن.

مـــا هـــو موقفـــك من الدعوات إلى تعديل آلية تنفيذ الطائف وتحديداً موضوع تأجيل التعيينات؟

لا أعتقد أنه في الإمكان الإجابة عن هذا السؤال إلا إذا كان الإنسان مطلعاً تمامـــاً على ما يعنيه هذا الأمر. وأنا لا أعرف بالضبط ما هي نتائج التأجيل مثلاً ولا الأسباب الداعية إلى هذا التأجيل، إنما أعلم بالأسباب التي تدفع من يطالب بهذا الأمر إلى هذا الطلب. لكن الشيء الذي يبدو لي هو أن هناك وصفة من الأفضل أن يتممها الإنســـان لكي يرى في وضوح أكثر نتائجها. فإذا كانت خيراً فيكون قد صار الخير لكـــل لبـــنان ـــ ولا أعتقد أنه لن يكون هنالك خير ـــ وإذا لم يكن فتكون الدولة عـــندئذ جاهزة لتفادي أي نوع من الضرر. وأعتقد أن التأجيل من دون تبرير وطني يكـــون خطراً جداً. لماذا لا نعتقد أن الطائف هو وصفة يجب أن تنتهي لكي ينتهي بانتهـــائها وضع يتألم منه لبنان، مثلاً الاحتلال وما إليه. وأعتقد أن التأجيل في ذاته ليـــس بالضـــرورة شيئاً جيداً. وليس عندنا سوى هذه الحكومة ونطلب من الله أن

يوفقها وأن يجعل مجهوداتها قوية بحيث يمكنها أن تتم ما وعدت به وما يتوقعه الشعب. وأعتقد تماماً، و لم أعتقد ذلك يوماً بقوة أكثر مما أعتقد به اليوم، وعندي الشعور بأن أي تأخير أو أي تأجيل قد لا يكون في المصلحة. وأنا متأكد من أن لبنان الآن يُهْتَم بـه أكثر مما اهتم به في السابق وأن كلمة لبنان تعني الشيء ذاته لكل واحد منا، أي تعني دولة مستقلة ووطناً لكل أبنائه ضمن حدوده المعترف بها من دون أن يكون فيه أي احتلال. وأعتقد أن الجنوب مدعو إلى أن يتحرر كما تتحرر كل أجزاء لبنان.

كيف ترى الوضع في الجنوب وإمكان تحريره وانسحاب القوات الإسرائيلية وتطبيق القرار ٤٢٥؟ وهل يمكن أن يتم ذلك بالمقاومة أم بالديبلوماسية؟

أعتقد أن كل الوسائل يجب أن تستعمل في حينه وفي الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة من أجل الوصول إلى هذا الأمر الذي نحن واصلون إليه حتماً.

ما هو الموقف على الصعيد الكنسي؟

على الصعيد الكنسي، إن الكنائس تلتقي أكثر وتلتقي في مستوى أكثر رسمية مما كانت تلتقي، فهي كانت تلتقي على صعيد صداقي أما الآن فهي تلتقي على مستوى تتعهد فيه الكنائس أن تأخذ في الاعتبار الواحدة الأخرى وأن تشاركها في الكثير من الخطط التي قد تتبناها في حياتها الرعائية. إذاً هنالك قربى بين الكنائس في مستوى جديد وهذه القربى هي شيء مقرر و لم تعد شيئاً فقط مرغوباً فيه.

ما هي الخطوات المستقبلية بالنسبة إلى جامعة البلمند؟

كنت أتمنى أن يُسْأل الأستاذ غسان تويني رئيس الجامعة أو أحد معاونيه عن أشياء كثيرة أنا أجهلها، لكنني لا أجهل التوجيه العام، فالتوجيه العام هو أن جامعة البلمند تسير في نظرنا إلى الأمام وأن هذه المسيرة لا رجوع عنها وأننا مدعوون في كل مرحلة مستقبلية إلى أن نحقق خطوة في تحقيق جامعة البلمند التي ننوي تحقيقها. والمستقبل ليس زمناً فارغاً أو تمنيات ولكنه فرصة لتحقيقات ستتم حتماً إن شاء الله.

نرفض التلاعب بتكوين الشخصية الإنسانية*

في بداية اللقاء أدلى البطريرك هزيم بالآتي :

كـنت فـي اسطنبول حيث عقد اجتماع ضم كل البطاركة ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية في العالم، وهذا لم يحصل منذ ١٢٠٠سنة. وهو نوع من المقدمة لمؤتمر مسـكوني نحـن في صدد الإعداد له. ونحن نعتبر أن شعبنا يجب أن يعرف أكثر عن لقاء من هذا النوع.

تعـلمون أن الكنيسة الأرثوذكسية مؤلفة من كراس عدة، وهذه الكراسي قليلا ما تلتقي وربما الكثير من الناس ليس عندهم أية صيغة ليروا الكنيسة الأرثوذكسية تعبر عـن نفسها بصوت واحد فنحن نسمع بالكرسي الأنطاكي، بالكرسي الروسي، بالكرسي المسـكوني القسـطنطيني ومـا إلى ذلـك ولكـن ليست عندنا أداة لكي نسمع الكلمة الأرثوذكسـية العالمية. هذا الاجتماع هو حدث مهم بالنسبة إلى الكنيسة لأنه يعبر عن هاجس إعلامي مهم جداً. ونحن نعتقد اليوم أن الذي لا علاقة لـه بالإعلام فهو مقصر حتماً في التنفيذ. في السابق كانوا يتكلمون بواسطة الرسل، بالبشارة. والإعلام هو نوع من البشارة بالنسبة إلينا في الكنيسة.

وحاولـنا في هذا الاجتماع، حاولنا فيه بصوت واحد، وأركز جدا على كلمة «صـوت واحد» أن نرى بعضنا أولا. هذا أتى من صربيا، والثاني من بلغاريا والثالث مـن أنطاكية، والآخر من الشام، كل واحد أتى من مكان، كل واحد يتكلم بلغة مختلفة، كـل واحـد محيطـه يختلف عن الآخر، وبالتالي كل واحد هو عالم في حد ذاته. كان اجتماعـنا مسـاعدا جدا للقاء، وخاطبنا العالم لكي نقول موقفنا بالنسبة إلى العلوم التي تحدث في هذا العالم، وخصوصا منها التي تتعلق بإحداث تبديلات وتغييرات بالشخصية الإنسـانية. إن من أخطر ما يحدث في هذا العالم هو أن يتوصلوا ربما بلعبة الجينات،

* حوار صحافي، صحيفة "النهار" اللبنانية، مطرانية الروم، ١٩٩٢/٣/٢٧

وما إلى ذلك، إلى تغيير الشخصية الإنسانية في ذاتها.بين القضايا الأخلاقية المطروحة فـــي هذا العالم سؤال: إلى أي حد مثلاً يمكن للعلم أن يؤخذ كقاعدة في حد ذاته؟، وهل يجـــوز أن يكون القاعدة الوحيدة للتصرف البشري، الإنسان تجاه الإنسان، أو الإنسان تجاه البيئة؟ كان علينا أن نقول كلمتنا المشتركة الواحدة في حقل من هذا النوع. ولاشك في أن الناس في أوروبا عموماً وفي أوروبا الشرقية خصوصاً، انقلبت فيها الدنيا رأساً عـــلى عقب، انقلاباً قد لا يكون لـــه مثيل في التاريخ، وبطريقة غير متوقعة أبداً. وهذا يمـــس العالم الأرثوذكسي بصورة خاصة، يمس عموماً نحو ٢٠٠-٣٠٠ مليون خليقة وفيـــه تحـــدث اللقاءات بين الكنائس على حقل واحد. كانت عندنا مشكلة: كيف تواجه الكـــنائس الأخـــرى هـــذا الحـــدث؟ وكيـــف تتلقى الكنيسة الأرثوذكسية في العالم هذه المواجهة؟ مثلاً يحصل في روسيا وأوروبا الشرقية اليوم دفق من المبشرين، ودفق من الكـــنائس الأخـــرى، والفاتيكان اهتم من دون شك بهذا الموضوع اهتماماً شديداً. وكنا نشـــعر أن أموراً كثيرة تحتاج إلى تنسيق، وهي تمس علاقات الكنائس بعضها ببعض، وأعـــني بعلاقـــات الكنائس الكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس البروتستانتية والكنيسة الأرثوذكســـية في العالم. وهذا يمس ملايين الناس، ولا يُستهان به. نحن قلنا إننا نتمنى ألا تعود علاقات الكنائس خطوات إلى الوراء وألا نعود إلى حياة الاقتناص الواحد من الآخـــر أو استغلال وضع الكنائس في أوروبا الشرقية التي تحملت على مدى ٧٣عاماً الضـــغط والاضطهاد عن كل مسيحي في العالم. وليس أخوياً أو لائقاً أن تستغل كنائس أخـــرى الضيق الذي عاشته هذه الكنائس على مدار نحو قرن إذا كانت أغنى بالرجال والأمـــوال، وان تدفع بهؤلاء الرجال والأموال لتملأ الفراغ الذي أحدثته "مدة ٧٣ عاماً" حيث كان ممنوعاً إدخال إنجيل واحد أو التكلم باسم المسيح.

لقـــد عـــبرنا عن هذا الأمر، وظن البعض أننا سنكون انفعاليين إلى درجة أن تنقطع كل علاقاتنا الحوارية مع الكنائس الأخرى. نحن لم نفعل ذلك. وقررنا أن العالم الحالي هو عالم حوار، ولا نستطيع إلا أن نكون في حالة حوار مع جميع البشر، حول العـــلم والبيئة. ولقد قلنا إن جميع الكنائس يجب أن تتكلم في القضايا التي تمس وجودها وروح المحـــبة المسيحية التي يجب أن تربطها، بعضها ببعض مبدئياً. لذلك، سيعقد في الصـــيف المقـــبل اجـــتماع مهـــم جـــداً للجمعية العمومية للجنة الحوار الكاثوليكية –

الأرثوذكسية في البلمند. وكان هناك تخوف عالمي، عُبِّر عنه بطرق متعددة، من أن نكون سلبيين. تصرفنا عكس التوقعات واستمررنا في الحوار، وهذا أمر عزيز علينا وسنستمر فيه. ونحن نفهم الحوار على أنه ظرف لقاء يقول فيه الإنسان نعم لما يوافقه، ولا لما لا يوافقه. إلى جانب هذه القضايا الكنسية، نحن قلنا إنه لا يجوز أن تكون مضت ١٦ سنة على لبنان وهو في حالة حرب، من دون أن يقول العالم الأرثوذكسي كلمته في هذا الموضوع.

ثم دار الحوار التالي بين البطريرك والصحافيين:

هل وصل المجتمعون في هذا اللقاء إلى نتائج عملية في ما يتعلق بالنواحي العلمية خصوصاً بالجينات؟

في الاجتماع الأول شعرنا بأنه يجب أخذ موقف مبدئي في الدرجة الأولى قبل أن تحدث اجتماعات لاحقة حيث تعطى دراسات ونتكلم أكثر في التفاصيل، الموقف هو أننا نعتقد أن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله وأي تلاعب بشخصية الإنسان يمس تكوينه وكرامته، لا تقبله الكنيسة الأرثوذكسية. من هذه الناحية نحن نلتقي وسائر الكنائس في العالم، ولدينا كلنا نوع من التخوف من جبروت الإنسان العلمي. فإذا انفصل هذا الإنسان عن ربه، ربما شوه أخاه الإنسان كثيراً لذلك أكدنا قيمة الإنسان وكرامته وعدم التلاعب بشخصيته . ومن ثم صعوداً سننطلق إلى الدراسات أكثر.

كيف توفقون بين ما وجهتموه من انتقادات إلى الطوائف المسيحية الأخرى لدورها التبشيري في أوروبا الشرقية والرسالة المسيحية التي تقوم على التبشير؟ وهل يعني كلامكم أن فلاناً خلق كاثوليكياً ويجب أن يبقى كذلك وأن من خلق أرثوذكسياً يجب أن يبقى أرثوذكسياً؟ أم أن من حق الديانات الأخرى أن تبشر بدينها؟

نحن لا نقول يجب منع الناس من تبديل طائفتهم إذا كانوا يريدون ذلك،

لكنـــنا نقول للطائفة ألا تستعمل وسائل إغراء لا يكون فيها شيء من الحق ولا من الحقيقـــة والمحبة ولا هي من الشهادة المسيحية في شيء على الإطلاق. نحن مررنا في الشرق الأوسط بهذا الاختبار إلى حد بعيد وحصل تفتت في الكنائس الشرقية المشرقية بســـبب هـــذه الأعمال، ولا أعتقد أن التفتيت كان على أساس تقوية الإيمان ومحبة المســـيح عند أحد. كانت العقلية تفترض أن الآخر غير موجود وتعمل بصورة عنيفة وإغـــرائية بالمال، وكثيراً من المرات بالتعليم وما إلى ذلك. وأعتقد أننا الآن نعاني من هـــذا الأمر. لقد تركونا أشلاء ونشكر الله أننا نميل بالعكس إلى اللقاء، وأعتقد أن ظـــروف اللقاء وعمقه الموجودين عندنا في الشرق الأوسط، خصوصاً في ما يخصنا نحـــن، قد تكون أعنف اللقاءات في أية بقعة من بقاع الأرض. ونحن نعتز بهذا الأمر. لـــنأخذ مثلاً الكنيسة الروسية. فهي مدعوة مثلنا إلى الحوار مع الفاتيكان. نحن نقول إننا كنائس شقيقة، وهذا شيء متوقع. الإنسان لا يتجاهل شقيقه في بيته ولا يعتبر أنه يجـــب أن يَضْعُف، بل بالعكس في الشدة يكون الاخوة مع بعضهم البعض، ويقوون بعضهم بعضاً. وأعتقد أن المسيحية تربح إذا وَجَدَت طائفتين تساعدان بعضهما بعضاً بـــدل أن تتواجها وتقتنص الواحدة من الأخرى. الشهادة سيئة جداً والبرهان، كما قلت، أننا تُرِكنا أشلاء في الشرق الأوسط وفتاتا من هنا وهناك، وربما أصبحنا شماتة للآخرين من دون تسمية.

في الـــبيان الـــذي صـــدر إثر اجتماع الكنائس الأرثوذكسية وردت عبارة تتكلم حول "نشاط الكاثوليك الشرقيين التابعين لكنيسة روما ضد كنيستنا، مما أحدث جرحاً عميقاً جـــداً في الحـــوار من الصعب أن يلتئم". فما تقصدون بهذا الكلام؟ وما هو تأثيره على مسيرة الحوار الأرثوذكسي – الكاثوليكي؟

الحوار يبقى لكن حدة الموضوع أكبر من أن تُنسى. الأمور معقدة وليست ســـهلة. هـــناك كنائس ألحقت بالكنيسة الأرثوذكسية بالقوة في أيام ستالين وهذا صحيح. لكن الطريقة التي استعملت عندما أفلتت الأمور، كانت طريقة عنف لا تعبر

عن الروح المسيحية من أية جهة أتت. ولا يجوز القول إن أعمال العنف أتت من جهة واحـــدة فقـــط. لكن الوجه الأكبر هو الردة على ما جرى أيام ستالين، استرجاع كـــنائس ما كان يجب أن تعود لأنه ليس صحيحاً أنها ضُمَّت في وقت من الأوقات، وإخلاء الكنائس أثناء القداس وإخراج الكاهن أثناء إقامة الذبيحة الإلهية. وهناك أمور أكبر من هذا بكثير.

يظهر أن المسيحيين في هذه الدنيا ليسوا مسيحيين كفاية بعد. لذلك لا يزال المســـيح ضرورياً لنا ولا أحد يستطيع القول إننا شبعنا مسيحية. لربما أراد الرب أن يذكـــرنا بحالنا، وأننا لا نزال محتاجين إلى رحمته. والأفضل أن نقول مثل الذي دخل الهيكـــل، وبدل أن يقول أنا لست كسائر الناس، أصلي وأعشر أموالي، نراه، يقول: «يا رب ارحمني أنا الخاطئ».

إن الوضـــع الذي حصل وهو يمس الملايين، يستدعي منا اتضاعاً أكثر ومحبة فعلية أكثر.

هل ستتابعون اللقاءات؟

لقـــاء البلمـــند هو الأساسي، هو الجمعية العمومية لهيئة الحوار ومنه تنبثق اللجان الأخرى التي تجتمع دورياً. عندنا مؤتمر وهذا شيء مهم.

هل من جديد بالنسبة إلى توحيد الأعياد؟

هذا السؤال يجب عدم طرحه علي. فنحن لا نزال مؤمنين بأننا أصيلون في الشرق ولذلك لا نريد أن نفتح أبواباً ولا يزايد علينا أحد في أصالتنا. فماذا يمنع أن يحصـــل عـــندنا مـــثل مـــا حصل في الإسكندرية ومصر والأردن؟ نحن في الشرق مســـيحيون، مسيحنا شرقي، رسلنا شرقيون، إنجيلنا شرقي، فلماذا نختلف على العيد هل هو شرقي أم غربي؟

السؤال لا يوجه إلينا. نحن لا مشكلة عندنا. ولكن المشكلة توجد عند غير الارثوذكس. الشرق لم يكن في حياته إلا شرقياً. والسؤال: هل نحن من الشـــرق أم لا؟ هـــذا هـــو الأمـــر الأساسي. وفي بعض السنين يكون العيـــد واحـــداً بحسب حســـابات الشـــمس والقمر، ونُعيِّد. لا أدري ما الذي يحدث ومن يتضـــرر عندما يكون العيد واحداً؟ لماذا عندما تجتمع الشمس والقمر يكون العيد مقبولاً، ولا يكون كذلـــك بحصـــول اتفاق؟ السؤال مطروح على جميع الضمـــائر ونحن في انتظـــار الجواب الذي نرجو ألا يتأخر.

لماذا لا تعالج قضية المهجرين بصورة جدية؟

ربمـــا واقع المهجرين جدي وأعمق من الوسائل المستعملة لحل هذه القضية. عـــندما سمعت بإمكان إجراء انتخابات تساءلت: أين سينتخب أهل بحمدون وكل المـــنطقة؟. عـــندما كـــنت مارّاً اليوم في تلك المنطقة تساءلت: أين سينتخب أهلها وكيـــف؟ وإذا هـــم وأمثالهم لم ينتخبوا فكيف تحصل انتخابات؟ هذا تساؤل وليس استهجاناً للانتخابات. أتمنى أن يحصل انتخاب وهذا ما نبكي عليه، وأخاف أن نبكي كثيراً.

هل أنت مرتاح إلى الوضع هنا؟

لا ليس كثيراً.

سبق أن قلت إننا سنبكي كثيراً؟

لأنـــي أعتقد أن الأوضاع والأمور تمس الشعب. أنا من الذين يعتقدون أن الشعب هو الذي يصنع الدولة. عندي شعور أنه خلال ١٦ سنة حرباً لم يفقد الشعب ثقته اللبنانية الحقيقية، وكان هو أحد الضمانات التي أسميها ضمان "أن لبنان حي". أتصـــور أن آثار الحرب تصل مباشرة الآن إلى الشعب، وهي تضغط كثيراً على نوع

الحياة التي نعيشها. مما لا شك فيه أن النواحي الاقتصادية مرهقة جداً. وقد قرأت في إحـــدى الصـــحف أن أحد المواطنين انتحر لأنه لم يعد يستطيع إطعام أولاده. هناك صـــعوبات جديـــة إلى جانب التدهور، واليأس يؤدي إلى أمور كثيرة. وهناك تفلت أخلاقـــي، وهذا يؤثر ويا للأسف على الجيل الطالع أكثر مما يؤثر على الجيل الماضي. كـــل هذه الأمور تجعل الإنسان يتساءل: من يتولى الشأن اللبناني بعد سنوات عدة مـــثلاً؟ أي جيـــل؟ أي نوع من البشر؟ كيف سيكونون مسؤولين عن البلاد؟ وإذا اســـتمرت الهجرة فهذا دمار. نحن لا نشجع على الهجرة، وعلى الإنسان أن يعتمد بعـــض الحـــلول لكن هذه الحلول ليست في يدنا بالتأكيد. هل الوضع يساعد على حصول هذه الحلول؟ لست أدري.

هل تعتقد أن تغيير التركيبة الحكومية يساعد؟

أعتقد أن ما يحصل عندنا هو كاللعب بالورق. اخلطيها كيفما تريدين فتبقى هي هي.

لا يوجد «عالم مسيحي»*

الكرسي الانطاكي هو الأول تاريخياً

صاحب الغبطة علمنا أن هناك مؤتمراً موسعاً للطوائف المسيحية الشرقية والغربية سيعقد قريباً، فهل بالإمكان تسليط الأضواء على هذا الحدث – الحوار؟

يوجد حوار دائم بيننا وبين جميع الكنائس وبدون أي استثناء. وقد يعقد اجتماع في الصيف المقبل لأعلى لجنة للحوار بين الفاتيكان وبين الكنائس الأرثوذكسية. وسيتم هذا الاجتماع في دير البلمند في لبنان الشمالي. ونحن فخورون جداً لأن نكون ميدان لقاء وميدان حوار وعلى أعلى المستويات ومن كل الكراسي الأرثوذكسية في العالم التي ستتمثل في هذا الاجتماع. ثم هناك الفريق الفاتيكاني وهو فريق غاية في الأهمية حيث سيشارك عدد من الكرادلة وعدد من اللاهوتيين وعلى المستويات الرفيعة. ونحن نعمل من ناحية أخرى على صعيد مجلس الكنائس العالمي. وأنا شخصياً تدرجت فيه من نائب رئيس حركة الطلاب العالميين إلى رئيس مجلس الكنائس العالمي. وعندنا حدث حواري استثنائي في الشرق الأوسط وهو مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي يضم كل الكنائس المسيحية بدون استثناء: العائلة الكاثوليكية بكاملها، العائلة الأرثوذكسية، العائلة الشرقية والعائلة البروتستانتية الإنجيلية. ونحن نشعر بأننا جميعاً كنائس رسولية في هذه المنطقة، ونتواجد في مجال جغرافي ضيق، وأنه يجب أن يحدث شيء بين المسيحيين يكون جواباً لماض تعيس. الماضي التعيس الناتج عن أن الغرب اعتبر دائماً الكنيسة الشرقية وكأنها كنيسة ملصقة إلصاقا أو ملحقة إلحاقاً به. والشعور السائد هو أن الكنيسة اللاتينية هي وحدها

* صحيفة "التلغراف" استراليا، أنور حرب وأنطوان قزي، ١٩٩٢/١٠/٩

الكنيســـة الواحـــدة المقدسة الجامعة الرسولية. ولذلك وحتى اليوم لاتُعامَل الكنائس الشـــرقية الكاثوليكيـــة معاملة الكنيسة اللاتينية. وبعد ذلك قامت الحركة التبشيرية وفتـــتت كـــثيراً ووضعت بديلاً من الكنائس الشرقية. ثم كانت الحركـــة الصليبية وفتتت اكثر فأكثر مما أدى إلى واقع انطلاقاً منه نتساءل: الذي حدث كان لمصلحة مـــن ولفائدة من؟ من الذي استفاد مسيحياً؟ النتيجة أن أحداً لم يستفد. بالعكس، أعتقد أننا أظهرنا ضعفاً شديداً وأظهرنا وجهاً غير لائق تجاه العالم الذي نعيـــش فيه وهو العالم الإسلامي الذي ينظر إلينا ويقول : إذا كان مسيحكـــم موحِّداً فلمـــاذا انتم لستم موحَّدين؟!

إذاً نحـــن ككرسي انطاكي، ككنيسة أرثوذكسية، دائماً في وضع حواري. وأحب أن أقول إن هذا الوضع في حالة استمرار وليس عبارة عن فترة تمر ثم تنتهي. بـــالعكس هـــناك استمرارية تامة. ولاشك أن اتصالاتنا بالكثير من الاخوة في العالم الإسلامي هي اتصالات مستمرة. وبالتأكيد فإن نوع الاتصال هو مختلف لأن العالم الإســـلامي ليـــس لديه كهنوت. ولذلك لا تكون الاتصالات بالصفة التمثيلية كما يحدث بين الكنائس، لكننا نتحدث إلى اخوتنا المسلمين على أساس أنهم أخوة بالفعل. ونعيش معاً وقد أصبحنا أقلية في عالم كنا نحن فيه الأكثرية. ودائماً رجاؤنا أن يكون هناك اتصال أخوي ومواطنية كاملة لكل الناس. وعلى هذا الأساس نعمل.

ســـيدنا الـــبطريرك، هـــذا اللقاء المحتمل الذي تتحدثون عنه، هل هو لتوحيد المناسبات الكنسية كالأعياد أو لإعادة توحيد الكنيسة؟

لاشك أن المقصود أصلاً هو توحيد الكنيسة، توحيد الكل. فالعالم الغربي مر في مرحـــلة الأصولية، كانت هناك محاكم تفتيش وبالتالي كانت تقتل حتى المسيحي الذي تظن "الحركة الأصولية" أنه ليس مسيحياً كما يجب، أو ليس مسيحياً بالطريقة التي يرونها هم.

المشـــكلة في الاصولية مسيحية كانت أم إسلامية أو في أية ديانة أخرى أنها تُنَصِّب نفسها الوصية على الإنسان بقطع النظر عن الحكم الإلهي عليه شخصياً، كأن الله خلقه بطريقة مختلفة.

أمـــس قلت إن أي تمييز في الدين هو إنكار مبطن بأن الله واحد، وأنه هو الذي خلق جميع الناس، وخلقهم على صورته ومثاله. وبالتالي لا يوجد إنسان خلقه الله عـــن طريق الخطأ. وما أتصوره هو أننا نحتاج إلى أن يعرف الغرب أن المسيحية شرقية وليست حدثاً غربياً. الإنجيل يتكلم دائماً عن شخص يتصرف شرقياً وبعادات شـــرقية وفي قرى شرقية والى ما هنالك. الأناجيل كتبت في الشرق. ويقال إن إنجيل مرقس كتب في روما ولكن مرقس شرقي. إذاً هذا الحدث الشرقي، إذا أُزيل طابعه الذي هو المسيحية فماذا يبقى منه؟

ولهـــذا السبب نحن نتمسك بالأرض أيضاً، الأرض الشرقية هي الأرض التي اختارها الله ليتم فيها التجسد الإلهي. كان بإمكان ابن الله الوحيد أن يولد في أميركا أو في الصـــين أو في غيرهـــا لكنه اختار تلك المنطقة. إذن تلك المنطقة إذا تغير فيها العنصـــر الأساســـي في التراث المسيحي الذي نبع فيها وانتشر من خلالها يكون قد انـــتُـــزِعَ طابعها. والمؤسف أنه لا يوجد شيء اسمه العالم المسيحي ليتكلم بالصوت المســـيحي ويطالب بالقدس، لا توجد دولة مسيحية تتكلم بذلك. نحن باقون هناك بدون صوت مع أن مسيحنا هناك حيث عاش وصلب وقام من بين الأموات. وبتعبير آخر كل جغرافية المسيحية موجودة هناك وليس في نيويورك ولا روما ولا اسطنبول ولا في أي مكان آخر.

هذا ما نفتقده نحن في هذا العالم وكنا سنعتب لو كان هذا العالم مسيحياً، ونحن نعرف أن هذا العالم ليس مسيحياً. لا يوجد عالم مسيحي.

إذن نحـــن ككنائس شرقية نشعر أن لدينا رباطاً حياً رسولياً يجعلنا ننظر إلى

ذواتـــنا قبل أن ننظر إلى الجمعيات التبشيرية الآتية من هنا وهناك. فلننظر إلى بعضنا، مســـيحنا جـــاء من عندنا و لم يأت من مكان بعيد. ومسيحيتنا غير مستوردة، لماذا نتصرف وكأن البعض منا مستورد من الخارج ونعطي شعوراً لبعض إخوتنا المسلمين أن كـــل مسيحي هو غريب عن هذه الأرض التي نعيش عليها. هذه مشكلة أساسية جداً. نحن لسنا غرباء ولا شك أن تراثاً يهودياً مر من هنا قبل الإسلام والآن يوجد الـــتراث الإسلامي. والإنكار لهذا الواقع التاريخي هو إنكار لطبيعة الوضع الذي نحن فيـــه. وقد تكون سببت لنا ضرراً كبيراً المحاولات التغريبية التي حصلت: تتكلم مع شخص فيستمهلك ليعرف ماذا سيقول له مَنْ هنـــاك "أي الغرب". تحدثه في لبنان فيعود بعقله إلى مكان لسنا ندري أين هو.

هذه الغربة الفكرية قد تكون خدعت الكثير من الناس وجعلتهم يظنون أنهم إذا ســـافروا إلى الخارج فهذا أفضل. قد يكون ذلك في أساس الهجرة من كل المنطقة إلى البعيد. لماذا يغادر الناس؟. ليس صحيحاً أن الذي يترك بسبب تعاسة يظنها يصل إلى سعادة كما يتوقع، ليس كل الناس هكذا.

وهـــذا الجـــو الذي نحن فيه يدعو إلى تقارب شديد. وإذا جئنا إلى التطبيق كيـــف نترجم الإرادة بالوحدة؟ نحن لا نريد أن نحتوي الكنيسة المارونية ونأمل من الكنيسة المارونية ألا تحتوينا وكذلك لا نريد أن نحتوي الكنائس الشرقية لان التراث القـــبطي شـــرقي، التراث السرياني شرقي، التراث البيزنطي شرقي، التراث الماروني شـــرقي، ونحـــن كلنا شرقيون وأصيلون. نحن لا نتعامل مع أُناس الآن وجدوا ، ولا ندعو إلى صنع كنيسة كما يحدث عند غيرنا.

قلـــنا تعالوا، على الأقل نعيد الفصح معاً. لماذا؟ لأن الفصح ودون إرادتنا يتوحد في بعض السنين والتواريخ وهذا مفيد. وإذا عممنا هذا الأمر لاأحد سيخسر شيئاً. هذا الاختبار لماذا لا يُعمم ؟ وكيف يُعمم ؟

نحن قلنا لا نستطيع تعميمه على أساس مدعو بالغربي ونحن في الشرق، لأننا بذلك ندعم القول إننا غربيون ونحن لسنا غربيين. لذلك فلنبق في الشرق شرقيين نعيّد على الطريقة الشرقية ونظهر وجهنا كله أننا شرقيون أمام الذين يقولون إننا غرباء عن الشرق.

أعتقد أن هذا الأمر كتفكير وكخطة منطقي وواقعي ولا يؤذي أحداً، وقد يؤذي الذي مازال متأثراً بالسياسة التي انبثقت عن الهيئات الخارجية التي أتـــت من أجـــل التشـــديد على عناصر الانقسام وتقويتها. فجعلت كنيسة إلى جانب كنيسة وكاهناً في وجه كاهن آخر من أجل تركيز الانقسام. وأعتقد أن كنائسنا في الشرق عاشت مئات السنين وهي تثبت الانقسام مؤسساتياً، كالمدارس وغيرها. وقد يتزعج الـــبعض الذيـــن مازالوا يعيشون تحت هذا الكابوس من خلال سعيك الذي يجعلك تكـــون مختلفاً عن الآخر ولو كان هذا الآخر مدعواً مسيحياً، أي التفتيش عما هو مختلف لا عما هو مشترك .

ونحـــن الآن نفتش عما هو مشترك، لا نريد من أحد أن يتبع احداً ولا أن يكون أحد في بيت الآخر. ولكن ما نقوله هو أن نكون في الشرق شرقيين. لماذا يجب أن أعُيِّد في الشرق على الطريقة الغربية، خصوصاً أن هناك اتهاماً بأنك أجنبي. اترك الشرق للشرقيين الأصليين.

هل هذا يعود سيدنا إلى أن الشرقيين الغربيين بمسلكيتهم تابعون لروما؟

مـــن حق الكنائس الشرقية أن تفتخر بتراثها الشرقي وبشخصيتها الشرقية. وكما قال البطريرك صفير في وقت من الأوقات، نحن لسنا مدينين لأحد بإيماننا فإيماننا لم نأخذه من أحد "ونؤمن بإله واحد" خرجت من الشرق ويرددها العالم كله.

أعـــتقد أن هـــناك نوعاً من التبعية الضعيفة، وأعتقد أنها لا تفيد أحداً. وما

أتصوره أنه كلما زاد وعينا وإدراكنا لشخصيتنا الروحية الشرقية المحترمة للسريانية، فالكنيسة المارونية تحمل تراثاً سريانياً ولا يوافقها إلا أن تكون شرقية.

غبطة البطريرك، الخلافات المستحكمة، إذا جاز التعبير، بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية إضافة إلى التفسيرات والخلاف على توحيد الأعياد والمناسبات بين المرجعيتين الكرسي البابوي والمرجعية الأنطاكية الشرقية هل يمكن أن تحل هذه المشكلة في اللقاء المحتمل؟

هذه مشكلتنا مع الآخرين وليست مشكلتنا مع أنفسنا. نحن نعتقد أن إنطاكية هي المركز الأول المهم للمسيحيين قبل روما وقبل اسطنبول، ومنها انطلقت المسيحية. ونعتقد أن الكرسي الانطاكي هو الكرسي الأول تاريخياً ولو لم يكن في العاصمة الكبرى مثل اسطنبول أو روما. ونعتقد أيضا أنه في الأرثوذكسية لنا الحق أن نتكلم بشخصيتنا وبتراثنا وبلغتنا وما إلى ذلك وهذا الحق نفتخر به ونتمنى على الجميع أن يعملوا به.

لماذا لا يحصل شيء على مستوى الكرسي الانطاكي؟ لأنه يبدو أن الحرية التي أشعر بها أنا في مركزي، فأحاور بكل شجاعة وأستطيع اتخاذ قرار، هذه الحرية لا يتمتع بها كل الناس.أعتقد من الواجب أن نتحدث مع أناس بإمكانهم اتخاذ قرار.

غبطة البطريرك دققت ناقوس الخطر في عدة تصاريح سابقة حول الوجود المسيحي في الشرق وخاصة في الجيبين اللبناني والمصري. هذه المخاطر التي تحدثتم عنها، هل تعني أن الوجود المسيحي قد يذوب أو يتلاشى؟

الذي ذكرته عن الوجود المسيحي، ليس المقصود به وجود أفراد مسيحيين أو أقليات مسيحية، فهذا الأمر موجود في كل مكان، وهذا يمكن الحفاظ عليه ضمن إطار ديموقراطي، وإذا كانت هناك ديموقراطية تسمح للمواطن كائناً ما كان دينه أن تفتح أمامه الصحافة والإذاعات ووسائل الإعلام للتعبير عن إيمانه طبعاً دون أن يتعدى

الفرد على غيره.

إذا تـــأمن كل ذلك فنحن ليس لدينا مشكلة أساسية في وجودنا المسيحي. وعندما أذكر الوجود المسيحي الملموس فلأنه غير موجود فعلاً إلا في هذين الجيبين. وأعـــتقد أنه إذا لم يعد هذا الوجود ملموساً فنكون ســـرنا خطوة إلى الوراء. الذي ينظر إلى تاريخ الوجود المسيحي يرى أنه منذ سقوط القسطنطينية انقلبت الأوضاع هنا رأساً على عقب. وهذا واقع لا نتذمر منه بل نتحدث عنه. تغير الواقع في منطقة الشـــرق الأوسط، هذا صحيح ، تغير حتى في الأرض التي نشـــأ فيها السيد المسيح وهـــذا أيضا صحيح. ولا نقدر أن ننكر هذا الواقع. ماهي الأسباب؟ هذه الأمور لا دخـــل لنا فيها وليست هي موضوع بحثنا. ونتمنى أن يكون الجيب المسيحي المنظور والمـــلموس بالفعل مسيحياً، ولنا الحق أن نتمناه ملموساً. وهذا لا يؤذي أحداً وليس موجهاً ضد أحد.

وكمـــا قلنا نحن لا نقرر مصيرنا في كل شيء. وما نقدر أن نتمناه هو أن يكون لنا حق المواطنية الكاملة أينما كان في ديموقراطيات تحترم هذا الأمر أساسا في مـــبدئها. ونحن لا نكفر إذا تحدثنا باسم المسيح . ولا نهينن أحداً عندما نتكلم باسم الإله الواحد الآب والابن والروح القدس، ولا نهاجم أحداً إذا قلنا ذلك. وقد يكون غيرنا يهاجمنا. ونحن لا نقدر أن نهاجم الذي بعدنا لانه لم يكن موجوداً عندما كنا. وأتأمل بهذه الروح السلامية والمواطنية الصادقة وحتى ضمن الإطار العربي الشامل. لم يقـــل أحد أن العرب ما وجدوا إلا في القرن السابع المسيحي. هذا غير صحيح، فقد كانوا موجودين ومن حقنا أن نقول هذا الشيء لأنه صحيح وعسى أن تكون أرضنا ارض الحقيقة الآتية من السماء والتي يراها الناس. وهذا ما نتمناه دائماً.

طمس الوجود المسيحي في الشرق سياسياً ودينياً، ألا يضر بالعرب والعروبة؟

عـــلى المستوى السياسي قد لا يضر ولكن نحن ننظر إلى الأمور حضارياً،

وأعتقد أن طمس العنصر المسيحي في الشرق الأوسط يزيف روحانية الشرق الأوسط الذي فيه نشأت اليهودية والمسيحية والإسلام. والتنكر لأي دين من هذه الأديان يبتر التراث الروحي في الشرق الأوسط.

غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع هو بطريرك الحوار، هل الحوار مسموح به في الشرق الأوسط اليوم في زمن الحروب والغرائز والعصبيات والأصولية؟ وهل يصل الحوار إلى نتيجة ملموسة؟

نتيجة الحوار المهمة جدا هي أن الناس يتحدثون إلى بعضهم. واللقاء قد ينتج عنه تقارب روحي ونفسي. ففي العائلة الواحدة هناك قناعات ليست واحدة، ولكن في العائلة الواحدة مواجهة و لقاء ينتج عنه صفاء و تقبل للأخر لا بل محبة. فنحن نحب الآخرين وننظر إليهم بكل صفاء. لهذا السبب فإننا لا نحقد على أحد مهما اختلفت آراؤه عن آرائنا.

وأعتقد أن الحوار عمل غير مصطنع، ونحن في الشرق الأوسط نواجه كل يوم الذي يعتقد مثلنا والذي يعجبني أو لا يعجبني. وأتحدث باسم كل فرد في الشرق الأوسط.

لذلك فان ما يسمونه تعايشاً، المقصود فيه هو اللقاء في مستوى العيش، اللقاء الدائم بين كل الأشخاص بصرف النظر عن اعتبارات من هم وما هم وكيف يفكرون وما إلى ذلك.فالانعجان يحصل إذا رأى الناس بعضهم، وإذا رأوا بعضهم على أساسٍ إنساني تعايشي أكثر منه على أساس أنني أريد أن يكون عقلك مثل عقلي وفكرك مثل فكري واعتقادك مثل اعتقادي. فهذا لم يحدث في التاريخ لا في كنيسة ولا في دولة ولا في شعب ولا في حضارة واحدة.

الشرق هو أرض المسيح والرسل وهو أيضاً أرض التحديات والمشاكل والقضايا. والمسيح جاء من أجل السلام فهل قضايانا ستصل إلى السلام برأيك أم سيظل شرقنا

مختبراً للأسلحة والدمار والخلافات؟

شرقنا ولو كان منشأً للديانات فهذا لايعني بالضرورة أن الدول التي فيه أو الهيـــئات السياسية أو التصرف السياسي فيه هي على أساس الإنجيل أو مستمدة من الديانة السماوية أو أي شيء من هذا النوع. يجب أن نميز بين المستوى الديني الروحي وبين الممارسة السياسية، ونحن نعلم أن ليس من دولة تجعل من نفسها كنيسة. ونأمل ألا تجعل أية دولة من نفسها مقراً دينياً. ومهما كانت قناعاتك لا تستطيع أن تكون يهودياً، ونأمل ألا يكون عندنا فرقاء آخرون لديهم نفس الموقف.

أنـــا لا أعـــتقد أن الشرق الأوسط تحكمه الملائكة وأن الجميع بلا خطيئة، المستوى السياسي مستوىً عالمي اختباري حسب قوانين تتعدل مع الحاجة والظروف، لذلـــك لا أحب أن نتهم الأديان بسبب الزلل الذي نراه بعض الأحيان، فالأديان لا تدعو أحداً لان يرتشي أو يحتقر أو يعذب الآخرين. وإذا كان هذا الشيء يحصل فإنه يحصل في نطاق التركيبة الحكومية التي كما قلنا ليس كل الذين فيها قديسين، حتى في الكـــنائس ليس الكل قديسين. أتمنى أن ننـــزّه الديانات المشرقية عن أعمالنا الفردية ضمن المؤسسات لأننا نعكس فيها شخصياتنا أكثر مما نعكس الإيمان الحقيقي الذي ننتمي إليه. فكلنا جماعات نولد بالخطيئة ونعيش في الخطيئة.

محبـــتكم للبنان معروفة، ومواقفكم العادلة والمعتدلة من قضاياه أيضا معروفة، انطلاقاً من هذه المحبة ما هو رأيكم بمصيره؟

مصير لبنان واضح وهو التأكيد على وجوده مستقلاً حراً كاملاً من حيث جغرافيـــته ومن حيث شعبه الواحد. ونحن نحب أن نصدق ذلك لأننا نعتقد أن هذا شيء جيد جداً.

ولكنـــنا بالفعل لا نعرف كيفية ترجمة هذا الأمر على الأرض سياسياً، ولا

نستطيع القول إننا وصلنا إلى شيء نهائي من حيث التعبير عن هذه الأمور لان هناك خطـــوات باتجاه توضيح هذه الأمور. ما المصير؟ لا أعرف، ولا أدري إذا كان أحد يعـــرف. قـــد يكون أن الذين يتخذون القرارات لكل منطقة من الخارج والداخل يعرفون أكثر وهذا شيء طبيعي، أما نحن فإننا مندمجون بالمصير كائناً ما كان ولسنا من يقرر كل شيء.

بطريرك العرب ماذا يقول للعرب بالنسبة إلى لبنان؟

لبنان عزيز جداً ومهم جداً، وأعتقد أننا نخسر جميعاً إذا خسرناه.

سؤال بالنسبة للطائفة في استراليا، فسيادة المطران جبران تعود على الانفتاح على سائر الطوائف وعلى كل القوى الموجودة على الأرض، هل هي سياسة الكنيسة الأرثوذكسية أم أن شخصيته سلكت هذا النهج المعين بالانفتاح على الجميع؟

الـــذي تعـــنيه بالانفـــتاح هـــو الذي عنيته أنا بالحوار، شرط ألا نقع في السياســـات. الوضـــع هنا نستطيع من خلاله أن نخدم وطننا هناك إذا لم تكن عندنا الانقســـامات الموجـــودة هناك. هنا ليس عندنا الحكومة التي ننقسم من أجلها ولا الأرض الـــتي ننقسم عليها. ونكون أغبياء إذا وضعنا أنفسنا في هذا الوضع الموجود هناك فنتألم لأن فلاناً يتألم في الوقت الذي نستطيع فيه أن نساعده ونساعده مجتمعين.

حذار من التحزبات السياسية وأتمنى على الذين اضطروا أو أرادوا أن يتركوا بلادنا إلى بلاد أخرى أن يكونوا نموذجاً للوحدة فيما بينهم لأن ليس لديهم كابوس الأرض أو كـــابوس الوظيفة أو الحزبية أو السياسة، والتسلية بهذه الأمور هنا خطيرة جداً وتقلل من مساعدتهم للوطن الأم.

الاندمـــاج الأرثوذكسي بشكل عام في المجتمع الأسترالي الروحي والاجتماعي، هل أنتم راضون عنه، هل هو انتقاص من الروح الأرثوذكسية الأصيلة؟

بالعكس هذا الاندماج شيء طبيعي شرط ألا ننغمس بشيء ليس هو على مستوى الحوار الصادق الصافي الذي يعرف غايته ويعرف كيف يصل إليها. لا نريد أن نكـــون مـــتحزبين أبداً. تسألني إذا كنت راضياً؟ لا لست راضياً، لأنني دائماً لا أرضى عن شيء في الواقع لأنني أريده أن يكون في المستقبل أحسن. لذلك أدعو إلى قيـــام تكاتف، فنحن لدينا واجبات نحو الأرثوذكس الآخرين من الكنائس الأخرى، يجب أن تكون صِلاتنا بها مثلما هي صِلاتنا على مستـــوى الكرسي. ونحن، والحمد لله، صِـــلاتنا جيدة مع كل الكنائس الأرثوذكسية في العالم كذلك هي صِـــلاتنا مع بقيـــة الكنائس من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط ومجلس الكنائـــس العالمي. كمـــا أنه لدينا واجبات في الوطن كذلك لدينا واجباتنا تجاه القادمين منه كائنين من كـــانوا شـــرط ألا نـــتحول إلى هيئة سياسية بل بالعكـــس إلى هيئة تجعـــل الناس واقعيـــين. ويجب ألا نتقاتل هنا بسبب ما يحصل هناك. وهذا لا يفيد أبداً، والذي لا يصدق فلينظر إلى الواقع.

من زيارتكم إلى استراليا، هل استخلصتم شيئاً معيناً؟

الله أنعم علينا بأناس طيبين من كل الجهات، وقاعدة الاستقامة باقية محترمة ولـــو اخطأ الناس بالنسبة إليها. و لم تتغير أسس التفكير وأسس التصرف هنا. وهذا شـــيء جيـــد جـــداً عند شعبنا. أنا سعيد كثيراً أن أرى شعبنا، ولست سعيداً لأننا مقصرون تجاهه وأتأمل أن نقلل من تقصيرنا في المستقبل. وأنا أتطلع إلى عمل كنسي يستمر جدياً ويستمر فاعلاً منتجاً. ويجب أن يكون هناك تخطيط كبير في سبيل هذا الاتجـــاه. فشعبنا هنا والحمد لله بحالة جيدة، و لم أسمع أنه من فئة السارقين ولا الخونة ولا الغشاشين مع أن الصحف ملآى بهذه الأمور. وهذا شيء نعتز به.

هـــل المهاجر من الشرق الأوسط يتمتع هنا بحرية أكثر من الوطن الأم؟ وهل أفادت هذه الحرية أو أخرت بنظركم؟

أعـــتقد أن الإعلام هنا ليس للدولة، ننظر إلى الصحف فنراها غير محتكرة، الجهـــاز الحكومـــي ليس منعزلاً عن الشعب والشعب ليس بحاجة إلى وصي عليه، يستطيع أن يتكلم مباشرة وهذا شيء ثمين جداً أما نحن في الشرق الأوسط فيجب أن نتقدم كثيراً في هذه الحقول.

صاحب الغبطة هل تنوون إقامة أي مؤسسة في استراليا؟

طبعاً، لا بد من إقامة مؤسسة لأنها ضرورية للاستمرار ونحن نفكر أن نبدأ عـــلى الأقل بدار للحضانة ومع الوقت تتطور الأمور "واللي ما بتعلمو ما بيقلك يا معلمي، بيقولها لغيرك".

كلمة أخيرة لأبناء الجالية؟

عافـــاهم الله وقواهم وأدامهم، الحمد لله أنه يوجد أناس يَجِدّون ويعملون وينتجون بكرامة ليقدموا ما أعطاهم الله من مواهب وهذا شيء محترم جداً وأتمنى ألا يفقدوه في وقت من الأوقات.

الأرض التي ليس فيها إنسان ليست وطناً*

ثمـــة مـــن يـــرى أن جامعة البلمند قد تكون الأولى على شاطئ المتوسط إلى جانب دير البلمند الأثري فهل توافقنا هذا الرأي ؟

عندما أسس هذا الصرح، أو هذه المجموعة التربوية (الثانوية، كلية اللاهوت ثم الكليات الجامعية). كانت هناك رؤية تدور على أن كل شئ في هذه المنطقة –على هـــذه التلة– ينبغي أن يكون منسجماً مع روح هذا الدير الذي هو من القرن الثاني عشر. وكنا حريصين على أن كل شيء خطط لإنشائه هنا يجب ألا يغطي على الدير. ولذا ترون مثلاً، أن أعلى نقطة في البناء الذي نحن فيه هي أخفض نقطة بالنسبة إلى الدير. أي أن دير البلمند لم يحجبه أي بناء مما حوله. وهندسة الجامعة حرصت على توجيـــه جميـــع محاورها نحو الدير، وهي مناسبة لخطوطه. كانت الرؤيا الأساسية أن الإنســـان يتعلم في مكان ويتثقف في مكان ثان ولكننا هنا جمعنا التعليم والثقافة في مكان واحد مضيفين إليهما البعد الديني، البعد الروحي. نحن في الشرق الأوسط عندنا كلنا هويات روحية وقد يكون من صفاته خلافاً لكل بقاع العالم ، أنه منبع الديانات ومنبع التوق الإنساني إلى الله، ومحط المحبة الإلهية للبشر.

ولـــذا رأيـــنا أنه يجب أن يكون على تلة البلمند تعليم صحيح من الدرجة الأولى إنمـــا تعلـــيم مرتـــبط بالبعد الروحي. فنحن لا نريد أن نخلق إنسانا بلا قلب لايتمكن من رؤية الإنسان الآخر. نقول إن الله عبر عن ذاته في العالم بمجيئه متجسداً في بيـــت لحم وفي القدس،وبكلام آخر وفي أرضنا. وأنه زار صور وصيدا كما زار الرسل دمشق وغيرها من بقاع الأرض. نقول هذا الكلام لنؤكد أن الإنسان ينبغي أن

* مؤتمر صحفي في البلمند، "النهار" اللبنانية، ١٩٩٢/١٠/٣٠

يصاغ بصورة إنسانية، وأن ينظر إلى أخيه بصورة إنسانية أيضاً، لا كقطعة من خشب أو كأداة لاستعمالها والتعامل معها أو كمادة للدرس.

ما كلمتك السبت (غداً) في مناسبة تخريج الدفعة الأولى من طلاب جامعة البلمند؟

إن عـــندي وضعاً خاصاً بالنسبة إلى هذا الاحتفال لأنه سيكون لي الحظ، بـــنعمة الله وبإذنـــه، أن أكون أول بطريرك أرثوذكسي يقف على منبر جامعة تابعة للكنيسة الأرثوذكسية تقدم أعلى الخدمات وأفضلها إلى جميع أبناء الوطن. هذا لم يتم قبلاً، ولا سابقة لـــه. لذلك سأكون، من الآن، شاكراً لله لأنه أعطاني أن اقف هذا الموقف الذي لم يتثن لأحد في طائفتنا وربما في الطوائف الشقيقة .

ما انطباعك من لقاءاتك السياسية في بيروت وقبلها في سيدني ؟

أحب أن أسجل أولاً، ما لقيت في أثناء رحلتي إلى أوستراليا. هناك التقيت كـــل الهيـــئات، أي كـــل الطوائف والأديان، وكل من هاجر من هذه المنطقة إلى أوستراليا. وكنت أدعوهم إلى أن يحاولوا الاتحاد وتكوين عائلة واحدة أي ألا ينقلوا وضعنا الذي فشلنا فيه في الشرق الأوسط كله. نحن هنا فشلنا في التعبير عن الوحدة بالتوحيد، وانقسمنا. وفي اعتقادي سنبقى منقسمين مدة طويلة. كنت أطلب إليهم، لكونهـــم متحررين من كثير من القيود والاعتبارات التي تمنعنا من أن نتحد في هذه المـــنطقة دينياً وسياسياً واجتماعياً، أن يبقوا متحررين ويبرهنوا أننا، لكوننا من هذه المـــنطقة، مشـــرقيون يمكنهم الاتحاد. وكنت أطلب إليهم، كما تتمنى السلطات في استراليا، ألا يكونوا مجرد عددٍ طالبين للعيش .

وقال لي مسؤولون أوستراليون إنهم حديثو العهد كأمة، عمرهم لا يتجاوز قرنين وهم يشعرون بأنهم في حاجة إلى جذور لا تأتيهم إلا من جماعات كجماعاتنا الـــتي تذهـــب إليهم من عندنا ووراءها تراث من آلاف السنين. إنهم يطلبون أن لا

نذوب هناك بل أن نكون حاملي رسالة ويتوقعون أن تكون لأبنائنا المساهمة الكبرى في حضـــارة أوستراليا وحياتها، وأن نضيف إليها ما ليس فيها. وفي اعتقادي أن الجو هناك إذا اختمر يأتي بعجين جيد، وطعام لا شك في أنه سيكون لذيذاً جداً.

أمـــا في بيروت، فالتفاؤل واجب. التفاؤل في الخارج يعبر عنه بالعودة إلى أرض الأبـــاء والأجـــداد. والوطن يحدده العنصر البشري، والأرض التي ليـــس فيها إنسان ليست وطناً لأنها ليست وطناً لأي إنسان. ونحن لا نزال في حال انتظار لأن تكـــون في هذه المنطقة عامة ولبنان خاصة مشوقات كافية وضمـــانات كافية لكي يعود إليها، واليه، من تركهما لأنه شعر أن ليست عنده ضمانات كافية لمعيشته ولا أبواب للمستقبل.

ماذا عن أمل اللبنانيين في الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي ؟

أعتقد أنه كان جيداً أن تكون في لبنان حكومة. وكان جيداً أن ينتهي دور الحكومة السابقة. وكان واجباً التفكير في حكومة جديدة. وكان جيداً أيضا تكليف الشـــيخ رفيق الحريري. أقول هذا من خلال تعاطف شخصي بيني وبينه. أنا أعرف الـــرجل، وأعرف أنه في غاية الجدية وصادق، وفي لأصدقائه. أما التركيبة الحكومية الجديـــدة فلا أعرف ما هي. إنما أتمنى أن تكون مبنية على أساس التعاون معه، لا أن يكـــون هـــناك أطراف يهمهم أن يرضوا بوجود ممثلين لهم في الحكومة من دون أن يكـــون لديهـــم هـــاجس فريق عمل حكومي متجانس، قوي ومخلص، يعطي الثقة للبـــنانيين. الشـــيخ رفيق الحريري، كشخص، أخذ ثقة اللبنانيين. فهل الفريق الذي سيكون معه سيكون فريقاً فاعلاً مساعداً ؟ هل تكون النفسية نفسية المعاونة أم تكون هناك العقلية السابقة، عقلية التمثيل وإن على حساب توزيع الطاقات وبعثرتها ؟

هل من اتصال بكم لتمثيل الذين قاطعوا الانتخابات النيابية في الحكومة ؟

لم يجرِ معي أي اتصال في هذا الشأن.

ما هو في رأيكم دور المعارضة المقبلة ؟ وماذا يمكنها أن تفعل من أجل لبنان ؟

أنـــا أعـــرف أن مبدأ المعارضة عنصر جيد، وأكره أن يكون في هذا البلد الواحـــد صـــوت واحد لئلا يتوهم هذا الصوت أنه وحده صوت الله على الأرض. المعارضة أمر صحي يجب أن يكون. أما المعارضة الحالية في لبنان فلا أعرف فيها أحداً ممن حدثني أو ممن اتصلت به لا يريد أن تصب معارضته في مصلحة لبنان المدعو إلى الوجود الحر المستقل السيد على أراضيه كاملة وطاقاته كاملة. أنا لا أعرف معارضة قالت عن ذاتها إلا هذا القول.

إنما كيف يمكن توحيد رؤية المعارضة ورؤية الموالاة في منحى واحد لمصلحة لبنان ؟

من واجب القوى السياسية المعارضة والموالية أن يأخذ الواحد منها الآخر في الاعتـــبار، وأن يكون مكمِّلاً للآخر. ثمة معارضة في دول كثيرة في العالم إلى جانب الموالاة، وينبغي أن نتعلم منها كيف يتعايشان ويتكاملان.

هل ترى ضرورة تمثيل المعارضة في الحكومة الجديدة ؟

هذا عائد إلى الرئيس المكلف. أنا لا أعرف. الاختيار والانتقـــاء هما له. وأنا لا أعـــرف ما هي المعايير والاعتبارات التي عنده لاختيار شخص في المعارضة أو غير المعارضة لتولي حقيبة وزارية.

ثمـــة مَـــن يطالب بحصص لـــه أو لطائفته في الحكومة الجديدة. هل ترون حصة الطائفة الأرثوذكسية كافية وافية في الجمهورية الثانية ؟

قلنا إن تقويم الانتخابات شيء والترشيح والانتخابات شيء ثانٍ. في التقويم

الكنسي، لا المرشحون كنسيون ولا الناخبون كنسيون. معنى هذا أن النواب ليسوا عندنا كهنة. هم نواب أرثوذكس ولكنهم نواب لبنانيون. بعض المرشحين لم نعرفهم، لم يتحدثوا معنا ولم نتحدث معهم. وإذا تم اختيار وزراء من الطائفة الأرثوذكسية يعبرون بما لديهم من طاقات ومؤهلات، عن روح الكنيسة البنّاءة، فهذا يسعدنا. أما إذا كان الانتقاء سيكون من النوع غير البنّاء، أو من النوع البنّاء، فنحن لا ننتقي. غيرنا ينتقي.

نفهم من كلامكم أن الكنيسة كنيسة والسياسة سياسة ولكل منهما مجاله فهل هذا استنتاج صحيح ؟

أعتقد أن السياسة من حيث هي تعاط مباشر إداري ليست من شأن الكنيسة ككنيسة.

يتردد أن مجلس النواب الجديد دوره هو إلغاء الطائفية السياسية في لبنان فما رأيكم في ذلك؟

أنا أرى أن عدم التسرع في إلغاء الطائفية السياسية مفيد جداً. يجب درس هذا الأمر بعمق، لان كلمة الطائفية لا تعني الشيء ذاته عند كل الطوائف الموجودة في لبنان. بعضهم إذا قلت لهم إلغاء الطائفية يفهمونها إلغاء دينهم. هؤلاء علينا أخذهم في الاعتبار. وليس علينا أن نكون مرضى في قضية الطائفية. وإذا كان اسمها عندنا طائفية، فاسمها عند غيرنا أحزاب أو حزبية.

ويتردد أيضاً أنه سيكون للمجلس دور في مسألة التوطين الفلسطيني في لبنان فهل أنتم مطلعون على هذا الأمر؟

لا أعرف ماذا سيفعل هذا المجلس. التوطين يخص لبنان كله، وعلى الدولة أن تكون عندها اعتبارات لا أعرفها. آذاننا من زمان انثقبت من الكلام على ضرورة حل

المسألة الفلسطينية بإعادة الفلسطينيين إلى أرضهم. هل جد أمر آخر لا أعرفه؟ إنه من اختصـــاص ذوي الشأن من السياسيين الذين لا يعملون كلهم بما يقولونه. ماذا وراء الأكمة ؟ لا أعرف إنما لدينا متسع من الوقت لنعرفه.

ما رأيكم في المفاوضات الجارية (في إطار مؤتمر السلام للشرق الأوسط) في واشنطن؟

نـــتوقع أن يحـــدث السلام في وقت من الأوقات لأنه لا أحد قادر إلا على اعتماد السلام.

وهل يحدث قريباً في ظل الانقسامات في الشرق الأوسط؟

ثمـــة نوع من السلام لا يتم إلا على أساس وجود الانقسام. ما دام لأميركا دور بين الافرقاء، فمن يكون رئيسها سيؤثر حتماً في مسار المفاوضات.

إســـرائيل تضـــع عراقيل في وجه السلام باعتدائها المتكرر على لبنان. فهل سيؤثر ذلك على السلام؟

أميركـــا رأت، كمـــا قرأت في الصحف، عرقلة للسلام فيما يجري: عرقلة للمفاوضات، وعرقلة للبنان وغير لبنان. ماذا بعد ؟ لا معطيات لدينا عن الموضوع.

هل تأجيل الانتخابات الأميركية هو في هذا الإطار؟

هذا اعتراف بأن الافرقاء عاجزون عن أن يكون "رسن" كل منهم في يده. انهم ينتظرون من يشد لهم "الرسن" إلى طرف من الأطراف.

أترون أن لبنان دخل أخيراً مرحلة البناء؟

القـــول هـــو هكذا، ولكن الواقع لا يسير في سرعة الرأي. أمام لبنان مراحل عدة يجتازها حتى نستطيع أن نقول إننا وصلنا. لا أعرف إذا كان دخل أخيراً مرحلة البناء ولكنني أتمنى من كل قلبي أن يدخل.

نحن أنطاكيون وسنبقى انطاكيين

وستبقى انطاكية عاصمتنا الرسولية*

سيدنا نحن سعداء جداً لموافقتك على المشاركة في هذا البرنامج الذي اسمه "حوار" مع العلم أن الحوار مع بطريرك صعب جداً لأننا تعوّدنا أن نستمع. ولكننا معك الآن في قيافتك البسيطة وفي هذا الدير الحلو. وسيادتك كنت تقول لنا دوماً إن الكنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة البساطة رغم المظاهر البيزنطية التي نراها في القدّاس من لباس مُذهَّب وتيجان وأيقونات أين منها الأيقونة التاريخية القديمة في هذا الدير الجميل.

ولكي نساعد المشاهدين الذين يتابعوننا، نقرأ فقرة من كتاب الدكتور أسد رستم حيث يعطي لمحة عن هذا الدير وفي مظاهر هذا الدير: «كان من مظاهر التفاهم والتعاون بين الموارنة والأرثوذكس قيام دير مار الياس الشوير إلى جانب مار الياس الموارنة في السنة ١٥٩٠. إذاً الدير يعود إلى الـ ١٥٩٠. ولعل لأسرة الجميّل المارونية فضلاً في وقف بعض الأملاك على رهبان الروم في هذا الدير. ولم ينقطع هذا التعاون في الشوير. ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر جدد الموارنة كنيسة ديرهم فقدَّم المعلم أسعد رستم الأرثوذكسي وقته وحذقه في صناعة النحت والبناء مجاناً وإنشاء الحنية والمذبح في الكنيسة الجديدة كما فعل قبل ذلك في دير اللويزة وفي دير مار بطرس في بيت شباب».

فاتني القول إن هذا أول دير يكون حائطاً على حائط مع دير أرثوذكسي وهذا ينفي الحديث أن الروم والموارنة غير متفقين.

---

* تلفزيون لبنان، حوار، الأستاذ غسان التويني، ١٩٩٣/٨/٥

عـــلى كل حال، شاء الله أن يكون هذا الحديث في اليوم الثاني للقمة الروحية. لذلك سنخرق كل القواعد ونرجوك، سيدنا، أن تخبرنا شيئاً عمَّا تمَّ في بكركي أمس وما هي أبعاد البيان الصادر ولا سيما الإشارة إلى مسؤوليات الآباء الروحيين؟

شكراً لإتاحة المناسبة حتى أتمكن من الحديث. بالطبع لم اختر أنا ذلك حتى لا يُظن أن الأستاذ غسان الشخص الذي أحبه وهو رئيس جامعتنا ليس له اليد الطولى في إقرار هذا الحديث. وقد يكون من الضروري أن نتعود الطاعة ونحن نمارسها الآن.

تعـــلم أن كـــل الإطار الذي عشنا فيه الأسبوع الماضي هو إطار مختلف. والضـــرب الـــذي طال أمكنة كثيرة دون شفقة أو رحمة أدى إلى أذية في الصميم. مـــئات الألوف من البشر اضطروا إلى مغادرة منازلهم. وبدلاً من هاجس المُهَجَّرين سابقاً وكيف سيعودون إلى بيوتهم أصبح لدينا الآن عدد كبير من المهجرين. أعني أن البلد كان بوضع لا يمكن للإنسان أن لا يتحسس به ويشعر بخطورته لذلك في رأيي أن اجتماع بكركي كان واجب الوجود وليس من الطبيعي ألا يحصل.

في نص الدعوى لطفاً قيل: تداعى الكل أي أنه لم يَدْعُ أحد الآخر، لم يكن هـــناك داعٍ ومدعـــو فقط لكن بالفعل كان هنالك عمل إرادي شامل حتى يحضر الجميع. وقد حضر كل رؤساء العائلات الروحية في لبنان دون استثناء. وبالفعل كان ظرف هذا الاجتماع ومعناه هامين جداً. الظرف تحدثنا عنه ولكن معناه يظهر في أننا جميعاً كنا نشكر الله كيف أن هذا الامتحان العسير القاسي الذي مرَّ فيه لبنان زاد كل اللبنانيين تقارباً وزادهم تراصاً. والحمد لله لم يخرج صوت واحد نشازاً إلا لشجب ما يحدث والقول إنه في النهاية ما يؤذي هو يؤذي الجميع بدون استثناء وإن علينا جميعاً واجـــب الصمود، واجب البرهان عن وحدتنا في لبنان. وقد أضيف إلى هذه الوحدة الموجة الشعبية الهائلة بالرغم من الأذى والآلام التي أصابت الناس. كذلك شكرنا الله أن جيشنا عبَّر عن وحدته وعبَّر عن وجوده. ونحن نعتز كثيراً بوجود جيشنا ونتمنى

له القوة. كذلك شعرنا كرؤساء للعائلات الروحية أنه علينا أن نشكر الله على الجهود الـــتي بذلتها الدولة. فالدولة اللبنانية بقيامها بهذه الجهود عبَّرت عن أنها دولة الجميع وليست فئوية كما كان قد يُظَن.

ولفـــت نظرنا أن النداء الذي (أطلق) في لبنان لم يكن صوتاً بدون صدى. فـــوزراء الخارجية العرب اجتمعوا بناءً على هذه الدعوة. وهذا يعزِّي اللبنانيين وقد يكـــون فرصة لكي يُعبِّر من هم وراء الوزراء عن تفاهم أكثر أو تضامن أكثر حيث تدعو الحاجة.

نحن في هذا الاجتماع كنا كلنا متفقين أن هذا ما يجب أن نعبِّر عنه. وهذا هو شعورنا، وهذا هو الواقع.

الـــذي تتفضل وتقوله بأسلوبك الناعم وهو أن أحداثاً كهذه كانت في السابق تقسمنا. ولكـــنكم في هـــذه المـــرة لم تجتمعوا لتوجدوا الوحدة فالوحدة كانت موجودة وجاءت رئاســـات العائلات الروحية تعبِّر عن هذه الوحدة وتكرِّس هذه الوحدة. فهـــل يوجد أكـــثر مـــن مجرد تكريس وأخذ علم وصلاة ودعوة؟ هل ما قيل عن مسؤولية القيادات الـــروحية يبشر بعمل (نحن لا نريد لرئاساتنا الروحية أن تتولى السياسة ونحن مع إشارة غبطـــتكم لـــلدولة) يُفَعِّـــل دور الرئاسات الروحية في بلسمة جراح ١٧ سنـــة؟ وهنا تحضـــرني كـــلمة للأســـتاذ نبيه برِّي وهي: إن شاء الله تكون هذه الحرب آخر حروب الآخرين على أرضنا.

الآخـــرون تمكنوا من تفريقنا في الماضي وهذه المرة لم يتمكنوا من تفريقنا. مـــاذا يمكننا العمل حتى ننطلق نحن إيجابياً من الواقع الذي لمسناه وعبَّرنا عنه في بيانٍ بَلوَر الشعور.

إذا كان لوحظ في بياننا أنه حصل حديث عن مساعدات وعن إغاثة. كان

شـــيء واضح عند الجميع في الاجتماع أنه يجب أن لا نحل محل الدولة بأي نشاط أو بـــأي عمل على هذا المستوى لأنه في حالة الحماس المشروع، وهذا جيد، كان الظن أنه يجب أن يقوم كل إنسان بجهد خاص. قلنا ما دام المخاطَب هو واحد وهو الشعب اللبـــناني فيجب أن لا نزيد في الأسئلة عليه ما دام هنالك صندوق للإغاثة، وما دام هنالك تبرعات تأتي من هنا وهنالك والتي نتمنى أن تصل إلى الحد الذي تستحق فيه أن تُذكر.

وهل هنالك لجنة متابعة؟

نعم توجد لجنة متابعة. معنى ذلك أننا مستعدون للاجتماع وسنجتمع أكثر فأكثر وبانتظار ذلك تقرر أن تتمثل كل العائلات الروحية في لبنان في وفد يذهب إلى زيارة وتفقد المهَجَّرين السابقين واللاحقين. المهم أن نزور كل الأماكن التي أُصيبت وأن يوضع برنامج لذلك ليرى العالم والشعب وحدتنا.

معـــروف عن غبطتكم التحفظ وعدم الرغبة في الغوص، يوجد في لبنان نتيجة هذه الـــ ١٧ سنة من جهة نزعة إلى الوحدة وتوبة عن الانقسام، ومن جهة أخرى جهود مستمرة للـــتفرقة! طبعاً يوجد تيار قوي وهو تيار الحوار المسيحي الإسلامي الذي غبطتكم كنتم من دعاته ولا تزالون وأُحِب أن أُذكر أنكم كنتم أستاذاً للإسلاميات في الجامعة اللبنانية. وسواك من الأرثوذكس كان لهم دور كبير في الموضوع. هذا الحوار الإسلامي المسيحي لـــو أحببنا أن نرتب مؤتمراً في بكركي أو سواها حتى ينعقد لظَهر مصطنعاً. الآن حصل كـــأخذ علم بواقع، لأن الشعب كان في وضع الحوار. فإننا لم نسمع أصوات نشاز، ولا شماتـــة. والحـــوار المسيحي الإسلامي في نظر غبطتكم ما مداه وهل عندكم تحفظ على التعبير؟ وهل يكون في الحياة، في الواقع، في السياسة، في الدين فقط؟

موقفـــنا ليس حديث العهد ونحن نتحفظ حتى على كلمة حوار لأن الحوار يكـــون إجمالاً بين أطراف مختلفة. وإن ما يُدعى حواراً نحن ندعوه لقاء. منذ ١٤٠٠

ســـنة نعيش واقع الحدث الإسلامي المهم جداً جداً، مهم للشرق الأوسط كله، مهم لـــلعالم كله ولا يوجد إنسان لا يشكل هذا الحدث أهمية بالنسبة إليه. لذلك فكلمة الحوار هي أضعف بكثير من أن تعبر عن هذا الواقع. ١٤٠٠ سنة لم يعد يجوز بعدها أن يتكلم الإنسان عن طرف يخاطب طرفاً آخر. هذا مضى عليه الزمن. وأنا شخصياً، وباسم كنيستنا كان يُسعدني دائماً أن أقول بأننا لا نحتاج فقط إلى أن يُسْمِع الواحد مـــنا الآخـــر كلاماً بل يجب أن يفتح عينيه فيرى أنه لم يكن يوجد في أي وقت من الأوقـــات مصـــير منفصل. فمنذ عهد الصليبين وغيرهم كان كل من يأتي هذا البلد ويجتاحه كان يجتاح الجميع. وعندما كان يقع ظلم فكان يصيب الجميع. نحن منفتحو العيـــون ونرى كل يوم -وأنا هنا أبسِّط الأمور للفهم- أن لقمة الخبز التي نأكلها لا تصنعها يد واحدة بل أيدٍ متعددة متضافرة، متكاملة، متعايشة بالمعنى الحقيقي للكلمة. بمعـــنى أن العيـــش الواحد يضم اثنين وليس واحداً. وهذا كله يجعلنا نحس بأننا لسنا وحدنا في الساحة. وهذا واقع ويكون الإنسان غبياً إذا لم يتطلع جيداً ويرى.

أنـــا مـــن القائلين إننا نحتاج الآن أن نفتح أعيننا جيداً فالواقع الآن لا يُقرأ جيداً. نحن نعيش معاً منذ مئات السنين فلماذا لا يُقرأ هذا الواقع. نحن نعيش مصيراً واحداً فلماذا لا يقال هذا الشيء؟ لماذا لا يُعلّم، لماذا لا يُدرَّس وهو يعبَّر عنه في كل يوم. يوجد موضوع حي واقع لا يُعبَّر عنه. وهذا ما يجعلني أقول إن كلمة حوار هي فقيرة جداً بالنسبة لهذا الواقع.

دعـــني أَعُـــد إلى كلمة قلتها، لأن بعض الأقلام غير المسؤولة تقول بأن الصليبيين جاءوا كحركة ضد الإسلام. والواقع أننا نحن الأرثوذكس نحمل هذه الجراح في قلوبنا ولا بأس أن نـــتحدث كأرثوذكس ولو اتُهمنا بالتعصب. نحن نعلم أن الصليبيين عندما أتوا كان أول شـــيء فعلوه هو هدم الإمبراطورية البيزنطية المسماة الرومانية الأرثوذكسية. ثم في الكنيســـة الأنطاكيـــة التي هي كنيستنا كان عمل الصليبيين من هدمٍ لكنائسنا وأديرتنا واحـــتلالهم لبيوتنا يتجاوز ما فعلوه مع الإمارات الإسلامية. فهل هذا صحيح أم هنالك

خطأ في معرفتي للتاريخ؟

لســـت مخطئاً وأنت تعرف التاريخ ويجب أن يعلم الناس بأنك تعرف. ما أعتقده أننا لسنا في صدد اتهام الصليبيين لأنه في المراحل الأولى عندما كان موضوع القدس يُطرَح على أنه في أيدٍ غير مسيحية كان ذلك سبباً لتهييج الشعب. ولكن فيما يخصـــنا جُعِـــل بُدلاء لنا فحل مكان البطريرك بطريرك آخر وكذلك مكان المطران والكاهن. إذن جاء الصليبيون ووضعوا بديلاً منك وهذا يعني أنك مدعو للزوال.

هـــل صـــحيح أن الصليبيين لم يأتوا بحركة دينية استدرجناها نحن لحماية المسيحيين من الإســـلام إنما أتوا بحركة أوروبية استعمارية وضربوا كل مؤسسات المشرق وفي طليعتها المؤسسات المسيحية والكيانات المسيحية؟

لقد حاربوا الشيخ ولكنهم لم يزيلوه بينما أنا أُزلت بالكلية. نحن لم نَدْعُهم إطلاقاً. والحقائق التاريخية واضحة في هذا المجال.

في موضوع البوسنة والهرسك يؤخذ على المسيحيين ولا سيما الأرثوذكس أنهم منحازون مـــع الصـــرب في مواقفهم الفظيعة والمستفظعة ضد المسلمين. وقد قرأت لك تصاريح عديدة وبيانات صدرت. فهل لك أن تساعدنا في إزالة هذا اللبس؟

أعـــتقد أن هـــنالك دسَّـــاً في وسائل الإعلام، عندما كان يقال: الصرب، الكـــروات والمسلمون. كانت تستعمل العبارة الدينية لفئة من الفئات وليس للباقين وكأن المقصود هو إثارة نعرة دينية فيما الواقع أن كل يوغسلافيا هي ابنـــة خمسين ســـنة عـــلى الأقل من لادينية وبالتالي مسيحياً لم يكن عندهم إنجيل. إنهم ملحدون وكذلك بالنسبة للكروات والبوسنيين فالحكم كان شيوعياً ملحداً. بعد خمسين سنة كيـــف ظهر المعمَّدون الأرثوذكس، وقد يكونون غير معمدين. وجاء الكاثوليكيون وقد لا يكونون كاثوليك، وبرز المسلمون. لا أدري. أعتقد أنها كانت لعبـــة إعلامية

لا شك في ذلك.

في موقـــف الكنيســـة الصربية نحن رأينا صور مظاهرات للشباب في الشوارع يتقدمها البطريرك الأرثوذكسي وهي معادية لما حصل ويحصل؟

نعم قد تكون المرة الوحيدة في التاريخ التي فيها ينـــزل البطريرك في ثيابه الحبرية إلى الشارع ويسير في مظاهرة ليقول لحكومته إن هذه الحكومة لا تسير حسب مبادئ الكنيســـة. نحن نرفض أن يقتل الأخ أخاه. عندنا لا تفريق بين الأخ والأخ ولذلك نشجب كل ما حصل ويحصل. وقد أصدرنا بيانات باسم المجمع المقدَّس وفي "النهار" حصراً نُشرت بيانات عدة. نحن لسنا قتلة ولا أصحاب مذابح. لسنا عرقيين لذلك لا يكفي أن يكون أحدهم أرثوذكسياً لأقف إلى جانبه وأقول الحق معه. هذا لا يحصل وأنت تعرف أننا نختلف فيما بيننا وليس شهادة حسن سلوك دائماً أن يكون الإنسان أرثوذكســـياً. لذلـــك مـــا أعـــتقده أن نُجَـــرَّم بما يفعله آخر في مكان ما ويَدَّعي الأرثوذكســـية فأنا لا أجاري هذا العمل. نحن لم نرسل أسلحة و لم نرسل متطوعين وهذا ليس عملنا. نحن لسنا كذلك.

(وهنا ناول الأستاذ غسان تويني صاحب الغبطة نص الكلمة التي ألقاها في مؤتمر القمة الإسلامية في الطائف ليتلو منها بعض المقاطع).

فقرأ صاحب الغبطة المقاطع التالية:

"المســـيحيون المشـــرقيون مثلكم ينشدون وجه الله، وفي نوره تعالى يسعون إلى أصالة الإنسان وحريته. والفرح يملأ قلوبهم ويتعاظم كلما شهدوا في شعوبكم ازدهاراً واندفاعاً وراء الحق والعدل. فالعدل قبس سماوي وتقرُّب إلى الله وإعراب عن الطاعة الحقيقية للذات الإلهية".

"القدس أيها الإخوة قلب إنسانيتنا، وما يصيبها يصيب كل بشري بمقدار".

"عهدنـــا مع القدس عهد طويل، نحن نصلي وهي مدينة الصلاة ولنا بها صِلات روحيـــة إيمانية أبدية. وفيها يرفع العبادة إلى الله كل عُبّاد الإله الواحد الأحد، وفيها يلـــتقي المصـــلي أخاه ويتعرَّفه. إن للقدس وجهاً روحياً دينياً إنسانياً لا سمح الله بأن يُمسي مجرد شأن سياسي".

"الفلســـطينيون أصـــحاب البيت فكيف يجوز تحويلهم في بيتهم إلى زائر وعابر ســـبيل؟ وكيف لا يكون لهم في القدس حق الوجود والبقاء؟ القدس قدس إذا كانت المدينة والشعب، لا المدينة بدون الشعب ولا الشعب بدون المدينة".

"في القدس نلتمس وجه الله وفي لبنان نلتمسه كذلك".

"لبنان دمه يسيل وجراحه أعظم بكثير من أن تندمل بالتأوّه والتأسِّي. إن لبنان اليـــوم يـــناجي القـــدس في فرادته وأصالته. والقدس اليوم تستدعي لبنان في فرادتها وأصالتها. والقدس ولبنان في دنيا العرب قطبان وركنان وضرورتان لكل سلام".

"آمالـــنا بكم كبيرة لأن ثقتنا بكم عظيمة عظم محبتنا، فالله نسأل أن يغمركم بغيث نعمته وأدعية المؤمنين ترافقكم. كان الله معكم".

في هذه الكلمات شيء من بلاغة البطريرك هزيم وإذا سمحت أن نستطرد من هذا الشيء فنقول لقاء القدس ولبنان، هذه الوحدة العظيمة قد تكون هي اللازمة وراء كل الحروب الـــتي عشـــناها. فهـــل البطريرك أغناطيوس الرابع متفائل بما أسماه اللقاء بين المسيحيين والمســـلمين، بـــالعيش المشـــترك وعلى أي صعيد؟ وهل من المصلحة أو ثَمة فائدة من الذهاب غوصاً في تفسير ما نلتقي عليه؟

أنـــا إنســـان واقعـــي انطلاقاً من إيماننا. نحن نعتقد أن الله نزل إلى الأرض وتجسَّـــد. وبالتالي اخترق التاريخ وصار واقعاً تاريخياً لذلك إذا كنا نتكلم في الواقع فنحن نتحدث في صميم إيماننا.

كمـــا حـــاولت أن أقـــول سابقاً، عندنا الإسلام ليس حدثاً غريباً ولذلك فالـــتعاطي المتـــبادل نعيشه كل يوم ولذلك فإني أعتقد أنه لا يوجد عندنا أي سبب للتشـــاؤم. وأعتقد أنه إذا كان عندنا أي عنصر لعدم التفاؤل فنكون مقصِّرين باتخاذ العناصـــر التي يمكن أن تبني عليها مستقبلاً يختلف عن الشيء الذي نتذمر منه أو ما يتذمر منه البعض.

أنـــا ذكـــرت في أحـــد الأحاديث فقلت ما هو لاهوت الحَضْرَة؟ نحـــن حاضـــرون مع بعض. الله خلقنا. لماذا؟ هل عن غباء؟ حاشى لله ذلك. نحن جميعـــاً نقـــول بخالق واحد معنى ذلك أنه لا توجد خليقة ليست من صنعه. يعني أنت الذي أتفـــق معـــك من صنعه وكذلك أنت الذي أختلف معه بالرأي والمزاج كذلك من صـــنعه. لذلـــك هنالك باب كي نفتح عيوننا ونتطلع ونرى إذا كان الخالق واحداً فيكون للخليقة عناصر مُوحِّدة.

ســـيدنا في أول حديـــث قمتُ به كان من سماحة السيد محمد حسين فضل الله وطرحت عـــليه أسئلة مماثلة لما سمحت وطرحته عليك وفاجأته بقصاصة صحيفة جلبتها معي وهي عظـــة للـــبطريرك أغناطيوس الرابع في القيامة خلال قدَّاس الفصح في المريمية – دمشق واستشـــهدت لـــلمرة الأولى في عظة من الباب الملوكي بكلام سَمَّيته البيان الإلهي من القرآن الكريم وأنا قرأت هذا الشيء على سماحته وسألته رأيه بأن يعظ حَبر مسيحي هو من كبار أحبار أنطاكية بهذا الكلام (وهنا تلا صاحب الغبطة بعضاً من العظة):

يقول البيان الإلهي: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين". "وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدنـــاه بـــروح القدس" صدق الله العظيم. وصدق الله العظيم هذه مني لأن المؤمن يقولها لأن هذا الكلام هو كلام الله.

وأنـــا أعتقد أن الإخوة المسلمين يقولون إن هذا الكلام هو كلام الله. ولقد

استطردت ويزيد البيان الإلهي ترسيخاً للإيمان بالقيامة- لأنني أفتش عن التعبير للإيمان بالقيامة من قِبل أخي الذي يسمعني - القول السامي، قول الرب يسوع: " السلام عليَّ يوم ولدت ، السلام عليَّ يوم أموت ويوم أُبعث حياً"- وهنا أضفت السلام للإلقاء فقط والآية في الأصل هي "السلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعثُ حياً"

صادق هو الله عندما يتكلم عن أن المسيح فعلاً وِلدَ وأنه حقاً سيموت وأنه فعلاً سيقوم من بين الأموات. وبالفعل عندك أشياء أنا غير متأكد أنها تُقال وأن معظم الناس يعرفونها.

أنا من المؤمنين أن أقوال القرآن الكريم بالرب يسوع لم تأت من طريق الصدفة. إذا كانت واردة في البيان الإلهي وهي كلمات إلهية فلتُعتَبر كلمات إلهية. أنا عندما أقول بالقيامة وأقول إن الرب يسوع ولد بشكل عجائبي وإنه جاء ليموت ثم يقوم فأنا لا أتحدث بشكل مغاير للإلهام الإلهي كما ورد عند المسلمين وكما ورد عندنا نحن.

تلقيت بطاقة معايدة من حزب الله وسواي كذلك بمناسبة عيد الميلاد فأرجو قراءتها:

باسم الله الرحمن الرحيم "إنما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله وبرسله". صدق الله العظيم.

أعتقد أن أشياء من هذا النوع من المفيد جداً أن تُعرف، وإنا ممتنون جداً لنشر أشياء من هذا النوع. بالفعل لا يأخذن الإنسان ظَنَّهُ بالآخر كأنه هو صورة الآخر فليسأل الآخر. لماذا أُحيكُ ظنوني حولك وأستغني عنك مكتفياً بظنوني.

أعتقد أننا بحاجة ماسة أن نلتقي أكثر مما هو حاصل الآن وأن نتكلم أكثر وخاصة نحن نعيش معاً ونموت معاً ولا أحسب أنه يوجد أهم من الحياة والموت لأن

الباقي تعبير وليس أكثر من ذلك.

سيدنا كي نختم هذا الباب. حدث أخيراً مؤتمر في البلمند بين الكاثوليك والأرثوذكس. وكـــان يوجد ثلاثة كرادلة في لبنان. وكانت هذه لجنة لاهوتية تتابع لقاءات بدأت منذ ســـنوات وسمعـــنا أخـــيراً غســـان تويـــني يعلن عن تأسيس معهد للدراسات المسيحية والإســـلامية وهـــذا المعهد يجنح إلى الإتجاه التاريخي.هذا الجو أين يصب وهل هو أحد العناصر التي تبلسم الجراح ويسمح للبنان أن ينطلق برسالة روحية دولية عالمية.

الأستاذ غسان تويني الذي فكر في معهـــد الدراسات له دور كبير في هذا الموضوع وفي سواه لأنه هو رئيس جامعة البلمند ونحن نعتز بأن يكون كذلك ويعتز البلمـــند بأن يكون عنده هذا النوع من الرئاسة. عندما ذكرت أن المجتمعين هم مجرد لجنة فالواقع هو غير ذلك. إنها اللجنة الوحيدة العالمية التي تُمثّل كل العالم الكاثوليكي وتُمثّل كل العالم الأرثوذكسي. لا توجد لجنة أُخرى في هذا المستوى وليس فوقها إلا الرئاسات الكنسية مباشرة. مثلاً اللجنة الكاثوليكية الموجودة لا تحتاج إلى قول آخر عمـــا فعلت سوى قول قداسة البابا. وكذلك بالنسبة إلينا فاللجنة لا تحتاج إلا إلى موافقة البطاركة والمجامع المقدسة. إذن هذا الحدث هو على مستوى عالمي. ولا يوجد شك أنه ليس من طريق الصدفة أنه صار في لبنان فنحن قصدنا ذلك. عندما كانت الخلافات قوية والعصبيات متحكمة بسبب الأحداث التي حصلت في شرقي أوروبا. رأيـــنا أنـــه في النهاية حتى الخلاف لا يُحل إلا بالمواجهة واللقاء. رأينا أنه ليس من المناســـب وليس محموداً أن تتم المقاطعة. فالمقاطعة بين الكنائس لا تليق لذلك ساهمنا بـــتأجيل هذا الإجتماع من السنة الماضية وحتى هذه السنة لأنه في السنة الماضية كان عـــندي شخصـــياً تخوف من أنه إذا حصل الإجتماع فسيكون من أجل الانفصال. لذلك أجلناه وحصلت الاتصالات اللازمة بشأن ذلك.

وأما بشأن هذا الاجتماع فقد أحببنا أن نبرهن فيه أنه يجب على الكنائس أن

تتعـــالى على كل المشاكل التي تواجهها على أساس أن الكنائس دائمة وأما المشاكل فقـــد تكون عرضية. وأما النقاط الهامة فهي ليست فقط ما ذكرت لأننا نريد لبنان الحالي بعد أن أُلصقت بشعبه التهم البشعة أحببنا أن نُسَجل، كما ذَكَرت في الطائف، أن لبنان مكان حوار وأن لبنان مكان لقاء ، وعلى أعلى المستويات وفي هذا الظرف بالذات. لذلك دعوناهم لكي يجتمعوا في البلمند. وأكثر من ذلك فقد خفنا أن يكون اجـــتماع هذه الهيئة المهمة جداً والمسؤولة مترفعاً على الأوضاع في لبنان لذلك جئنا بكل الكنائس المحلية في لبنان تتمثل باحتفال لقائي لنقول لهم إنهم ليسوا هم الذين أتوا مـــن بعيد جاءوا ليبشروا بحوار ولكننا نحن هنا في لبنان في حالة حوار مستمر، ولا يتمكن أحد أن يزاود علينا لا بين الكنائس ولا بين الأديان. وقلنا لهم هذا هو وضعنا. وأعتقد أنه كان خبراً حياً تلقفه هؤلاء. وأعتقد أن الجو كان جيداً جداً.

نحـــن نشـــكر غبطـــتكم. تحدثت سيدنا عن الحوار الكاثوليكي الأرثوذكسي. وفي الحقيقـــة لـــلذين لا يعـــرفون مـــا هـــو البلمـــند يجب أن نقول كلمة وهو أنه يوجد ديـــر"سيسترســـيان" كـــاثوليكي من القرن الثاني عشر إنما بُني على أنقاض دير بيزنطي (وكـــان القـــداس الكاثوليكي الذي أُقيم في البلمند خلال المؤتمر أول قداس يجري في كنيســـة ســـيدة البلمند منذ ٨٠٠ سنة وهذا بحد ذاته له معنى رمزي عظيم) الواقع أن تشديدك على البلمند وإصرارك على إنشاء الجامعة التي هي أول جامعة تمتلكها الكنيسة الأرثوذكســـية الانطاكيـــة أو أية كنيسة أرثوذكسية في العالم راجع إلى كون البطريرك أغـــناطيوس هزيم رجل تربية منذ نشأته. قلائل هم الذين يتذكرون أن غبطتك أسست مدرســـة البشارة في بيروت وأنك أسست المدرسة الثانوية في البلمند. ثم عندما ترأست الدير أعدت فتح المعهد اللاهوتي الذي كان قد أُقفل ومن ثم الجامعة.

وقـــبل ذلـــك أشـــرتم إلى رفقتنا في الدراسة ولكنكم لم تشيروا إلى أننا كنا معاً في الأكاديميـــة اللبنانية التي هي الآن جزء من جامعة البلمند وكنا من أعز وأقرب الأصدقاء لـــلمرحوم ألكســـي بطرس وكنتم ترتلون في جوقة الألبا. المهم ومع أن التربية والتعليم

مســألتان مهمــتان جداً لكننا لن نتوقف عندهما بل سنذهب باللقاء المسيحي الإسلامي مــنحىً سياسياً. اليوم تُطرح في لبنان مسألة إلغاء الطائفية السياسية، ونحن الأرثوذكس مــتهمون أننا طائفة اللاطائفة وهذا اتهام قد يكون في محله إذا صح القول عنه إنه اتهام. وفي نفــس الوقــت انطــلقت من صفوف الأرثوذكس النــزعة العلمانية التي فسرت تفسيرات على غير حقيقتها. بماذا يمكن أن تنورنا وهل عندكم ما تقولونه بهذا الصدد؟

إلغاء الطائفية: أتمنى بادئ ذي بدء أن يكون هنالك تخطيط في قلب الطوائف من أجــل صنع الدولة. يوجد في لبنان شيء مهم جداً وهو أن الدولة تنبثق من الشعب. وعندما تكون الدولة في وضع مترد، كما كانت في وقت من الأوقات، فهذا لا يعني أن الشــعب هــو في وضع مترد. هذا رأسمال لا نستعمله كثيراً ولا نعمل من أجل تقويته. ونحن لا نتمنى إطلاقاً أن نصل إلى أي وقت فيه تملي الدولة وعلى الشعب أن يســتمع. الشيء المهم أنه تحصل مشاكل عند الشعب كأن لا يعيــّن فلان في مكان رغم كفاءته نظراً لكونه من طائفة معينة والوظيفة محجوزة لطائفة أخرى. أعتقد أن فكــرة إلغاء طائفية الوظيفة في مستويات معينة قد تكون خطوة نحو جعل الكفاءات وخدمة الوطن هي القاعدة لا أن نجعل المشاركة، مشاركة الهيئات الروحية، الهيئات الديــنية، على أساس المكاسب بل على أساس تقديم الخدمات. ونحن نعتبر أنه عندما يكــون عــندنا شخص من كنيستنا في موقع معين- ولو كان في حالات كثيرة لا يعــترف بــنا- ولكنــنا نعتبر أنه نافذة حتى نُظهر الأخلاق الأرثوذكسية في خدمة الآخــرين، وتظهر الاستقامة الأرثوذكسية في التعامل مع الآخرين. وهذا بالضبط ما نقصده.

أنا أتردد في استعمال كلمة العلمانية لأن لها تاريخاً، وهي شيء سلبي، كما وردت في أوروبا. فلنقل إننا نستعمل شيئاً وطنياً بصورة يتجاوز الأطر الطائفية وهذا جيد. هذا يوصلنا استنتاجا إلى فكرة الإحباط.

أين هو الإحباط؟ أعتقد أن هذا الإحباط كان في ظرف كانت فيه الكنيسة ليســت مجرد كنيسة. أُحبطت كحزب، أُحبطت كطائفة، بالمعنى السياسي للكلمة، أُحــبطت في مســتوى الدولة و لم تُحبط لا على مستوى القداسة ولا على مستوى التربية الصالحة ولا على مستوى تنشئة الإنسان الصادق، الإنسان الذي يحمل الفضيلة ويحمــل الإيمان بالخلاص بالرب يسوع وبالثالوث الأقدس وبسائر العقائد. أعتقد أن الإحباط هو نتيجة خبرة تجعلنا نقول إنه يوجد شيء يجب أن لا تحمله الكنيسة. وأن تكون الكنيسة كنيسة فقط. وأعتقد أننا تمكنا من الاقتراب من هذا المستوى إلى حد بعيــد. ومهمــا كانت الأسباب نحن لم نتورط في منطق يخرجنا عن نطاق كنيستنا ككنيسة. قد يوجد أفراد ليسوا كذلك، أو أن أُناساً تورطوا في السياسة. أما الكنيسة فلم تسلك كهيئة سياسية.

أعــتقد أن الإحباط قد يفيد الكنائس التي وقعت في هذا الوضع فتلجأ إلى نــوع من التطهير حتى لا تتغير طبيعتها ولا يكون الوجه الإكليريكي فيها ليس دائماً وجهــاً إكليريكياً. ولا يكون موقفها ليس دائماً موقف إرشاد روحي ولكنه موقف مطلبي له علاقة بالمكاسب. أعتقد أن محل الإحباط هو المحل الذي فيه الكنيسة مدعوة دائماً أن تكون محبطة إذا هي سلكت هذا الطريق ووقعت في هذا الفخ.

وهــذا لا يقتصــر على فئة واحدة ولكنه يطال معظم الفئات. فالكنائس الشرقية عندما كانت في رباط متين مع الإمبراطوريات أصابها نفس الشيء لأنه يوجد بُعْــدٌ هو ليس البعد الكنسي الحقيقي. وكذلك فالكنيسة الغربية أصابتها إحباطات كــثيرة لأنها بالضبط أصبحت لا يمكنها التمييز بين كونها كنيسة أو كونها دولة أو جهازاً سياسياً آخر. أعتقد أننا نحتاج بالفعل إلى القيام بنوع من التطهير. وإذا كانت هنالك أشياء يمكن أن يُرفع حِملها عنا فليتوكل أبناؤنا بها ليقوموا بالدور الذي ليس لنا أن نقوم به. عملنا أن نساعد في إيجاد الإنسان المستقيم والصادق والأمين، ولكن

ليس عملي أن أسير بعيداً مع ذلك الإنسان لأنه هو الذي سيستمر ولذلك فالمقصود بالقول بالعلمانية أن لا تكون الكنيسة ككنيسة تقوم بتوريط نفسها في حقل هو غير حقلها. لماذا لا نثق بأبنائنا لكي يقوموا بهذا الشيء؟

نتذكر أنه في أحد الإجتماعات التي قيل لي فيها إنك لا تصرح بما فيه الكفاية أجبت: أنا عندي التزامات وأنا لست زعيماً سياسياً ولا أريد أن أكون زعيماً سياسياً لأنني أكون قد جعلت نفسي طرفاً مع السياسي الذي مثلي أو السياسي الذي هو ليس كذلك. وبالتالي لا يعود يحس الجميع بأنني معهم ولهم جميعاً وهم معي جميعاً. أعتقد أن هذه دروس يجب أن نتعلمها من الحرب. إنها ليست عملنا.

يمكن أنه لا توجد دقة في التعابير وأنه يوجد خلط بين إلغاء الطائفية وإلغاء الطوائف. يعني أن الكثيرين يستغربون أن نغمة الطائفية اشتدت بعد الحديث عن إلغائها. نحن نؤمن بيناع الطائفة كمتحد اجتماعي، كأحد العناصر التي يتكون منها المجتمع التعددي، وهو مجتمع يجب أن يثري من وجود حياة دينية. فالحياة الدينية والثقافية لا تمنع ما تفضلتَ به ودعوته اللقاء ونحن نسميه الحوار. وبالتالي لا تمنع المشاركة في الحكم إنما تمنع تحولنا إلى حزب سياسي وهذه مسألة أُشدد عليها. نحن يجب أن لا نكون حزباً سياسياً، ولا إحباط إذا زال دور الطائفة فيما كانته حزباً سياسياً فهل هذا صحيح؟

هناك الكثير من المسيحيين وكذلك من إخوتنا غير المسيحيين مصابون بعقدة أنه لم يعد يوجد لنا مستقبل. وحتى نكون واقعيين فهذا الشيء ليس موجوداً فقط في لبنان فهنالك هجرة مسيحية من فلسطين وقد يكون ذلك للعداء العقائدي بين الصهيونية وكما نفهمها حركة يهودية تنتظر مجيء المسيح بعد أن تبني الهيكل في القدس. هذا الإحباط والهجرة هما في مصر نتيجة الأمور التي لا تمثل الإسلام ضد الأقباط ولكنها تمثل فريقاً أو حزبية إسلامية.

هل يمكن أن تقول لنا كلاماً أساسياً وجذرياً وبسيطاً يعيد الثقة إذا كنت مؤمناً بإعادة

الـــثقة وأنا أعرف أن غبطتك متمسك بأن المشرق ولبنان لا يكونان لا مشرقاً ولا لبنان بدون الوجود المسيحي والمساهمة المشتركة في الرسالة المشرقية؟

أُحب أن أقول بأن ما سأقوله يميل إلى البساطة لأنني أحاول أن لا أُشرِّع بل أن أُبدي رأياً. أعتقد أنه في لبنان إذا أردنا التحدث في موضوع الطوائف فإن هنالك اختباراً لم يحصل بما هو كاف وهذا الاختبار يتعلق بأن الطوائف في علائقها مع جهاز الدولة ليست كنائس ولكنها هيئات اجتماعية مثل سواها من الهيئات. وكنت دائماً أقـــول إنـــني لم أسمع مسيحياً يدافع عن الإنجيل ولا مسلماً يدافع عن القرآن بل نحن نســـمع دائماً بالدفاع عن الحقوق في الوظائف وملاحقة الغبن. هذا الحديث ليس له علاقة إطلاقاً بالوضع الديني. فهل يا ترى يجب أخذ واقع الطوائف بجدية ومواجهته. فإذا كان لبنان مؤلفاً من كذا وكذا فكيف تتم الديمقراطية في هذا الخليط وكيف تتم العدالة بين الجميع وكيف يتم الوئام؟ فلتُدرس هذه الأمور جدياً. نحن نهرب من واقع قـــد يكـــون الهرب منه يكلف أكثر بكثير من مواجهته. ولذلك يجب أن يواجه هذا الأمر. وفي النهاية رأينا أحزاباً ترمي إلى الحكم حتى تُلغي غيرها. وبالفعل فإنها تُلغي غيرها بينما في لبنان لا أعرف أن طائفة تفكر بإلغاء غيرها أكانت تلك الطائفة أكثرية أم أقلية. هذا يحتاج إلى تفكير. وأتصور أن هذا الحقل لم يُبحث فيه ولم يُدرس بما فيه الكفاية ولم يُبحث بما فيه الكفاية.

قد تكون فكرة مجنونة خطرت في بالي: القمة الروحية التي حصلت محاولات عديدة لجمعها وكان آخر اجتماع في الكويت بعد العام ١٩٨٨ عندما كانت اللجنة الخماسية تفتش عن حل للأزمة اللبنانية. وهم يضعون في رأس جدول الأعمال إلغاء الطائفية. ولكننا عندما نستيقظ في اليوم الثاني نجد أن الطائفية ما زالت كما كانت.

توجـــد آفـــة اسمها الطائفية فهل يمكن للقمة الروحية أن تقوم بمداولات غير مسلطة الأضواء عليها. وهل يكون هنالك مسعى للتفكير بالعمق ويتلاقى مع التفكير

الذي يتمخض في الجامعات، التي يوجد فيها مفكرون كثيرون.

وهـــل يمكـــن لـــلقمة الروحية أن تكون الموئل للبحث الهادئ بدل البحث عبر التصريحات وعبر التشنج وعبر الظن أن كل طائفة تريد إلغاء الأخرى. وأنا لم أر أحداً في الحرب اضطر غيره لتغيير دينه. يسمونها حرباً دينية وحرباً طائفية وفي نظري كانت حـــرب دول وحـــرب عصـــابات مات فيها شهداء هم شهداء سذاجتهم وإيمانهم ومصالحهم. هل يمكن للقمة الروحية أن تنصرف إلى التفكير العميق وطرح أفكار في محاولـــة جدية للوصول إلى هذا المستوى الأساسي الذي يوقف ظن المسيحيين بأن لا مستقبل لهم شرق المتوسط لأن هذه المسألة خطيرة جداً؟

أخشـــى أن لا تصـــل القمة الروحية إلى هذا العمق وأن تبحث الموضوع ولكن يجب أن يساعدها أحد في ذلك.

أنا أُجيب بسرعة لأنني أعتقد بأنني أُعبّر صادقاً عن توجهاتنا. نحن لا نخاف مـــن دفع ثمن لاتجاه من هذا النوع مهما كان الثمن لأن إتجاهاً مثل هذا يبني الوطن. ونحـــن مـــتأكدون بأن شيئاً من هذا لا يؤذي الكنيسة. وأنا أستغرب جداً، بالنسبة للفاتيكان. لقد قيل إن الفاتيكان دُمِّر عندما صار الانفصال بينه وبين الإمبراطورية. تـــرى أليـــس الفاتيكان مقتنعاً بأن هذا الحدث حرره وأطلق يده في العمل الروحي لينصرف إلى رسالته (ولا أنسى أن الفاتيكان له طابع الدولة الآن). فهل إلقاء الحمل هو خسارة؟ هذا موضوع يحتاج إلى تأمل .

أمـــا بشأن البقاء المسيحي في هذه المنطقة فردة الفعل الأولى عندي هي أني أرفـــض تصور الشرق الأوسط بدون مسيحية لأن المسيح نفسه شرق أوسطي. كنا نتكلم عن القدس وعندنا كذلك بيت لحم وعندنا صور وصيدا ولا ننسَ دمشق التي مر بها بولس وكذلك أنطاكية. هذه الأماكن ليست "كمشات" تراب خالية من كل معـــنى. إنها مكان التجسد الإلهي. إنها مكان حدوث ما لم يحدث في أي مكان آخر

على الكرة الأرضية. لذلك إذا كنت سأترك هذا الشيء فماذا يبقى مني كمسيحي؟ ألا يصبح إنجيلي عبارة عن حرف؟ وماذا يغدو اسم صور وصيدا إذا تجردتا من هذه "الصور" وهذه الـ"صيدا"؟ وماذا يصبح اسم الـ"صرفند" بدون المكان الذي آثاره باقية حتى اليوم.؟

بنظري، تمسكنا بهذه الأرض هو تمسكنا بأنفسنا إلا إذا كنا نتنازل عن مسيحيتنا، عن ديانتنا التجسّدية، عندئذ نكون نتبع مصالح وفي المصالح لا توجد وطنية ولا توجد مبادئ. أقول دائماً للجميع إنه منذ ظهور المسيحية قبل ألفي سنة لم يسبق لهذه الأرض ولا لهذه المنطقة أن غاب عنها الوجود المسيحي على الإطلاق. وفي كل أطوار التاريخ منذ وجدت المسيحية وحتى الآن كانت هنالك موجات رحيل. قبل الإسلام كانت الهجرة ومع الإسلام هاجر الكثير وبعد الإسلام كذلك. واليوم هنالك من يهاجر من المسيحيين. ولكن الهجرة لم تقتصر على المسيحيين فقط.

في السابق كان الناس لا يحسون بانفصالهم عن وطنهم عندما يهاجرون. الخطر القائم اليوم هو أنك عندما تبتعد وتحصل على الجنسية وتغرق في العمل فإنك تنفصل. حتى الحنين للوطن يغدو شيئاً من الرفاهية أو الكماليات.

سيدنا فلنكن واضحين قبل أن نختم هذا الموضوع. لك أقوال عديدة منها "نحن عرب قبل الإسلام ومع الإسلام وبعد الإسلام". وهنالك قول آخر "في كل مسيحي مشرقي شيء من الإسلام". إذن المشاركة بيننا وبين المسلمين ليست ما نختلف حوله مع الأصولية. هو أعمق من ذلك وأوسع بالمسطحات من الكلام الحصري الذي نسمعه الآن. هل هذا الكلام ما زال فعالاً تاريخياً أم أننا وصلنا إلى حد اليأس؟ وما هي رسالتك إلى الذين ظنوا أن اليأس يجب أن يُغَرِّبهم؟

الكرسي الأنطاكي ليس في أنطاكية ومنذ مئات السنين. والبطاركة الأنطاكيون ليسوا في أنطاكية لذلك فإننا لا نستغرب أن تحصل في بعض المرات

ظـــروف تجعـــل البعض أن يفكر بالاستسلام والهجرة.نحن لن نترك، نحن أنطاكيون وســـنبقى أنطـــاكيين وســـنبقى على الأرض الأنطاكية وستبقى أنطاكية عاصمتنا الرسولية. وسنبقى على ذلك ولسنا أحراراً في أن نبقى أم لا.

عندما تفكر في موضوع كهذا فعليك أن تفكر في شيئين: أولاً بإرادتك أن تبقى أو لا تبقى وهذا شيء بشري. ولكن يوجد شيء ثان ألا وهو القَدَر. نحن قَدَرُنا أن نكون أنطاكيين وفي أنطاكية ولن نستسلم لأي شيء آخر. ونحن نعتقد أن الشرق الأوسط بدوننا سيصاب بأذى لأن الشرق الأوسط منبع الديانات، الشرق الأوسط لا يكـــون هو بدون الإسلام-١٤٠٠ سنة مع الإسلام — ولا يكون بدون المسيحية-٢٠٠٠ سنة مع المسيحية-، شخصيته تكون مزيفة إذا كانت هذه العناصر المُكَوِّنة له ناقصة. لذلك يجب أن نكون حذرين جداً في أن نهاجر نهائياً من أجل مصالح خاصة أو لضعف بشري. الفراغ يملأه أي كان ولا يحق لنا أن نحدث الفراغ ومن ثم نتسائل لماذا ملأ الفراغ غيرنا؟ فلنملأ الفراغ نحن وبذا لا يجد غيرنا له مكاناً.

ســـيدنا. خـــتمت بكـــلمة فيها بلاغة البساطة كعادتك. وذكرني حديثك عن الشرق الأوســـط بـــنظرية رائجـــة جداً اليوم وقد تكون هامة جداً وهي أن العالم المقبل صراع حضـــارات وأن هذا الصراع كوني. الشرق الأوسط اليوم في صراع الحضارات غائب. هل ترى غبطتك أن المسيحي إذا هاجر سيشعر أن رسالته ودوره في الالتصاق والخروج مع الغرب أم، على العكس أن التكوين الفذ للمجتمع المشرقي سيؤهله أن يكون له دور في صـــراع الحضارات لأنه مكوَّن من هذه المشاركة الفذة التي تعود جذورها إلى ما قبل التاريخ المسيحي والتاريخ الإسلامي وهي شخصية مشرقية؟

الشـــيء الأكيـــد أنـــه خلال قرون وقد يكون منذ زمن الصليبين أُظْهرت المسيحية وكأنها شيء يأتي من الغرب نحو الشرق.

الســـؤال يُطرح. هذه المسيحية التي حملت لنا باسم المسيحية حضارة ونوعاً

مـــن الفكر ومن المعطيات ومن المقاييس الخلقية، هل هي باتجاه واحد فقط؟ الوجود المسيحي في الشرق كان يُقصد به أن يتغرب كلياً، أي طمس شرقية المسيحية، طمس الحضارة المسيحية التي أتت من منبعها. ما أعتقده وسنحاول جاهدين للحفاظ عليه هو هل نبع المسيحية نضب؟ هل يا ترى لم يعد بإمكاننا أن نتحدث باسم المسيح حتى للغرب؟

أعـــتقد أنه عندنا صوت، هذا الصوت يجب أن يسمعه كل الناس أو على الأقـــل أن نُسمعه لكل الناس. نحن لسنا وعاءً فارغاً أو أُفرغ من مضمونه. يجب أن تعـــرف كنائسنا في الشرق الأوسط أنها في الشرق. وأنها في الأصل شرقية. يجب أن تحسن الحديث بلغة الشرق وأن تعلم الناس ما معنى القدس؟ يجب أن يعرف الغرب أن الإنجيل كتاب شرقي. يجب أن يُعرف أن الإنسان الشرقي موجود في كل صفحات الإنجيل، كيف يأكل كيف يشرب، وكيف أنه يسير حافياً كما سار المسيح. يعني أن هنالك نداء معيناً تنادي به المسيحية وهو المحبة.

كـــلمة المحبة ليست شعاراً. بولس الرسول يقول: "إن المحبة تنفي الخوف" وبالتالي كل ما هو من نوع الإحباط وغير ذلك من ردود الفعل البشرية التي لا تليق بكل إنسان. بولس الرسول يقول: المحبة لا تخاف. هذا الشـــرق له أن يقول كلمة. وليس عليه فقط أن يمتص عناصر خارجية عنه. عليه أن يمتص لأن العالم عالم تواصل. القوقعة تخنق المتقوقع فقط. ولكنني أقول للوفود التي أراها، وهي كثيرة، إننا نحن من يعـــلمكم المسيحية ولستم أنتم المعلمين. لقد حولتموها إلى أشياء كثيرة. ونحن لسنا أفضل منكم ولكن المسيحية هنا أصيلة أكثر من أي مكان آخر. أتحدث عن المسيحية وليس عن البشر. نحن البشر شأننا شأن غيرنا.

مســـاهمتنا المســـيحية كانت عربية. آباء الكنيسة الذين يُدَرَّسون في الغرب مترجمين إلى اللاتيني واليوناني كانوا الآباء المشرقيين الذين كتب بعضهم بالعربية. ولما كانت الحضارة

العـــربية هـــي حضارة المتوسط وكان الغرب متخلفاً، وكان التفوق لنا ونحن نصر على "لنا"، وكانت لنا شراكة فكرية وحضارية بين الإسلام والمسيحية، وما كان المؤلفون ولا الشـــعراء ولا العلماء يميزون بين كاتب عربي مسلم وبين كاتب عربي مسيحي فهل هذا صحيح أم أنا على خطأ؟

الحق معك واستمراراً للشيء الذي تود أن تنفيه هو أن أول ما أتى المبشرون كانوا يذمون بالإسلام والمسلمين وقد حضروا من أميركا وأوروبا ليعلمونا أن الذين نعيش معهم هم أُناس متخلفون. وكان لنا الشرف آنذاك ككنيسة شرقية أن نُعَد بين الأغبياء. وهذا نعتز به لأننا نعتبر أنفسنا شعباً واحداً.

ما أتصوره أنه بالفعل يجب أن نصل إلى وقت نتخلص فيه من هذه العقدة. مسيحياً نتشرف أن نكون شرقيين.

تكلمنا عن كل المدارس: عن البشارة وعن البلمند ولكننا لم نتكلم عن مدرستي الأصلية التي هي زهرة الإحسان. والتي كانت دير راهبات ولم يكن لي الشرف أن أرافقك فيها. قلّـــبت بعض أوراق زهرة الإحسان. فوجدت أنه في السنة١٨٨١ عندما تأسست جمعية زهـــرة الإحسان وأُنشئت المدرسة بأموال لبنانية من عائلات كانت تقطن الأشرفية قيل شـــيء طـــريف في أول بيان في مجلة المدرسة وأسمها "الجنان" أحد الأهداف بل الهدف الأساســـي لزهرة الإحسان هو تدريس اللغة الوطنية وهي اللغة العربية وكان ذلك تمرداً عـــلى المـــدارس الروســـية وعلى المدارس اليونانية لأنه كما جاء مبشرون غربيون جاء مبشرون من روسيا ليقوموا بتوازن سياسي إذ أن القصة قصة سياسية.

زهـــرة الإحسان لم تتقبل أموالاً روسية و لم تتقبل أموالاً يونانية كما البلمند. وكـــان هدفها بتوقيع السيدات والأم ماري جهشان تدريس اللغة الوطنية وهي اللغة العربية وتدريس اللغة الفرنسية كلغة ثانية.

هـــنا أود لفـــت النظر إلى شيء وهو أنه لم تكن عندنا مدرسة يتخرج منها

التلميذ يونانياً أو روسياً، وهذا لم يوجد عندنا على الإطلاق ولكن في كل مدارسنا كانت تُعطى الأولية للغة العربية لذلك لا يمكننا إعطاء صورة وكأنه حدث عندنا ما حـــدث في الكـــنائس الأخرى. إذ كانت هنالك مدارس تعطي الأولية للفرنسية أو للإنكليزية فيتخرج التلميذ وهو لا يُحسن اللغة العربية. هذا الحدث لم يحدث عندنا لأسباب عديدة ومنها أننا لم نكن نتوقع أن نكون مواطنين روساً ولا يونانيين. غيرنا توقـــع أن يكون مواطناً في مكان ما وهذا لم يحصل عندنا. وأود أن ألفت نظرك إلى شيء جديد وهو أن زهرة الإحسان مدرستك في بيروت ولكن جمعية المقاصد الخيرية في بيروت أيضاً.

جمعيـــة المقاصد الخيرية فتحت مدارسها في الوقت نفسه تقريباً وفي الإتجاه نفســـه وللغايات نفسها. ومن يقرأ التاريخ يشعر أن هنالك توكيلاً من جهة واحدة لهيئـــتين واحدة تتولى تحقيق التوجيه الوطني المحلي في الوسط الإسلامي والثانية تحقق الشـــيء نفســـه في الوسط المسيحي الأرثوذكسي. لذلك كانت هنالك اتصـــالات دائمـــة بين القيِّمين على المؤسسات. والذين يقولون إن بيروت هي سنية أرثوذكسية هـــم ليسوا بعيدين عن الحقيقة. كان المسؤولون يتداولون بشأن البرامج. وواضـــح جداً أن كلتا المؤسستين كانتا تبثان هذه الروح الوطنية مع التعليم الديني المتعلق بهما. وبالتالي لم تقم مدرسة لتلغي الأخرى كما حصل مع المدارس التبشيرية التي وُجدت لتأخذ أولادنا.ونحن لم نقصر التعليم إطلاقاً على لغة واحدة ولكننا لانعترف بأن لغتنا هي لغة ثانية.

عـــندما تقدمت أوروبا وتخلف العالم العربي ونحن منه كنا بحاجة ولا نزال حتى الآن إلى لغـــة أجنبية ندرس فيها العلوم والآداب ولكن هذا يجب ألا يلغي لغتنا. نحن شاهدنا في زهرة الإحسان والمقاصد أن اللغة العربية يجب أن تعود، وأن تعود الأولى. مؤلفونا ألفوا بالـــلغة العربية باستمرار، أديرتنا والبلمند ترجموا كنوزاً من الترجمات العربية من القرن الخامس عشر وحتى اليوم. هنا أخيراً يجب أن يُسجل شيء للروس وهو أنه في مدارسهم

لم يحاولوا أن يفرضوا اللغة الروسية.

فـــتحوا ٧٦ مدرســـة لذلك كان عدد الطلاب عندنا هو الأكبر بالنسبة لكل الكـــنائس الباقية. وخصوصاً مدارس البنات التي كنا سبّاقين فيها وموزعة في معظم المدن

لم أذكر الثلاثة أقمار مع مدرسة والدي جبران تويني والبطريرك الكسندروس فقد كانوا يدرســـون المـــنطق الإغريقي باللغة العربية وقد خرَّجت أُدباء بالعربية في الوقت الذي لم يكن أحد يكتب فيه بالعربية "الشيخ إبراهيم المنذر".

وهكذا المدارس في اللاذقية وغيرها

المدارس والجامعات مراكز تعليم وتنشئة قيادات روحية. لقد دعوتَ إلى مؤتمر في تشرين ولأول مرة يشرك المجمع المقدس معه (علمانيين). ويهمنا أن لا يُصَوَّر هذا على أنه بديل للسينودس ولا أنه في إطار الإحباط لرفع المعنويات.

أعتقد أننا يجب أن نعطي أهمية كبرى لنوعية القيادات الروحية التي ستكون لـــنا حـــتى تتمكن من تحمل مسؤولياتها الحقيقية وتكون عندها كلمة الرب لتقولها للشـــعب. نحن لا نطعم أحداً ولا نقدم لهم الشراب ولكن جُل ما يمكننا فعله هو أن نقول للشعب إن الله يحبهم وإنه يباركهم ويبارك عيالهم ورزقهم. فإذا لم تكن عندنا إمكانية قول هذا بجدارة فلماذا نحن؟

نحـــن نعتقد أنه يجب أن نُربي القيادات وأن نربي الشعب على الخروج من نفســـه. أنت تعلم أن الطفل لا يفكر إلا بنفسه. عندي شعور أن هذه الطفولة تطال أعمـــاراً مختلفة وهذا ما نريد التركيز عليه في تربية قيادينا وشعبنا. في الإنجيل صورة للدينونة. في الدينونة ماذا يحصل؟ الغريب هو أنك عندما تقف أمام الديان العادل لا يسألك عن نفسك إطلاقاً بل يسألك ماذا فعلت لأخيك هل خرجت من نفسك حتى

تكتشف أخاك الذي تقول أنت وإياه: أبانا الذي في السموات؟

هذا يجعلنا بالفعل نحاول أن نخرق الأنا الفردية حتى نصل إلى الجماعة. وهذا يصح ليس في طائفة معينة فقط ولكنه يصح على كل الناس. نحن لا يمكننا أن ننصب أُناســاً غرباء تحديداً أو أجانب تحديداً. أنت مدعو بالنعمة الإلهية والمحبة أن لا يكون أحــد غريــباً عنك ولا أن تكون غريباً عن أحد. وأنا أذكر كثيراً هذه الجملة التي وردت أيضــاً في القرآن الكريم "كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته". فعندما يقــول كلكم راع إذن لا توجد رعية إلا مِنْ هؤلاء الرعاة. فإذا أردنا تفسيرها علينا القــول "كلكم يَرعى وكلكم يُرعى" يعني أن لكل واحد دوراً في الرعاية أنت ترعى ومن ثم يرعاك من ترعاه. وبالتالي هذا نوع من التلاقي على أعمق المستويات. التربية القيادية يجب أن تكون في هذا المستوى. ومؤتمرنا في تشرين جاء نتيجة التساؤل كيف نلمــلم الأحــباء الذين هم هنا وهناك والذين هم في الهجرة منذ زمن بعيد . هؤلاء كيــف لنا أن نجمعهم ليروا بعضهم البعض ويتعرفوا على بعضهم البعض. وأنت – أســتاذ غسان- تعرف نظرتي وهي أن الوجه هو الكتاب عنك وليس ما تقوله أو تكتــبه. الذي لا يرى وجهك لا يعرفك. والذي لا يقرأ وجهك لا يعرفك، وربنا جعل لنا وجوهاً حتى تُقرأ وليس للتمتع بنظرها من بعيد. لذلك نقول إن الرب نفسه في رضاه يدير وجهه لنا وفي زعله يدير ظهره.

أخــتم برمــز حجــري آخــر تذكرته من تلاوتك لآية وردت في الإنجيل والقرآن معاً (حرفياً). في حوران مدينة اسمها بصرى وكانت عاصمة الغساسنة وفيها كنيسة يُقال إنها كنيسة الراهب بحيرة ولا تزال قائمة يلتصق بها حائطاً بحائط جامع ولا يزال الجامع قائماً وكذلــك الكنيسة. والجميل فيها هذه الرمزية المشتركة: راهب بحيرة الذي كان يخاطبه الرســول والجــامع الذي يُقال إنه بُني في عهد الرسول. ليتنا في برامجنا التدريسية نذكّر اللبنانيين والعرب عموماً أن الأسلاف والأصول كانوا في مشاركة في العطاء وفي التقبل وليس في اغتصاب.

أود قـــول كلمة هنا وهي أن كل أديرتنا يزورها المسلمون ليتبركوا من مار الياس أو مار جرجس. هذه أشياء لا تُعرَف ولا أحد يتكلم عنها مع أنها واقع.

ســـيدنا وصـــلنا إلى خاتمـــة المطاف. هذه الحوارات كان عندها توجه نحو الشباب. وفي حـــلقات ســـابقة كـــان الطـــلاب يحضرون ويوجهون أسئلة محرجة. ولكنهم الآن غير موجودين فسأوجه إليك مكانهم سؤالاً محرجاً.

تكلمـــنا عن الماضي وتحدثنا عن الحاضر وتكلمنا بإيمان شديد عن التغلب على الخرافات وكذلك عن المشاكل الحقيقية.

قد نكون اليوم على عتبة مستقبل يغير نوعية مجتمعاتنا العربية بكاملها وليس في الكرسي الأنطـــاكي فقـــط بـــل في مصر وفلسطين. سياسيون وعلماء وأكاديميون يقولون إننا في مرحـــلة انتقال من مجتمع حروب، وكانت مجتمعاتنا ودولنا تُهيأ دائماً من أجل الحروب. ويجب أن تستمر في التهيئة للحرب لأن لا أحد يعرف متى يأتي السلام. وهكذا يجب أن نهيء أنفسنا لمجتمع السلام إن حصل السلام.

كمجـــتمع حروب لم نربح الحروب ولكن حافظنا على أنفسنا وحَوّلنا عنادنا إلى مصدر اســـتمرار وبقـــاء. وقد نكون اتعظنا هذه المرة في لبنان. ما رسالة غبطتك إلى اللبنانيين وخاصـــة جيل الشباب الذي ليس مصاباً بالإحباط الآخر ولكنه مصاب بالآفاق المغلقة. كيـــف ســـنعيد بناء البلد وما هي القيم الأخلاقية والمبادئ التي ستجعله قادراً أن يواجه الســـلام إذا جـــاء السلام. وهل نحن مهيأون لمجتمع السلام إذا أتى السلام؟ وحتى إذا لم يأت السلام فما هو مستقبلنا في القرن الواحد والعشرين الذي أصبح في متناولنا؟

أعـــتقد أنه يوجد عنصران في كل الظروف وعند جميع الناس، أولاً العنصر الذي يأتي من الخارج وهذا لا يتحكم به الإنسان دائماً. ثانياً لا يوجد أحد في الدنيا ليـــس عنده عناصر لها علاقة بحياته ولا يتمكن لوحده أن يقررها. هذا غير موجود ولذلك يجب التشديد بطريقة خاصة على ما نتمكن من صنعه. وأنا مؤمن أن شبيبتنا

عامـــة هـــي مهيأة ليس أقل من غيرها في أي مكان في العالم. إنها مهيأة حتى تُسهم إسهاماً جدياً في إيجاد المستقبل، المستقبل لا يُستقبل ولكنه يُصنع الآن. نريد لشبيبتنا أن تـــأخذ نفسها بكل جدية. نحن نعتبر أنها جدية إلى أقصى الحدود. وهي المستقبل الذي وضعه الله بين أيدينا ومن خلالها نراه وليس بدونها نرى المستقبل. لأن المستقبل بدون الجيل الطالع لا شيء، وهو كلام وهو تصورات وليس أكثر .

مـــا أتصـــوره أنـــه يجب أن تَستَغِل شبيبتنا ما أعطاها الله. الشبيبة تتميز بالشجاعة ونحن كثيراً ما نلجأ للمبررات وذلك ناتج عن عجز تقريباً. الشباب إجمالاً هم شجعان ولو بلغت الشجاعة حد المغامرة. وفي النهاية قد يكون النبوغ والإبداع مغامرة. لذلك فإني أحب أن أعبر عن إيماني بالشبيبة وطلبي إليها أن تكون بالفعل هي في فـــترة تَصْنَع فيها الغد. لذلك يجب أن لا تسمح لنفسها بأن تُستغل. لماذا أقول ما أقولـــــه؟ لأن الـــتجارة وصلت الآن إلى حد تَستَغِل فيه قوة الشباب، تَستَغِل طاقة الشباب، تَستَغِل ميول الشباب وذلك حتى يستفيد غيرهم على أكتافهم وعندما أرى أن الـــتجارة وصـــلت إلى عواطفهم، ويتاجر حتى بميولهم التي وضعها الله فيهم وهي رجولة الرجال وأنثوية النساء. هذا كله يُستغل مادياً. إنهم يُميتون الشباب من أجل الدراهـــم عندما يبيعونهم السموم وعندما يعودونهم عادات تعود بالسوء فقط عليهم هم. فالذي يتسمم هو الذي يتضرر وقد يموت هو وليس سواه. جيل الشباب يمكن أن يكون نقياً أكثر بكثير مما نتصور ولكن يجب أن تَعي الشبيبة هذه النقاوة وأن تَعي هذه الشجاعة.

الشبيبة عندها إمكانية محبة قوية. نحن نقنن المحبة ولكن الشبيبة فقد دعاها الله ألا تخاف في هذا الإتجاه. ما يفصل الكبار قد يكون خوفهم من بعضهم، غيرتهم من بعضهم، تحاسدهم من بعضهم. ومصالحهم المشتركة. الشبيبة يمكنها أن تكون أطهر من ذلك في ملاقاتها لبعضها.

وحـــدة لبـــنان في لبنان تتحقق على مستوى الشبيبة أكثر مما تتحقق على مستوى البالغين. الشباب لا يخافون الموت وهم شجعان ونريدهم أن يكونوا رجالاً. لا نريدهم لأنفسنا ولكن لأننا نحب أن نراهم حسب ما أعطاهم الله من قوى. لذلك فأنا أحب القول إن على شبيبتنا أن تمارس شبابها، وأن تمارسه بمسؤولية وأن لا تتنازل قيد شعرة عن حريتها. وكل مؤمن لا يمكن أن يكون مؤمناً حقاً إلا إذا كان حراً. ما قـــيمة الإيمان المفروض، الإيمان المصطنع؟ وما هو الإيمان المزيف، إنه ليس إيماناً ولا يُكَوّن شخصاً. الشخص المؤمن فعلاً هو الشخص الذي يملك الحرية في أن يؤمن وأن يأخذ إيمانه بمسؤولية، وأن يكون واحداً مع إيمانه. هذا شيء في نظري مهم جداً جداً ونحـــن نرجو للشبيبة أن ترى لبنان ككل وليس مجموعة أجزاء مقطعة، وأن له ميزته وهويته الروحية. ولا يظننَ الشاب اللبناني (الشاب والصبية) أنه يحتاج إلى هويات من أي مكان آخر. لبنان كاف كهوية لكل واحد. ويفتخر بها الإنسان وليس أحلى من أن يكـــون لبنان كما هو جبهة يواجه فيها الواحد الآخر ويواجهه بمحبة. ولا يخافن الشباب فالتفوق يأتي. الإنسان الحر، الإنسان المحب هو حتماً في مسيرة نحو التفوق. الـــبعض يصلون بمقادير ولكن هذا هو الطريق والطريق الوحيد. القمع، التخويف، الإحباط لا تصنع الرجال المؤهلين في المستقبل لتكوين لبنان. وكما قلت سابقاً المحب شجاع. فليطرد الشباب الخوف من قلوبهم. الماضي مضى فلنبن المستقبل.

الشباب جيدون لأنهم يعطون، يقدمون. نحن نأخذ ونستفيد فيما الشباب لا يســـتفيدون. إنهم يعطون وكما يُقال "قلبه على راحة كفه"، ألم تُظْهِر تلك السنون البشعة أنهم كانوا دائماً الضحية لأنهم المعطاؤون.

أُبـــارك شبيبتنا وأطلب من الله أن يقويها وأقول لها: الكلمة التي قالها الرب يسوع في الإنجيل: "هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السموات". نحن نحب شبيبتنا حفظها الله.

الخطر على الكنيسة أن تصبح مؤسسة وحَسبْ*

ما هو تعليقكم على الحدث المتمثل في اجتماع لجنة الحوار الكاثوليكي-الأرثوذكسي في البلمند؟

يستقبل الكرسي الأنطاكي هذه اللجنة التي تمهد لتحديد نوع العلاقات بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية في العالم. إنه حدث غاية في الأهمية ومن شأنه أن يؤدي، كما نأمل، إلى تحول، وإلى ابتعاد عن العلاقات التنافسية، التزاحمية انطلاقاً من المقولة التالية: الكنيسة الغربية هي الكنيسة الوحيدة وأما الكنائس الأخرى فوجودها نسبي إلى حد ما، إنها كنائس منقوصة، إذا صح التعبير. نأمل تخطي هذا الموقف، وتغييره إلى حد ما، والوصول إلى علاقة بنّاءة من نوع آخر.

أهذه العلاقات التزاحمية جلية، بشكل خاص، في أوروبا الشرقية؟

هنا الموضوع يأخذ طابعاً حاداً. الكنائس الكاثوليكية في أوروبا الشرقية مرتبطة بالفاتيكان، وقد اعتبر أرض أوروبا الشرقية، وهي أرثوذكسية، أرض تبشير وأرسل عدداً من "المبشرين" ورؤساء الكهنة. ومن شأن ذلك أن يجعل موازاة بين الرئاسات الروحية، في الهرمية. فمثلاً حيث يكون رئيس كهنة أرثوذكسي، يُسام رئيس كهنة كاثوليكي ولو لعدد قليل وأحياناً قليل جداً من الكاثوليك.

ولا يسعنا أن ننسى أن الشعب ناضل في روسيا، اضطهد، وضع في السجون من أجل إيمانه وذلك لمدة تتعدى السبعين سنة. الشعب الأرثوذكسي في روسيا حاربته الدولة، صمد بالرغم من الضغط الشيوعي. لم يتعامل مع الحكم، سعى إلى

* الحوادث، لبنان، بيروت، ١٩٩٣/٦/٢٥

تأمين وجوده واستمراريته في قلب دولة ملحدة. لم يتعاط العمالة. نحن رجال الدين، لا يمكن إطلاقاً أن نكون عملاء لأية دولة أو حكومة في العالم.

ألا يمكن القول إن كاثوليك أوروبا الشرقية جاهدوا بطريقة أكثر صراحة؟

من المؤكد أن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ظلت بالرغم من كل شيء كنيسة صلاة وإيمان، لا يمكن تجاهل ملايين من المؤمنين جهروا بإيمانهم بالرغم من الإلحاد الرسمي والذي كان يُعَلَّم.

هل من وحدة مع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية؟

هناك خطوة نحو الوحدة الكاملة مع هذه الكنيسة. نحن نؤمن بأن قضية الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين عفى عليها الزمن. الكل يقول إن السيد المسيح هو إنسان تام وإله تام. إذاً علينا أن ننصرف إلى النواحي العملية والاعتراف المتبادل بالسلطة الكنسية. وعليه يمكن الآن للسريان الأرثوذكس والروم الأرثوذكس أن يستعملوا الكنائس نفسها التابعة للمذهبين لاقامة الخدمات الإلهية. كما أن ثمة تفويضاً للكاهن السرياني الأرثوذكسي ليقوم بتعميد من سينتمي إلى كنيسة الروم الأرثوذكس وإقامة الأسرار الأخرى والعكس صحيح بالنسبة لكاهن الروم الأرثوذكس. إذاً هناك خطوة واضحة نحو الوحدة. لنا قناعة بضرورة المحافظة على التراث البيزنطي والسرياني فأصالتهما أكيدة.

هل من تباعد بين الأجيال الجديدة والكنيسة؟

الإقبال على الصلاة لدى الشباب واضح جداً. هم أوعى بكثير مما مضى، تخلوا عن صنمية كانت سائدة كثيراً مع النغمة المواكبة للإيديولوجيات التي تُسخِّر. أما نحن فنقول لهم إنهم على صورة الله ومثاله. هنا يشعرون بأنهم ليسوا محبوسين في مؤسسات نهائية خانقة. الخطر على الكنيسة أن تصبح مؤسسة فحسب وكم من

ثورات قامت من قبل الشباب على المؤسسات الجامدة، المنغلقة.

كنيســـتنا الآن قريبة من الشباب أكثر من العشرينات، وهي تَعلَم وتُعلّم أن كل شؤون الحياة تواكبها نعمة الله في مجال الكنيسة، لا يُسَخَّر الإنسان ولا يُشترى. نحـــن نعمل كي يعي الإنسان كرامته. لا نقبل، أبداً، استعباده، إننا نبحث مع شبابنا قضـــاياهم التي هي قضايانا. شبابنا منا، من عائلاتنا، وعلى كل، فالتصنيف حسب العمـــر مصـــطنع إلى حد. علم النفس أثبت أن كباراً بقوا ذهنياً صغاراً. وربما كان طبيب نفسي مريضاً أكثر من مريضه! وعلى كل، فكل إنسان بوسعه أن يفيد، وأن يجعلنا نتعلم منه.

هل من هيئة حوار أرثوذكسية مع الإسلام؟

الأهـــم هو تعليم الإسلام على حقيقته في المدارس المسيحية والعكس. أما الحوار الحي فموجود: إنه التعايش، والتعايش منذ وجود الإسلام. المهم في الابتعاد عن حوار الخوف والحذر المتبادل عمَّا له طابع تقني علمي مجرد، وبعيد عن أجواء الحياة. الحـــوار الحصري بين بضعة أشخاص لا يفيد. ما هو مفيد يكمن في نشر المعلومات لجعل كل طرف يتعرف على الآخر. هذا على كل، واجب أخلاقي إلزامي. ليس لنا الحق أن نجهل من نعيش معه، علينا أن نتعلم النظر إليه بعين الاحترام والمحبة.

ماذا عن نزوح المسيحيين؟ هل فقد الشرق مسيحيته بفعل الهجرة؟

الهجـــرة واقـــع، تاريخها قديم. هذه المنطقة من العالم، منطقة البحر الأبيض المتوسط عرفت تغييراً باستمرار. فأماكن مثل الأناضول، كانت توازي بأهميتها كنيسة رومـــا، خـــلت تماماً من المسيحيين. كثير من العائلات تعيش بفضل أولادها الذين هاجـــروا. الهجـــرة خطرة عندما تصبح اضطرارية، قهرية. عدد المسيحيين أقل. هذا واقع. عرف الشرق أحداثاً مهمة ينبغي درسها بإمعان لمعرفة السبب الذي من أجله

يتركون. لكن من المؤكد أن المسيحيين ليسوا وحدهم من يترك .

ما رأيكم في الأصولية الإسلامية؟

توجد أيضاً أصولية مسيحية دفعت مسيحيين إلى التقاتل والتنكيل بعضهم بـــبعض، والآن أيضاً نرى مسلمين يتقاتلون مما يدفع أحياناً إلى قمع قاس. الشيوعية أوجدت نوعاً من الأصولية وهذا أكثر بكثير من التزمت. وانقسمت الكنيسة لأسباب لا تســـتحق كـــل الأهميـــة التي أُعطيت لها. أما الانفتاح في أيامنا بين الأرثوذكسي والكاثوليكي فأكبر.

هل من رسالة لديكم؟

أود التركيز على لجنة الحوار التي تلتئم في البلمند. هناك لجنة دائمة للحوار بين الفاتيكان والكنيسة الأرثوذكسية. أعمال اللجنة سترفع إلى الرئاسات، هي بمثابة اقـــتراحات. أتمنى أن تُعطي هذه الاقتراحات الاتجاه الإيجابي ولا سيما أن قداسة البابا صـــلى لنجاح أعمال اللجنة ومن أجل أن تكون هذه الأعمال أقرب إلى التوافق. أما السلبية فستطال الجميع.

بدون الحرية لا يتحقق إيمان *

كنيستنا الأرثوذكسية لا تقول بأن يقتل الأخ أخاه

القمـــة الروحية المسيحية – الإسلامية. هل تزامن انعقادها مع أحداث الجنوب أو كان التحضير لها سابقاً؟

الاجتياح سبَّق الانعقاد وسرَّعه. فنحن جميعاً معنيون بالمشاركة للوصول إلى رأي موّحد يشكل الرد على هذه الحدث. لدينا مسؤولية لنتوصل لصياغة الغد. هذا الـــذي جعلـــنا نسرِّع الدعوة لهذا الإجتماع. وقد ظن الناس بأنه كان مهيأ من قبل ولكن البيان الصادر كان "ابن ساعته".

تكـــلمت عن "التأسيس للغد" هل تعني بكلامك تأسيس لبنان جديد غير الذي نشأ بعد الطائف؟

لا شك، إنه من الخطأ التفكير بإعادة الماضي اللبناني ، فالماضي لن يعود. إذن لدينا واقع أمامنا، يجب التفكير بطريقة التعاطي معه. وفي الوقت نفسه ليس هناك من حاضـــر فقط ولا اليوم دون الغد. لذلك كل تصور مجبول "بالحاضر" لن يؤدي إلى نتـــيجة. لهـــذا السبب تطلعنا أن لا نتوقف عند نص، أو وضع، وكان تركيزنا على الشـــعب اللبناني أكثر منه على الأجهزة السياسية. ولبنان يجب أن نهيئه بطريقة من الطرق حتى يكون حاضراً لامتلاك شيء غير مألوف، شيء نكون قد قررناه نحن مئة بالمـــئة، "أي الشعب" كما هي الحال في كل الدول العالمية. فلا شك أن هناك دائماً عنصرين: عنصراً تستطيع وحدك أخذ قرار به، والعنصر الثاني لا تستطيع أنت أخذ القـــرار به: فأنا أرى أن لا نقف عند الطائف، ولا الجمهورية الثانية ولا الثالثة، لأن

* مجلة الشعلة، ١٩٩٣/٨/٢٠

المستقبل مفتوح أمامنا ويقرر الكثير من الأشياء والوقائع التي نعيشها.

ما هي الصياغة التي تستطيعون الوصول إليها للمستقبل، مع العلم أن الطرف الإسلامي في القمة الروحية كان رافضاً البحث في صياغة سياسية؟

ليس لديَّ علم بأن الطرف الإسلامي كان رافضاً لأي شيء في الاجتماع.

لم نقصد هذا الاجتماع، بل عندما كانت اللجان تُحضّر للقمة الروحية. رفضوا مناقشة صيغة سياسية للبنان خوفاً من نسف اتفاق الطائف؟

لا علم لي بذلك على الإطلاق، بل كل ما أعرفه أننا في الاجتماع كنا نفكر أن يكون اللقاء الإسلامي ـــ المسيحي، لقاء حياتياً واقعياً. وليس من الضروري أنه كلما رأيت أحداً، تفرض عليه كل الآراء والأفكار التي تملكها، كما يصور البعض أحياناً أنه لن يكلم المسيحيُ مسلماً إلا إذا انتمى الآخر للمسيحية أو العكس. الحوار كما العيش سوياً. وكما يعيش الأخوة في العائلة الواحدة، كل بطريقة تفكير مختلفة عن الآخر، ولكن من الضروري العيش بمستوى التعاون والمشاركة. فاللقاء هو ليس ليبشر الواحد منا بعقائده الآخر!

هل كان هناك تباين في الآراء بين رجال الدين المسلمين والمسيحيين أم طُرحت نظرة موحدة؟

عندما كنا في الاجتماع، صدر عنا بيان عفوي كما سبق وقلت، وعفويته تدل، أنه كان هناك اتفاق كامل وشامل بين كل الحاضرين من كل الطوائف والأديان. ولم تتوقف المجموعة حتى أمام أية نقطة لتناقش بها وكأنها نقطة خلاف عقائدي بين هذا وذاك. وهذا الشيء نفتخر به، وهذا ما عبّرنا عنه في المقطع الأخير الذي يرمز لشبه صلاة. فالتقارب القلبي والمشاركة قالت الكلمة الواحدة من أجل لبنان الواحد.

هـــناك مَـــن اعتبر أن البيان كان ناقصاً لأنه لم يتطرق إلى دور المقاومة في الجنوب، وإذا كنتم مؤيدين لها أو العكس؟

نحن لم ندخل بالتفاصيل ولكن الذي أردنا قوله بالنسبة للدفاع عن لبنان، إن لبـــنان مُجـــتاح ويُقصف، وكل شخص في لبنان تملّكه الإحساس برفض الاجتياح والضرب إن كان جنوبياً أم لا، فكلنا التزمنا هذا الرفض!

يعني أنكم مع المقاومة؟

إذا كانت المقاومة هي ضد إسرائيل فأنا لم أشعر أن أحداً قال أهلاً وسهلاً بالاجـــتياح الإسرائيلي ورحب بها قائلاً: تعالي واحتلي. يجب أن لا نحصر فكر القمة الـــروحية وكأننا في لبنان فئات كل فئة مختصة بنشاط معين، وأننا نؤيد هذه الفئة لا تـــلك. فهـــذا ليس بالمنطق الصحيح إطلاقاً. نحن منطقنا أننا كلنا جسم واحد وأن إسرائيل تجتاح لبنان. ونحن لن نتلهى بمناقشة بعضنا "بأمور وفذلكات شكلية" بينما الأرض تحترق!

سياسياً، الواقع يختلف، فهل يتحمل المسؤولية المسؤولون السياسيون؟

نحن نتكلم عن هيئة مؤلفة من رجال دين، تشمل الكنائس المختلفة وإخوتنا المســـلمين على تعدد المذاهب أيضاً. وعندما نقول بأننا نحتاج لنظرة مستقبلية، فهذا يعـــني أننا غير مكتفين بكل ما يحدث الآن، وكأننا نتكلم عن الكمال والكمال لله، وهو الشيء الذي لن نصل إليه، ولكن نسير نحوه. فالسياسيون يفعلون على قدر ما يستطيعون وهم بشر في مطلق الأحوال. ولكن نحن لا نتوقف عند وضع ونقول هذا هو السقف الذي نتمناه للغد. حتى الأشياء التي نتذمر منها اليوم، وإن اكتملت يوماً ما لن نعترف بأنها تمت. ولا نكون قد وصلنا إلى الكمال والتمام، نريد المزيد. فهذه هي طبيعة الشعوب، لا تنام ولو كان الفراش من حرير.

دعـــا الشيخ محمد مهدي شمس الدين لتحويل القمة إلى مؤسسة دائمة، هل أنتم مع هذه الدعوة وماذا يقصد بالمؤسسة؟

مـــا يقصـــد الشـــيخ محمـــد صديقي ـــ ليس لي الحق بالتكلم عما يجول بفكره ـــ. ولكن بعد الاجتماع الطويل الذي حاولنا به تبادل الرأي، حتى يعرف كل واحـــد مـــنا ما الذي يضايق الآخر، فإن الوجه الروحي الذي استغل في وقت من الأوقـــات لإظهار أن لبنان يتقاتل دينياً، والتي كانت وسائل الإعلام الخارجي تتكلم عنه دوماً نريد أن نزيله، ونحب أن نَظْهَر "على المستوى الديني" بأنه من الخطأ التفكير بأن الدين هو السبب للتقاتل!

ولكن في لبنان "الطائفية" هي المرض؟

الطائفية غير الدين. هي نوع من التكتلات التي تكوّن لبنان، ليست تكويناً "غير شكل" عن أي تكوين آخر، يرى أنه من مكونات الوطن ويعبر عن وجوده في وطـــنه. يجـــب أن ننتبه لهذا الأمر كثيراً، فكيف يكون الدين "علة"، ولماذا لا تكون العقائد "علة"؟ خذ المبادئ الشيوعية مثلاً، والفاشستية، بماذا تتميز عن الأديان؟ تتميز عن الدول الباقية بأنها أفضل. ولكن هنا، فإن الكنيسة لا تسعى لأن تكون دولة. نحن لا نتصور أن هيئة كنسية تقيم دولة.

يعني أنتم مع فصل الدين عن الدولة؟

نحـــن مـــع فصـــل الدين عن الدولة، ومع فصل الجهاز الديني عن الجهاز الحكومي، لأني أعتقد بالتخصص ولكني لا أعتقد أنه لمجرد أن يكون الإنسان مهتماً بالسياسة فهو سينكر دينه. هذا الفصل المقصود به أن لا تراني طامحاً لرئاسة الجمهورية أو رئاســـة الوزراء. ولكن أن تكون سياسياً لا يعني أن تكون كافراً وملحداً. ولكن النقطة هي أن تُعطى الحاجات السياسية لأصحابها. أنا لست متخصصاً بهذا المضمار.

كما أني لا أطلب من رئيس الجمهورية أن يصبح بطريركاً.

ولكن حروب الدول الأوروبية هي التي أفرزت نظرية فصل الدين عن الدولة.

أنـــا أعتقد أن هذا ما حصل في أوروبا، إن كنا سنقرأ تاريخها، وخصوصاً عـــندما كـــانت الكنيســـة الكاثوليكية مسيطرة وكان فيها "البابا" هو الذي يرسم الإمبراطور. ولذلك كان المقصود بفصل الدين عن الدولة هو أنه ليس من الضروري أن يكـــون كافراً كل واحد ليس بإكليريكي. المشكلة أن يُظَن بأن الدين، هو أن لا أقبـــلك لأنك لست من ديني أو طائفتي. ولكن يوجد أُناس كثيرون، ليسوا مع هذه الفكرة بتاتاً!

في لبنان النظام طائفي، وهو الذي يحاول تكريس التباعد بين اللبنانيين. يعني أن المشكلة تكمـــن في النظام القائم في لبنان، والطائف مع هذا يلغي الطائفية. والمهم هو أننا ما زلنا أمـــام مـــرجعيات دينية لأننا نحترمها، نحن ضد المرجعيات الطائفية التي تستغل الطوائف لقضـــايا سياسية. هل تعتقد أن المخرج إلى ذلك هو بقيام مجتمع مدني تكون فيه الكفاءة هي الأساس؟

أنا أعتقد تماماً، أنه يجب أن يكون المجتمع في هذا البلد مدنياً، ولهذا لا أقول أن يكـــون عـــلمانيا أو ملحداً، مما يعني أن هذه الكلمة معاكسة لكلمة "ديني" كما وردت تاريخياً، لا، فنحن واحد أمام القانون والقانون ليس مسيحياً ولا مسلماً؟ يجب أن لا نقع في فخ الكلمات الكبيرة!. في حديثي إلى التلفزيون، قلت، يا ترى أي بلد لا يـــتكون مـــن نوع من الأسر، حتى لا أقول نوع من التكتلات، ذات طابع معين يجمعهـــا، وهـــذه الأُسر تُكوِّن البلد. لدينا ١٧طائفة فما المانع من إيجاد ١٧ حزباً سياسياً ؟ أنا لا أطرح مشكلة ولكنه سؤال علينا درسه؟ يجب أن ندرس بعمق أكبر المجتمع اللبناني، ونحن لسنا بصدد أن نخترع مجتمعاً آخر لا يكون واقعياً على الإطلاق. في النهاية ما أريده منك، هو فقط إيجاد قانون، يطبق عليك كما يطبق علي.

لماذا دائماً البحث يتناول حقوق الطوائف وليس حقوق المواطن؟

أعـــتقد فيما يخص العقلية الأرثوذكسية، نقول، إن عملنا أن نقوم بواجبنا الـــروحي وإذا اخـــترتَ الإيمـــان الـــذي شرحته لك فأنا كشخص لا أحل محلك، "والكفاءة هي التي تقرر".

هل غبطتك مع إلغاء الطائفية السياسية؟

أنا أفتش عن الدولة المدنية من هذه الناحية، وضروري أن يكون هذا البحث قيد البحث الجدي وهذا الشيء يجب أن يتم في رؤيتنا للبنان المستقبل. قد نجد أن هذا غير جيد، وقد نجد أن هذا هو الشيء الأفضل.

الشيخ شمس الدين يؤيد قيام الدولة المدنية في لبنان؟!

لهـــذا أقول، بأننا متفقون على متابعة هذا الاجتماع، ونحن سائرون لترجمة هـــذه المـــتابعة، وهـــذا ضروري أن نفكر بهذا الموضوع، وأن لا نفكر أن الطائفية كـــ"غول" سنضعه على الطاولة ونُشَرِّحه. يجب أن ندرس ونرى، ونقف أمام المرض، فمـــن الممكـــن أن نصل لنتيجة. ومن غير الواقعي أن نقول إننا لن نغير ولو "سطراً واحداً". والحقيقة أننا نريد أن يتغير الواقع في لبنان.

بما أنكم تفكرون "بلبنان الغد" فهل من المعقول وبتواصل الاجتماعات، تريدون التوصل إلى صيغة قيام دولة مدنية أم بتقاسم حصص للطوائف؟

الأديـــان هي أديان الناس، وهم المعنيون بمساعدتنا، فأنا لست اختصاصياً بالسياســـة ، نحن كمسيحيين نخطئ لو ظننا أنفسنا خبراء في السياسة، ولو كنا على قدر من المعرفة.

غبطتك مع فكرة عدم تعاطي رجال الدين بالسياسة؟

يجب أن يتكلموا مع رجال السياسة ولكن أن لا يتدخلوا بالسياسة.

يعني أن لا يصنعوا القرار السياسي؟

ليس هذا بعملهم.

إذاً لماذا تكلم بيان القمة الروحية بالسياسة؟

تكـــلمها بطريقة معينة ولكن ليس لأن يحل مكان مجلس النواب أو مجلس الوزراء. نحن لسنا ببديل لأولادنا.

هل يعني هذا، أنه ليس من المناسب تواجد مشايخ يمثلون "حزب الله" في المجلس النيابي؟

لا أعـــرف، لعلـــه في عقيدتهم نجد هذا العرف، ولعلهم يؤمنون أن القانون الـــروحي ممـــاثل للقانون الديني. نحن لا نتدخل بآراء غيرنا. أنا شخصياً لا أتمنى أن يكون أي كاهن من عندنا في أي مركز سياسي، لا بل أقاوم ترشيحه.

هل القمة الروحية حققت المصالحة الوطنية؟

بـــنظري، أننا فعلنا ما بوسعنا وليس علينا الحكم عليها ولكن أردنا أن لا ندخل كطرف وأن نكون جبهة، ولا يهمني على الإطلاق أن أكون وزيراً.

لقـــد ذكـــرت، بأنك لا تهتم بأن تصبح وزيراً، ولكن عندما تشكلت الحكومة، ونائب رئيـــس الـــوزراء لم يتســـلم حقيبته، شهدنا استنفاراً على صعيد الطائفة وهذا ينفي ما ذكرته؟

هذا شيء ثان، ومادام هذا هو منطق الواقع، نحن بالفعل نشعر بأننا لبنانيون عـــلى قدر ما هو غيرنا لبناني. لهذا أعتقد، أن المشاركة بالقرار وبالدولة، فرصة حتى

نبرهن عن مدى محبتنا لهذا البلد وأنه لدينا أخلاقيات الخدمة لهذا البلد ولكن من دون المطالبة بمكاسب. نحن لا نعتبر أن أي أرثوذكسي متى وجد هناك بأنه في المكان الصحيح. لا، نحن نريد الأرثوذكسي الذي يخدم الوطن، "الآدمي" الذي لا يرتشي، ولا يسرق، ونحن نكون ضد من لا يكون كذلك!

ليس لديكم تحفظ على ممثليكم في مجلس الوزراء وفي مجلس النواب؟

أعتقد، بأنكم لاحظتم قليلاً، بأن ربنا، قد أنعم علينا، حتى أن الذين يمثلوننا، لم نسمع عنهم ما يوّسخ سمعتهم وسمعتنا!

هل تُعتَبرون كأرثوذكس مشاركين في القرار بلبنان؟

نتمنى أن يكون لدينا مشاركة فعالة أكثر من هذه التي نشهدها. لأن إضعاف المراكز الأرثوذكسية وتضييقها أكثر يؤدي إلى تضييق مجال الخدمات الأرثوذكسية للبلد ويخنق الروح الوطنية.

ولكن البطريرك صفير يقول: بأنه هناك عدا الإحباط المسيحي، عدم المشاركة بالقرار على مستوى الحكم في لبنان.

البطريرك صفير، "ليس ابن البارحة". قد تكون ملاحظاته منطلقة خصوصاً من تقييم الأمور كما يراها. نعتقد أن كل حصر وخنق يؤدي إلى عدم وجود وإذا لم تكن موجوداً فكيف ستمارس وإذا لم تمارس فكيف تشارك. نحن مع الديمقراطية. على كل واحد منا التعبير عن رأيه. نحن لسنا أقل غيرة. نحن نريد الدولة التي تأخذ برأي الشعب، الذي يعني أنا وأنت والموظف.

بما أن غبطتك بطريرك الشرق وأنطاكية فهل تعتقد أن للمسيحيين حرية التعبير في باقي الدول العربية كما في لبنان؟

في لبنان إمكانية تفعيل القرار المسيحي هي الأفضل من أي مكان آخر!

إذاً بـــنظرك لماذا يجري تشبيه تفعيل القرار المسيحي حالياً بالقرار المسيحي في الشرق مع العلم أن لبنان كان المعقل الأخير الحر للقرار. وهل هذا صحيح بأنه يتم إخفات صوت هذا القرار نهائياً؟

نحـــن لا نقبل بأن ينتهي، وعندما نتكلم، لا يجري هذا وكأننا ممنوعون عن الكـــلام. ســـوف نتكلم، ولبنان قلت عنه منذ زمن إنه إذا كانت الأديان العظمى الـــثلاثة قد نزلت في القدس، فإن هذه الأديان العظمى الثلاثة تمارس في لبنان ولهذا بدون حرية، لا يوجد إيمان!

هـــناك دعوة لإقامة "جمهورية إسلامية" علناً. كما أعلن حزب الله مراراً، مع العلم بأنهم وخـــلال مقابلات صحافية أجريت مع مسؤولين عن هذا الحزب اعترفوا وصرّحوا بأن الصيغة القائمة في لبنان لا تسمح بإقامة مثل هذه الجمهورية على الأقل في هذه المرحلة.

صـــحيح، نحـــن لا نعتقد بأنه يجب أن تكون هناك جمهورية إسلامية، ولا جمهورية مسيحية، فمن الخطأ التفكير بأن يكون رجل دين رئيساً للجمهورية!

من الملاحظ، أن غبطتك أقمت طيلة الصيف الحالي في لبنان؟ هذا دليل حبك لهذا البلد.

أنا مدين للبنان بالكثير من الثقافة التي أملكها فأنا تعلمت في لبنان وعشت في لبنان.

هل هناك من مانع تاريخي أو ديني لنقل مكان إقامتك الدائم من دمشق إلى لبنان، وماذا تعني دمشق للبطريركية الأرثوذكسية؟

لا أعتقد أن هذا الشيء مناسب لأن الأرثوذكس في لبنان أقلية! نحن في سورية أكثرية، لا يجوز أن نترك المكان الذي يملك تاريخاً حافلاً من القرن الرابع عشر. وليس

من المعقول أن يكون مركزي عند الأقلية وبعيداً عن الأكثرية.

لديـــنا مركز بطريركية في لبنان، والذين كانوا قبلي، كانوا دائمي الوجود في لبـــنان وفي هذا الصرح بالذات (ضهور الشوير). كما أنه في البلمند لدينا الجامعة، واجتماعات متتالية، لهذا سبب وجودي "المتعلق بإنشاء الأشياء" أكثر حالياً مما مضى.

وهـــذا لا يغنيني عن وجودنا في دمشق، وعن أصالتنا في دمشق مثلنا مثل غيرنا وأكثر. وحقوقنا الدينية لا أحد يستطيع مسَّها هناك فنحن نمارس ديننا ونمارس رسالتنا ولا نقبل أن يقف أحد أمامها.

الكلام عن نقل البطريركية من دمشق إلى لبنان يُعتبر طرحاً سياسياً وليس طرحاً دينياً؟

نحـــن حاضـــرون بين سوريا ولبنان والمسافة لا تتعدى الساعة في السيارة، والموضوع غير مطروح على الإطلاق.

باتصـــالات مع البطريرك صفير، وموضوع الدعوة لزيارته إلى دمشق طبعاً قطعت عدة مراحل، هل غبطتك بجو هذه الزيارة؟

يجب أن تسأل البطريرك صفير مع أنه مرَّ الوقت الكافي على هذا الموضوع ومنذ زمن بعيد، ولست أشعر بأن الموضوع ما زال مطروحاً بنفس الحدة.

يقول البطريرك صفير بأنه قد يزور دمشق إذا ما وجهت له دعوة؟

ممن؟

من القيادة السورية!

القيادة السورية سياسية.

والزيارة هل هي عملية سياسية؟

هذا موضوع آخر. ومن هذه الناحية لا نتوقع أن تنظر الدول لموقعنا الديني وكأننا رؤساء دول. للبطريرك صفير اعتباراته ونحن لسنا بصدد تقييمها على الإطلاق.

الكنيسة المشرقية أي "الأرثوذكسية" غائبة عن القضايا القومية بمعنى أنه في فلسطين المحتلة هناك عملية تهويد للمقدسات، لا يوجد عملياً دور فاعل للكنيسة بل هناك انكفاء؟

أنا أخالفك كلياً في هذا الموضوع، الواقع هو، إذا كنت تنظر للأماكن الصامدة فهي بالطبع الأماكن التي يسكنها الشعب الأرثوذكسي، والأرثوذكس هم الوحيدون الذين لم يهاجروا. بقوا، ودافعوا عن قضيتهم الوطنية، بقطع النظر عن شخصهم. وأعتقد أنهم أقل الناس يهودية، لأن اليهود هم الهيئات المسيحية التي اهتدت على يد مبشرين أجانب. وحالياً، يتعاطى العالم الأجنبي مع إسرائيل أكثر مما يتعاطى مع كل البلدان. والذي علينا قوله إنه بالرغم من وقوف الكنيسة الأرثوذكسية المشرقية بدون أي نوع من التحفظ مع التراث المشرقي، مع الشعوب المشرقية، مع الروحانية المشرقية ومع القضايا المشرقية، فالإعلام يتجاهلها نحن لسنا بدولة ولا نملكها.

هل تعني، كما نشهد اليوم في يوغسلافيا، أن الدول الإسلامية تسمِّي إسلام البوسنة، وتنهض لمساعدتهم على كل الأصعدة مع الدول الأجنبية الكبيرة التي يحكمها مسيحيون يناهضون الصرب والكروات الذين يشكلون نسبة كبيرة من المسيحيين ويدينونهم؟

هذا لعدم وجود دولة مسيحية. وفي هذا الإطار، كنت أستغرب دوماً أين كان المسلمون عندما كانت الشيوعية في تلك البلاد تمنع انتشار تعاليم الإسلام

والقرآن منذ خمسين سنة، أين كانوا؟ لماذا سُمُّوا بالمسلمين بينما نحن لا نسمي صربيا بالمسيحيين، لأن صربيا دولة شيوعية. وهناك أجيال لا تعرف الإنجيل، ولا الكنيسة ولا تعرف الكهنة قيل عنهم بأنهم مسيحيون، فيما الكنيسة الصربية هي ضد الاقتتال والمجازر التي جرت. والبطريرك الأرثوذكسي نزل الشارع بمظاهرة وهو يرتدي الملابس الكنسية ليدين رئيس جمهوريته. الذي أفهمه بأنه لو كان يعتقد نفسه معبراً عن ديانته فهو يخطئ. فالمسيحية ليست على هذا الشكل. كنيستنا الأرثوذكسية لا تبشر بأن يقتل الأخ أخاه! هذا كله نتيجة تأثير عوامل تاريخية، تأثير عوامل إيديولوجية معينة. هؤلاء الناس لا يتغيرون في ٢٤ ساعة، البارحة كانت الشيوعية هناك. نحن لسنا عرقيين، صربيا هي دولة شيوعية، وليست مسيحية ورئيسها ليس بقديس، وليس كل أرثوذكسي هو بقديس لمجرد أنه أرثوذكسي!

هل أنتم مع التقسيم في يوغسلافيا؟

نحن لا ندخل في الموضوع لا من قريب ولا من بعيد! نحن لا نملك "ضهراً" بالمعنى السياسي. في لبنان يهمنا لبنان وفي سوريا تهمنا سوريا.

هناك صراع بين الصرب والكروات أي بين الأرثوذكس والكاثوليك قبل الصراع بين المسيحيين والمسلمين أيعني هذا استعادة تاريخية للصراع الكاثوليكي – الأرثوذكسي؟

هذا كله قد برز، بعد أن زال الكابوس الشيوعي عن المنطقة، يبدو أن التركيبة نفسها اصطناعية وهذا ما نود تحاشيه. يجب أن نكون حذرين جداً وهذا كله بسبب تقسيم البلقان.

هل هناك تخوُّف من انطلاق الحرب العالمية الثالثة من البوسنة والهرسك؟

إذا ما وجدت حالة مرضية في الجسم فمن الطبيعي أن تنتشر في الجسد كله!

ولكـــن بعـــد ســـقوط الشـــيوعية، بـــرز صراع استرداد الدور المهم بين الكاثوليك والأرثوذكس وحتى أنه قد وصل الصراع بين الفاتيكان والمراجع الكبرى الأرثوذكسية؟

أؤكـــد أنـــه من الطبيعي أنك، عندما تذكر كلمة كاثوليك فهذا يعني أن هنالك الفاتيكان بطريقة من الطرق.

القمـــة الـــروحية المسيحية في البلمند والحوار هل هو مقدمة لإنهاء الصراع التاريخي بين الأرثوذكس والكاثوليك؟

نحن نتمنى، وأعتقد أن هذا الحوار في البلمند نريده، وأحببنا أن يحصل على أعـــلى المستويات على الإطلاق، لكل العالم الكاثوليكي والأرثوذكسي، وأعتقد أننا نحـــن جديّون ومخلصون، عندما نقول، بأنه لا يليق بالهيئات المسيحية أن تبقى على مـــنطق الانقســـام، لأن تاريخ الوجود المسيحي في الشرق الأوسط هو تاريخ تثبيت الانقسام.

ما الذي يعيق التقدُّم حتى الآن، وهل طُلِبَت تنازلات من أي طرف؟

عـــلى الإطلاق، لم تُطلب تنازلات من أحد، وما يعيق الموضوع، هو العقلية، والترجمة، ترجمة هذه العقلية وجودياً كيف تُثبت الانقسام وتُظهر الآخر مختلفاً عنك. كـــان هناك تخطيط جدي للانقسام. متى حصلت الكارثة المسيحية مثلاً من الكنيسة الغربية؟ حصلت أيام الصليبيين عندما أصبحت لا تعترف بوجودنا.

لهـــذا هناك بطريركية لأنطاكية لأنهم لا علم لهم بأنطاكية! نحن هنا أقمنا تعبئة حتى نقول للماروني والكاثوليكي بأن لا يتشبه بأي شيء ليس مارونياً أو كاثوليكياً. بماذا يختلف الروم الكاثوليك عنا؟

هل طُرح موضوع تزامن الأعياد في وقت واحد؟

بالـــتأكيد، نحن الذين قلنا هذا القول وهذا يشكل العقبة. نحن لا ندعو أن يتبعـــنا أحد، كل همنا أن نعيِّد شرقياً ما دمنا شرقيين. وإلا نكون أجانب إذا عيَّدنا غربياً. فالمسيح من هنا، من هذه الأرض المشرقية، والإنجيل من هنا.

هل هناك هيمنة من الكنيسة الغربية على الشرقية؟

أعتقد أن الهيمنة أتت لتلغي الكنيسة الشرقية والسؤال هو عما إذا كان هناك اختـــبار مســـيحي شرقي، وهل هو مُغنٍ للكنيسة عامةً أم لا وإذا كان مُغنياً فلماذا محاولة طمسها؟

مـــا دام الموارنـــة والكاثوليك سيأخذون حتماً القرار الأخير من الفاتيكان لماذا لا يجري الاتصال المباشر مع الفاتيكان؟

مؤتمر البلمند هو في اتصال مباشر مع الفاتيكان.

كيف تتعاملون مع السينودس كونه شأناً كاثوليكياً؟

الكاثوليك أحرار بعمل ما هو مناسب لهم.

هـــل مـــن الممكن أن تتفقوا مع الكنيسة الغربية أو الفاتيكان إذا ما برأوا اليهود من دم المسيح؟

نعتبر أنه دائماً لنا الحق في مخالفة هذا الرأي، ونعتبر أن الوحدة التي قد تأتي مـــن بعد مئات السنين، يجب أن تسمح دائماً بأن يكون لدينا كنيسة شرقية. طابَعُنا وتراثـــنا هو الأصيل والكنيسة هي التي انتقلت من الشرق إلى الغرب وليس العكس، هذا اصطناعي، ويجب أن تسمح بمخالفة هذا الرأي بتبرئة اليهود من دم المسيح!

الدولـــة العـــبرية تستقدم اليهود من جميع أقطار العالم حتى تستطيع شطب كل وجودنا الباقي الإنساني كبشر مقيمين في هذه البلاد وإقامة حلم اليهود دولة "إسرائيل الكبرى"، ما هو ردُّكم؟

نحن مستمرون في وجودنا، نحاول على المستوى العالمي تذكير الناس أن هذا البلـــد لا حياة له لنوع من الناس وحدهم، ونطلب من إخوتنا في المشرق أن يتكلموا في هـــذا الموضوع، كما أنا قلت في أحد الأحاديث عندما سُئلت، إذا ما كنا نعترف بالإسلام، فقلت له "افتح عينك تره" وهكذا نقول عن المسيحيين "افتح عينك ترهم" إنهم بشر أمامك.

بعد ١٧ سنة حرب كيف ترون العلاقة بين لبنان وسوريا؟

كان من الخطأ أنه لم تُدرَس هذه العلاقة منذ زمن. لو لم يؤخذ بعين الاعتبار أن ســـوريا إلى جانب لبنان لكان هذا عمىً وقِصَر نظر. يجب أن تفتح عينيك حتى ترى كنسياً أنني أنا موجود هناك، فالكرسي الأنطاكي ليس يعني الـــ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألـــف الموجودين في لبنان فقط لدي في الشام وحدها أكثر منهم، نحن لا نعترف أن هناك من يستطيع الإقفال على نفسه إلا الشخص الذي يُحب خنق نفسه وهو حر. يجب أن يُعرَف أن لبنان ليس وحيداً، وأي بلد في العالم يضع ستاراً حديدياً بينه وبين جيرانـــه هو ينعزل، وعلى الأخص أنه توجد اتصالات كنسية واتصالات دينية بين البلدين. لا يستطيع الإنسان أن يفعل مثل النعامة يضع رأسه بالتراب ويفكر بأن أحداً لا يراه.

هل غبطتكم مع الذي يقوله الرئيس حافظ الأسد بأننا شعب واحد بدولتين؟

كل ما يقال ويعني بأن لبنان دولة مستقلة وكل لبنان مع بعضه موحَّد فأنا أؤيده بدون تحفظ!

الـــبعض يقـــول بـــأن الرئيس الأسد ضمانة للمسيحيين بنوع خاص، كيف ترون هذه المقولة؟

أنـــا أعيـــش في الشـــام، وهـــناك لا أعتقد أنه يوجد أي شيء نتذمر منه كمسيحيين، نحن مثلنا مثل الآخرين وكل ما يحصل للآخرين يحصل لنا. لا تتصوروا أن حاكمـــاً أو رئيس جمهورية هو الذي سيعطيك شهادة كنسية فهذا ليس بعمله، والمهم أن تستطيع الممارسة.

إذا كانت الكنيسة المشرقية مع الوحدة المشرقية فهل تؤيدون قيام وحدة مشرقية عربية؟

ما يعني أن نكون "أنا وأنت" واحد هل هذا يعني بأننا واحد، بجسم واحد؟ هـــذا غير موجود بين البشر ولا بين الهيئات ولا بين الدول. عندما حصل هذا الخلط في أوروبا انظر إلى النتيجة. لذلك من أكثر الأشياء التي على الإنسان أن يكون دقيقاً في التعبير عنها هي كلمة "الوحدة". أعتقد أنه من الواجب درسها كثيراً.

الوحدة بين مصر وسوريا كانت مفتعلة نطلب وحدة ليست على أساس اللغة والدين بل على أساس وحدة اجتماعية – اقتصادية.

من الممكن ولكن مع درس مكثف لهذا الموضوع.

يُقـــال إنه في كل الطوائف هناك رِدَّة نحو الدين أو أصولية وتطرف هل وجدت عندكم في الطائفة، خصوصاً وأن الأرثوذكس يُعتبرون من الأصوليين؟

دومـــاً كانوا يقولون بأننا طائفة اللاطائفيين. عندما تنظر إلى كل المدارس الفكرية ترى في أساسها كلها الأرثوذكس.

نحن لا نريد التعبير بأنكم أصوليون ولكن متشددون بأصول الدين؟

وماذا يبقى لو خسرنا هذا أيضاً؟

لكن كيف تنظرون إلى التحركات الدينية الأصولية الإسلامية؟

تريدون الوصول إلى هذا السؤال، الحركة الأصولية التي تتمسك بأي دين لا الإســـلام ولا المسيحية ولا اليهودية ولا البوذية تمثل الغلط. والذي أتمناه أنا ألا يُتهَم الإســـلام لأنه فقط "إسلام". على كل حال إلى الآن لم يتأذ مباشرة المسيحيون من الحركات الأصولية الإسلامية بل على العكس هم الإسلام الذين يتأذون منها.

أول من نادى مسيحيي الشرق والغرب للمطالبة بالقدس لمساعدة الدول العربية لترجيح الكفة ضد اليهود هو غبطتكم فهل تمَّ التجاوب مع حضرتكم إعلامياً أو فعلياً؟

في الواقـــع ســـأعطي الصورة الحقيقية لهذا الموضوع. واقعياً هناك صوتان يـــناديان بالقدس، الصوت اليهودي وراءه دولة، والصوت الإسلامي وراءه دولة. ما أتمناه بالطبع على أوروبا أن ترفع الصوت المسيحي، لأنه لا أحد يملك حقوقاً تاريخية أكثر من المسيح الذي ولد وعاش في فلسطين، هذا لا يصح.

هل هناك طريقة تتبعونها عملياً؟

نحن على اتصال مع الأوروبيين حتى يتذكروا بأنهم مسيحيون وأن مسيحهم من عندنا!. ولهذا يجب أن يتكلموا بحقوقهم الدينية! "ولو"! قبر المسيح في القدس هو قبر مَن؟ وهكذا بدل أن يكونوا صوتاً واحداً يصبحون اثنين.

الكلمة عندنا شخص وليست لفظة

أخلاقية الكلمة أساسية جداً*

مجلة "الأحداث" أخذت مكانتها الممتازة بين المطبوعات اللبنانية، رغم حداثتها. وهي جاءت تطلب أن تباركها قبل أن تحاورك.

إن شاء الله أن تكون ولادتها مباركة وأن تستمر في خطها في خدمة الحقيقة والكلام الصحيح.

أجريتنا مسحاً على ثلاثمئة شخص سألناهم إذا كانوا يقرأون صحفاً ومجلات، فكانت النتيجة أن حوالي مئتين وخمسة وخمسين منهم أجابوا "لا" وما تبقى يقرأون، وهؤلاء قالوا إنهم يقرأون تصريحاتك والمقابلات التي تجري مع غبطتك لصراحتك ومصداقية تصريحاتك؟

"شكراً لهم". قبل كل شيء، نحن من موقعنا نشعر أننا لا نطلق الكلام لكي يتغنى به الناس، بل جل قصدنا أن نوصل ما عندنا إلى الشعب الذي له علينا أمانة قول الحقيقة.

أنا لا أتصور شخصاً مثلنا وفي موقعنا يسمح لنفسه بأية صورة من الصور أن لا يقول الحقيقة. هناك بالتأكيد محدوديات لهذا القول وأهمها أننا لا نعرف كل شيء، ولأن الكلمات لا تحمل دائماً الحقيقة الكاملة. وخصوصاً من خلال أقنية الإعلام. يبدو أن مخاطبة الناس تحتاج سياسة معينة. عندنا ليس الأمر هكذا، عندي أنا ومن خلال الكنيسة، يجب أن نوصل للشعب ما يريده الله من أجله ومن أجل غيره. أنا

* الأحداث، العدد ٩، أيلول ١٩٩٣

شخصياً أحاول أن أختفي أكثر ما يمكن وراء الكلمة حتى تصل إلى الشعب وهي لا تنقل شخصيتي بل مضمون ما يجب أن يعرفه وما من حقه أن يعرفه. وهذا ما يجعلني بعض المرات أقول أشياء وأقولها بطريقة قد يرى غيري من الحكمة والتبصر ألا يستعمل الطريقة نفسها التي أستعملها. فنحن لا نخاف على موقع ولا على رزق، لذلك نقول الحقيقة بشيء مما يسمونه الشجاعة والذي هو الصدق بحد ذاته. وآمل أن نستمر بهذه الطريقة. وأتمنى أن يتوقع شعبنا دائماً مني أن يسمع فعلاً الكلمة التي تنقل له كل الصراحة.

القمة الروحية الجامعة في بكركي لماذا كانت؟ وماذا كان تأثير قراراتها على الأوضاع؟

أنا أتصور أنها عقدت في بكركي لأن الظرف الذي كان يجتازه لبنان بعد الضربة الإسرائيلية والاجتياح الإسرائيلي والدمار الذي تقوم به إسرائيل، كان من الطبيعي أن يُحدث أثراً فينا جميعاً، وكان الاجتماع القمة إذاً استجابة للضرورة في أن تُلْقى كلمة في هذا الوضع، وأن يُعبَّر عن شيء. فالكلمة هي ما قيل في الاجتماع، والشيء هو الاجتماع بحد ذاته. لذلك، أنا بنظري، لم يكن طبيعياً ألا تحدث القمة الروحية في هذا الظرف بالذات.

أضاف: نحن عائلتنا الشعب، بيتنا هو بيت الشعب، نحن نندمج مع المؤمنين إندماجاً كاملاً، وهذا يفسر الكثير من أوضاعنا كبشر. لذلك أعتقد أن هذه القمة كان فيها البرهان على أن الأحداث في لبنان التي كانت تقصد أن يتفتت لبنان أو أن ينقسم أو يضعف، أعتقد أن الاجتماع أكد أن لبنان ليس هكذا. لأننا نعرف شعبنا مئة بالمئة وعلينا أن نتابع وقوفنا معه. نحن لسنا صفاً متميزاً عن شعبنا على الإطلاق. فعندما يوجد في العائلة مريض فإن أول من يوليه الاهتمام هم الآباء، وأرى أنه بنفس الاندفاع عقد هذا الإجتماع.

صحيح أن الأحداث انطلقت جغرافياً من مكان معين، ولكنها لم تلبث أن

انتشرت بتأثيرها ، فلبنان يمكن أن يعتبر في حالة اجتياح من جهات متعددة وكان من خطـــر الاجـــتياح أن يُمس لبنان بكليته. رأينا أنه يجب أن نتكلم بقوة عن الحدث بكاملـــه، لأن إمكانية الأذى الذي كان يمكن أن يحدثه قد تكون شاملة. وهذا يدل على أننا كلنا قلب واحد.

لوحـــظ أن تناغماً بين غبطتك وسماحة الشيخ شمس الدين كان لافتاً أكثر من غيره، ماذا بحثتما في اجتماعكما الثنائي؟

إذا كـــان المقصود أن التناغم لم يكن إلا بيني وبين الشيخ شمس الدين فهذا خطأ. فهناك تناغم مع غبطة البطريرك صفير ومع غبطة البطريرك حكيم ومع سماحة القائم مقام المفتي قباني. ومع سماحة الشيخ العقل مع الجميع والحمد لله. ولكن صدف أنـــني لم أر الشيخ شمس الدين منذ مدة ونحن نعرف بعضنا تماماً منذ زمن بعيد، وهو يقول الأشياء في أوقات يراها مناسبة. كإصراره على كلمة المشرقية. فنحن نتنافس في المحبة وتصوير واقعنا.

معـــلوماتي التاريخية التي أقولها هي أن المسيحية شرقية وهي الديانة التي أتت بعـــد اليهوديـــة ولكـــن أيضاً قبل غيرها. أي أنه في الشرق لا توجد ديانة تسبقها خصوصاً بين المحاورين. فنحن إذاً نتبادل المداعبة على المستوى الذي نعتز أنه مشترك بيننا كلنا.

أضاف: أما في شأن الإجتماع الذي حصل بيننا والشيخ شمس الدين، أطال الله بعمره، كان من أجل محاولة التذكير بما يأتي بعد الإجتماع في بكركي. يعني: وماذا بعد؟ من المؤكد أننا قررنا في بكركي تأليف لجنة متابعة، كما قررنا تأليف وفد لزيارة الجـــنوب من كل الطوائف بدون استثناء. ولكن لا يزال عندنا شعور بوجوب خلق هيكـــلية معينة تُعطى لهذا الإجتماع لئلا يصبح إجتماعاً عرضياً في أوقات استثنائية، وبالتالي دون إسهام حقيقي في روحانية البلد، وفي مناخه.

قد تكون الثنائيات أو الإفراديات إحدى جراثيم لبنان الماضي؟

نحن كنا دائماً من المؤمنين باللقاء. وفي الواقع لم يكن هذه هو اللقاء الأول. ومـــا أسميـــته بلبنان الماضي والذي كان في أسوأ حالاته من ضرب وما شابه، التقينا آنذاك في مطرانيتنا في بيروت، ويذكر الناس أننا التقينا أيضاً في الكويت.

لم نكـــن نحن الذين ندير الأمر، ولكننا كنا رموزاً وليس ممثلين للفئات المتقاتلة الذيـــن لم يكونوا يستشيروننا بما يفعلون. كنا دائماً نجتمع . لذلك أعتقد أن صورتنا هي صورة تشاء أن تكون معبرة عن المستقبل أكثر مما هي معبرة عن الماضي.

الحوار الأرثوذكسي الكاثوليكي في البلمند، وصفه البعض بالحوار البطيء لا يتناسب مع ضرورة تسريعه لحل الخلافات التي اجتمعتم من أجلها، لماذا؟

إن طبيعة هذا الاجتماع هو اجتماع هيئة كاثوليكية على أعلى المستـــويات وتمثل العالم الكاثوليكي بأسره. كذلك الهيئة الأرثوذكسية على أعلى المستوى وتمثل العـــالم الأرثوذكسي بأسره،فهي ليست عملاً عادياً. وطبيعة الأشياء التي من أجلها اجتمعـــنا هـــي إيجاد قناعات متبادلة ودرس متبادل لاكتشاف ما هو مُقَرِّب. لأن الكـــنائس عاشت إلى اليوم، أي خلال الألفين سنة من عمرها، بعدد الانشقاقـــات وعلى أساس أن تُثبِّت الانشقاق وتُعبِّر عنه وتبني نفسها على أساسه. فكنائسنا حتى اليوم هي كنائس أساسها إما أنها منشقة عن كنيسة ثانية، أو أن كنيسة ثانية منشقة عـــنها. فلغة الانشقاق هي تاريخ الكنيسة حتى الآن . نحن بعد ألفي سنـــة يجب ألا ننتظر مثل وصفة الطبيب بأن يُقال لنا هذه الحبة تشفي، فالعمل جدي أكثر مما يُظن بكـــثير، لذلك يجب ألا يُحكم على العمل فوراً، فالعمل الأفقي يظهر بسرعة ، هو قطع مسافات، أما العمل بالعمق لا تظهر نتائجه فوراً، ولكن ليس معناه أن لا شيء يحصل، فهذا خاطئ جداً.

أضـــاف: الاجتماع جديّ إلى أخر درجة، ولا ننسَ شيئاً مهماً، وهو أنه في الإجـــتماع لا يكون هناك عامل فكري فقط، بل يكون هناك عامل إنساني وعامل إيمـــاني. أي أن نكشف الآخر كمؤمن. ولا ضير إذا أخذت هذه القضية متسعاً من الوقـــت. فهذه غير ما يمكن أن نسميه حواراً محلياً، لأنها تشمل ملايين البشر. ففي الحوار المحلي نستطيع أن نجلس هنا مع إخوتنا ونتخذ قراراً بأن يحصل العمل الفلاني، فيحصل بعد ٢٤ساعة.

الناس متشوقون للحوار ونتائجه؟

المتشوقون، متشوقون لنتيجة الحوار، بل إلى الاتفاق والتعاون والتضامن. وأن تصبح القرابة عضوية وملموسة ومنظورة. في الكنائس المحلية هنا مثلاً، هذا لا شك أنه بطيء، أما تلك فلا نطلب منها ما ليس من اختصاصها.

أين مكان السينودس بين القمة وحوار البلمند؟

الكـــاثوليك يُسألون عن هذا الموضوع. السينودس من أجل لبنان هو بادرة كاثوليكية، وليست أول مرة تحصل. هذه المرة قالوا بأنها ستعقد من أجل لبنان، ولكن ســـبق مثـــلها من أجل غير لبنان. وهي هيئة كاثوليكية مئة بالمئة. ولا أتكلم بما هو خارج عن برنامج الحوار في البلمند أو القمة.

ورد في كلامكم صاحب الغبطة أن السينودس كاثوليكي مئة بالمئة. ونائب رئيس حـــزب الله الشيخ نعيم قاسم يقول أيضاً نحن ليس لنا علاقة لا من قريب ولا من بعيـــد بالســـينودس، فـــإن كان المنطلق مغايراً فالكلام يشابه بعضه البعض إزاء السينودس؟

صـــحيح، فعـــندما نقول كاثوليكية فإننا لا نعيب على أحد دوره. فالكنيسة الكاثوليكية حرة أن تعقد اللقاءات. وهي ليست مجموعة ضئيلة في العالم والفاتيكان

ليس شيئاً بسيطاً. وليس مطلوباً أن يستأذن الفاتيكان كل الناس ليتخذ مبادرة معينة.

لذلك هذا لا يدهشنا إطلاقاً، حتى أنه في الاتصالات الأولى التي حصلت معنا. كنا نتمنى أن نرى ضوءاً أكثر في الغاية من هذا الإجتماع. .

لماذا، هل كان هناك تعتيم حول ما حصل في هذا السبيل؟

مـــا أقوله قد يُعبِّر عن قلة معرفة بالمواضيع. ولكن لا أتصور أن كل واحد يمـــلك الكثير من الوضوح عما سيحدث في لبنان على أثر اجتماع روحي من هذا النوع.

مـــن الملاحظ سيدنا، أنكم تقولون دائماً نحن كنيسة وليس طائفة. هل يمكن توضيح هذا الفرق في التعبير؟

كـــلمة طائفة تقصد مجموعة موجهة نحو مقومة من مقومات لبنان. إذاً تجاه الوضـــع اللبناني لا يقصد الدين. أنا لا أصدق أن المسلم في جهاز الدولة هو ولي من الأولياء وأن المسيحي هو قديس من القديسين. هذا إسهام في الحياة العامة من جماعة لديهـــم إيمـــان معين. هذا يكون التعبير عن الطائفة. والنجاح والفشل فيها مرتبط بأشخاص هؤلاء الذين تكون تربيتهم من اهتمام الكنيسة. وأنا أقصد لها الهيئات التي تسعى إلى خلق الإنسان الصالح المؤمن بربه والمحب لإخوته. أنت مثلاً في البيت تولد في عائـــلة وتكبر فيها، ولكن حياتك التي ستمارسها مع الناس لم تعد ملك العائلة. صحيح أنك مرتبط بالعائلة وتحمل تراثها وروحيتها ولكن عندك اختصاصك وتميزك.

يجـــوز أن يكون هناك أناس يشتغلون في الدولة ويكونون ملحدين. وهذا لا يعـــني أنهم سيئون. من أجل كل هذا، كل من يعتقد أن هَمَّ الكنيسة الأول هو عدد الموظفين والنواب الذين ينتمون إليها كما يظن الكثير من الناس الذين عاشوا طائفياً أكثر منه كنسياً يكون مخطئاً. ومنهم من لا يملكون أي خبر عن الكنيسة ولا يعرفون

شـــيئاً عـــنها. ومنهم من يعتبر أن الكنيسة هي حاضرة بمقدار ما تُحصِّل من حقوق الطائفة ولكنها ليست هكذا.

هل تجاوزتم ما سمي بحادثة البلمند؟ وهل أثرت هذه الحادثة على قضية الحوار؟

كـــلا، فمـــنذ البداية لم تترك أثراً، الاجتماعات استمرت وكل شيء بقي طبيعياً.

ألم يكن لها أية منطلقات أو نتائج كبيرة وعميقة؟

مـــن جهتنا نحن لا. أما كيف تفسر الدولة الأشياء أمنياً فهذا لا يؤثر علينا أبداً. نحن يهمنا أن نرى أن هذه الأحداث وما كـــان ممكناً أن ينتج عنها وما كان له علاقـــة بلبنان الماضي، لبنان السبعة عشر عاماً يجب أن لا نتوقف عندها. نحن لدينا إخوتـــنا في القـــلمون ولدينا العلاقات الطيبة مع القلمون وعندنا أساتذة في جامعة البلمند من القلمون. وسيبقى كل شيء على طبيعته وإلى تحسن أكثر.

اللبـــنانيون دخـــلوا في تجربة خطيرة بفعل العدوانية الإسرائيلية ونجحوا في امتحانها. هل تعتقدون صاحب الغبطة، أنهم تماثلوا إلى الشفاء من مجموعة الأمراض التي انتابتهم خلال حروب الستة عشر عاماً؟

أعتقد أن لبنان هو هذا الشعب الذي بقي والحمد لله خلال ستة عشر عاماً متعـــلقـــاً بقـــيمه. لم يتكـــلم أحد عن شعب لبنان، الحديث كان يجري دائماً عن الحكومـــات السياســـية، ولكن لم يتكلم عن الشعب. هذا الشعب صمد صموداً لم يعرفه أي شعب آخر. وبقي.

أضـــاف: في وقت من الأوقات كان يُظن أن لبنان لن يبقى، وأنه ليس جدياً وهذا غير صحيح، فقد أثبت لبنان أنه أقوى من كل المحن وأن شعبه مستعد للتضحية والموت من أجله.

واستطرد: لماذا أيضاً نتكلم دائماً على الإنتخابات والرغبة في إجراء الانتخابات، ذلك لأن الجميع يريد أن يقول كلمته، فالشعب هو الأساس. فالحكومة ليست جهازاً أبديـــاً أزلياً. الشعب أظهر أنه قادر على مجابهة الشدائد خصوصاً بعد أن انتهت محنة الستة عشر عاماً، وهذا شيء جيد.

التسوية الشرق أوسطية، هل يصح وصفها بالتسوية أم أنها أقرب إلى العملية الجراحية؟

لســـت متعمقاً بهذه الأمور. قد يكون الذي يخطط للتسوية قادراً على أن يقول من أين وغير ذلك. ما أستطيع قوله إنه قد تكون هناك تسوية، وما أعرفه أن ما يســـمى بالدول العظمى ليس لديها حرج بأن تكون العملية جراحية أو غير جراحية هم مستعدون لفعل كل شيء. هناك أُناس لا يزالون يموتون في الشرق الأوسط بناءً على الشرعية الدولية أو بعض العبارات التي تغلف الحقوق.

النظام العالمي الجديد. ألم يستطع أحد أن يعطيه وصفاً معيناً؟

ولا أنـــا أستطيع أن أعطيه وصفاً، ولكن يشعر الإنسان دائماً وكأن هناك طبخة تحصل اليوم. أنا أعتقد أنه لا يوجد إنسان كامل، ولا مؤسسة إنسانية كاملة ولا سياســـة كامـــلة لذلـــك قد نتوقع أشياء خطيرة. فلا شيء في هذه الدنيا كامل وثابت.

صـــاحب الغبطة، ما هي السياسة. لو أردنا أن نعطيها تعريفاً؟. السياسة من أرسطو إلى ميترنيخ إلى ميكافيلي إلى تاليران إلى غيرهم، لم يستطيع أحد أن يعطيها وصفاً علمياً، فما هي السياسة بنظركم؟

بكـــل بساطة، يقولون ساس الفرس أو المهر أي رعاه، ولكن ولو في بحث نظـــري، نحـــن نستعمل السياسة بين أخ وأخ. ما هي وظيفته، وظيفته أن يخدم، أن يســـهر عـــلى مصلحته. بكلام آخر السياسة هي الطريقة التي يُخدم فيها الشعب،

فالشـــعب هو الذي يغذيها ويعطيها مبرر وجودها. وهي ليست تنظيراً على البشر. وإلا أصبحت خطة وقتية يصار إلى تنفيذها ضد الشعب. السياسة هي أن يكون هناك جهـــاز همـــه خدمة الشعب. وأن يكون مقبولاً حتى لا يحس الشعب أن هذا الجهاز السياسي مفروض عليه. فعندما يُفرض عليه -وإن كان من أفضل الأجهزة في العالم- فإنه سيشكل عبئاً، لأنه يفقد صفة من أهم الصفات الإنسانية وهي الحرية.

هناك كلام كثير في أوساط الطائفة الأرثوذكسية حول عدم مشاركة العلمانيين رجالات الإكـــليروس في شؤون القرار وشجون لحمة أبناء الطائفة مع أمراء كنيستهم، ماذا يقول السيد الجالس على كرسي أنطاكية وسائر المشرق؟

أنا أقول إن هذا الكلام غير دقيق. فلا يوجد مطران في الطائفة لا يستعين في أبرشيته بالناس، فكل أبرشية يكون فيها عشرات ومئات الأشخاص ومطران واحد. ولا يستطيع أن يعمل إطلاقاً إذا لم يستعن بالناس. ويكون غبياً إذا تفرد برأيه، فمن يديـــر المدارس والمؤسسات والكنائس أيضاً؟ هذا كلام من مخلفات الماضي لا ينطبق على الواقع إطلاقاً. اليوم لا توجد هُوَّة بين الرؤساء وبين اندفاع المدني للخدمة.

قـــد تكـــون طـــريقة تعاطي بعض رجالات الكنيسة مع العلمانيين، إذا لم نقل نوعاً من الفوقية، فهي نوع من عدم الاهتمام الكلي بدورهم؟

قـــد يكـــون هـــذا الكـــلام صحيحاً. ولكن لا يصف تحديداً الشخصية الأرثوذكسية الإكليريكية، ولا ينطبق كلياً على الشخصية المدنية الأرثوذكسية. أود أن أقول هنا إنني أنطلق من مبدأ واحد وهو أنه لا توجد لي هوية بدون هذا الشعب، مـــن أجل هذا أنا مرتبط به فكرياً وعاطفياً وهو غاية وجودي. لأن هذا الشعب هو كـــل شيء بالنسبة لي، ولا أشعر أن هناك شخصاً من الشعب ليس له حقوق علي. هكذا يجب أن تكون طريقة التعاطي مع عامة الناس.

لماذا يبقى رعاة الأبرشيات السادة المطارنة إلى ما شاؤوا في مواقعهم؟ وهل هذا ضروري ومفيد على كل الصعد؟

هذا التساؤل هو تساؤل "مودرن" وبالتالي وراءه أن كل شخص هو موظف وسيأتي وقت لا يعود فيه صالحاً للوظيفة. أرد على ذلك بقولي إن تكوين الكنيسة كتكوين الأسرة فالأسرة فيها أب وفيها أم ولا تزول عنهما الصفة ساعة تشاء. فلا يمكن ألا تكون أنت أبناً للأب ولا يمكن ألا يكون هو أباً لك. فهذا مغاير للواقع، لأن هذا الشيء يتجاوز القرار ويتجاوز الفكر. العلاقات في الكنيسة عضوية.

فالأب في جميع الحالات، ومهما كان سلوكه يبقى أباً ولا نستطيع أن ننكر هذا الواقع، والكنيسة هكذا. صحيح هناك أشياء يجب التوقف عندها ولكن هذا لا ينفي ضرورة الانتماء الإيماني المطلق لدور الكنيسة وتوجهاتها الدينية. أنا أقول قد يكون هناك إكليريكي غير صالح، وهو بالنتيجة إنسان، ولكنني لا أقبل وضعاً يصبح الإكليريكي الصالح غير قادر على أن ينوجد. الكنيسة ليست ابنة البارحة، إن عمرها ألفا سنة. وأنا ماذا ورثت؟ لقد ورثت الوضع الحالي كما هو، فهل يتوجب علي أن أتجمد وأستسلم. الحوار واللقاء هما خميرة العطاء المتجدد وهذا يجب أن يستمر لنجد الأحسن. لا نستطيع أن نستورد عادات لم نألفها، كفكرة التقاعد من مسؤوليات ومهمات رسولية لأن ذلك قد يتسبب في زعزعة بعض البنى.

لكن النقل من مكان إلى آخر أو من مهمة إلى أخرى ضمن الإطار الواحد، ليس نظاماً، فهذا يجوز. يجب أن نلجأ في هذه الحالات إلى الإقناع والإقتناع. إن هذه الأشياء هي في خدمة الكنيسة وإستثنائياً يعمل بها والأشياء الإستثنائية لا تقونن. وما يسمى تدبيراً في الكنيسة ليس لمصلحة الكنيسة ولكنه لمصلحة الشعب في حالات إستثنائية.

في الـــبداية وفي النهاية. هل لصاحب الغبطة أن يبارك مجلة "الأحداث" كمؤسسة لبنانية تعمـــل في صناعة الكلمة الحرة، وهل له أيضاً أن يخاطب اللبنانيين عبرها وماذا يقول لهم ويوصيهم وصية الراعي المحبوب والأحب؟

كـــنت أتحدث دائماً وأتساءل إلى أي حد وما هي علاقة الكلمة بما تنقله، كيـــف يمكن لها أن تكون لا أكبر ولا أصغر مما تنقله. وبالتالي أن يكون القائل هو نفسه ما يقول.

ما أراه أن أخلاقية الكلمة هي أساسية جداً، أن تكونوا فعلاً على قدر الشيء الـــذي توصلونه للناس لكي لا تحملوا الضلال. نحن حساسون لهذا الموضوع كنسياً. المضـــمون يجـــب أن يُعَبَّر عنه. الخطر في الكتابة أن تصبح هي الكاتب وأن يجعلها الكـــاتب بعـــد ذلك صناعة. والصناعة لها منطقها، ومنطقها قد لا يكون هو منطق المضمون ولكنه منطق تركيبي لا يحمل المضمون الحي الذي يجب أن يعبر عنه الكاتب أصلاً.

وقال: أصبح لدي شعور بأن الكتابة قد تصبح مثل الدور التمثيلي. قد يكون دوراً حقيقياً، صحيح، ولكنك تكتشف غياب المعادلة بين الكاتب والمكتوب. ومن أجـــل هذا، أنا مقتنع أنك لا تستطيع أن تعرف أحداً من خلال كتابته. شخصه هو غـــير ما يكتب. قد يكتب ما هو أفضل بكثير من شخصه، وقد يكتب ما هو أسوأ كثيراً من شخصه. من هنا نرى إلى أي حد الكلمة هي ترجمة لحقيقة وليست صناعة. مـــا أتمناه أن ننتبه إلى شيء أسمه أخلاقية الكلمة لأن هذا الشيء هو الذي يصل إلى الـــناس، يجب أن نكون حريصين جداً في نقل الكلمة الحق للناس لئلا يكون الناس مُضَلِّلين من خلال الكلمة.

عـــندما أراد ربـــنا أن يتكـــلم مع الناس حَوَّل الكلمة إلى شخص وليس إلى حـــرف، حَوَّلها إلى كائن حي. الكلمة التي ليست هكذا تصبح مجموعة حروف. ما

أتمـــناه بالفعل هو أن ما يكتب يصبح ترجمة حية لشيء حي، وأتمنى لـــ"الأحداث" الـــنجاح في مهمتها التي أعتقدها صعبة جداً من الناحية الخلقية، وأتمنى لكم النجاح الكامل. كما أرجو أن نتوحد جميعاً ونتكاتف يداً بيد وقلباً مع قلب وأوصي أبنائي اللبنانيين بأن يحافظوا على الغوالي المحافَظَةَ المحبة والواعية.

للمسيح جغرافيا وللمسيحية جغرافيا*

أكرر شكري للأعلام وهو من أهم الوسائل المعبرة عن الحرية التي نشتهيها دوماً وأتمنى أن لا يغيب ذلك عن هذا البلد بأي شكل، سمعتم بالأمس حديثي في كنيسة القديس جاورجيوس في دير البلمند حيث كنت أساوي بين لبنان والحرية الموجودة حالياً فيه.

يا أحباء لم يكن لدينا اختبار سابق للإجتماع الذي عقدناه هنا، بمعنى أنه كان الأول من نوعه. ولمن كان؟ كان لكرسينا الانطاكي لأبناء هذا الكرسي المنتشرين في كل بقاع الأرض وقد حضروا من تشيلي غرباً إلى أوستراليا شرقاً مروراً بكل البلدان الكائنة بين هذين الطرفين. وكانت الغاية أن يحدث هذا اللقاء ويتم فيه تبادل الآراء وأن يعطينا صورة عن واقع الكرسي الأنطاكي ليعرف الناس أنه ليس موجوداً في منطقتنا هذه فقط. وقد كشفنا ذاتنا في اجتماعنا هذا لأن مسؤوليتنا ليست محصورة في هذه المنطقة الجغرافية وفي دولها بل تشمل كل أبنائنا حيثما وجدوا. وبالتالي نحن ملتزمون بالتعبير عن طابعنا الأنطاكي المشرقي لا في هذه المنطقة فحسب بل في أي مكان وجد فيه أبناؤنا الأنطاكيون.

تميز اجتماعنا أيضاً بأننا كسرنا بشدة المفاهيم التي اعتادت الكنيسة على تبنيها مصادفة وهي: من الذي يجتمع؟ وكان الجواب سهلاً. في السابق كان القياديون الأكليريكيون والذين بالفعل لا وجود للكنيسة بدونهم، يجتمعون ويتداولون في شؤونها ويتخذون القرارات من أجلها، فهم إذن دماغ هذه الكنيسة.

نحن في مجمعنا هذا تجاوزنا كل ذلك لأنه ضم الفئات التالية: السادة المطارنة والأساقفة والأباء، والكهنة، والرهبان والراهبات، أي كل مصاف الأكليروس. وهذا الجمع لم يلتئم إطلاقاً فيما مضى. يضاف إليهم أبناؤنا المدنيون ــ أنا أكره كلمة «العلماني» لأنها ترد بالمفهوم الفرنسي للكلمة ــ. وكما شاهدتم هم من الرجال والنساء

* النهار، الاثنين ١١/١٠/١٩٩٣

والشـــباب والشـــابات وأعتقد أن كل الفئات كانت ممثلة في مجمعنا وللمرة الأولى بهذه الكثافة وهذا التنوع. وفي اعتقادنا أن مجمعنا أظهر للملأ حقيقة وجه الكرسي الأنطاكي المقدس.

مـــا هـــي الأمور التي كنا نحاول أن نجتمع في ظلها؟ هي شيء أساسي جداً فالموضوع هو كيف نستطيع التعبير عن أننا الكرسي الأنطاكي الواحد. كيف؟

نحن نستعمل كثيراً عبارة نحن واحد، طبعاً لأننا نحن أبناء الكرسي الأنطاكي الواحـــد. ولأنـــنا نصلي بطريقة واحدة في كل مكان، ولكن يجب أن يكون لدى الجميع الشـــعور بأنـــنا واحـــد. وهذا أمر لا يتحقق إلا من خلال الاجتماع والمشاهدة واللقاء والحديث بين الجميع من كل بقاع الأرض. وهذا ما نعبر عنه بكلمة تجسدي.

نحـــن مـــن الذين يعتقدون بأنه ليس لدينا انفصال بين الروح والجسد وأن في مقدورنـــا التحدث عن الروح كما لو لم يكن لدينا الجسد أو عن الجسد وحده كما لو لم يكن في هذا الجسد من روح.

نحـــن نعـــتقد بأن ربنا قام بأكبر فعل وهو روح صرف قبل أن يلبس الجسد وقبل أن يأخذ هذا الجسد الإنساني ويصبح الكلمة متجسداً كما ورد في إنجيل يوحنا.

نحـــن إذن نحـــاول أن نكون تجسديين أكثر ما يمكن، وهذا يجرنا إلى علاقتنا بـــالأرض. نحن نعتقد يا أحباء، أن المسيح عنده جغرافيا: الأنبياء، القديسون، أصحاب الأديـــان كلهم برزوا في أماكن معينة على الأرض. المسيحية عندها جغرافيا بالدرجة الأولى. جغـــرافيا فعـــلية كما نعرف من الأناجيل: (بيت لحم مكان ولادة الرب يسوع، الناصـــرة قريته، القدس المكان الذي عاش فيه) لذلك نحن عندنا جغرافيا .هذه المنطقة الـــتي نسميها اليوم فلسطين وهي لا تعني بالنسبة لنا حيزاً جغرافياً كما لو كنت تدرس جغرافية آلاسكا أو جبال الصين، لا. لأننا نحن نعتبر وكأن ربنا اختار هذه المنطقة عن سابق تصور وتصميم لتكون فيها المسيحية، لذلك فالتراب الفلسطيني بالنسبة إلينا، هذا التراب الناصري البيت لحمي القدسي شيء هام جداً إلى أبعد الحدود. وهذه أقولها كي لا يظـــن أحد أننا نعيش بالروحانيات. ومعنى ذلك أن نترك القدس أو فلسطين. هذا لا

وجـــود له فـــي عقليتنا وتفكيرنا بل على العكس من ذلك تماماً، نحن نتمسك بشدة بذلك وإذا سُـــمح لنا أن نقول وسنقول في كل الأحوال: إن القدس إذا كانت تعطى طابعاً دينياً فهـــي حـــتماً بالنســـبة لنا كمسيحيين العاصمة الدينية المسيحية الوحيدة ولا منافس لها. أضـــف إلى ذلـــك أهميتها بالنسبة للديانات الأخرى. لذلك نحن نرفض أن تأخذ القدس طابعاً سياسياً لأنه سيخنقها، لأن وضعها يجب أن يكون في كل الأحوال من النوع الذي يعطيهـــا هذا الوجه الروحي كي لا يظن من يسمعنا أننا نتكلم في الهواء، والدين بدون شك يشمل الروحي والجسدي لذلك فهي عاصمتنا ومكاننا الأول.

فعـــندما أنظـــر إلى قـــبر المسيح أنظر إليه وأتصور الدفن والقيامة لأن ذلك حصـــل بـــالفعل وبالحقيقة. لذلك يا أحباء كنا نحاول أن نتواصل تجسدياً أكثر من ذي قـــبل. إن مـــن هـــو فـــي الخارج إنما هو امتداد لما هو قائم بصورة خاصة هنا، وإن جغرافيتـــنا ليســـت محصـــورة بالحدود التي نحن فيها الآن وبالتالي إن المسؤولية هي مسؤوليتنا كما سبق لي أن قلت.

مطـــلوب مـــنا أن نكون أنطاكيين ومشرقيين حيثما وُجدنا إن كان بفرنسا أو اســـتراليا أو أميركا وأنا يهمني عندما يفكر أبناؤنا في هذا الكرسي بالمسيح وبواجباتهم نحوه وبتحقيق رسالته أن يكون تفكيرهم شاملاً لكل هذه المناطق. فنحن لا نريد إقليمية ضيقة لأن ذلك يعني تحطيماً للتراث في حين أننا لم نجتمع إلا لنحيي التراث الانطاكي الـــذي نحطمـــه بمثل هذه النظرة الضيقة. في كرسينا الأنطاكي نحن نحمل اسم سوريا ولبنان وفلسطين أينما ذهبنا وهذا من أهم الأسباب التي جعلتنا نعقد هذا الإجتماع.

وسنعود إليه وستكون لدينا مستقبلاً إجتماعات مماثلة في هذا المكان وبالتحديد بعد ثلاث سنين لكي تتاح فرصة جديدة من خلال هذه الإجتماعات لإعطاء صورة عن كرسينا الأنطاكي. وهنا أقول إنني أكره كلمة (تمثيل)لأنه ليس من أحد يستطيع أن يمثل الغيـــر. وفـــي اعتقادي أن بعضنا يشارك البعض الآخر في الوجود وليس في أن يحل محـــل الآخر. التمثيل مسألة حقوقية وليست وجودية وكيانية وليس لدينا في الكنيسة أي نـــوع مـــن أنواع التمثيل إذ لا أحد ينوب عني في الصلاة مثلاً أو يعتمد عني أو يقيم الصلوات اليومية الخمس عني. إن في هذا التعبير مجالاً واسعاً للالتباس.

بـــإذن الله ســـنتابع هـــذه الإجتماعات وسيكون وجه المؤمن مشاركاً والباب مفتوحاً للكل ليعطوا آراءهم وتوجهاتهم شرط أن تكون موجهة لتبني كنيسة. نحن لسنا جمعية أو حزباً أو دولة في قلب الدولة. لكننا بالعكس يجب أن نكون في كل مكان لأننا يجـــب أن نكـــون القائلين بالرسالة الإلهية التي تعطي الوجه الصحيح للكنيسة المقدسة وهذا مبرر وجودنا.

سيدنا! هناك مطالبة بأن تكون القدس مفتوحة ، فما رأيكم ؟

لا شـــك في أن كـــل ما لا يجعل من القدس العاصمة الروحية وبلغتنا نحن العاصمة المسيحية الدينية، أعتقد أنه يشوه طبيعتها. أنا أجيب سلباً، كي لا أقصد أن هناك حدوداً يجب عدم تجاوزها مهما تكن الحلول، وإذا كانت كلمة مفتوحة، تعني هذا المعنى الذي أقوله فيجب أن تكون مدينة مفتوحة.

إذا كانت هذه الكلمة تعني هكذا فأنا عندما أقول عاصمة مسيحية لا أقصد أنها فقط مسيحية. بل أقصد أننا مسؤولون ويجب أن نتكلم ونشدد ونطالب بها. وأنا كـــنت أشـــعر دائماً بأن الأماكن التي يظن أنها مسيحية، هي ليست كذلك. العالم المسيحي كما يسمونه لا أعتقد أنه موجود هكذا. وأعتقد أنه مقصر كثيراً في التشديد على أن القدس مميزه. لا توجد صيغة سياسية من الصيغ المطروحة يمكن أن تؤدي إلى النتيجة المبتغاة. أنا ألوم العالم المدعو مسيحياً ولا أعتقد أن هناك عالماً مسيحياً، وألومه لأنه لا يقوم بحملة قوية من أجل القدس. ألا تعني قبة الصخرة ولا قبر المسيح شيئاً؟ أنا منـــزعج كثيراً من أجل هذا السبب.

وهل طرحت مواضيع الحوار المسيحي- المسيحي في المجمع؟

معروف أن الكرسي الانطاكي لديه موقف من كل الحوارات، الحوارات مع الكنائس الأخرى والأديان الأخرى. نحن معها من دون تحفظ ونسير في هذا الاتجاه. وعندنا اجتماعات قريبة ربما الشهر المقبل. وفي هذه الاجتماعات سيبحث في مرحلة

من مراحل التوافق. ولا أقول الاتحاد لأن كلمة الاتحاد تعني عند الناس هزيمة فريق أو ذوبان فريق في الآخر. ونحن في الكنيسة لا نفكر ابداً ما إذا كان طرح الحوار سيكون منا أو من غيرنا. لذلك نحن مع الحوار وهذا ما حصل معنا في هذا الاجتماع العظيم، وكـــان شهادة على أن لبنان موطن لقاء وعلى أعلى المستويات وفي كل الظروف، وهذه قضية مهمة كثيراً لنا. وعندما قررنا الاجتماع في لبنان وليس في سواه ـــ علماً أنه غير صحيح أننا لم نكن نقدر أن نجتمع في مكان آخر ـــ أصررنا على أن نكون هنا، وأسجل أن منطقة الشمال هي أعز ما لدينا وأقوى ما لدينا.

مارأيك بوضع الحريات في لبنان الآن ؟

أنا أعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك إيمان إذا لم يكن الإيمان مختاراً بحرية. لذلـــك فإن فقدان الحرية هو فقدان الإيمان. وفي نظرنا حيث لا توجد الحرية تنقص الفضيلة. فالسجين مثلاً آدمي ولكن غصباً عنه.

وأعـــتقد أنـــه من دون الحرية لا تكون كل القيم التي تعيشها متفتحة. إن الحريات في لبنان في وضع جيد، وأنا أحس أحياناً أن الكلمات لا تعني دائماً المقصود مـــنها، وحيـــناً أشعر بأن أدب الشعارات بدأ عندنا. وهذا شيء إذا كان لابد منه بمقدار، فنحن لا نتمنى أن يكون طاغياً.

في حال وقع الصلح مع إسرائيل فكيف ترى وضع القدس ؟

نحـــن نقول كيف نريد القدس وكيف سيكون وضعها. ونحن لا نثق كثيراً بالدول إجمالاً. لأن هذا يقول اليوم نعم وغداً يقول لا. والأمور متوقفة على مضمون السلام الذي سيصير. ما هو؟ لا أعرف.

وقـــال مشدداً: إن هدف الكنيسة هو لتقوية الشورى. وأن الاجتماعات ركزت على تقوية مجالس الرعايا وسواها.

وماذا عن إقامة "القرية الأنطاكية"؟

الأبرشية الأنطاكية في أميركا تساهم في هذه المشاريع للمرة الأولى وليست وحدها التي تساهم. ويهمني القول إن جامعة البلمند والمعهد اللاهوتي يغذيان الابرشيات في الخارج والداخل. وحاجتنا هي إلى الاجتماع. ونطمح إلى التعبير عن الشيء الذي نحمله: إيمان الكرسي الأنطاكي. وهذا لا يعني أن لا مساهمة من كل الجهات. هناك مساهمة ٩٠ في المئة من هذه الجهات.

وأكد أن أعمال المجمع كانت بعيدة جداً عما يجري في المنطقة من مفاوضات وأحداث. ولم يكن وارداً أي موضوع يتعلق بمحادثات السلام عندما دعى إلى المجمع وقد اجتمعت الهيئات في الكرسي الانطاكي، وتعرف الحضور بعضهم إلى البعض حتى يتحملوا مسؤولية كونهم من الكرسي الأنطاكي والتراث المشرقي. ونحن تعودنا أن نترك الأمور السياسية لأصحاب الاختصاص السياسي. ولا يعني أن لا رأي لنا. أما في الكنيسة فلا دخل لها عندنا. وقليلاً ما نتعاطى حالياً معهم.

سُئل غبطته عن موقف الكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية من المجمع الرعوي من أجل لبنان فأجاب:

إن الكنيسة الكاثوليكية حرة في أن تدعو إلى ما تريد، فنحن لسنا معلميها ولا مستشاريها. ونحن نفرح كلياً بكل نشاط يُقوِّي الكنيسة هنا، لأن الحرب زعزعت الروحية الكنسية، لذلك فالتنبه إلى هذا الأمر شيء جليل. ونحن نشكر الكنيسة الكاثوليكية لهذه التدابير الآيلة إلى الإنعاش الروحي للكنيسة بعدما حصل ما حصل. هذا شيء نعتز به ونفتخر. نحن نحترم أخانا كثيراً. وكل من يفتش أن يكون صادقاً مع إيمانه فنحن ندعمه ونفرح به كثيراً وهذا هو الطريق السليم.

اجتماعنا تعبير عن وحدتنا *

استهل البطريرك ندوته بالقول: «يجتمع المجمع الانطاكي المقدس وهو تقريباً مكتمل، أي أن أعضاءه بكاملهم حاضرون إلا واحداً بسبب دواع صحية هو سيادة المطران اغناطيوس مطران سان باولو والبرازيل.

إن هذا الاجتماع بالنسبة إلينا هو التعبير عن أن الكنيسة على تعدد أبرشياتها، إنما هي واحدة. والواقع أيها الأحباء أن مفهومنا للوحدة أظنه واقعياً أكثر مما نسمع عادة، كأن الكثيرين عندما يلفظون كلمة الوحدة يظنون أن هناك كائنين يمكن أن يصبحا واحداً من الناحية الوجودية. هذا غير صحيح، الوحدة دائماً بين متعددين. والوحدة هي اتفاق بين متعددين. كل وحدة بين وجودات متعددة إنما هي علاقة بين الوحدات المتعددة. لا يوجد شيء اسمه الدمج عندما تتكلم عن الكيانات، لا يوجد شيء اسمه الخلط. نحن نعتقد أننا نجتمع لنكون كما خلقنا الله، كل واحد يحمل النعمة التي أعطيت له، ومن ناحية أخرى لكي نبرهن ونظهر حقيقة مفهومنا للوحدة، وإن هذه الوحدة لا تمنع الاتفاق، بالعكس هي تعبير عن تعددية متفقة، عن تعددية متوافقة. الإنسان ليس رقماً لكي يمكنك أن تدمجه برقم آخر. الإنسان كائن على صورة الله ومثاله. وقصد الله فيه خاص. لذلك من خلال خصوصيته يعبر عن وحدته.

هذا يجعلنا أن نجتمع، وإن تعددت الأبرشيات. وتعدد رؤساء الكهنة يجعلنا أن نجتمع وأن نشعر بأننا واحد يجمعنا رب واحد، وإيمان واحد. في النهاية، ليس من وحدة إلا في قلب الله، كما قال بعضهم. ليس من وجدانية إلا في الرؤية الإلهية. ومن هنا نعتقد أننا إذا لم نكن نضع الله في وجهنا، ونجعل أنفسنا في يد الله وفي قلبه ونجعله في قلوبنا، لا يمكن أن يوحدنا شيء على وجه الأرض.

إذن نحن نجتمع تعبيراً عن وحدتنا، ونجتمع لا لكي يكون عندنا، فقط، شيء نقوله لشعبنا ولمن يريد أن يسمعنا ولكننا نجتمع خصوصاً لكي نستمع إلى شعبنا الذين

---

* صحيفة «النهار» اللبنانية، ١٣ تشرين الثاني ١٩٩٥

نحـــن وإياهم عضوياً مرتبطون. لسنا نحن من دون شعبنا وليس شعبنا من دوننا نحن. نحـــن سنكون لا ألسنة فقط تنطق ولكن على الأخص آذاناً تسمع. وكما قلت يوم الأحد: في إيماننا ليس أحد يحل محل أحد. كل واحد غاية في حد نفسه. كذلك نقول اليوم نحن وشعبنا ومن يستمع إلينا، كل واحد غاية في حد نفسه. ليس عندنا درجات، وليس عندنا طـــبقات، وليس عندنا فئات. ونفشل إذا رأينا في الناس طبقات أو فئات أو أناساً ينعزل الواحد بالنسبة إلى الآخر.

هـــذا، في نظرنا، له معنى في الوضع الحاضر الذي نعيشه في لبنان. نحن لا نعرف ماذا تخبئ الأيام للبنان لأن ما يحدث في هذه الأيام لن يكون من صنعنا وحدنا. الـــذي نريد أن نُعـــبِّر عنه هو من قبيل التمني، على أساس أن الله، إذا كثرت خطايانا، يرأف بنا هو حتى إذا لم يرأف الواحد منا بالآخر.

لبـــنان بـــلد إذا أزيح الله منه لا يبقى الكثير. وخصوصاً أننا نحن في منطقة اخـــتارها الله لكـــي ينطق منها، في كل الأديان الكبرى وليخاطب أبناءه في كل العالم. نحن نتمنى للبنان في هذا الظرف أن يحقق في كل ما قد يحدث في المستقبل القريب أو المســـتقبل البعيد آمالَ كل لبناني مخلص، وان يكون لبنان محترماً لكي يُحترم كل واحد مـــن أبنائه وأن يكون كريماً لكي لا يكون شيء ينتقص من كرامة أي من أبنائه. وأن يكون كل ما يحدث فيه يحدث من منطلق واحد هو أن كل واحد في لبنان هو لكل واحد فـــي لبنان. وألا يوجد أناس منقسمون بالنسبة إلى كرامة لبنان وإلى وحدته. وألا يُعمل شـــيء يكون صالحاً فقط لفئة في لبنان ــ هذا لن يكون لبنانياً ــ فلبنان هو مكان إذا لم تكن فيه الوحدة، فمن الصعب أن نتأمل أن يكون شيء آخر.

إنـــنا فـــي المجمـــع المقدس سنصلي لكي تكون الفترة المقبلة أغنى بكثير من الفـــترات السابقة في ما هو خير، وأن تكون بالفعل خطوة نحو مرحلة أفضل أقصد بها أن يكون كل شيء فيها، في كل المستويات، خطوة متقدمة نحو الأفضل أكثر مما كان حتى اليوم. بكلام آخر، نطلب للبنان ونسأل الله أن يقوينا ويقوي الجميع لكي يكون كل يـــوم للبـــنان آتٍ أفضـــل من أي يوم سابق. والباقي في يد الله. إذا اتكلنا على الإنسان وحده، فالإنسان وحده لا يقدر أن يحقق الكثير. إننا شعب يؤمن بالله ويتكل عليه. وإياه

نسأل أنَّ لبنان الذي وجد برحمة الله أن يستمر برحمة الله وأن يكون له مستقبل برحمة الله».

صاحب الغبطة، حدّثنا عن أعمال المجمع الانطاكي؟

لم أتصور أن هذا الحديث للإعلام، بل لأشياء داخلية في المجمع. المجمع سنحاول فيه، كما قلت، أن نَسْمَع شعبنا لأن شعبنا هو الذي يعيش في النهاية. ونحن نخاف من موطن الأولية، أو كما يسمونها الرئاسة. نخاف أن تكون الرئاسة عنصراً يبعدنا عن شعبنا. وهذا يمكن أن يحدث في كثير من الرئاسات في هذا العالم. إذن، برنامجنا بالفعل يختصر بأننا سنكون آذاناً مصغية، وأن نكون مسؤولين فعلاً عما هو خير لشعبنا لكي يكون قريباً من ربه ولكي يسأل دائماً رحمة الله ونعمته.

الموضوعات الأخرى هي نوع من التفاصيل التي لا بد من التعرض لها. مثلاً عندنا هاجسان في كل ما يحصل ما دام شعبنا في أمكنة عدة وعلى اتصال مع حضارات متعددة. يجب أن نتعرض لموضوع كيف يجب أن نكون لنتفاعل مع تعدد الحضارات، وقد تكون متضاربة، وكيف نتصرف للمحافظة على الهوية الشرقية، الهوية التي انطلقت من هنا لكي تذهب، لا شك، لا لتأخذ ولكن لتعطي في الدرجة الأولى. نحن، لسنا مهاجرين بالنسبة إلى منطقتنا هذه. سنرى كيف يكون الكرسي الانطاكي المشرقي كرسياً أنطاكياً مشرقياً في أميركا أو أوستراليا، في أميركا الجنوبية، في أوروبا. نحن نشعر أن عندنا في هذا المشرق مبررَ وجود. ولكن السؤال ماذا نفعل حتى لا يغلبه التاريخ ويطغى عليه. هذا شيء مهم جداً. عندنا بالتأكيد، اتصالات بالعالم الأرثوذكسي. ما يحدث في روسيا يهمنا وفي صربيا يهمنا. الأماكن التي نحن موجودون فيها ليس لنا الحق إلا أن نلتفت إليها التفاتة اهتمام. هذا سنفعله. ثم إن شعبنا يتعرض، بواسطة وسائل الإعلام، لتعاليم نحن لا نقرّها. قد تكون المأساة عند الإعلام أنه دائماً يريد أن يلفت الأنظار. ولذلك تجد أنه يتجه لكي يلفت الأنظار،

ويلتفت إلى الأمر غير المألوف والغريب، إلى العنف لكي يدغدغ الحيوانية التي عندنا جميعاً إذا ما تحركت. ولكي يدغدغه في هذه الأيام أكثر ما يدغدغه في الجنس كأن الإنسان في الإعلام لم تبق فيه منطقة ليس وراءها تجارة. تجارة العيون، تجارة الآذان، تجـــارة الأكـــل، تجارة الملابس، تجارة التنقل. حتى الآن، كان هنالك نوع من الخفر عـــندما نصل إلى ما هو في غاية الاحترام عند الإنسان، عندما يحب وعندما يعبر عن محبته. الإعلام يعطي دروساً ويعطي قدوة ليست هي التي نريدها لأبنائنا. وفي نظرنا ليست هي التي أرادها الله لشعبه. هذه مجموعة من الحقول سنتعرض لها. وفي درجة أولى ســـنتعرض لشيء وهو سؤال لأنفسنا، هل نحن صادقون؟ الصدق لم يعد كثيراً. وكـــلما كثر الكلام، كثر إمكان عدمه. في الماضي، عندما كان الإنسان يتكلم فقط بفمـــه، كان يُسْمِع عدداً قليلاً، وإذا لم يَصْدُق، فإنه قد يضلل عدداً قليلاً. أما اليوم فانتشـــار السماع هو انتشار لعدم الصدق إذا كنا غير صادقين. أعني، نحن نريد أن نقول لشعبنا في النهاية: «نحنا بدنا نحكي الصحيح مانا جايين نسكّر على حالنا، ونحنا مثل كل البشر، نحنا بالفعل خدّام لشعبنا».

سيدنا، وهل من خوف، كما يتحدث بعضهم، على الديموقراطية في لبنان؟

إذا كان هنالك خوف فلن يقتصر على الديموقراطية بل سيكون على الذين يمارسون الديموقراطية، أي على البشر، وعلى المكان الذي تمارس فيه الديموقراطية أي الوطـــن. نحن نرجو الله ألا تكون هناك مبررات واقعية في المستقبل للخوف الذي قد يكون عند الكثيرين اليوم.

كيف يرى غبطتكم مستقبل لبنان في ظل التطورات الأخيرة ومنها الاستحقاق الرئاسي؟

نحن نتمنى أن كل ما يقال بأنه من أجل الوطن أن يكون فعلاً من أجل هذا الوطـــن. وأن لا يكون من أجل غيره. كل هذه القوى أو كل شخص يقوم بنشاط، نأمل في أن يكون هذا النشاط من أجل هذا الشعب، وهذا الوطن ولا يكون من أجل

أي شيء آخر. هذا ما نتمناه وسنستمر في تمنياتنا هذه.

وما رأيكم بسابقة تعديل الدستور اللبناني بغية التمديد ثلاث سنوات لرئيس الجمهورية؟

أنا غير مطلع كفاية على النتائج ولكننا نتكلم عن الأسباب. أقول، ما حصل حتى اليوم ليس صحيحاً أنه كله جيد، ولكن ليس صحيحاً أنه كله «عاطل». ونحن عندما ننظر إلى المستقبل نتمنى أن يقل القسم الأول غير الجيد وأن يزيد القسم الجيد دائماً. كيف؟ من خلال ماذا؟ هذه البراعات السياسية في ما يخص دستورا وقوانين لا تهمنا. نحن في نظرنا أن الإنسان الذي وراءها هو المهم جداً.

ليس العيب في أن يخالف أحدنا الآخر

بل العيب ألا نرى في المخالفة باباً للحوار*

إذا أردتم العودة إلى الوراء في فتح سجلات الماضي ابتداءً من مطرانية بيروت وصولاً إلى السدة البطريركية، هذا الدرب الطويل الحافل بالصعوبات والمكلل بالنجاح، أين تحبون التوقّف فيه؟

الأفضل ألا نتوقف وأن نظل سائرين. أنا إجمالاً لا أعيش في الماضي. لكن مما لا شك فيه أن كليّة البشـــارة تعني لي الكثير. قبلها كنت قد أكملتُ علومي الثانوية في الجامعة الأميركية في بيروت وانخرطت في كليّة الآداب ودرست الفلسفة.

في خـــريف ١٩٤٩، قصدتُ معهد القديس سرجيوس اللاهوتي في باريس ونلتُ إجازة في اللاهوت السنة ١٩٥٣ وهي مرحلة هامة في حياتي لأنها كانت فترة زخم شديد وعمل مكثف بين دراسة ومحاضرات واحتكاك بالشبيبة.

العـــام ١٩٦١، انتُدبت وكيلاً بطريركياً إلى دمشق وسرعان ما استعفيتُ لأنـــني شعرتُ أن حقل العمل لا يستحق أن أوقف وقتي وجهودي عليه. انتقلت إلى دير البلمند الذي كان بحاجة إلى الترميم في العديد من أقسامه فحاولتُ أن أتعاون مع العديد من المحسنين والمثقفين في سبيل نهضة الدير على صعيد الفكر والعمران والترميم والزراعة.

العـــام ١٩٦٥ انتُخبتُ مطراناً على أبرشية اللاذقية، لكن الظروف حالت دون تسلمي مهام الأبرشية فمُنعتُ من الدخول إليها لمدة أربع سنوات مع العلم أنني لم أعمـــل في السياسة يوماً. في اللاذقية اعتبرتُ نفسي مطراناً للكل فجمعتُ الكل

* نشرة «سنابل» لبنان، دير البلمند، زياد خير الله، العدد ٤، شباط ١٩٩٧

وأحبـــبت الكـــل وعشنا فترة مهمة عَرَفَت خلالها الأبرشية ازدهاراً على صعيد بناء الكنائس وتحسين الأوقاف والاتصال بالشباب.

بعـــد وفاة المثلث الرحمات البطريرك الياس الرابع، شاء الله والاخوة المطارنة انتخابي بطريركاً في ٢ تموز ١٩٧٩.

لقـــد جـــاهدتُ دوماً أن أقوم بما علي القيام به. منطق السهولة هو وَهم، والذي يُريد أن يعيش الحياة عليه أن يتعب ويكد ويواجه الصعوبات. ولولا العمل لما كان لنا مثلاً هذا المعهد الذي نحن فيه ولما كنتم رأيتم جامعة البلمند.

كيـــف يُعـــرّف بطريرك الروم بالأرثوذكسية، وماذا يجد سيد أنطاكية من خصائص في الأرثوذكسية الأنطاكية؟

الكرســـي الأنطاكي الذي ننتمي إليه أسسه بطرس الرسول السنة ٣٤ ومنه انطلق بولس الرسول لنشر الكلمة الإلهية. والمسيحية كلها نشأت في أنطاكية حيث رُفعت كلمة الإيمان أولاً.

كنيســـتنا مســـتقلة وتـــأتي في المرتبة الثالثة في الترتيب الأرثوذكسي بعد القســـطنطينية والإسكندرية. وبالتالي نحن مسؤولون عن الأرثوذكسية في العالم تماماً كباقي الكراسي. وفيما يتعلق بِوَسَطنا ضمن مختلف الكنائس وضمن التيار الإسلامي فنحن مدعوون لنشهد للحق الذي عندنا، وللمحبة التي تُعلمنا إياها كنيستنا. مطلوب مـــنا أن نعيش مع الجميع وأن نتقاسم وإياهم المصير. لذلك نحن نمارس هذا الانفتاح عبر مدارسنا وعبر لجان الحوار التي شكلناها سواءٌ أكان مع الكنائس الكاثوليكية أو عـــبر مشاركتنا في مجلس كنائس الشرق الأوسط أو مجلس الكنائس العالمي أو ضمن معهد الدراسات المسيحية الإسلامية.

نحن نعتز بأرثوذكسيتنا لأنها مستقيمة الرأي والحمد لله ومشهود لها في العالم كله أنها لم تنحرف عن أقوال المسيح ولا عن فكره.

كنيستنا كانت دوماً موضع اعتزاز وانتماؤنا إليها يدفعنا إلى الافتخار ورفع الرأس، وكرسينا الأنطاكي اتصف دوماً بالشجاعة والمبادرات والمواجهة.

كيف تجدون تفاعل الشباب الأنطاكي مع كنيسته اليوم؟

أعـــتقد أن شباننا هم اليوم قريبون من كنيستهم أكثر من أي وقت مضى، فهُم لم يعودوا مجرد كتلة بسيطة فحسب بل صاروا يُبشِّرون بنهضة قوية في منطقتنا. لم يعـــد عندنا شُبان ينتمون إلى أحزاب وجمعيات مؤمنة أو غير مؤمنة. الإيمان عندنا يُحيا من جديد. وبعد إحداث معهد القديس يوحنا الدمشقي، لم يعد التعليم الديني محصوراً بفئة دون أخرى، بل أصبح وبِهِمة شباننا منتشراً في كل مكان. كهنوتنا يتغير اليـــوم. لم يعد عندنا رؤساء كهنة وكهنة إلا أولئك الذين وهبهم الله الإيمان والعقل والذكاء والعلم العالي. وما يُقال عن أبرشيات لبنان، يُقال أيضاً عن أبرشيات سوريا والمهجر. ونرى شبابنا اليوم في كلّ مجالس الرعايا وفي كل الأبرشيات دون استثناء. نحن والحمد لله في بدء نهضة قوية جداً وهي معتمدة على كل واحد منا.

إذا قمنا بجولة سريعة على أبرشيات لبنان وسوريا، أين تفرحون وأين تحزنون؟

أفـــرح في كـــل مكان لأن الأسرار الإلهية على الأقل، تُقام في كل مكان. وأعـــتقد أنـــه لا توجد أبرشية لا تسعى نحو الأفضل ونحو تأدية خدمة أفضل دون استثناء.

إلى أي مـــدى تجـــدون دور العلماني فعالاً ومهماً في الكنيسة لا سيما بعد مشاركته في المجمع الأنطاكي الموسع ولأول مرة السنة ١٩٩٣؟

لا يوجـــد في كنيســـتنا ما يُسمى علمانياً وغير علماني لأننا لا نعود نؤلف بالتالي كنيسة. فإذا كان غير العلماني يعني إكليريكياً فعددياً الإكليريكيون قليلـــون جـــداً وهـــم من الشعب وهم علمانيون وليسوا بقبيلة منعزلة. مَن يُدير مؤسساتنا وكنائســـنا ومستشـــفياتنا ومياتمنا وكل ما عندنا؟ مَن يدير أملاكنا وأموالنا؟ أليسوا

عـــلمانيين؟ هذه المفردات التي أخذناها عن الفرنسيين وتبنيناها في وقت كنا مغلوبين فيه على أمرنا ما عادت موجودة.

ما الذي دفعكم مؤخراً إلى تحويل بعض المعتمديات إلى أبرشيات؟

هـــذا أمرٌ سبقتنا إليه طوائف أُخرى ونحن لا نُريد أن يشعر أبناؤنا أننا ننظر إليهم بطريقة أقل وأدنى مما تنظر الطوائف الأُخرى نحو أولادها، خاصةً أنه وفي معظم الأحيان أولادنا هم الأكثرية. وهذا التحويل سيدفعهم نحو العمل والإنتاج. والواقع، ومـــا يُثـــبت ذلك تزايد عدد الإكليروس في المهاجر، وثمة إنشاء أديرة في المكسيك وتشيلي والأرجنتين.

ما هي المرحلة التي بلغناها في الحوار مع الكاثوليك؟

الحوار مع الكاثوليك هو حوار قائم وفعلي وأظن أنه يجب أن نُوضح كلمة «كـــاثوليك» حيث أنه لا يوجد كاثوليك من صنف واحد. لذلك تجدون أن عندنا عـــدداً مـــن البطاركة الكاثوليك، ولكن الحوار معهم واحد في هذا الشرق الأوسط الذي نحن فيه والمحاولة هي جدية.

ربما ليس عيباً أن يكون واحدنا مختلفاً عن الآخر ولكن من العيب ألا نتكلم مـــع الآخـــر لأن الآخر موجود يعني أن الله موجود معه. نحن نشارك بجدية في كل الحـــركات واللجان ونعتبر أنها ولت الأيام التي كان يجيئنا فيها مبشرون من الغرب يعمـــلون عـــلى تأسيس طائفة جديدة فيُفتِّتوننا كما حصل في الماضي. وأعتقد أن المخلصين، رأوا أنه ما من أحد انتفع من هذا التفتيت، لا الكاثوليك ولا الأرثوذكس. وأهم ما نتج عن الحوار هو الاحترام المتبادل الذي نكنه بعضنا لبعض وتقديرنا بعضنا لبعض.

كيف قابل المجمع الانطاكي المقدس ما سُمي بـ «مبادرة» كنيسة الملكيين الكاثوليك؟

بنفس الروح وبكل رصانة وجِدّية دون أن نقف أمام الإيجابيات بطريقة سلبية. إنما نتصرف بمسؤولية واحترام كامل للآخرين للتعبير عن أُسس المحبة.

على مر العصور، كان لكنيستنا دور متميز على صعيد المنطقة ككل. فماذا تفعل الكنيسة الانطاكية الأرثوذكسية اليوم حتى تصبح المنطقة منطقة سلام؟

الكنيسة تريد أن يكون أبناؤها رُسُلَ سلام أينما حلوا وفي أي حقل كانوا وأظنك تقصد الحقل السياسي.

نتمنى على أولادنا العاملين في السياسة أن يعملوا بإخلاص وأن يعبِّروا عن أخلاقية أرثوذكسية ولكن «ما كل ما يتمنى المرء يدركه».

ما هو الدور الذي تؤدونه على صعيد العالم الأرثوذكسي لا سيما أنكم لعبتم دور العرّاب في حل الخلافات التي نشأت مؤخراً بين عدد من الكنائس الأرثوذكسية؟

هذا صحيح وكما كنتُ أقول نحن عندنا امتداد طبيعي في العالم الأرثوذكسي ونحن من أهمّ الكراسي والأمور الأرثوذكسية تهمنا كما تهم الجميع ونتكلم عنها ونتدخل فيها ونقوم بمساعٍ في حلها.

ما رأيك بقضية الزواج المدني؟

أنا لا أوافق على مبدأ الزواج المدني ونحن لا نعرف زواجاً غير الزواج الذي يتم بنعمة الله مهما كان شكله. فالمسيحي الحقيقي لا يأكل إن لم يذكر اسم الله ويصلي. حياة المؤمن هي حياة مع الله، أما إذا كان الإنسان غير مؤمن فإنه لن يسألني وأنا لا أسأله، فهو ينظم حياته وهو يختار علمانيته. أما الإنسان المؤمن فلن يختار إلا ما تقوله كنيسته وأنا ليست عندي شريعة غير هذه الشريعة.

ما زرتم بلداً إلا وتحدثتم عن لبنان الجريح. ما أشرتم مرة إلى لبنان إلا وتحدثتم عن لبنان

الحبيب. فما مكانة لبنان في قلبكم؟

إنه لشرف للإنسان أن يُحب بلداً مثل لبنان. لبنان سيكون وسيكون قوياً إن شاء الله. افتخروا بكل حبة تراب من بلادكم، لأنها الحبة التي أمسك الله إياها بيده وجـــبل مـــنها آدم وحواء، أي جبل الإنسان من ترابنا. أنتم من يتوقع لبنان منكم إخلاصاً ووفاء ومحبة.

لبنان بحاجة إلى إصلاح ديني للمسيحيين وللمسلمين*

"احملوا بعضكم أثقال بعض"

عندما طُرح موضوع زيارة البابا إلى لبنان قبل سنتين كُنتَ من غير المتحمسين لها. لماذا؟

لأننـــا لاحظنا اعتقاداً لدى الكنيسة المارونية والكنائس الكاثوليكية عامة أن الزيارة ستؤدي إلى تغيير في الأوضاع، ولكنني كنت لا أرى ذلك. وهناك مَن تصرف وكأن البابا آت لينصر فئة على أخرى. وفي لبنان توجد دائماً فئة تريد أن تنتصر، وإن تكن طبيعة هذه الفئة تتغير.

الآن أعتبر أن زيارة البابا تنطوي على نوع من الامتحان: إلى أي حد لبنان موحَّد. وعلى كل حال، أهلاً وسهلاً بكل مَن يأتينا. البابا ليس رجلاً عسكرياً، وإذا أراد أن يؤثـــر في الوضع فيفترض أن له طريقته، وهو لن يورط نفسه بهذه السهولة. وأثـــناء الأحداث أظهر الفاتيكان مواقف حيادية لا بل تربى شعور لدى المسيحيين بالمعنى العام للكلمة، بأن البابا «سحب يده».

في لحظـــات معينة ربما بدا البابا أكثر اعتدالاً من بعض الفئات المسيحية وبعض أطراف الكنيسة المارونية.

في وقـــت من الأوقات كان موبِّخاً، وأنا أعتبر أنه لا داعي لاستباق وصول البابا بتوقعات سياسية حول زيارته، فلننتظر ولنستمع إلى ما سيقوله، ولنتجنب القلق وردود الفعل السلبية. وفي النهاية الدولة تصنع في الداخل والمرجع هو الدستور، ونحن جئـــنا لنساهم في استقباله حتى نثبت أننا لسنا فريقاً مقابل الموارنة أو أية فئة لبنانية أخـــرى، وإنمـــا لنكمل كلية الوطن في حضور الزائر. وأنوِّه هنا إلى أن الضيف في

* صحيفة «السفير» اللبنانية، مطرانية الروم الأرثوذكس، جورج بكاسيني وعماد مرمل، ١٩٩٧/٥/١٠

أوساطنا له صدر البيت ومحمي. وحتى إذا تقرر مجيء شخصية إسلامية إلى لبنان فنحن مستعدون لاستضافتها في دار المطرانية. وأنا شاكر للشيخ محمد مهدي شمس الدين الذي يجيد كيفية الكلام ومواجهة الأمور.

هل تعتقد أن بعض الفئات سياسية كانت أم كنسية، تحاول أن تستقوي بزيارة البابا؟

أي نوع من القوة؟ إن قوة البابا معنوية فقط، ولعل الزيارة تتمخض عن أمور أفضل مما يأتينا من دول عظمى. وفي ظرف معين كان لبنان لا يستأهل البحث فيه، وتحول إلى مشكلة أكثر مما هو حل، وأصبحت الدول تتصرف معه على هذا الأساس. فإن شاء الله تكون هذه الزيارة بادرة ومؤشراً إلى بقاء لبنان في المستقبل عضواً في الحوار مع الدنيا.

هذا لا يمنع أن أحداً قد يتلقف الزيارة ويسيء استعمالها، ولكن حتى سوء الاستعمال لم يعد مخيفاً.

لعل الالتباس الحاصل ناتج عن التوأمة بين الزيارة ومضمون نداء السينودس الذي سيشكل روحية الإرشاد الرسولي. والمصدر الثاني للغط اعتبار بعض الكنائس أنها غريبة التفكير والهوى والميل وأنها جزء من الغرب، يُعزِّز موقعها ومنطقها حول وجود ثقافتين وحضارتين الأمر الذي يبقي الخلاف مفتوحاً على الهوية، وبهذا المعنى إلى أي مدى تُعد الزيارة مكسباً للوحدة أو أنها قد تؤثر سلباً، بحدود معينة، نتيجة سوء تفسير محلي أكثر مما هو سوء قصد من البابا؟

مهما كانت الخلفيات، هناك شيء أكيد وهو أن لبنان بحاجة إلى إصلاح ديني عند المسيحيين بكل طوائفهم وعند المسلمين بكل طوائفهم. وأنا أتساءل لماذا لا تصدر عنا جميعاً ورقة موحَّدة نؤكد فيها اتفاقنا على الكثير من الثوابت والمبادئ، فهل نحن مختلفون على أن الرشوة سيئة والكذب سيء، وإذا كنا غير مختلفين، لماذا نطمر اتفاقنا؟ ليس صحيحاً أنه لا يجب أن يتعاطى السياسة إلا مَن كانوا بلا دين،

ونحـــن ليس بيننا في لبنان مَن لا ينتمي إلى دين، فهل نشطب الجميع؟ أنا أعتقد أن طريقة التعاطي مع الأمور حتى الآن تقوم على رد الفعل فقط وتغفل ضرورة أن ننمِّي الإنسان والمجتمع في الاتجاه السليم، وهذه المعالجة لم تتم بعد، ولعل هذا ما هو مبطن وراء كذبـــة الوحـــدة الوطـــنية، علماً أن المستقبل يبنى من كل دقيقة يعيشها المرء، والأوان لا يفوت على أشياء بهذا المستوى.

ويجب أن نحمل بعضنا على قاعدة «احملوا بعضكم أثقال بعض»، ومن غير الجائز أن نترك الآخر على حاله وشكواه لأنكما، أنت والآخر، معاً، والكل مسؤول عن الكل سواء أردنا أو لم نرد. وينبغي في هذا السياق التربية على الثقة المتبادلة التي يفترض أن نقويها.

هذا ينطبق على الجميع، مسلمين ومسيحيين.

نعم وبالتأكيد.

لكـــن في جانب سياسي خارج موضوع التمايز الديني بين الغرب والشرق يبدو خطاب المطـــران الياس عودة شبيهاً بخطاب البطريرك صفير، وتظهر المشكلة المسيحية عامة من الناحية السياسية.

إذا أردنا جعل الفريق المشتكي يمشي في مسار جديد علينا بترغيبه لا بقمعه وإهمالـــه وتهميشه. ومن ناحية أخرى، فإن آفاق البابا عالمية والفاتيكان ليست دولة قوية بجيوشها ولا أعتقد أنها ستحصر الآن آفاقها.

ماذا عن العلاقة بين الكنيستين المارونية والغربية؟

الكنيســـة المارونية ليست غربية، وإنما تَغرَّبت على يد مدرسة معينة عاشت رموزها قروناً خارج الإطار المشرقي، وعودة الأمور إلى نصابها تتطلب وقتاً. ويجب ألا ننفي مرحلة من التاريخ كان يجري التركيز فيها على أن لبنان يتجه اتجاهاً آخر.

وهـــناك أيضاً تيارات في السعودية وإيران، وهذا من طبيعة الأمور في العالم، ولكن السؤال هو حول كيفية معالجة هـــذه الحالات. في رأيي أنها تعـــالج بالاستيعـــاب والإيجابية وليس بردود الفعل أو بأن ترى أحدهم يدمع فتفرحه. وأنا أعتقد أن هناك أشياء كثيرة في هذا الحقل ينبغي عملها و لم تُعمل بعد.

هل تخشى أن تؤدي المبالغة في وزن زيارة البابا إلى خيبة أمل لاحقاً؟

أظـــن أن مـــا يجب أن يُفعل يجب أن يُفعل، ونحن علينا أن نزرع، والزرع يتجاوز الإنسان.

هل إن الزيارة تنشط الحوار المسيحي ــ المسيحي؟

نـــأمل ذلك، ونتمنى أن نستطيع تقديم مساهمة على هذا الصعيـــد، وكلما زاد الحـــوار بين الكنائس كلما قل تغريبها، ونكون كشرقيين ندخل أكثر وأكثر في عمـــق الشخصية المسيحية. ونحن نعتقد أن الاختبار المسيحي في الشرق هو اختبار أصـــيل، وليس منحرفاً. ويهمنا ألا تظهر المسيحية بأية صورة من الصور غريبة عن شرقها. وفي بعض الأحيان تعقد اجتماعات لا ندعى إليها وإنما تـــجري دعوة أناس من العالم الغربي.

إن الـــبيان الصـــادر عن مجلس كنائس الشرق الأوسط، بوضوحه وأهميته، يشجع على التســـاؤل عمـــا إذا كـــان يمكنكم لعب دور أساسي في التأثير على بعض مواقف البابا الملتبسة؟

آخـــر تصريح صدر عن البابا، تكلم فيه عن المسيح وعلاقته بإسرائيل، من دون أن يوضح ما هو المقصود بكلمة إسرائيل.

هذا الكلام أثار التباساً كبيراً؟

أثـــار التباســـاً إلى درجة نتمنى معها أن يكون بريئاً. إن إسرائيل اليوم تعني العـــدوان والاحـــتلال وتشريد البشر وإهانتهم. إنهم لا يشعرون بما نشعر به، ونحن نحـــاول إيصال موقفنا عبر مجلس كنائس الشرق الأوسط، ولكن المشكلة في برودة الكنائس الغربية.

والقدس لا تساوي الأماكن المقدسة فقط بل هي تضم أيضاً الشعب والبشر الذين يتعرضون للتهجير، ولكنهم إن شاء الله سيعودون. ومسألة تهويد القدس نعتبرها مسألة اصطناعية وقهرية.

لماذا يبدو أحياناً صوت الكنيسة الشرقية منخفضاً حيال قضايا معنية بها مباشرة، في حين أن صوت الكنيسة الغربية أكثر ارتفاعاً؟

هـــذا الأمر يزعجني كثيراً. وسبب الواقع المشار إليه أن القضية الفلسطينية عموماً وقضية القدس خصوصاً تتعاطاها الدول لا الكنائس. ولذا مَن كانت لديه دولة فله صوت، والمسيحية المشرقية لا دولة لها. ولذلك، ربما ينبغي ألا نتكلم فقط باسم الإســـلام لأنـــه هكـــذا يُنسى المسيحيون الشرقيون، وينبغي أيضاً ألا نتكلم باسم المســـيحيين الشرقيين وحدهم لأن الصوت لا يصل. لذا يجب أن نكون سوية حتى نقوى ويصل صوتنا.

لبنان موجود ليكون الجميع سعداء

العالم هو عالم حوار وتواصل *

أكـد البطريرك إغناطيوس الرابع أنه حضر إلى لبنان خصيصاً للمشاركة في استقبال البابا يوحنا بولس الثاني وقد تحدّث إلى «النهار» في دار مطرانية بيروت، وفيما يلي الحوار:

لندخل صلب الموضوع مباشرة. البعض يصف زيارة البابا لبيروت بأنها تاريخية، في حين أن بعضاً آخر يحاول التقليل من أهميتها وإعطاءها طابعاً دينياً محضاً، من دون أي بعد سياسي أو ديني أو تاريخي. فهل تُعتبر الزيارة تاريخية أم أنها رعوية وحسب؟

أنا أعتقد أن البابا أولاً «ليس مين ما كان» وليس «شو ما كان». وأن عدم رؤية الواقع يدل، على ما أعتقد، على قصر نظر. فالبابا شخصية عالمية مهمة جداً، وصحيح أننا لسنا كنيسة كاثوليكية إنما لنا أعين ترى جيداً. وقد يكون له أثر ليس روحياً فحسب وإنما معنوي بالمعنى العام للكلمة. ففي أوروبا كانت هناك أوساط وكان يظن أن لا أحد يمكنه التأثير فيها، والبابا استطاع التأثير.

يعني أنك تراها زيارة تاريخية؟

أنا أعتقد أنها زيارة تاريخية ولا أريد أن أقول إنها تاريخية للمسيحيين وحدهم لأن لبنان بكامله يجب أن يعتز بهذا الشيء. أريد أن يقول كل لبناني إن هذه الزيارة له شخصياً، ولنقُل على الأقل من الآن وصاعداً إن البابا يأتي إلى كل لبنان وليس إلى

* صحيفة «النهار» اللبنانية، مطرانية الروم الأرثوذكس، بيروت، جبران تويني وحبيب شلوق، ١٠/٥/١٩٩٧.

قسم من لبنان.

الواضح أن المسيحيين يعيشون نوعاً من الإحباط نتيجة نمط التصرف الذي يعتمده الحكم والدولة، وكثيرون من هؤلاء المحبطين الذين عبّر عن رأيهم سيدنا المطران الياس عودة أو البطريرك مار نصر الله صفير، يعتبرون أن الزيارة قد تدعمهم معنوياً وتعيد إليهم شيئاً من الاعتراف بأن يكون لهم دور في لبنان وبأن تكون لهم مشاركة على حد سواء مع الجميع؟

أعتقد أن كل ما تقوله، يجب أن يكون نظرة ابتهاج ولا نريد أن يكون في لبنان مَن لا يشعر بأن معنوياته عالية. وهذه المعنويات يجب أن تتقوى لأنه لا يوجد مواطن لنفسه. وما يحصل لمواطن في لبنان يجب أن يحصل للجميع وعلى الجميع أن يتبنوه. وهذا شيء طبيعي إلى آخر درجة. وإذا كان المسيحيون، وخصوصاً الكاثوليك، هم الموضوع فلا أحد بعيدٌ عنهم. وإذا كانوا يشعرون بانتعاش، فإننا نحمد الله على هذا الشعور. نحن لا نريد أن يكون أحد في لبنان مكبوتاً ولا نريد أن يكون أحد محبطاً. فلماذا وجود لبنان إذا كان فيه قسم محبط وقسم ليس محبطاً؟ لبنان موجود ليكون الجميع سعداء ويحبوا وطنهم ويشعروا بأن الوطن لهم. وأنا أعتقد أن المقصود بالوحدة الوطنية أن تصبح الأشياء التي كانت خاصة عامةً، ويصبح فرح اللبنانيين فرحاً واحداً وضيق اللبناني مشتركاً يتقاسمه الجميع.

حكي الكثير في الفترة الأخيرة عن التعايش في لبنان والتعددية، وعن كلام كثير للبابا ولوزير خارجية الفاتيكان. فما موقفك سيدنا من التعددية والتعايش اللذين يميزان لبنان عن بقية الدول العربية؟

إذا كان وضع اللبنانيين مختلفاً عن غيرهم فيكون تميزهم طبيعياً. أما بالنسبة إلى التعددية، فأعتقد أن لا تعددية وطنية، إنما التعددية هي أننا نتعلم في أماكن مختلفة ونتخصص في أشياء مختلفة.

يعني أن هناك تعددية طائفية وثقافية إنما لا تؤدي إلى تعددية وطنية؟

نعـــم. وإذا كـــانت تـــؤدي إلى تعددية وطنية فيكون هناك شيء خطأ. والـــتعددية أمر مفروغ منه لأن الله يخلق كل إنسان وحده ولا يخلق الناس بالجملة. وأضاف مبتسماً: «ولو كانوا يتحدثون اليوم عن الاستنساخ وغيره». ثم قال: «هناك مقاصد إلهية عند كل إنسان في ذاته وأعتقد أن علينا أن نعتز بذلك، بل أن نعمل على تقويته».

وماذا عن التعددية الطائفية؟

التعددية الطائفية؟ لي الحق في أن أعتقد بالشيء الذي أريده، ولي الحق في أن أخدم وطني بالطريقة التي أعتبر أنها تبنيه. وأنا لي حصة في بناء الوطن. فالوطن لنا كلنا وكـــل واحد يبني منزله في حجم يتسع له وبالطريقة التي يريدها، وهذا لا يعني أن لا وطن إذا كان كل شخص فيه غير الآخر، لأن ذلك ضد الإرادة الإلهية. ثم أنا أعتقد أن لا قولبة للبشر لأن القولبة تحصل بالقمع وفي الديكتاتوريات أو في شيء من هذا النوع، ولكن ذلك لا يؤدي إلى لبنان.

هـــل أنـــت مرتاح إلى الحوار بين الكنيستين الشرقية والغربية؟ وبالتالي هل أنت متفائل بالمستقبل؟

بالـــتأكيد، ونحن نقوم بهذا الحوار. فربنا لم يخلقني وحدي إنما خلقك أنت أيضاً. وهذا يعني أنك «شغلة مهمة». ثم إن العالم هو عالم حوار وتواصل، فالطرق اتسعت ووسائل النقل كبرت والناس يرى بعضهم البعض ولا يمكن أن تظل تنظر إلى الناس الآخرين كغرباء. وفي الكنائس كانت قديماً تيارات، قد تكون تأتي من الخارج، تعتقد أنه إذا وجد الكاثوليكي فيجب ألا يكون هناك غيره، أو إذا وجد الأرثوذكسي فيجب ألا يكون هناك غيره. وهذا الاعتقاد غير واقعي، ولذلك فإن الحوار طبيعي ولا

بد منه، وعدم الحوار لا يفيد أي منطق على الإطلاق. فما معنى أن تكون جالساً مع الناس ولا تحكي معهم؟

وهل أنت مرتاح إلى الحوار القائم؟

أنا مرتاح إلى وحدة الكنائس. نحن نجتمع منذ الأربعينات حيث أنشأنا كتلة من الاكليريكيين الشباب وكانت غايتها لقاء رؤساء الكنائس. ويومها كان يقال إذا مـــرَّ الكاثوليكي أمام كنيسة مار نقولا فلا يحق له أن ينظر إلى الكنيسة إنما ينظر إلى الجهـــة الأخرى «لئلا يخطر في بالك أن هؤلاء الناس يستأهلون النظر إليهم». واليوم تتم اللقاءات ولا أحد غريب عن الآخر والخدمات التي عندنا في جميع الكنائس تُعطى لشعب واحد.

هل تعتبر أن المسيحي في هذه المنطقة يجب أن يكون متفقاً على حد أدنى؟

أنا أعتبر أن لا أحد في المنطقة يجب ألا يكون إلا على تفاهم مع الآخر وعلى وفاق في سبيل الوطن والبشر، وليس بين المسيحيين وحدهم. يا أخي نحن ككنائس شرقية ننبع من هنا.

يعني أن المسيحيين ليسوا صليبيين كما يتهمهم البعض من حين إلى آخر؟

الصليبيون أتوا إلينا.

هل أنت ترد على مَن يعتبر المسيحيين نوعاً من المشروع الغربي الاستعماري المستورد من الخارج في المنطقة العربية؟

أعتقد أن هذه الفكرة طغت أيام وجود الأجانب مثل الفرنسيين عندما كانوا يحـــبُّون القول إن الحضارة حضارة الغرب وليس لنا نحن سوى التخلف. وأعتقد أن ذلك ضد الواقع، وهو أننا أصيلون في منطقتنا، وقد لا يستطيع أحد المزايدة علينا في

هذا الموضوع. ونحن نعتز بأن مبرر وجودنا الحقيقي العميق هو أننا نحمل تراثاً روحياً شـــرقياً أصيلاً في هذه المنطقة، وتكون شخصية الشرق مبتورة إذا لم تكن تأخذ في الاعتبار هذا الأمر. وأعتقد أننا تجاوزنا هذه المرحلة. كذلك أعتقد أن الفاتيكان نفسه والغـــرب نفسه يشعران بوجود خبرة شرقية عند الشرقيين لا يملكها سواهم. لذلك فـــإنهم جماعة لا يمكن تجاهلهم لما يتمتعون به من أصالة. إذ لم يقل أحد أن الاحتواء المســـيحي الروحي هو واحد أحد ومقولب. لم يحدث هذا الشيء على الإطلاق في الـــتاريخ. ولذلك أنا أشدّد على أن هناك حال حوار. ثم أين أصبح "الاقتناص"، أين الخصـــومات التي كانت عندما كان يشعر الواحد انه كمن يبني بناية إذا كان يقاتل الآخر؟ نحن كأرثوذكس كنا نقاتل بالكلام والكلام لا ينتج إلا الكلام. واليوم يجب ألا نضيع وقتاً في مقاتلة أحد، إنما نريد أن نبني وأن نساهم بحصتنا الروحية ولا نجعلها للحكي فحسب. من هذا المنطلق نبني المدارس والجامعة لتعليم أولادنا.

هل يعني بناء المدارس والجامعة نوعاً من رسالة مسيحية جديدة في المنطقة هدفها التوسع؟

لا يمكننا أن نتصور المنطقة من دون الشيء الأصيل فيها. وبالتالي إن الإسلام أصـــيل ولكنـــنا نحـــن أيضاً أصيلون، ولذلك يظل علينا واجب المساهمة في تكوين الشخصية الروحية الشرقية في هذه المنطقة، ولا يمكنني أن أتصور المنطقة من دون هذا التراث. فنحن نرتاح عندما نسمع السرياني والعربي والأرثوذكسي والبيزنطي.

حُكي عن تفاهم قطع شوطاً بعيداً في اتجاه توحيد الأعياد، ولا سيما منها عيد الفصح.

إن هـــذا الأمر خاضع لاعتبارات وقد لا يكون مناسباً لكنائس في وضعها الحالي وفي الإطار العام الذي تعيش فيه. وقد تكون هذه الاعتبارات تمســـكاً بشيء معين، وليس انغلاقاً، أو خوفاً من انقراض. وهذه القضية ليست رئيسية، إنما الرئيسي أن تكـــف كنيسة عن نعت كنيسة بالهرطقة والانشقاق. علماً أن هذا لم يعد يُسمع كـــثيراً، وإذا سُمع فيكون من باب التسلية. وإن شاء الله ما دمنا في الشرق وشرقيين

فسنحتفل بأعيادنا شرقاً. وبالنسبة إلى إخوتنا الذين يظنون أننا مستوردون، فليصححوا تفكيرهم ويروا أننا شرقيون على قدر شرقيتهم وقد نكون أكثر بقليل. وعندما يلتقي تاريخ عام للكنائس في العالم كله، فنحن حاضرون له.

هل أنت متفائل بمستقبل المسيحيين في الشرق في ضوء المؤامرة الصهيونية في القدس، وفي ضوء ما يتعرض له المسيحيون في مصر والسودان والجزائر، ثم في ضوء أن الإسلام أصبح ديناً للدول العربية، أم أنت متشائم وعلى المسيحيين حزم حقائبهم والهجرة؟

في بعض الأوقات «يشم الواحد ريحة» قد لا تكون صحيحة، ففقدان الأرض كما يحصل في فلسطين ماذا يترك للإنسان ليعيش حياته؟ فالأرض ضرورية للإنسان. أما في لبنان فلا نريد أن نشم مثل هذه الرائحة، وأسمع في بعض المرات أن هناك أناساً يشترون أراضٍ هنا وهناك ويستولون عليها. وذلك يظهر كأن أناساً معينين سيصبحون في وقت من الأوقات بلا أرض. ومَن يُصْبِحْ بلا أرض يَرْحَل. وهذا ما نحن نرفضه. وإن شاء الله لا تكون هذه الرائحة حقيقية.

هل هذا يعني محاولة لتغيير هوية الأرض؟

نعم. فمن دون أرض لا يمكن العيش. وأنت خُلقت لتكون على الأرض.

وهل قولك هذا يعني أنك تطلب من الناس أن لا تبيع أرضها لئلا تصبح بلا أرض؟

من دون شك، من دون شك. ولا أعرف تفاصيل في هذا الشأن، إنما في المطلق، فمن الخطأ الجسيم أن تُباع الأرض أياً يكن الثمن. فالوطن أكثر ثباتاً من السياسة ونحن جماعة من هذا الشعب. أما عن المستقبل فلا أقول شيئاً. أنا أعرف الحاضر وفي الحاضر أنا هنا وأريد البقاء هنا والعمل هنا ولا أريد بيع أرضيَ لأن الوطن الذي نحن فيه ليس بيتاً لنا أقل مما هو بيت لأي شخص آخر على الإطلاق. ولذلك لا يجوز أن نتهاون في الشعور الوطني وفي العمل الوطني في هذا الاتجاه. إننا

نريد أن نبني، ونحن موجودون، ونحن مرسلون إلى هذه الأرض، نحن نحمل روحانية معينة لم تأتِ من أي محل آخر على وجه الأرض.

لقد سررت كثيراً عندما كنت أسمع بعض المتكلمين عن المسيح، ولا سيما منهم مفتي الجمهورية في دمشق الذي قال إن المسيح لا يأتي من الغيب وبالتالي ليس هو غريباً، وليس كائناً غريباً.

ذكر البعض أن المسيح سوري والبعض الآخر يعطيه هويات أخرى؟

أعتقد أن ذلك خطأ تاريخي، وقد تحصل مبالغات في الخطب، ولا تُكوِّنُ نظريات دقيقة. المهم أن المسيح ليس غريباً على أحد والمسيحيين ليسوا غرباء.

وأذكر أننا كنا نتغنى دائماً أننا كمسيحيين في لبنان نفخر بوجود إسلامي كثيف ووجود مسيحي كثيف، في حال حوار دائم، وأننا والمسلمون في حال حوار ويجب عدم التصدي لهم. لأن مسيحيين كثراً في أماكن أخرى في حاجة إلى هذا الوضع وإلى تعلم هذه التربية من المسيحي اللبناني. كذلك أعتقد أن كثيرين من المسلمين في أماكن أخرى يحتاجون إلى المسلم اللبناني ليأخذوا منه حال الحوار التي هو دائماً فيها. ولا يجوز أن يكون المسيحي مقفلاً على نفسه والمسلم مقفلاً على نفسه.

رأى البعض أن الاجتماع الكنسي الذي حصل في دمشق، ربما كان محاولة لتنفيس زيارة البابا.

معلوماتي عن الموضوع، أن لا علاقة لاجتماعات دمشق بزيارة البابا على الإطلاق. قبل أن تقرر زيارة البابا بأشهر عُرض موضوع الاجتماع، والمعروف أن لمجلس كنائس الشرق الأوسط رؤساء ورؤساء سابقين ومن المفيد أن يلتقوا. وأنا شخصياً من هؤلاء الرؤساء السابقين ومقيم في دمشق. كذلك فإن بطريرك السريان الأرثوذكس البطريرك زكا هو رئيس سابق ونحن نقول إن الباب مفتوح للاجتماع في

دمشق فلماذا لا نجتمع؟ وأعتقد أن الاجتماع جيد. وموضوع الاجتماع كان للحوار ولم يكـــن لأحد الرؤساء من دون الآخر. ومجلس كنائس الشرق الأوسط هو الذي وجه الدعوة ولم يكن هناك ضيف يزور الدولة أو غيرها رسمياً. والاجتماعات تحصل في شكل عادي جداً ونحن نجتمع مع المفتي ومع مَن يزورنا. ثم مَن يكون عنده قصد في ذلـــك؟ فـــالدعوة موجهة من مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي يضم الكنيسة الكاثوليكيـــة أيضاً، وهو يرحب بمجيء البابا، ونحن نفتخر بكل شيء جيد يمكن أن نأخذ منه شيئاً جيداً. لذلك فلا محاولة للتنفيس، إذ أعتقد أن من البساطة بمكان إظهار وجـــه يســـتطيع أن ينافس وجه البابا الذي له أبعاد لا أعتقد أنها لأحد من رؤساء الكنائس المحلية.

هـــل ستشـــارك الكنيســـة الأرثوذكسية في استقبال البابا وهل تدعو أبناء الكنيسة إلى المشاركة في القداس الذي يترأسه في بيروت؟

أنـــا لا أدعـــو أولادنـــا وحدهم إلى المشاركة في القداس، إنما أدعو أولاد الطوائف الأخرى وإخواننا المسلمين.

وهل ستشاركون في الاستقبال؟

طـــبعاً وبالـــتأكيد. أنا في لبنان خصيصاً من أجل هذا الموضوع. وإذا كنا نطلب من الناس أن يكونوا بعضهم مع البعض، أفلا نكون نحن معاً؟

أنت تعرف البابا يوحنا بولس الثاني ودخلتَ معه في حوارات تنسيقية مسكونية.

صحيح.

كيف ترى شخصيته؟

أعتقد أن تغييراً كبيراً حصل في أيامه، وفي نظرنا أن حركة التغيير يجب أن

تستمر ولا تتوقف، ونتوقع تغيير أشياء كثيرة لأن أملنا كبير.

هل تتوقع تغييراً في لبنان والعالم؟

أعـــتقد في لبـــنان وهنا في الشرق وفي العالم. ونتمنى أن تنتهي كل أشكال الاقتناص، وأن يأخذ كل التيار الشرقي في الكنيسة شخصية واحدة غير مبعثرة كما هي الحال في أوروبا الشرقية.

ماذا أيضاً عن شخصية البابا؟

أرى أنـــه إنســـان جدّي إلى درجة قصوى، وإنسان جبار يعمل من أجل كنيسته، وهذا مدعاة فخر له، ولا أعتقد أن أحداً يستطيع الافتخار بأنه لا يعمل، إنما مَن يعمل تقول له «الله يعطيك العافية» و«الله يقويك» ونحن نهنئك.

هـــل تعتـــبره كبقية الباباوات المتعاقبين على سدّة رئاسة الكنيسة الكاثوليكية أم أنه بابا مختلف؟

إنه تعبيري أكثر ممن سبقه. إنه فعال أكثر.

هـــل تعتـــبر أن مجيـــئه تـــرك تأثيراً بالغاً على الشباب في الغرب وجعلهم أكثر التصاقاً بالكنيسة؟

أعـــتقد أنه جعل وجوداً لم يكن مستطاعاً التعبير عنه إلا من خلال ما فعله البابا الآن في الدورات والجولات والأحاديث والمواقف بقطع النظر عن مضمونها.

يعني أن مروره في هذا المنصب البابوي سيترك أثراً تاريخياً في الكنيسة.

أعتقد أنه من الباباوات المهمين جداً. هذا في نظري. أنا عرفت البابا بولس السادس والبابا الذي سبقه، وأعتقد أن البابا الحالي هو بابا بكل ما للكلمة من معنى.

من خلال الحوار معه هل لاحظت أنه منفتح أم منغلق ولا يريد الحوار؟

كلا ليس منغلقاً، لأنه ليس مجبراً على الانغلاق. إنه يتكلم من موقع قوة.

وهل شعرت بهذه القوة؟

نعم، إنه شخص قوي. وبرهنت الأيام أنه يستطيع أن يزعزع قوى من نوع آخر، حتى القوى السياسية.

هل كان له دور أساسي في زعزعة الشيوعية في العالم؟

من دون شك، من دون شك.

وهل تعتبر أن الشيوعية لم تكن لتتزعزع لو لم يكن البابا الحالي؟

طبعاً، طبعاً. ونحن عندما كنا نحكي عن الشيوعية نظرياً وفلسفياً كنا نقول إنها تحمل في طياتها بذور هدمها.

يعني أنه ساهم في هدم الشيوعية

أنا أعتقد أنه أدى دوراً مهماً جداً في هذا الاتجاه.

هل تعتبر أن لقب «بابا التغيير» هو لقب صحيح ينطبق عليه؟

نعم، والمهم أن يستمر التغيير، إذ لا تزال هناك أشياء كثيرة يجب أن تحصل.

مثل تحرير النفس والذات الإنسانية؟

اليوم توصف الكنيسة الأرثوذكسية بأنها الكنيسة الأخت بينما لم تكن توصف بذلك في السابق.

وهل حصل التغيير في أيام البابا الحالي؟

طبعاً. ونأمل في أن يتوسع هذا المنطق، بحيث لا ينظر الكاثوليك إلى الكنيسة الأرثوذكسية بأنها شيء غير طبيعي خرج من الكنيسة. اليوم الكنيسة الأرثوذكسية تُعتَبَر الكنيسة الأخت وهذا يجب أن يشمل الكنائس التي خرجت عن الأرثوذكسية ولا تزال شرقية.

لا نريد أن يُذَل إنسان لفقره*

جـاء الإرشـاد الرسـولي ليجسد هذه العاطفة والمحبة التي تحدثتم عنها ويدعو للتعايش والتآخي، هل حقق ذلك برأيكم؟

إنـي أقـدر كثيراً كثيراً هذا الحدث، أعني به زيارة قداسة البابا للبنـان، وكـنت مـن القائلين إن لبنان كان دائماً يستضيف مَن يشاء زيارتـه. نحن لسنا مغـلقين ونستضـيف مَن يشاء ونستقبله، لأن الضيافة تدل على المضيف، ليست بالضرورة تدل على الضيف. فكيف بالحري إذا كان الضيف يهم أناساً من اللبنانيين! علينا أن نتعلم، ونشدد أن يكون ما يهم جماعة من اللبنانيين يهم كل اللبنانيين بدون استثناء. والذي نستقبله علينا أن نستقبله جميعنا وأيضاً نودعـه جميعنا، ونكون جميعنا متضامنين.

هذه مناسبات (زيارة قداسة البابا) لنظهر كم نحن نُكَوِّن بالفعل شعباً واحداً في وطن واحد. لذلك الإرشاد الرسولي ـ ونحن نقولها لأنه ليست لدينا الأصداء التي تصل لبعيد ـ مناسبة معينة في ظرف معين يأخذ مجاله الذي يجب أن يأخذه، لكن ما يقوله الإرشاد هو بالفعل نفس الذي أصبح لدينا شغلة عادية نقولها دائماً دائماً.

نحن جماعة نؤمن بأن ربنا لم يخلق أعداء. الناس بعضهم مثل البعض الآخر، لكـن ربنا خلق أناساً يؤمنون به ويصلون له، لذلك الكل من هذه الناحية أساسي، وهذا الشيء في الإرشاد الرسولي درجت عليه كنيستنا الأرثوذكسية منذ الأساس.

القسـم الكبير من الشعب في لبنان يعاني اليوم من ضائقة وأزمات معيشية وهناك ثورة جياع والحكم لاه عن ذلك. ما رأيكم؟

---

* صحيفة «الأنوار» اللبنانية، ١٩٩٧/٧/١٤.

ليـــس عليـــنا أن نظهـــر الآن وكأننا نعطي دروساً للذين يتعاطون الشأن السياســـي، لأنـــنا نفـــترض أنهم بالمستوى والاتجاه الذي نتمناه لهم وهم في كرسي المسؤولية.

كرسي المسؤولية هو أن ترفع الناس، وكل ما يعمل هو للإنسان وللمواطن. لذلك يجب أن يعطى هذا الأمر الأولوية. الأولويات لعبة قد تختلف فيها الآراء بعض المـــرات، يكون ما هو أولي عند فلان ليس أولياً عند الآخر، لكن علينا أن نقول إننا ضد كل ما هو فقر ومهما كانت أسبابه. يا ليتنا نتمكن أن نعمل كل ما نتمناه لكي لا يكون هناك فقيرٌ في هذا الوطن.

نحـــن لا نحب الإنسان أن يكون فقيراً بل أن يظل شاعراً بأنه لا يقدر على العيش من دون الإنسان الآخر. والله يجعل بعضنا يحتاج للبعض الآخر كي لا ينسى الإنســـان أخـــاه الإنســـان. لكننا لا نرى أن يكون هناك إنسان يذل بسبب الفقر والحاجة، هذا أمرٌ لا نقبله مطلقاً.

نـــأمل أن يـــزداد الوعي في هذا الاتجاه، وأنا أسمع أن هناك شيئاً يدل على ذلك. نريد أن يشعر الإنسان بوطنه إذا كان يحبه، لأن هناك كرامته وأولاده وحقوقه وإلا فما هي قيمة هذا الوطن، إذا كان عبارة عن تراب وحجارة فقط؟

لذلـــك نأمل أن تكون لدى المسؤولين لغة أكيدة للإنسان ولما هو إنساني، وهذا شيء جيد لأن لبنان يصونه شعبه والإنسان فيه ولا يصونه أي شيء آخر.

هذه الأزمات جعلت هوة بين الشعب والحكم. ما هي دعوتكم لعودة هذه اللحمة؟

هناك أسباب كثيرة، وأعتقد أنه من الضروري وجود شيء من هذا القول، كمـــا أعـــتقد أن في لبنان، حتى اليوم، حقلاً لم يعمل به كفاية، وهو كيف يكون بالإمكان إقامة وحدة وطنية بالمعنى الحقيقي؟ هذا يبدأ بأن يكون الناس قادرين على

الكلام بصدق وأن يؤخذ كلامهم عن جد بمقدار ما يأخذون هم كلامهم عن جد. أعتقد أن هذا الحقل لا يزال واسعاً للعمل في هذا المجال، أعني بذلك قيام وحدة وطنية حقيقية في لبنان.

وما هي حقيقة توطين الفلسطينيين في لبنان؟

إن موضوع توطين الفلسطينيين في لبنان أصبح حقيقة واقعة وأن المسؤولين يعون هذه الحقيقة وأن ما يقومون به الآن هو لتجسيدها فعلياً وخلال فترة قريبة. وإن ما يحصل في فلسطين المحتلة من استيطان لليهود وسلب للأراضي الفلسطينية هو من أجل قطع الطريق على إقامة دولة فلسطينية وأيضاً لقطع كل إمكانية لإجراء المفاوضات حول إمكانية قيام هذه الدولة.

وفي رأيي، إن دولةً بلا أرض لا تقوم، وعندما يطالب الفلسطينيون بأرضهم يقولون لهم ليس لديكم أرض. لذلك نحن نعطي الحق للقائلين إن هذه المفاوضات ليس لها أي معنى ولن تؤدي إلى أي شيء إيجابي.

خطأ فقد التوازن بين الاهتمام بالحجر والاهتمام بالبشر*

في نـــدوة صـــحافية، قـــارن البطريرك أغناطيوس الرابع بين اللقاء العلمي الأكاديمي الأرثوذكسي الذي ختم أعماله أمس، واللقاء المسيحي السابق في البلمند. فقـــال: «الـــلقاء الماضي كان لقاء اللجنة العالمية للحوار بين الكنائس الأرثوذكسية والكنيســـة الكاثوليكية. وكان يهمني جداً أن يتم اللقاء هنا في البلمند، لكي لا يظن أحد أننا إذا صغرنا جغرافياً نصغر عالمياً. أما هذا اللقاء فكان الهاجس المسيطر عليه أن الكنائس تختلف على موضوعات لاهوتية، أي نظرية، لكن لها وجود في التاريخ. مَن يـــدري؟ الخلافات النظرية قد تكون قاعدتها تاريخية، والخلافات التاريخية قد تكون قاعدتها نظرية. لذا كان علينا أن نقترح على اللجنة المجتمعة أن تأخذ في الاعتبار، لا الموضوعات اللاهوتية، إنما الموضوعات العملية، لأن الإنسان ليس مجرد فكر لا تطرح قضـــاياه إلا عـــلى مستوى الفكر، بل هو نفس وجسد، أو نفس في جسد. النفس تتـــبادل والجسد التأثيرات. هو يؤثر فيها وهي تؤثر فيه. وقد اتفقنا على ذلك، ونتج عن اللقاء الأول ما هو على مستوى عالمي وفي غاية الرصانة والجدية ليعبر عن الاتفاق الذي يتم بين الكنائس.

إذا كـــانت المحـــبة مـــبدأ كل شيء، كما في الإنجيل المقدس، فنحن نحب الإنسان. وإذا كنا نحبه فعلاً، فعلينا أن نتحاور معه بكامله، لا مع جزء منه، ولو كان هذا الجزء هو الجزء العقلي أو الفكري أو النظري.

لو كان الإنسان مقتصراً على هذا الجزء وحده، لما كان ممكناً أن تطبق عليه المحبة. المحبة تطبق عليك أنت، علي أنا، على جميع البشر إذا كنا نرى الإنسان بكليته،

* صحيفة «النهار» اللبنانية، بيروت، ١٩٩٧/٧/١٦.

بجسده ونفسه، بآلامه وأفكاره ونياته وأفعاله. أعتقد أننا في الكنيسة نقدم الإنسان بكامله للعالم وليس من خلال جزء من أجزائه، مهما سما ومهما كان راقياً. نحن نعاني في عصرنا مسألة أن الإنسان يسمو بقدر ما يبتعد عما هو جسدي، عما هو عملي. وما نلفت الدولة إليه أنه لا يكفي أن تحدثنا عن الكرامة الفكرية والحرية الفكرية. إننا نطلب منها أن نكون مُكرَّمين جسدياً أيضاً. أن تجوع، فأنت غير مكرم، أن تهان، أن تضرب، فهذا معناه أنك غير مكرم، ولو كنت شبعاناً. هذه النظرة ثبتت على مستوى عالمي، في هذا المكان، في هذه البقعة من لبنان الذي نحب، ومن أجله نضحي من دون تردد.

وأضاف هزيم: اجتماعنا كان معناه القول إن علينا الاستمرار في هذا التراث. الناس لكل الناس. لا يكفي أن يتحادثوا مرة. إنما علينا أن نجتمع دائماً، أن نربط منطق القول بمنطق الفعل. فنحن نقول بسهولة وننفذ بصعوبة. قد تكون هناك عقبات عملية نابعة من نوعية البشر الذين نتحدث إليهم، ومن الأمزجة المختلفة ومن الظروف. لذا نتوقع عندما تقال لنا أشياء حلوة جداً أن لا يكون التنفيذ بهذه الحلاوة. وفي كل حال، مهما بلغت المرارة في التنفيذ فينبغي ألا ننسى أن التنفيذ هو البرهان الذي يقول ما هو الفعل، والذي يدل على أننا نفكر جيداً لنفعل جيداً. نحن كنا مجتمعين هنا على هذا الأساس. مفكرون كثر من أمكنة متعددة اجتمعوا معاً، وتدارسوا الوقائع.

الكنيسة والدولة:

عندنا مشكلة في هذا العالم. الناس يتكلمون كثيراً عن الكنيسة، ولكنهم يخلطون بينها كمؤسسة روحية موجودة على الأرض، وبين الدولة كمؤسسة مادية موجودة على الأرض. المؤسسة الموجودة على الأرض والأقوى هي الدولة لا الكنيسة. نحن نقول أكثر مما نفعل. لأن القول، والحمد لله، لا يزال إلى حد بعيد

مســـموحاً به وفي حدود استطاعتنا. الفعل ليس بين أيدينا ولا في حدود استطاعتنا وحدنـــا. من الممكن أن نُمْنَع عن تحقيق الكثير من الأمور في أماكن كثيرة. نحن من الأشخاص الذين كانوا يعرفون، كما قلت سابقاً، أن منطق القول، على سهولته، لا يحل محل منطق الفعل. الرب أسس الكنيسة كما خلق الإنسان. لم يخلق الإنسان برأس فحســـب، بل خلقه كما هو. لذا يجب أن أقترب أنا منك، كما تقترب أنت مني. الإنسان لا يحتاج إلى أن يسمع وصايا إلهية من بعيد إلى بعيد. هو أشد حاجة إلى أن يحس أن في جانبه أحداً يشاركه الجوع والعطش والفقر، وأنه قد يكون مكروهاً، وأنه قد يطعن من أهل بيته. لذا فالمطلوب من الكنيسة لا الكلام بل الفعل.

السماح بـــ «الآخ»:

ورداً على سؤال قال: «يصعب علينا أن نعتقد أن هناك بشراً، خصوصاً إذا كـــانوا مســـؤولين، تكون إهانة الناس عندهم أمراً متعمداً، أو يكون احتقار الناس عندهم خطة. يصعب علينا أن نصدق هذا الأمر. في رأينا أن المجرم لا يرتكب جريمته، وهـــو في وضع طبيعي. يجب ألا نيأس. إن مَن يعملون في دفة الحكم لا يمكنهم أن يكونوا كلياً جماعةً في خدمة الشر، في خدمة الإهانات، في خدمة أعداء الوطن. نحن نرى أن تفكيراً كهذا يتجاوز حدود المعقول أكثر مما نتصور. ولكنني أعتقد أن شعبنا يجب أن يتاح له أن يقول «آخ» إذا كان موجوعاً. نحن نقول إن الكنيسة في خدمة شعبنا من الألف إلى الياء ولكنه هو مبدئياً ونظرياً، مَن يصنع الدولة. هو يدعو مَن في الحكـــم إلى الحكم. لذا، من الطبيعي ألا تكون ثمة غربة أو هوة بين المكلفين خدمة الشعب والشعب نفسه. قد يحدث خطأ في الطلب، أو خطأ في السماع، أو خطأ في التنفيذ. إنما لا أتصور أن هناك لبنانياً، عاش في لبنان وأحب لبنان، يكون مجرد كتلة تُعادي لبنان وتُعادي اللبنانيين. نحن مدعوون إلى أن نرى الأغلاط و"الشطحات" مئة في المـــئة، ولكـــن في الوقت عينه أن لبنان ليس مكاناً للأغلاط ولـــ "الشطحات"

فحســـب. لبـــنان ليس مكاناً للشرور ولإهانة البشر. ينبغي أن نمحو هذه الصورة المـــأخوذة عـــنه. نسأل الله، لكثير من حكامنا أن يُقدِّرهم من عنده أن يتغلبوا على الشـــيطان الذي يدور حولهم، وأن يفكروا في الشعب وأن يفصلوا له كل شيء يليق به».

ونفى هزيم أن يكون لقاء البابا والبطريرك المسكوني فشل «لأنه كان مجرد فكرة، و لم تتم، وأمس كنا مع البابا، كل لقاء جديد لا يكون لمجرد أن نشرب فنجان قهوة، بل للحوار والتلاقي. وعلى من ينبغي أن يتلاقوا، أن يأخذوا فرصة للتفكير في موضـــوع اللقاء. ما عاد يجوز أن نفتح مدرسة هنا نكاية بمدرسة هناك. الشعب قلبه طيـــب، ولا ضرورة لتعميق الانقسام فيه، زواجه يتم من خلال كنيسة الله والبركة، حياتـــه حيـــاة إخلاص لا حياة خيانة وإلقاء قنابل على الآخرين. ينبغي ألا يُحكى بـــالحوار والتوافق بين أبناء دين واحد، بل بين أبناء الأديان كلها، ليس عندنا إلهان كلاهما خلق شعباً، أو فئة لنفسه. الخالق واحد».

التنمية للإنسان:

وختم ندوته الصحافية قائلاً: «كنت أقول إن من ينظر إلى إنسان كأنه مجرد جســـد هو مخطئ. هكذا ننظر إلى الإنسان كلاً واحداً. كنت أتجول في دير البلمند الـــذي كان، فيما مضى، مُهَدَّماً. نظرت إلى الحجر، وقلت في نفسي: من يقول إن الحجـــر لا يُعبِّر عن الحياة؟ نحن في حاجة إلى الحجارة، لولا حجارة هذا المكان، أين كنا نجتمع؟ البناء والعمل تعبيران عن النشاط الإنساني. لا أتصور إنساناً لا يعمل. في الكتاب المقدس قرأت البارحة، هذه العبارة: "مَن يعمل ويعلم، هذا يُدعى عظيماً في مـــلكوت الســـماوات". لا عمل من دون كلمة، ولا كلمة من دون عمل. يقول يعقـــوب الرسول إنه إذا جاءك جائع ووعظته، ثم دعوت له أن يرحل ومع السلامة، فهل يكون قد شبع؟ يجب أن تعظه ولكن قَدِّم له شيئاً ليأكل».

الفضائل لا تكون قسرية

القسر يشوِّه الإنسان ذاته*

إطلالاتكم الإعلامية قليلة ونادرة جداً. لكن الكلمات التي تطلون بها من وقتٍ لآخر تحمل انتقادات قاسيةً ــ وإن مهذبةً ــ لمسار الأمور في لبنان. وآخر ما تفضلتم به كان حضّكم الحكومة في لبنان على الاستماع لصوت الشعب. هل دخلنا، في رأيكم، مرحلة الطلاق بين السلطة والشعب؟

لم ندخل مرحلة الطلاق، لكني، عندما أذكر العلاقة بين الحكومة والشعب، أتمنى أن ننطلق من شيءٍ من الطلاق إلى شيءٍ من الالتصاق، لأني أعتقد أن المبرر الأخير للتمثيل الحكومي أو سواه هو أن يكون الشخص الذي أَوكَل أمره لشخصٍ آخر هو بالفعل الموحي لأعمال الشخص الآخر. ما زلت أعتقد أن مبرر وجود الدولة الأصيل هو أن تكون الأداة التي يعمل بها الشعب من أجل الشعب ورفاهيته والسهر على أمنه وسلامته. وأنا أعرف أن التمثيل يكون دائماً ناقصاً، وأن لا أحد يمكن أن يمثل الآخر، لأن الله يخلق الواحد كاملاً ويخلق الآخر كاملاً بحيث يكون في كل تمثيل نقص من الأساس. أتمنى ــ عندما نتكلم عن الدولة ــ ألا يكون هذا النقص فادحاً، أو أن يكون مقياساً يطغى على التمثيل الحقيقي. أريد أن أشعر أنني في دولتي وأنها لي لكي أشعر أنني لها أيضاً.

لكن الشعور على الأرض، ما هو، صاحب الغبطة؟

أنا أعتقد أن حقل الشعور على الأرض يتسع لجهودٍ أوسع من الجهود التي تُبذل حتى الآن. بالطبع، ليس لنا الحق بأن ننتظر الكمال، فالكمال غير موجودٍ على

* المؤسسة اللبنانية للإرسال، برنامج «كلام الناس»، مرسيل غانم، ١٩٩٧/٧/١٧.

الأرض. الله وحده كامل. لكن لنا الحق بأن نطمح لأن تكون هنالك جهود ومساعٍ أكثر فأكثر لكي يرتاح مَن يُمثّلني معي وأرتاح معه أنا أيضاً.

صـــاحب الغـــبطة، تحدثتم عن نوعٍ من الطلاق، ولم تتكلموا عن الالتصاق. هل تتعمّد السلطة ـــ في رأيكم ـــ هذا الطلاق؟ وما سبب هذه الممارسات؟

يصعب علي أن أحكم على النوايا، وأنت تسألني أن أحلل نوايا سواي.

(كان صاحب الغبطة، حتى هذه المرحلة من اللقاء، يتحدث باللغة الفصحـــى. لكنه انتقل هـــنا بصـــورة عفوية إلى الكلام باللغة العامية، وكأنه ارتاح إلى أنها تلامـــس مشاعر الجميع)

ولكن، من خلال الممارسة، يا صاحب الغبطة؟

مـــن خـــلال الممارسة، هنالك إمكانيات عديدة ليصبح الإنسان مختلفاً مع الآخر. يمكن أن يكون الإنسان منشغلاً بالتخطيط. والتخطيط ليس بالأمر المستحيل. كما يمكن أن يكون في وضع انحراف عما نتمنى نحن. وقد يمكن، في بعض المرات، أن تستدعي الأوضاع أن يكون الإنسان على أفضل النوايا دون أن يكون باستطاعته أن يطـــبقها. نتأمل ألا يكون الظرف الثالث فقط ـــ وهو المطلق ـــ ممكناً ومنطقياً، إذ يمكن أن يحصل في النهاية أن يعمل الواحد على أن «ينكي» الثاني ويؤذيه بدلاً من أن يحميه. أنا لا أقصد أن أقول بأن لدينا مثل هذا في الدولة، وإن شاء الله ألا يكون، فلا الدولة تستأهل أن تكون عندها هذه الصفة، ولا اللبنانيون يستأهلون مثل ذلك.

صاحب الغبطة، تعتبرون أن مَن يعملون في دفة الحكم لا يمكنهم أن يكونوا كلياً جماعةً في خدمة الشر، في خدمة الإهانات وفي خدمة أعداء الوطن. هل هذا يعني أننا محكومون من بعض الأشرار الذين يهينون الناس وكراماتهم؟ ونحن نعرف أنك لا تمالئ؟

لا سمح الله. اختباري الشخصي هو أن كل شيءٍ تقوم به بالواسطة وبشكل

غير مباشر قد يقع في مواقع لا تريدها أنت. فالواسطة ليست مجرد واسطة ميتة، إنها حيـــةٌ، وقد توصل الأمور إلى حيث لا تفكر أنت ولا تتمنى. أما في الحقل العام، فإن القـــول بأنـــه لا يوجد أناس يركضون وراء مصالحهم مثلاً، وأناس يجربون استغلال البشر والاستفادة منهم واستعمالهم كأدوات ينتفعون منها، هو قول غير صحيح. مثل هـــذه الفـــئة موجودة، وهنالك اجتماعياً أناس مجرمون وأناس منحرفون، وفي كل الحقـــول. ونحـــن، في الكنيســـة نصلي من أجل إصلاح مثل هؤلاء. لكنهم حتماً موجودون.

هل عندك إشارات معينة إلى تصرفات هؤلاء الأشخاص؟ أين يسيئون بحق المواطن أو بحق الوطن، صاحب الغبطة؟

أنا أعتبر أن كل ما يسيء للوطن بصورة عامة هو حتماً مسيء. لبنان، نحن نـــريده. كـــان يلفت نظري، أثناء الحوادث، شيء. كنت أقول إنني لا أعرف بأن هنالك كل هؤلاء الناس الذين يقبلون بأن يموتوا من أجل لبنان، ولو كان تصوُّرهم له مغلوطاً. كنت أسمع كثيراً مَن نعت اللبنانيين بأنهم لا يحبون بلدهم، وبأنهم جماعة راقصـــين وجماعـــة تطلب اللهو وما إلى ذلك. لكني كنت ألاحظ أن هنالك شباباً يموتـــون بـــالفعل، مؤمـــنين بأن ما يفعلونه هو من أجل لبنان لا من أجل أنفسهم شخصـــياً. وُجـــد بالفعل أناس كثيرون يموتون من أجل هذا البلد. لبنان هذا. نحن نـــريده، ونـــريد أن يُنظر إليه، كما ننظر، على أنه وحدةٌ من جميع النواحي. وحدة جغـــرافياً مـــثلاً، إنســـانياً مثلاً، وحدةٌ في نظره إلى المستقبل ليتمتع الإنسان اللبناني بكرامـــته دائماً. والإنسان اللبناني غير فاشلٍ في الدنيا، وليس بمقدورنا أن نقول بأن لبنان مكانٌ للتنابل أو مكانٌ لِمَن لم يرزقهم الله عقلاً كافياً وفكراً كافياً وحساً جمالياً كافياً وتدبيراً كافياً. كلا، الإنسان اللبناني يستحق بالفعل ألا يحاول أحد أن ينتقص من قيمته.

لكننا نعتبر بأننا كلنا نغلط، ونتوقع من كبيرنا ومن صغيرنا أن يغلط. ليس مـــن كبيرٍ على الخطيئة. لذلك، أنا أعتقد أن الذي يسيء إلى لبنان ولا يأخذ لبنان بكل قلبه يجب أن يتعلم أمرين أساسيين: الأمر الأول أن يحبه، والأمر الثاني أن يغفر كـــثيراً. لأن الـــذي يُحـــبّ يغفر. كانوا يقولون بأن عين الحب عمياء، وهذا ليس صـــحيحاً: عـــين الحب تتعالى على الكثير الكثير من الأمور. يجب ألا نبقى كمَن لا شغل له غير أن يُزعج ليبرهن أن الآخر ليس جيداً. الآخر هو أيضاً أنا، وليس شخصاً آخر. أنا وهذا الآخر واحد، وإذا لم نشعر مثل هذا الشعور نكن ممَن يسيئون للبلد أو ممن يُفقدون البلد شيئاً من مبرر وجوده الأساسي. يجب أن نعرف كيف يحب واحدنا الآخر وأن نتمسك بذلك. ونحن نظن أننا هكذا نفعل.

صاحب الغبطة، بانتقادك لبعض تصرفات أصحاب السلطة ومَن في السلطة، هل يمكن أن نســـتخلص معـــك مواصفات الحاكم العادل ومواصفات النوع المطلوب من المسؤولين اليوم؟

يـــا أخـــي، أول شيء هو ألا تدير ظهرك للذي عيَّنك وفوَّضك بأن تكون عوضـــاً عنه في الموقع الفلاني. عليك أن تسأله رأيه. نحمد الله أنكم كذلك يا جماعة الإعلام بمقدار ما هو مسموحٌ لكم.

صاحب الغبطة، هل تُحِسّ أنت بهذا الأمر؟

طـــبعاً أُحِـــس به. فإذا ظهرت أصوات يُحسّ الشخص الذي يقول آه بأن هـــنالك مَـــن يســـمعه. يجب ألا يحصل تجاهل، فذلك مؤلمٌ جداً. أكيد أن المرء لا يســـتطيع أن يســـمع ألف صوتٍ في دقيقة واحدة. يمكن أن يصرخ ألف شخص في دقيقـــة واحـــدة، لكن الإنسان لا يستطيع أن يستجيب لهم جميعاً في دقيقة واحدة. أعـــتقد أن الحـــوار يجب أن يستمر بين الممثِل والممثَل، وإلا فما هو في النهاية مبرر وجـــود الدولـــة مـــن أولها إلى آخرها؟ مبرر وجود الدولة هو أن تستجيب بالفعل

لحاجات الناس، وربما كان في ذلك فخرها ونصرها واعتزازها في نهاية الأمر وبمقدار مـــا اســـتطاعت أن تقدم. إننا نسمع أحياناً بأنه من الممكن أن يوجد مَن يهمه ماذا يـــأخذ أكثر مما يهمه ماذا يعطي. مثل هؤلاء موجودون حتى في الكنائس، وهذا نقدٌ ذاتي، بـــلا شك، كي لا يعتبر هؤلاء أنهم من فئة خاصة أو أن غيرهم ليس من هذه الفـــئة الخاصـــة. كـــلا! فكلنا من فئة واحدة، وأنا أعتقد بأنه يجب أن يُعمل، على مستوى الشعب أكثر مما يُعمل الآن. لكني لا أوافق على أن يُقال مثلاً إن الأمر الذي نفعلـــه سيء. هذا قول غير صحيح، وكل ما يُعمل من أجل الشعب جيد، لكنه لا يُعمـــل في وقتٍ واحد، ولا بمقدارٍ واحد. الإنسان متعدد الحاجات، ويجب أن تُسَد حاجاته. هل هنالك، يا ترى، برامج واضحة فيما يخص الإنسان يُحس مَن يقرأها أن هذا الإنسان مأخوذ بعين الاعتبار، ويحس بأن دوره، إن لم يكن قد جاء بعد، فسيأتي بعد قليل؟! هذا أمرٌ يمكن أن يكون مفيداً، ونتأمل أن يحصل شيء من هذا النوع، إذا كان لم يحصل.

صاحب الغبطة، هل يعني ذلك ـــ في نظرك ـــ أن البلد «مش ماشية»؟

أعتقد بأن البلد ماشٍ وبأنه يجب أن يمشي أكثر من ذلك أيضاً.

هل تعتقد بأنه يجب أن يمشي أكثر؟

نعـــم! وأعتقد أن السعي ليس له حدودٌ، وأننا يجب أن نستمر في السعي لا أن نكتفي بما هو حاصل لأن ذلك أمرٌ غير جيد.

صاحب الغبطة، هل أنتم مقتنعون بمساحة الحريات العامة الموجودة في لبنان؟

مـــا هي هذه المساحة؟ أنا بالفعل لا أعرفها. أنا لست عائشاً هنا، والشعور الـــذي عـــندي هو أنني في بعض المرات أتمنى أن تكون في الصحف التي أقرأها حياةٌ أكـــثر ممـــا فيها الآن. أتمنى ألا يحس الواحد بأنه يتوصل لبعض الأمور و«يقوطب»

عـــليها. يا أخي! إذا وُجد غلط يكون الأمر عادياً جداً عند الكبير كما عند الصغير مثـــلما قلنا. مَن الذي يندهش إذا قلنا له إن فلاناً غلطان! الإنسان قد يندهش عندما نجرب أن نقول له إن فلاناً لا يغلط، لأن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً. القول إن فلانـــاً غلطان قول صحيح، لكن القول بأنه لا يغلط لا يمكن أن يكون صحيحاً. أنا أفتكر أن هذا الأمر لا يُحَس به دائماً في المطبوعات والصحف التي أراها.

أضف إلى ذلك، إن ما يُكتب بعض الأحيان عن أمور في حقل الاجتماع أو في حقـــل الأخلاق لا يليق بكرامة الإنسان، كائناً مَن كان. كما أني لا أجد في ما يُكتب ما يشير إلى أننا نعمل شيئاً من أجل ألا يحصل مثل ذلك في المستقبل، أو أننا نقوم بمسعى من هذا النوع.

بعدئذٍ، نحن أيضاً ممن يقولون «لا إله إلا الله» فنتمنى على الصحف ألا تؤله أحداً. نحن نعتقد أنه لا يوجد إله غير الله. أتمنى عليها ألا تصور لنا أن أحداً مؤله وأن أحـــداً معصوم أو شيئاً من هذا النوع. هذا ليس من تراثنا ولا من إيماننا، وهذا غير صـــحيح. لذلك فإن شيئاً من الحرية في الكلام عن مثل هذه الأمور يجعلنا نحس بأننا نتكلم عن الناس ونقرأ عن الناس، لا عن ملائكة ولا عن آلهة ولا عن أناس لا شغل لهم سوى إلقاء الدروس على الناس، وهم، فوق الناس ولا يُمَسّون. أعتقد أننا جميعاً نعرف بعضنا بعضاً.

هل تعتقد بأن بعض الإعلام يساهم في حفلة التزوير القائمة؟

أنا أعتقد كذلك، وأقول بتحفظ بأنني لا أعرف إذا كان الإعلام يريد ذلك أو أنه ملزمٌ بأن يتصرف كذلك.

تحدثت عن الحياة وقلت إن الإعلام بحاجة إلى حياة. فماذا تقصد بالحياة؟

أريد بعض المرات أن يُحِس الإنسان الذي يقرأ الصحف بأن هذه الصحف

يهمها أمران: أراها بعض المرات تلعب دوراً ترفع بموجبه أشياء هي وضيعة وتقلل من قيمة أشياء هي بطبيعتها ثمينة. على الصحف ـــ في نظري ـــ مسؤولية تمثيل لأنها هي لســـان حال الشعب، وهذا لا يعني أنه ممنوعٌ عليها أن تكون لسان حال أي جهاز حكومـــي. لكن لندع الشعب يحس ـــ عندما نذكر أشياء عن الشعب ـــ ويتساءل مثلي عما إذا كان جميع الناس قد أصبحوا مماثلين لمن يوصفون.

هـــنالك ظلمٌ من هذه الناحية. حتى في الجهاز الحكومي، الصحف تكاد لا تحدثنا عن الإنسان الآدمي: يعزَّز في الكتابة الشخص المسيء. قولوا ذلك يا أخي كي يكون عندي رجاء وعندي أمل. فبمن تريدني أن أتأمل إلا بالمسؤولين أن يحققوا لي آمـــالي؟ قولـــوا إنه يوجد أناس أكفاء من هذا النوع. فليس الجميع شياطين وليس الجميع خداعين أو مجرمين. ليسوا جميعهم كذلك وإن كان هنالك جزء منهم.

وكم نسبة هؤلاء؛ صاحب الغبطة؟

أنا لا أريد أن أجري حساباً في هذا الموضوع.

إحساسي يقول كأنك تعتقد أن النسبة كبيرة.

أنـــت تعـــرف أننا إذا شئنا أن نغربل، يجد كل واحد منا في آخر الأمر أن نسبة الأعمال الجيدة تقل عن السيئة، حتى في نفسه.

هل مسألة الحريات في لبنان محصورة بالإعلام أم هنالك إشكاليات أخرى من هذا النوع تُطرح في لبنان؟

الحـــريات ـــ في نظري ـــ هي دليل، إذا وُجدَت، على أنها تأخذ الإنسان بقدســـيته كما في لغتنا نحن. الإنسان هو مخلوق لا مثيل له، خلقه ربنا كما هو. فإذا أنت لم تأخذه كما هو تكون إما مقصراً معه أو أنك تقهره. والحالة الأولى تدل على جهل، والثانية على تسلط غير جائز. فمَن هو الذي يريد أن يقهر؟ ولماذا؟ ماذا عنده

من زيادة تجيز له ذلك؟ هل هو خُلق بطريقة أخرى؟ ألا يرى أمامه؟ ألا يرى نفسه؟ أنـــا أعتقد أن الإنسان إذا نظر إلى نفسه وكان صافياً أو غير مريض في نفسه ـــ إذ توجـــد مثل هذه الأمراض ـــ يرى أنه لا يستطيع أن يعرف الناس إلا إذا كانوا هم أحراراً وكان هو حراً كذلك. عرفتُ في وقتٍ من الأوقات شخصاً كان يقول: لقد ضـــغطنا على الناس إلى حد أن غاب عنا وجههم الحقيقي وغابت عنا بالتالي لغتهم فأصبحنا نعيش في عالم التملق.

الشـــخص المضـــغوط عليه لا يعود وجهه حقيقياً بالنسبة إليك. أصبح لا يحدثك بالشيء الذي يخاف ألا يرضيك أصبح يسددك من الحسابات ما تشكو منه. عـــالم التملق عالم كاذب بنتيجة الضغط والقهر، ولا يمكن أن يُعرَف الإنسان إلا إذا كان حراً. أنا أقول إن الآدمية في السجن ليست بالآدمية، وأعتقد أن الفرق بين أن يعيش الإنسان في سجن أو أن يعيش في بلده هو أنه في بلده يستطيع أن يكون كما هـــو وإلى حد كبير أن يغلط، بينما يمكن أن يكون في المكان الآخر كله فضيلة لأنه عاجز عن أن يفعل شيئاً. الفضائل لا تكون قسراً. القسر يشوِّه الإنسان في حد ذاته. ماذا يعني أنه يحبني إذا لم يكن حراً في أن يحبني؟ هذا يعني أن هنالك حباً قسرياً، فهل يوجد مثل هذا الحب القسري؟ ما معنى أن يكون وفياً قسراً؟ يكون وفياً إذا ترك له مجال الاختيار، لأنه حر في أن يكون وفياً وفي ألا يكون. أنا لا أعرف فضيلة لها معنى أخلاقـــي إلا إذا كانت مبنية على الحرية، وخلافاً لذلك ينتفي وجود الأخلاق. هل الأخـــلاق وصـــفة تأتي من هنا وهناك والإنسان يتصرف بموجبها؟ حرام أن يعيش الإنسان في بلده وأن يكون في بيته غير ما هو.

هذا ما يحصل لنا اليوم.

أنتم تعرفون أكثر، لكني أقول: إن شاء الله كلا.

ولكن، انطلاقاً من شيء قلتموه يا صاحب الغبطة، نحن نستنتج أن هذا ما حل بنا.

ما من شك في أن الإنسان في بعض المرات يشم رائحة الطبخة من بعيد وإن كان بعيداً عنها بعض الشيء. ولذلك أعتقد أن الإنسان يشم رائحة السُلْطة القاهرة.

سنتكلم أكثر عن السُلْطة القاهرة. هل أنتم مع مبدأ الثورات الاجتماعية من أجل تحصيل لقمة العيش، وما هي نظرة الكنيسة في هذا المجال؟

أنا شخصياً مع ألا تحصل ثورات. لقمة العيش جميع الناس يعرفون أنها أمر أساسي. لذلك يجب أن يكون حق الشعب الأول أن نعمل لنؤمِّن له لقمة العيش. أتذكر هنا أن يعقوب الرسول يقول: إذا جاءك جائع وأخذت تعظه وتحدثه عن ربنا وعن الملائكة وبعد ذلك صرفته. هل يعني ذلك أن هذا الجائع لم يعد جائعاً؟ أليس تأمين لقمة العيش هو عمل رب البيت؟ على الحكومة أيضاً أن يكون عندها هذا الهاجس. ولا أتصور أن هذا الأمر يمكن أن يغيب وتغيب معه هذه الحاجة. هنالك أشياء أخرى معقولة، لكن الشخص الذي لا يأكل يموت، ومن الصعب تصور أن يغيب تأمين لقمة العيش عن دائرة اهتمامات الحكومة.

لكن الأمر مغايرٌ لذلك، لأننا نسمع أن هنالك قهراً وحرماناً.

أنا أتصور مثل هذا الواقع وأتمنى أن يكون هو الذي يحث الحكومة ويكون مجالاً أساسياً لعملها. يمكن ألا يكون عندك بيت كما يمكن ألا يكون عندك ثياب، لكنه ليس من الممكن أن تكون بدون طعام. لذلك أعتقد أن الالتفات الكامل لمثل هذا الأمر هو دائماً في محله. ليس أصعب من أن ترى الإنسان مذلولاً لِلُّقمة. هذا أمرٌ غير جائز، ولا يجوز في دياناتنا أن يكون لك الحق في أن تشبع إذا كان أخوك جائعاً.

هل ذلك محصور في نظرك بلقمة العيش أم أنه يمتد إلى الاستشفاء والصحة والحياة الكريمة. هل تعتقد يا صاحب الغبطة أن هذه الأمور لم تعد متوفرة في لبنان؟

هـــذه الحاجـــات متوفرة بشكل واسع لبعض الناس وغير متوفرة لبعضهم الآخـــر. وليس من المعقول أن تُترك الأمور على حالها. ومن الصعب أن نطلب الحل مِمَن تتوفر لديهم بشكل فائض. هنالك محتاجون، لا في لبنان وحده بل في جميع أنحاء الشـــرق الأوســـط. الجيـــاع لا يشاركون في مستوى الرفاه، وطبقة الفقراء تتسع. فلماذا؟

هـــنالك وزارات اقتصاد ومال وغيرها مطلوب منها أن تعالج هذه الأمور، وأنا أتصور أنك عندما تأخذ شيئاً عن الطاولة تكون قد حرمت البلد منه، وفي البلد مَـــن يموتون من التخمة. أسأل الله ألا نفقد وسائل معالجة الأوضاع. نحن مسؤولون بعضنا عن بعض، وليس المسيحي وحده هو الذي يجوع ويتعب، وكاذب هو الذي يدعـــي أنـــه مســـيحي ويرى غيره جائعاً فيكتفي بالقول إنه غير مسيحي. هذا غير صـــحيح لأن الله خلقنا واحداً، ولأن «أبانا الذي في السماوات» واحد. أعتقد أن الدولـــة مســـؤولة عن أن تعمل شيئاً في هذا المجال، كما أعتقد أنها ليست المسؤولة الوحيدة. ليس صحيحاً أننا نحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً. أسمع أن هنالك أموالاً تأتي مـــن هنا وهناك ويذهب بعضها في غير طريقه. مؤكد أنها لو ذهبت كلها لكنا كلنا جياعاً، ونسأل الله أن يخفف مثل هذا الهدر.

هـــنالك مشروع اقتصادي كبير. هل هو ــ في رأيكم ــ لمصلحة الإنسان؟ أم أنه يحتاج لإطار إنساني سياسي يدخل إلى عمق الإنسان؟

أنـــا لا أعـــتقد أنـــه يوجد ما يُسمى اقتصاداً لوحده: وعندما يقولون إنهم يتكـــلمون عن الاقتصاد أقول لهم إننا لا نريد أن نبحث موضوعاً كالمال. إننا نحتاج لأكـــثر ممـــن يعطي من جيبه، نريد القليل من قلبه، لأننا بَشر ولأننا بالقلب نحس. أعتقد أنه يجب أن يحصل في الاقتصاد تعاونٌ من كل الجهات. إذا أجرينا مقارنةً بين الـــناس نجـــد أن عندنا كثيرين لا يجدون أية مشكلة في ألا يكون عندهم مئة كأس

وأربعمـــئة صـــحن وعشرون لوناً من الطعام يتناولونها كوجبةٍ واحدة، بل يقتنعون بتناول لون واحدٍ بحيث تكفيهم هذه الوجبة عشرين يوماً. أنا أعتقد أن هنالك شيئاً يجـــب أن يُعمل، لكننا الآن منجرفون بتيار المزايدات في الإنفاق وما أشبه، لا نفعل شـــيئاً في ســـبيل «الدراويـــش» من الناس، وهذا غلط. لماذا لا تكون عندنا تربية اقتصادية تمكن الإنسان من أن يكون سيد نفسه، واثقاً من نفسه، لا يحس أن قيمته قـــد نقصت إذا نقص من وجبته لون من الطعام. هنالك مَن يدخن السيجارة على حســـاب تعلـــيم ابنه مثلاً. ليس صحيحاً أن ما يحل لي مشاكلي يجب أن يأتي من الخارج، من شخصٍ آخر. كلا، هنالك ما أفعله أنا في هذا السبيل. عليَّ أنا أن أتدبر شـــؤون بيتي لا أن ألقي بتبعتها على غيري. لقد أصبحنا منجرفين. لن يموت مَن لا يمـــلك جهاز تلفزيون أو هاتفاً خليوياً أو سواه، لكن الناس يلهثون ركضاً وراءها. والإعلام مسؤول بعض الشيء عن هذا الواقع لأنه يشجع الناس.

هل يجب أن يكون الإنسان قنوعاً؟

لا يستطيع إلا أن يكون كذلك.

مقـــابل المشـــروع الاقتصادي المطروح الذي سبق أن قلتم فيه إنه يجب أن يكون هناك تـــوازن بـــين بـــناء الحجر وبناء البشر، هل نجحت السلطة ـــ في رأيكم ـــ بالمشروع السياسي؟ هل تعمق الوِفاق والتوازن؟

أنا أعتقد أن هنالك حقلاً من الحقول الأساسية في البلد لم تحصل فيه برمجةٌ ملموسة. هذا هو الحقل الذي نسميه بالوفاق الوطني. حاولت أن أقول في الكنائس، كمـــا تحدثـــت مع إخوتي المشايخ، بأن هنالك ما نستطيع أن نعمله سوية. لماذا لا نتحدث سوية عن أي شيء؟ إننا حتى الآن قلما نرى عملاً قمنا به سوية لنبرهن أن عـــندنا أمـــوراً مشـــتركة. إننا نكاد لا نتكلم إلا في ما نختلف به من الأمور التي لا يدركهـــا إلا العـــلماء، وليس كل الناس علماء، أو بعض الاكليريكيين، وليس كل

الناس إكليريكيين. كنت أقول: لماذا يا ترى لا يظهر شيء مشترك نصف فيه الرشوة بأنهـــا ســـيئة، لماذا لا نقول قولاً واحداً في الجرائم وفي الأخلاق مثلاً لنكون جبهةً مشتركة؟ لماذا لا يحصل شيء من ذلك ولو بعشرة أسطر يوقعها الجميع؟ لقد أصبح الـــناس عندنا كأنهم غرباء بعضهم عن بعض، والواقع غير ذلك. أنت تعلم أن جميع رؤساء الطوائف ذهبوا في صميم الأحداث إلى الكويت واجتمعوا هناك.

هـــل تدري أن جماعة الكويت انذهلوا وقالوا: يظهر أنه لا يوجد مَن يقاتل الآخـــر! لقد صوروا لنا أن كل طرف يشهر سيفه في وجه الطرف الثاني، لكننا لا نـــرى أثراً لهذه الصورة. أنا أعتقد أن على الجميع أن يساعدوا على مثل هذا الموقف وأرى أن هذا الوضع لم يستوفِ حقه.

لماذا لا تأخذ المبادرة، أنت يا صاحب الغبطة، ما دمت تقول: ليتنا نستطيع أن نتفق على صيغة ورقة ولو من عشرة أسطر يوقعها الجميع، طالما أن الوفاق لم يتحقق؟

تحدثـــت مع جميع إخوتي من المسيحيين والمسلمين، ورحب الجميع بذلك. هـــنالك نقطة بداية، وهي أن يكون لدينا ما نسميه «أدب الوفاق»، وهذا أمرٌ نحن الذيـــن نصـــنعه لا الدولة، أمرٌ لم يبقَ له من أثر عندنا. هذا أمرٌ لا يحصل عن طريق الحوار ولجان الحوار التي تضم أناساً قلائل يعرفون ما هو الفقه واللاهوت. نحن نحتاج إلى أن نتكـــلم مع الشعب بما يمكنه أن يفعله كل يوم. يسألونني أين الحوار فأقول: انظـــروا إلى الشـــعب، ألا يزال يشتغل بعضه مع البعض الآخر؟ رغيف الخبز الذي تأكله تعمل أيادٍ متعددة متنوعة في صنعه، والشعب ليس غريباً كل الغربة بعضه عن بعض.

ما دمت تعتبر أن أدب الوفاق لم يتحقق، لماذا لم ينجح تسويق الطائف، يا صاحب الغبطة؟

هنالك، مقولة، يا سيدي، مفادها أنه لم يكن من الممكن في ذلك الوقت أن

يُعمـــل أفضـــل مما عُمل. وإذا كان ذلك أمراً جيداً، فإنه لا يعني أن جواً معيناً كان مخـــيماً آنذاك. هذا الجو لم يكن واحداً لجميع الناس، ولذلك حصل الوفاق بكثيرٍ من الرضى وربما بقليل منه.

هل كان هنالك من قمع؟

أعـــتقد أن هذا من شأن الدولة، ويمكنني أن أؤكد الآن، بعد الأحداث التي وقعـــت في لبنان، أن هنالك من شعر بأنه ربح. لم يشعر الجميع بأنهم ربحوا، ونحن نتمنى ألا يحصل شيء لا يحس فيه الجميع بأنهم رابحون. تربية أدب الوفاق والاتصال لسنا أغبياء فيها، على ما أعتقد.

يـــوم تقـــرر مجيء قداسة البابا إلى لبنان، سُئلت: ماذا نفعل؟ هل نستقبله؟ وأجـــبت: نعـــم! نســـتقبله على الرحب والسعة، ونستقبله جميعاً، لأن البلد واحد وضـــيف البلد هو ضيف الجميع. ضيف الواحد منا هو ضيف الجميع، وليس لي أن أنظر إلى ديانته أو إلى من هو، وهو الذي يختار أين يجلس. يجب علينا أن نشجع هذه الفكرة، ولا أريد أن نقع في الأخطاء التي تسببت بوقوع الأحداث. لا أريد أن يوجد أنـــاسٌ يحسون بالغبن وأناس متسلطون، لكن هؤلاء موجودون وأولئك باقون. كم تمنيت على المرتاح الذي لا يشعر بالغبن أن يعمل بحيث يكون غيره مرتاحاً لا يشعر بالغبن. تلك مسؤوليته هو، وعليه أن يُبَهِّر الوضع قليلاً لتكون له رائحة طيبة وطعم طيب. يجب ألا يبقى أناسٌ «مفشة خلق» بعد أن كان غيرهم كذلك. هذا المنطق لا يحل المشاكل، وقد يتغير مع الزمن، لكن علينا ألا نترك هذا الأمر على عواهنه.

ماذا يريد صاحب الغبطة؟ تعديل ميثاق أم تعديل ممارسة أم تغييراً للصيغة القائمة؟

أعتقد أننا في الوفاق يجب أن نتمسك بعملية الوفاق، وإن استدعى الأمر أي تغيـــير في نصوص الوفاق. وفاق البشر في هذا البلد هو فوق كل الاعتبارات بدون

استثناء.

هـــل يعـــني ذلك، يا صاحب الغبطة، أنك مع التعديلات الدستورية التي طرحها رئيس الجمهورية اليوم؟

لا أتصور أن رئيس الجمهورية يلقي الكلام على عواهنه. دعونا نحس أن ما يقوله، هو أو سواه، ليس من قبيل التسلية بل يستحق أن يحظى بالاهتمام اللازم لأن له معناه، ولا يجوز، في نظري، ألا يحظى بالاهتمام. الذي يتكلم هو رئيس جمهورية وليس أياً كان.

هل أنتم مع استحداث صلاحيات لنائب رئيس الوزراء الأرثوذكسي؟

أنـــا لا أدخل في مثل هذه الموضوعات وأجهلها، لكني لا أعترض إذا وجد أرثوذكســـي عـــنده صلاحيات، مع العلم بأن السياسة تبقى سياسة، وأننا ربما بقينا نردد ما نقوله اليوم في الصلاحيات.

يـــدور الكـــلام اليوم عن ضرورة تشكيل نوع من لقاء دائم أو حلقة أرثوذكسية دائمة برئاســـتك تُعْـــنى بشؤون الطائفة والوطن. لماذا طُرحت هذه الفكرة؟ متى ستتحقق؟ هل ســـتكون بمثابة مجلس أعلى للطائفة؟ وهل المقصود منها استيعاب الطاقات الأرثوذكسية المغيَّبة عن العمل الوطني والسياسي؟

السؤال في نظري أوسع من اللازم.

لماذا؟ الفكرة صحيحة أم لا؟

ليس بالإمكان ألا تكون صحيحة. إننا في الواقع نشعر بهاجس دائم هو أن نقـــدم لبلدنا كل ما نستطيع، ويشهد الله بأن أعظم ما فعلناه كان في أحرج ظروف لبـــنان. عـــندما كان الضرب قائماً هنا وهناك، كنا نتساءل كيف نستطيع أن نخدم

بلدنا المحبوب، ولا أقول كيف نضحي في سبيله، لأننا إنما نضحي لأنفسنا. هاجسنا الدائم هو كيف نفيد بطاقاتنا، وهذا واجب. نحن طائفة موجودة كغيرها، ولا نقبل بـــألا نقدم كل ما لدينا للخدمة ونترك للأنظمة أن تحدد كيفية الإفادة. أنا أشعر بأن مـــن واجبـــنا أن نفـــتش عن أن نكون منظورين بصورة أدق، وأحمد الله على أننا، كأفـــراد، غير متميزين حتى الآن بعدد الخونة في صفوفنا. أحمد الله أن عندنا أخياراً، فهل أنا غلطان؟

على أي شيء تستدرجني، يا صاحب الغبطة؟

لســـت أدري! نحن بحاجة إلى أن نكلم غيرنا وإلى أن يكلمنا غيرنا أكثر مما يحصل الآن، وربما كانت هذه الطريقة هي التي تمكننا من أن نتعارف أكثر من الآن، ومن أن نُستنفَر في الخدمة أكثر من الآن. وإذا قلنا إن الجميع مستنفَرون حالياً، فإنهم مســـتنفَرون إفـــرادياً. لا يـــزال هنالك بعدٌ ناقص، وأنا أحاول الآن تقصي الآراء واستمزاجها لأجد كيف يمكن أن يتشكل اتجاه وطني وروحي واحد يجنبنا الوقوع في خطيئة الإهمال أو الاتكالية، لأننا إذا تركنا الأمور الموكولة إلينا بحالة ضعف لا نكون ممـــن يؤدون خدمةً للوطن. استمزاج الآراء قد يوصلنا إلى إيجاد صيغةٍ ملائمة. البلد بـــلدنا وكلنا ملزمون بخدمته، وعلينا أن نتخلص من عقدة الاكتفاء بالتذمر الذي لا يجدي شيئاً.

هل يشمل كلامك لبنان وسوريا؟

أنا أتحدث عن لبنان حصراً.

وهل يتناول وزراء سابقين وحاليين؟

لدي فكرة، وليس لدي تصوُّر كامل للموضوع. نحن، كما قلت، في حالة استمزاج للآراء، وصاحب القرار هو كلنا سوية.

أســـأل الله أن تتحقق فكرتكم وألا تبقى مجرد حلم. هل تنوون استيعاب حركة الشباب الأرثوذكسي الذي كانت له مواقف انتقاد قاسية لعمل كنيستكم وبعض المسؤولين فيها؟

بدأت حياتي الاكليريكية مع الشباب من كل الجهات، وساعدت في تأسيس حـــركة الشـــباب المسيحية، بدءاً بالبروتستانت. لكننا، عندما لاحظنا ماذا يحصل وكيف أن البروتستانت والكاثوليك يلملمون الشباب، تعلمنا ورأينا أن يحصل عندنا مـــثل ذلك. كنت نائب رئيس لحركة الطلاب العالميين، وكان بعض السادة المطارنة آنذاك يعتبرونني «مشكلجي» وأعتقد أنهم كانوا على حق.

ألا تزال «مشكلجي»، يا صاحب الغبطة؟

كلا! أحب أن أثير بعض القضايا لأنني أحب أن تكون الكنيسة حية. ليس عندنا غرباء، لكن هنالك مَن أصبحنا نحن غرباء عنهم، وهذا خطر.

لماذا أصبحتم أنتم الغرباء؟

لســـت أدري! فمـــن مشـــاكل المؤسســـات أنها، عندما تتغير الظروف والأوضاع، تفتش عن مقومات تضمن لها الديمومة. وضع الكنيسة الآن يختلف كلياً عمـــا كـــان عليه السنة ١٩٤٢ أو ١٩٤٣. لم يعُد في إكليروسنا مطران واحد غير جـــامعي. وضعنا شرطاً أساسياً يقضي بألا يُرشَّح لمطران إلا مَن كان مجازاً جامعياً عـــلى الأقل. كنا نجهل من أين نأتي بالمطران ومن أين نأتي بالخوري، لكننا أصبحنا أصحاب مؤسسة، هي البلمند، ونعرف كيف تتم الأمور. لكن الأمور لا تتم بسهولة لأنـــه ليس لدينا في الخارج مراجع تدعمنا مالياً ولا دول ولا كنائس. ليس أمامنا إلا أن نسير بمقدار ما يقوِّينا الله عليه، وأنا أعتقد بأننا سائرون. لا أعرف أبرشية واحدة لا تـــتحرك ولا تعمـــل. ثم إننا قررنا أن تضم كل أبرشية مجالس رعايا من مختلف الفـــئات، مـــن النساء والشباب، لأننا لا نريد أن يوجد مَن يحس بأنه غريب. ليس

الذنب ذنبنا نحن إذا وُجد مَن لا يفتش لا عن نفسه ولا عن الكنيسة.

يستدل من البيان الذي صدر عن مؤتمركم الأخير في البلمند أنه جرى التركيز، خلال المناقشات، على هوية الكنيسة الأرثوذكسية وقدرتها على التحاور مع الأديان والطوائف المسيحية الأخرى. فما الذي يمنع الكنيسة الأرثوذكسية من التحاور في الهوية مع الآخرين؟

لا مانع إطلاقاً، ونحن طوال حياتنا نعيش هاجس الحوار مع الطوائف الأخرى. لكننا الآن نعيش مرحلةً جديدة بعد المرحلة الأولى التي كانت مرحلة تنافس وتقاتل بين جميع الطوائف المسيحية. نحن مع الكنيسة المارونية أصيلون هنا ولسنا مستوردين لهذه البلاد، لكن الذين أتوا من الخارج استغربونا.

مَن هم الذين أتوا من الخارج واستغربوكم، يا صاحب الغبطة؟

أتانا من الخارج المبشّرون. أتوا ليعلمونا على أساس أننا بسطاء وأغبياء، نلبس قبعات وقلانس وما أشبه. ظنوا أننا من «الماوماو» وراحوا يفتتوننا. هنالك الآن وضع جديد غاية في الأهمية هو أننا أصبحنا عاملين لا متفرجين. نحن الآن نعمل الكثير، ويرى الناس أننا نعمل سوية ونفكر سوية، بحيث نجعل الناس يكتشفون أن المسيحية محبة قبل أن تكون أي شيء آخر. لم تعودوا تسمعون بجو العداوة حين كان يقال إنه لا يمكنك أن تكون مارونياً ما لم تكره الأرثوذكسي، ولا أرثوذكسياً دون أن تكره الكاثوليكي. هذه اللغة ولت ونأمل أن تكون قد ولت إلى غير رجعة. نحن، في هذا الجو، موجودون وسائرون، لأن المسيحية تراث شرقي أصيل انطلق من هذه المنطقة، وواجبنا أن نحافظ عليه بكل صفائه. نحن الآن على أحسن تفاهم مع المسلمين، لأننا نعتقد أننا لسنا وحدنا في الساحة. هذا غير صحيح. أمامنا إخوتنا الذين جاؤوا في وقتٍ كانوا فيه هم الموجة التي أتت بعد الموجات التي سبقتها. هذه المنطقة هي منطقة أمواج خلال التاريخ: أمواج تأتي من الشمال، أمواج تأتي من

الشـــرق، أيـــام الفرس مثلاً، أمواج من الغرب، وخصوصاً من الغرب الجنوبي، أيام الفراعنة وغيرهم. وهذه المنطقة كانت على الدوام منطقة استقبال للموجة القادمة من مـــدة إلى مـــدة. إنساننا، كما نُعرِّفه نحن في هذه المنطقة، هو إنسانٌ في حالة حوارٍ مستمر. المسلم لذلك هو أخونا فعلاً، وأنا أقولها بكل صفاء، لا ننتظر منه أن يرحل عـــنا ذات يوم، ولا نتوقع منه أن ينتظر أن نرحل نحن. بلدنا لنا كلنا، وعار علينا ألا يكـــون عندنا عدلٌ وإنصاف وحفظ كرامة لكل الناس، ولا نريد بلداً على غير هذه الصورة.

لمـــاذا اعتبرتم أن ما جاء في الإرشاد الرسولي ـــ الذي قلتم إنكم تُعولون كثيراً عليه ـــ كان كلاماً عادياً؟

قـــلت ذلـــك كأرثوذكسي. فأنا ـــ كأرثوذكسي ـــ عندما أسمي الإرشاد حدثاً معيناً له بداية وله نهاية ـــ أصفه بأنه أمرٌ لم يكن موجوداً وأصبح الآن موجوداً، ولا أقصد أكثر من ذلك.

ماذا تقولون في روح الإرشاد، يا سيدنا؟

أود أن أوضح نقطة هي أنه يجب ألا يُفهم أن ما قلته كان للتقليل من قيمة الإرشـــاد الرسولي. معروفٌ أن الأرثوذكسيين كانوا يعتبرون من تحصيل الحاصل أن يكون في البلد وفاق وما إلى ذلك، وكانت تصرفاتهم لا تشير إلى أن عندهم أي نوع من التحيز. أما فيما يختص بروح الإرشاد، فإننا معه كلياً، وقد برهنا عن هذا الموقف جســـدياً وفعـــلياً: كـــنا في استقبال قداسة البابا من البداية حتى النهاية، ونحن نعتز باتصـــالاتنا معه. بيننا، بكل صراحة، اتصالات أخرى معه، وهذا أمر نعتز به، وعار علينـــا ألا تكون بيننا اتصالات. إخوتنا المسلمون هم إخوتنا، لا بالكلمة بل بالفعل، وأنـــا لا أســـتطيع أن أتصور لبنان إلا بجميع أبنائه، كما لا أستطيع أن أتصوره إلا بكليته جغرافياً. لا أتمنى أن يلحق به التآكل.

ألا يـــزال لبـــنان ـــ في نظركم ـــ بلد الرسالة أو البلد الرسالة الذي تكلـــم عنه البابا عـــدة مرات؟

نعـــم! أعـــتقد أنه لا يزال بلد الرسالة، وأعتقد أن غيرنا ـــ عندما يريد أن يحاور أخاه ـــ يكتفي بأن يعقد اجتماعاً يجلس فيه بعض الوقت إلى هذا الأخ ليتركه وشأنه بعد ذلك، لكننا نحن نحمد الله على أن حالة الحوار عندنا هي حالة دائمة، كما نحمـــده على أننا لا نستطيع أن نقرر شيئاً في هذا البلد إلا سوية. هذا أمر نُصِرّ عليه كل الإصرار لأنه مهم جداً جداً.

وهل يصح ذلك على مستوى ممارسة الحكام كما يصح على مستوى المرجعيات الروحية؟

الذي أقصده أنا هو ممارسة الحكام بصورة خاصة: يجب أن يكون الهاجس الدائم أن ما يُعمل إنما يُعمل للجميع.

هل هذا هو الذي يجري حالياً؟

أنتم ترون بصورة أوضح، لكنه يجب أن يُعمل أحسن مما يُعمل الآن.

بأي المجالات، يا صاحب الغبطة؟

أنا أريد أن يُكسَر المنطق القائل: ربحنا وخسرتم، وخسرنا وربحتم. يجب أن يحطـــم هذا المنطق، وإلا فإن البلد لن يجتمع. هنالك أناس، إذا أحسوا أن السلطة إلى جانـــبهم، «يتمقطعون» بالآخرين، وربما كان المسيحيون أول مَن فعلوا مثل ذلك. هذا غلط أتأمل ألا يدوم وألا يتبناه مسلمون.

لئلا نرى ملامح حربٍ جديدة مثلاً، إن لم يكن اليوم فبعد سنوات؟

أنـــا أكره الحرب، وأعتقد أنه يجب ألا يتحارب البشر. لا أتصور مثل هذا الأمر ولا أريد له أن يحصل.

أكيـــد أنكـــم تلتقـــون مع البطريرك صفير وتتابعون مواقفه. أين تلتقون مع طروحات بكركي، وأين تختلفون معها؟

أنـــا ميال إلى أن أنظر إلى بكركي على أنها بالفعل مرجع روحي للكنيسة المارونية. وبما أن هذه الكنيسة هي كنيسة الأكثرية في هذا البلد، ذلك يعني أن عندها نوعـــاً من التمثيل لكل المسيحيين، بمعنى أنها تُلزم كل المسيحيين بطريقة أو بأخرى. الكنيســـة المارونيـــة مرت بأحداث لم تبق معها كنيسةً واحدة وشعباً واحداً. لاقت الرئاســـات فيهـــا صـــعوبات كبيرة جداً وكان الأمر يستدعي إما الاستسلام لهذه الشـــرذمة، وإما أن يبقى ما هو فوق. أنا أعتقد أن البطريرك صفير لا يستطيع إلا أن يتكـــلم، لأنـــه إذا لم يتكلم هو فمَن الذي يتكلم من هؤلاء؟ أعتقد أنه من المفيد أن يُسمع صوته، وأفتكر أن هذا بابٌ للقول بأن الإنسان، إذا كان له طابعٌ ديني، يصبح معـــزولاً عن الاهتمام الوطني الذي يجب أن يكون وقفاً على أناس يستهترون بالدين أو لا ديـــن لهـــم على الإطلاق. نريد أن يتكلم البطريرك صفير ونريد أن يتحقق ما يقولـــــه لأنه صحيح في نظري. البطريرك صفير رجل وهو إنسان كسواه يتحمس أحيانـــاً لما يقول بلهجة قاسية. هذه أمورٌ لا يمكن أن تُتَخَذ ذريعةً ليُنسى ما يقول. الذي يقوله البطريرك صفير لا يقوله من أجل نفسه، بل يقوله من أجل أناس من هذا البلد، يعيشون في هذا البلد، وسيبقون فيه، وهذا هو طموحهم للمستقبل.

وهل هو يتكلم من أجل جميع اللبنانيين، لا من أجل المسيحيين فقط؟

تماماً! وحتى إذا هو تكلم عن المسيحيين، يكون قصده، إذا وجد بينهم مَن لا يحـــس بأنـــه مع الكل أن يجعله مع الكل، وأن يجعل «المجفجف» قليلاً يحس بأن الحكم يحترمه ويأخذه بعين الاعتبار.

تكلمت مرات عن اللهجة القاسية عند البطريرك صفير. وقد لمسنا هذه السنة لهجةً قاسية عـــند مطران بيروت الياس عودة. ألا تعتقد بأن هنالك ضرورة لمثل هذه اللهجة القاسية

أحياناً، ولا أقول الانفعالية، لأنه قد يوجد بين المسؤولين مَن لا يسمع جيداً؟

الأمر الأكيد من هذه اللهجة المدعوة قاسية، على ما أعتقد، هو أنها لا تعبر عـــن عـــداوة للمخاطَب. إنها مجرد حماس من المتكلم للأمور التي تخصه ومن حوله. وماذا يضير الإنسان لو تحمس؟ يقول الناس: نحمد الله على أن في بيت كلٍّ منا ومن حولنا إنساناً أو أكثر نستطيع أن نعتبره «مفشة خلق».

أنـــا لا أعـــتقد أن البطريرك صفير يعادي أحداً أو أن المطران الياس يعادي أحداً. علينا دائماً أن نفتش عن القصد: القصد هو أن يكون البلد على أحسن مما هو عليه على يد الذين يتسلمون زمامه. ليُقصِّرْ أي كان وليغلط أي كان، وإلا لما كان إنساناً. يجب أن يقال كل شيء، وماذا يضير في ذلك؟ ربما أصبحت قليلةً الأمورُ التي يستطيع المرء أن يزايد بها في مجالات أخرى، وهذا هو الحال. ماذا يهم؟ نحن، عندما يستنكر أولادنا أن يرونا مخطئين، نقول لهم: لماذا تستغرب كوني أخطئ؟ أنا لم آت مـــن عـــالم المثل. أنا مثلك أغلط ومثلك أُقصِّر، فإذا أردتني أن أسمعك، تكلم معي بصورة أستطيع أن أتفاهم فيها معك. لكنهم يكونون قد قالوا ما يريدون قوله.

في الإرشاد الرسولي دعوة للمسيحيين للالتزام بعروبة لبنان، كيف تفهمون عروبة لبنان؟

فـــيما يتعلق بمحيط لبنان العربي، هذا واقع: هنالك أناس عليك أن تتبادل معهـــم في كـــل شيء. لماذا تريد أن تحسب بأنك من فئة من البشر جُبلت بطريقة خاصة، أو أنك آتٍ من غير هذا البلد. نحن جميعاً في هذا البلد سواءٌ أكان واحدنا من سكان البسطة أو سن الفيل. فلماذا تريد أن نخلق مشكلة من أمر واقع؟

أما العروبة، فأنا لا أتصور أنني كنت غير عربي في أي وقت. أنا أعرف أنني أتكلم مع الجميع وأفهم عليهم ويفهمون علي، فماذا يمكن أن أكون أكثر من ذلك؟ أنـــا أعـــتقد أن الكلمات، في بعض المرات، تغطي أكثر مما هو ظاهر، وأعتقد بكل

بســـاطة أن الإنســـان في هذه المنطقة وفي هذا البلد يجب أن يعيش مع الكل ويسعى لإسعاد الكل.

برأيك إذن أن يُفصل مفهوم العروبة عن أي عامل ديني أو مذهبي أو طائفي؟

إذا أردنـــا أن نتكلم علمياً، فأنا لا أعرف كم هو ممكن هذا الفصل، لكنني أعتقد بأن المقصود به لا يمكن أن يصل إلى حدود القول بأن الإنسان لا يستطيع أن يكـــون عربياً إلا إذا كان مسلماً. هذا غير صحيح، فمن نكون نحن إذا صح ذلك؟ لكـــن الفكرة العامة تقول بحكم الوضع القائم أن عندنا أكثرية عددية ولغة مشتركة ومـــا إلى ذلك. نحن نحترم آراء الجميع، أما رأي الرئيس القذافي بأن علينا جميعاً أن نُســـلم، فإننا نرد عليه متسائلين: ماذا يشكو المسيح يا ترى؟ هل أصبح سيئاً إلى هذا الحـــد؟ هـــل أصـــبح يفصل الناس بعضهم عن بعض؟ الناس هم الذين ينفصلـــون مســـيحيين كانوا أو مسلمين. ليس صحيحاً أن إخوتنا المسلمين فئة واحدة، وليس الإســـلام هو الذي يفصل، البشر هم الذين يفصلون، مثلهم في ذلك كغيرهم. هذا الموضوع يجب أن ننتهي منه، ونتأمل من العروبة أن تحترم التراث الشرقي في تعدده. عـــندنا سريان وعندنا مَن هم من أصل كنعاني، وقد يصل أصلنا في هذه المنطقة إلى آدم. وأنـــا أعـــتقد بـــأن العروبة، إذا كانت موجودة، يجب أن نتمكن من تطبيقها بمفهومهـــا الواحـــد على الجميع، وهذا لا يضير أحداً. عندما كان يُطالَب بالعروبة وبمضـــمونها بـــدون ضغط، لم يقصر لبنان. وفي سوريا لم يوجد مَن يقول إننا لسنا عـــرباً. أعتقد بأن الموضوع لم يعُد مطروحاً. نحن نريد ألا تُستعمل كلمة العروبـــة نكايةً بأحد، وإذا نحن فعلنا نسيء للعروبة ونسيء لمن نتكلم معه، لأننا نكون كمَن يفرض عليه أمراً يمكن أن يكون ممن يعيشونه.

نُشر للأستاذ محمد حسنين هيكل في ١٩٩٧/١/١٧ كلام يقول بأن العالم العربي يجب أن يتسامح مع لبنان بضروراته ويُدرك بأن للبنان طابعاً خاصاً، وبأن من مصلحته بأن يحافظ

عـــليه. ولا بد وأن يشعر مسيحيو لبنان بأن العالم العربي الإسَلامي بغالبيته قادر على أن يفهم ضرورة وجود رابط مسيحي عربي، وليس في ذلك عيب. ألا يزال المسيحيون، في رأيكم، مؤمنين الآن بضرورة وجودهم للقيام بهذا الدور؟ وبالتالي هل العالم العربي ما زال قادراً على أن يفهم وجود مثل هذا الرابط؟

من صيغة هذا السؤال نستنتج أنه يجب أن يوجَّه إلى العالم العربي ليقول إذا كان قادراً على أن يعمل شيئاً في هذا المجال أم لا. لكنني أعترض على شيءٍ ذُكر هنا، وكـــأن مبرر وجود المسيحيين في هذه المنطقة هو أن يكونوا نافذة على الغرب. نحن نعرف أن قسماً كبيراً من أبناء الغرب أصبحوا مسلمين الآن. هل العالم العربي يحتاج المسيحيين الآن ولا يحتاجهم فيما بعد؟ نحن في هويتنا وفي رسالتنا موجودون هنا، لا لنـــنظر إلى الخارج. ثم إن هنالك مسيحيين شرقيين أباً عن جَدّ موجودون هنا، وهم جماعـــة ليس لها أي اتصال بالخارج. أنا أعتقد أننا يجب أن ننظر إلى واقعنا، وأرى شخصـــياً كمـــا أتمنى وأرجو أن لا يكون لبنان تلك اللقمة التي يصعب على العالم العربي أن يبتلعها. أعتقد أن لبنان لقمة سائغة، وأن في هذه اللقمة نوعاً من المدرسة في ممارســـة الإنســـان للتعامل والمحبة والتعاون مع الذي يختلف عنه في العقيدة. هذه المدرســـة تقول بأن الاختلاف في العقيدة لا يعني الخصومة. خصوصاً وأنا لا أعرف اثـــنين لا يختلفان، كما لا أعرف عقيدةً واحدة تمنع المسلم من أن يتقاتل مع المسلم والمســـيحي مـــع المسيحي. ليس صحيحاً بأن مثل هذا التجانس والتوافق والتعاون يحصل على مستوى الفكر، ونشكر الله أن يكون قد خلقنا جميعاً كُلاً بموهبته الفكرية الخاصـــة. أمـــا فيما يتعلق بموهبة العيش المشترك الفعلي، وفيما يتعلق بأمن الإنسان وحياته وكرامته وممارسته الفضائل في معاملة الآخرين، فأنا أعتقد بأن لبنان قد يكون مدرســـة. نحـــن وإخوتنا المسلمون هنا لم تمر بهذه المطرانية مناسبة (وربما كنت أبالغ بعض الشيء) إلا وكان فيها جميع الاخوة من جميع الطوائف المسيحية والإسلامية. لم تمـــر عـــند غيرنا مناسبات لم نُدعَ إليها. كنا دائماً مدعوين لأن نفرح مع مَن يفرح

ونحزن مع مَن يحزن.

هـــل علينا بعد كل ذلك أن نخاف؟ هل يجب على المسيحيين أن يخافوا من الإسلام؟، أنا أمنع على المسيحيين أن يخافوا من الإسلام كحدث شرقي، وأتمنى على المسلمين ألا يتصرفوا وكأن المسيحية حدث غير شرقي. المسيحي شرقي يا أخي، وُلد في هـــذه المـــنطقة، لا في باريس ولا في نيويورك. المسيح من هنا، وهو قبلنا في هذه المـــنطقة. انظر بيت لحم والقدس يا أخي، إنه جاء إلى صور وصيدا من هناك، وإلى سوريا. وكل نظرة تعتبر المسيحي غريباً في هذه المنطقة لا تنصف التاريخ ولا تنصف الحقيقة. قد يكون المسيحي غريباً في أمريكا، لكنه هنا ليس بالغريب.

ثم إنـــنا لا نحـــب أن نسمع بأن المواطنين في البلد الواحد لا يتعاونون ولا يحبون بعضهم بعضاً. مؤسف أن تكون الأوضاع على ما هي الآن في لبنان. هنالك إقـــبال على التعاون لا زال بحاجة إلى أن ينمو، وليس من شيء يخلق كاملاً. هنالك أمـــاكن أخرى ما زال فيها الإنسان يُقتل بهذه الصفة. هذا مؤسف. لماذا يحصل مثل ذلـــك؟ أليـــس هذا الذي تقتله أخاك، سواءٌ إذا كنت قد استلمته أو استلمت منه، خصوصاً وأنه قد يكون قبلك في هذه المنطقة؟ وفي النهاية أعتقد بأن لبنان لقمة يجب أن يكون العالم العربي قادراً على أن يبتلعها دون أن «يغص» فيها، إن شاء الله.

صاحب الغبطة، هنالك موضوع آخر هو أننا لا نشعر كثيراً بالاهتمام الجدي الكاثوليكي أو الأرثوذكسي بمسألة القدس رغماً عن أنها من الأساسيات بالنسبة للديانة المسيحية. ما هـــو موقفكم حيال ما يجري لتهويد القدس؟ هل تعتبرونها مسألة استراتيجية؟ هل تنوون القيام بتحركات معيّنة بشأنها، عدا المؤتمرات والندوات والدعم الكلامي؟

قـــد يســـتغرب الســـامع قولي إن الكنيسة الكاثوليكية غير مقصِّرة في هذا الموضـــوع. إن عندها مَن ينطق فيه باسمها، وأعتقد أن الفاتيكان يغتنم جميع الفرص ليتكـــلم ويـــبدي رأيه، ونحن أحرار في أن نوافق على موقفه أو لا. هنالك بالتأكيد

نشـــاط، وأعـــتقد بأن الجهاز الدبلوماسي التابع للفاتيكان لا بد وأنه يعمل بطريقةٍ خاصـــة مع الدول. أما نحن الأرثوذكسيين فإننا نواجه مشكلة هي: أين هو الناطق بلساننا؟ نحن نواجه صعوبة، فإذا كان كل ما نستطيع أن نعمله لكنيسة أورشليم هو أن ندعمها، وقد فعلنا ذلك وحصلت إعلانات واتصالات بهذا الشأن منذ سنين. وفي مجـــلس الكـــنائس العالمي، كنا نصدر البيانات في نظرتنا للقدس، ونقول إن طابعها المسيحي لا يمكن إلا أن يكون واضحاً لأقصى الدرجات. لم يولد الأنبياء في القدس. المســـيح وحدَه وُلد هناك. ذلك يعني أن المسيحية فلسطينية أكثر من أي شيء آخر، أكـــثر مـــن الديانات الأخرى، ونحن تعساء لآخر درجة إذا كانت القدس، موضع المسيح وصلب المخلص وقيامته، مسيحية وغير فلسطينية. تلك طعنةٌ بالمسيحية تطعن صـــميم كيانهـــا. إن غيرنا قد لا يُطعن في كيانه لو هو خسر! كنت دائماً أقول إن القدس عاصمةٌ روحية لنا، يعني أن أرواحنا تُزهَق إذا لم نَقُل إنها المحل الذي مات فيه المسيح وفيه أتم عملية الخلاص، وتعذبنا ضمائرنا. إننا حائرون لا ندري ماذا نعمل، بينما توجد لدى الديانات الأخرى دولٌ تمثلها وتُسمِع صوتها، لأن الأصوات الآن بيد الـــدول، والمســـيحية وحدها لا تملك صوتاً «مدنياً» يتكلم عنها. ما العمل وكيف والحوار ليس على مستوى واحد؟

ماذا تتوقع لمصير القدس؟

لا أعـــرف ماذا سيحصل، وكل ما أتمناه ألا يحصل، بصورة من الصور، ما أسميـــه «مأساة فريدة في التاريخ»: أن نصبح، كمسيحيين، نكتفي بأن نزور القدس كسواح، أو أن تصبح كلمة «المسيح» غريبة عن القدس. هذا التصور صعب فعلاً. ولا أرى كيـــف تكون الحلول لأننا غير مشاركين فيها. مصيبة كبرى وطعنة نجلاء للمســـيحية أن تـــتحول عن مسارها، وأن تُقتلع من الجذور، وهي ديانة التجسد، الديانـــة التي نزل ربها من السماء إلى الأرض، هناك حيث وُجد ومشى وكلم الناس

وكـــلموه وشـــاهدوه وصلبوه. كارثة لاهوتية إذا وصلنا لمكان التجسد لنرى ديانة التجسد تصبح غير متجسدة.

أذكـــر في حوار معكم، غداة مؤتمر مدريد، أنكم كنتم متشائمين حيال مسيرة السلام في المنطقة. هل لا زلتم متشائمين؟

الإنســـان يتطـــلع إلى الأحداث ويقرأها: الأمر الثابت الذي أعـــرف أنه يجـــــري الآن هو أن كل ما يحدث يكون في مصلحة إسرائيل ولتبقى إسرائيل. لقد أصـــبحوا يقولون بدون حياء إنهم يريدون أن تكون إسرائيل موجودة دائمـــاً وأن تكـــون بمفـــردها دائماً أقوى من جميع مَن حولها مجتمعين. هذا الأمر أصبح بمنتهى الوضـــوح، وماذا يمكن أن نتوقع منه؟ كيف يمكن أن تكون قوية أكثر من الكل إلا على حساب الكل!

أتكـــلم الآن عـــن السلام، لا عن السياسة التي نترك الكلام فيها لأربابها، فأقول إنني لا أرى أن يحصل سلام إلا لتكون إسرائيل في حالة سلام، لا لنرتاح نحن. يحدثونك عن استرداد أرض، وهذه الأرض مأخوذة منا، وأنت تدفع ثمن سلامك من جيبك الخاص، بمعنى أن الآخرين لا يخسرون شيئاً. ثم يحدثونك عن التطبيع، فما هو هذا التطبيع؟ هل يعني أنه ليس هنالك احتلال أرض، ولا طرد أناس من بيوتهم؟! هل يعـــني أن نقول بأنه لا يوجد جيل لم يتعلم ولا شبع الخبز؟ هل يعني أن نقول إنه لا يوجـــد أنـــاس سيمرون ببيوتهم ذات يومٍ ليجدوا غيرهم ساكناً فيها؟ كيف لنا أن نقول: ما هو غير طبيعي اجعلوه طبيعياً؟ افعلوا ذلك أنتم إن كنتم «شاطرين». هذا في اعتقادي أمر صعب.

قولـــوا للإنسان: انكرْ موت أبيك وإخوتك. هل البشر من خشب ليتمكن من أن يشطبهم بهذه البساطة؟ لماذا تقوم الدنيا وتقعد عندما يموت غيرنا، ولا يوجد

مَن ينطق بكلمة عندما نموت نحن، كأننا لسنا في الحساب؟ وكأن الحساب هو مقدار الـــربح عند إسرائيل لا مقدار الخسارة عندنا؟ لا بأس في أن يربحوا كل شيء وفي أن تخسر أنت كل شيء. نسأل الله أن يمكن الذين يتعاطون شؤون السلام والتطبيع من أن يتوصـــلوا لـــتحقيق الســـلام العادل، ونتساءل كيف يمكن أن يكون عادلاً هذا الســـلام؟ عســـى أن توجد طرق لا تخطر لنا ببال يكون فيها السلام عادلاً ويتحقق المقصود بالعدل.

هل تريد إسرائيل السلام انطلاقاً من خلفية نتنياهو الإيديولوجية والعقائدية والدينية؟

نعـــم! إسرائيل تريد سلامها هي، لأن السلام عندها هو غير السلام عندنا. الســـلام عند إسرائيل يعني ألا ننظر إليهم كمحتلين وهم أمامنا محتلون. أنا أعتقد أن هـــؤلاء لا يعمـــلون شـــيئاً ليس في مصلحتهم. كيف يكون هذا عادلاً؟ وكيف لا يكونون مُغتصِبين وهم مُغتصِبون أمامك؟

هـــل يمكـــن أن نـــراهن على الموقف العربي الموحَّد في مواجهة إسرائيل، ما دام يهرول للتطبيع؟

لهذا السؤال طابع سياسي بالتأكيد. نحن نكتفي الآن بأن ننظر من الخارج، فنرى أنه ليس من حقنا ألا نتأمل أكثر من هذا القدر، ونفكر بأننا لسنا معتادين على مراقبة الأحداث من بعيد. ألم يكن التفرج من بعيد على ما حصل في لبنان أمراً مثيراً جـــداً جداً؟ أقل ما يمكن قوله هو أننا لا نتوقع الكثير، وربما أصبح من الواجب أن نعـــرّف كـــلمة «العـــالم العربي» في القاموس بأنها تعني «عوالم عربية» كي نكون صادقين، وكي لا يُضلِّل أولادنا ويتعلموا ما هو غير الحقيقة. ليس لدينا حتى الآن أي دليـــل عـــلى وجود أي اتفاق فيما بيننا. غريب أننا نركض دون أن نتفق على أقل الأمـــور. نـــأمل أن يـــتعاطى السياسيون هذا الأمر، فنحن لا نرى إمكانية حدوث الاتفاق.

هل يقدر العرب، في نظركم، أن يقفوا، في مواجهة موضوع التطبيع، بين الشرق أوسطية والشركة العربية (أو السوق العربية المشتركة)، وهل هنالك مَن يساعدهم في هذا المجال؟

أنـــا أعـــتقد أنه لا يمكن الوقوف بمواجهة أي أمر ما لم يحصل اتفاق. نحن نقـــول باســـتمرار ونعلم أولادنا أننا ننكسر إذا كنا لوحدنا. لست أدري ماذا تعني فكرياً كلمة «التعاون» أو «الوحدة». هذا أمر نظري، وهو من بقايا الفكر الإغريقي القـــديم الـــذي كان يعتقد أن ما هو أكيد في الوجود هو العَدّ. أنت لا تستطيع أن تَعدَّهم بل تستطيع أن تجمعهم. وفي اعتقادي أنه، إذا لم يوجد لا اتحاد ولا تعاون، لا يستطيع المرء أن يصمد أمام شيء.

أليـــس هـــنالك مـــن خطر، في رأيك، من تنامي الأصولية في العالم العربي في وجه فرص السلام الضائع؟

أعـــتقد أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الشعوب في الدول العربية يمكن أن تكـــون بعيدةً عما تعمله الدول كأجهزة حكم. أعتقد أن الشعوب ترى أن أجهزة الحكـــم تقـــوم بأحد أمرين: إما أنها تتساهل أكثر من اللازم وإما أنها تبيع شيئاً من الـــتراث الشـــعبي. الأصوليون جماعة يقولون إنكم ابتعدتم عن الأصـــول بحـــيث أصـــبحت العودة إليها ضرورية لعل في ذلك الشفاء، وهم يؤمنون بذلك. يهمني هنا أن ألاحظ أن وجود الأصوليين ليس محصوراً بالمسلمين، لأن المسيحيين أيضاً عندهم أصوليون إذا كانوا الآن غير ملموسين كثيراً، فإنهم كانوا ملموسين جداً في وقت من الأوقـــات، وقتلوا غيرهم، كأن التاريخ يشاء أن توجد في الديانات على الدوام هيئة تـــبرز نفسها كجماعة أصولية. هل يشكل مثل هذا الوجود نافذةً يرى الـــمرء من خلالهـــا هذه المساومات والانبطاحات. إذا كانت الأصولية تقول: خافوا الله يا قوم، فكلنا نقول ذلك.

عـــندما تطرح مسألة الحوار المسيحي السوري، لماذا نشعر أن لا علاقة للأرثوذكس بهذه

الإشكالية؟ هل تقف المشكلة المسيحية السورية، إذا كانت قائمة، عند حدود الموارنة؟

لســـت متأكداً من أنها تقف عند حدود الموارنة. إذا كان هنالك مَن يجتمع بواحـــد في ســـوريا، فـــنحن كـــل يوم نجتمع مع أكثر من واحد في سوريا. نحن موجودون، وأنا أعتقد أن مثل هذا الحوار أمر طبيعي. في وقت من الأوقات أُطلقت على الموارنة صفة أنهم محبطون، و لم نحظَ نحن بهذه الصفة، وإن كنا محبطين.

هل تحبون المشاركة في هذا الحوار؟

ذلك أمر لا يحتاج إلى بحث. أنا آتٍ من سوريا، وإذا وجد هناك مَن هو هنا نكون نحن.

نشـــرت النهار منذ أسبوعين رأياً لرئيس الجامعة اليسوعية، الأب سليم عبو، يقول إننا لسنا أحراراً. كيف يفهم صاحب الغبطة لبنان واللبنانيين بدون حرية؟

أنا أرفض أولاً ألا يكون لبنان حراً. لكني أعتقد أن الأب عبو قال أكثر من ذلـــك، وأعتقد أن الأب عبو يمتاز بأمرين: أولهما أنه كان أرثوذكسياً، وثانيهما أنه صار كاثوليكياً. ليس الأب عبو أياً كان، وأنا أعتقد أن ما قاله يستدعي تأملاً رصيناً جـــداً من منطلق قناعتي بأنه لا يتكلم كشخص واحد. إذا كان يهمنا أن يُعبِّر الناس عن أفكارهم، يجب أن يُعبِّر الأب عبو عن فكره الذي ليس فكره وحده، كما قلت. أعتقد أنه لا يلقي الكلام على عواهنه وأنا مقتنع بأن الموضوعات التي تبحث جديرة بكل جدية.

هل تعتبرون أن في لبنان حركة للرأي العام؟

أنا أخاف أن يفقد لبنان هذا الأمر. مرت مرحلة حصل فيها استهتار بالرأي العام، وأخاف أن يُقتل الرأي العام إذا استمر الاستهتار. لا أتمنى مثل ذلك للبنان.

كيـــف يمكن في رأيكم أن يُعاد تكوين هذا الرأي العام؟ ما دور المثقفين؟ وكيف يجب أن تكون علاقة المثقف بالدولة؟

أعتقد أن السلطة لا تستطيع أن تتبنى الغباء، ولا أقول إنها تتبناه. المثقفون في البلد هيئة مهمة، والثقافة في لبنان هي إحدى رسالاته. وليكن معلوماً أن هذا البلد، رغـــم جميـــع الظروف التي مر بها، هو المحل الذي ربما كان يغذي كل العالم العربي وسواه بالمنشورات والمطبوعات والآراء وما أشبه. لبنان بلد لا مثيل له في هذا المجال. كان أفلاطون يقول: إذا لم يصبح الفلاسفة حكاماً فعلى الدولة السلام. الدولة دولة فكـــر: مَن هو اللبناني؟ كيف نتصوره؟ إنه ليس حجراً. أسأل الله أن يكون هنالك هاجس من هذا النوع وأن يتحقق بأسرع ما يمكن.

ثمة أشخاص لم يعودوا إلى قراهم. ما سبب تلكؤهم في العودة، وما هي مسؤولية الدولة؟ لمـــاذا لا تساعد الكنيسة الأرثوذكسية في هذا المجال؟ ولماذا بيعت الأراضي الأرثوذكسية في سوق الغرب وغيرها؟

بالنسبة لبيع الأراضي التي لها علاقة بالكنيسة، أكيد أنه لم يحصل أي شيء من هذا القبيل. أنا، ككنيسة، لم أوقع أي توقيع من هذا النوع.

يجـــب أن نسأل الناس لماذا لا يعودون، هل هنالك ما يمنعهم. كل إنسان، عـــلى ما أعلم، يحب العودة إلى أهله. هذا أمر يجب أن تتولاه السلطة جدياً، الشطر الذي تعمل فيه من أجل ألا يعودوا هو أهم مما حصل من أجل أن يعودوا. الناس لا يعودون بالكلام والأمر يحتاج إلى فعل، ومَن كانت له عينان فلينظر.

ســـؤال أخـــير أو رسالة للبنانيين ولمن يروننا في الخارج: ما هي الإشارات المتفائلة التي يرسمها صاحب الغبطة لمستقبل لبنان؟

عندما نتكلم عن مستقبل لبنان، يجب أن يكون كلامنا فعل إيمان، يجب أن

نـــتجاوز المرئي وإن كنا ننطلق منه. لبنان نحن نريده، ولبنان ليس «شو ما كان». لبـــنان أفـــاد كـــثيراً وأغنى كثيراً، حتى في الهجرة. خرج من هنا أناس أغنوا أوروبا وأمـــريكا ولمعوا ولا يزالون. حرامٌ ألا تُقدَّر قيمة لبنان. الناس يفتشون عن أن يكون عـــندهم أصل، والحمد لله أن لبنان لا ينقصه ذلك. أتمنى أن يُحتضن لبنان احتضاناً محباً من كل العالم العربي وألا تجرب الدول أن تدفعه ثمناً لتدبيرات تودي به إلى ما لا نرجوه.

عبادة الشيطان*

صاحب الغبطة، ما رأيكم في موضوع عبادة الشيطان؟

علمت أن بعض شبابنا في مناطق مختلفة، يضعون أنفسهم في وضع يمكن أن يوصف بـ «الهيجاني»، يؤذيهم ويودي بهم أحياناً إلى الانتحار. هذه الحوادث ليست جديدة بغض النظر عن تفسيراتها. هذا العصر له أثر في تفريغ الإنسان من بعض مضامينه، ومن ضمنها المضامين الروحية. عندما كنت في أوستراليا علمت بوجود بلدة فيها نسبة مخيفة من حالات الانتحار بين الشبيبة. بعد ذلك، سمعنا عما يشبه ذلك في أميركا وأوروبا وأمكنة أخرى. هذه الظواهر ترافقت مع أنواع من الموسيقى تتوجه إلى أعصاب الإنسان بهدف «تهييجها» وإثارتها أكثر مما تهدف إلى الاستمتاع بها بحس جمالي هو العنصر الأساس في كل فن. الأصوات المهيجة تستعمل في بعض الأديان والمعتقدات التي تعبر عن نفسها بالعنف الجسدي، كأن يخدش الإنسان نفسه ويجرح جسده. سمعنا في هذا الإطار عن الذين استعملوا «الشيش» لخرق جسدهم، وقيل إن هذا مجرد كلام، لكن الحقيقة أن هذه الظاهرة واقعية شاهدتها بأم العين، وهي أمر غريب. يطغى عنصر التهيج في هذه الحالات، ويؤذي الإنسان ذاته أو غيره أو يشتم الآخر، وعند اللجوء إلى منطق التهيج لا أحد يستطيع أن يحدد النقطة التي تتوقف عندها الأمور حيث تكون الكوابح قد زالت. لذلك، دعت الأخلاق الدينية، والأخلاق المسيحية، إلى عدم اللجوء إلى الغضب، والحذر منه في كل الأحوال.

* ملحق صحيفة «النهار» اللبنانية، ١٩٩٧/٨/٥.

وما هي في رأيكم أهداف الظاهرة المذكورة؟

ما يجري الحديث عنه من «عبادات» للشيطان أو لغيره، تستهدف التوصل إلى عالم المخدرات، أو إلى عالم ثان هو المسكر، وآخر يأتي بمقدار من الترف. كل ما هو محاولة للهروب من الواقع يندرج في هذا الإطار. قد يصل الإنسان إلى حالة لا يحب فيها أشياء معينة، لكن الهروب منها لا يعني أن يصطنع أشياء جديدة ويلجأ إليها. هل هذه المظاهر مرتبطة بالدين استهدافاً له؟ في نظري، كل شيء مرتبط بالدين، لأن الدين هو من أجل الإنسان بكامله، وليس من أجل جزء منه، ولا لناحية من نواحي حياته، وهنا تخطر لي مسألة فصل الدين عن الدولة، أي فصله عن كل الأعمال المسؤولة عن حياة الإنسان. هل هذه لعبة؟

فصل الأمور المتعلقة بالإنسان، وتجزيئها هو أمر غير مقبول. ونعود إلى واقع عندنا هو واقع الشر. تعجبني عبارة عند اخواننا المسلمين: «كل ما يؤذي هو شرير». على الإنسان أن يتمعن في كل أمر، فإذا كان مؤذياً يعني أنه شرير. هل هناك أذى في هذا العالم؟ أكيد هناك أذى، إذن، هناك شرّ. وأن نتكلم عن الشر وعن الشيطان، يعني أن نتكلم عن السبب. سمعت بعض الأشخاص يتحدثون في ما يشبه البطولية الكلامية التي تخفي الكثير من الرغبة في تثبيت الذات، حيث قالوا «لا يوجد شيطان» و«لا توجد عبادات شيطانية». الذي يقول ذلك، يَدَّعي أنه لا يوجد شر. فهل هذا صحيح؟ بالطبع، لا. إذاً كيف نفهم الشيطان؟ نعود إلى الكتاب المقدس، وفيه أن لا شيء يؤثر في الحياة ويكون آتياً من لا حي. هل يسبب شيء مرضاً وهو غير حي؟ مستحيل ذلك. أما تصورك لهذا الحي الذي يُحدِث الشر فهو الذي يشدد عليه الإلهام الإلهي. لا شيء يأتيك، لا خير ولا شر في هذا العالم، إلا من مصدر حي. الذي يقرأ الكتاب المقدس ولا يلمس هذه الحقيقة فهو يفهم الأمور بطريقة خاطئة.

أعـــتقد أن شبيبتنا، خصوصاً في لبنان، تعرضت في وقت من الأوقات إلى تعـــاطي المخـــدرات من أجل أداء دور محدد. افترض ذلك ألا تكون واعية، أي أن تكـــون ضمن حقل مفتوح على كافة المؤثرات، وفاقدة القدرة على مقاومة كل ما يطـــلب الإنجيل منها أن تقاومه. فالمخدرات تقضي على إرادتها، وتفتح الباب عندها عـــلى مصراعيه من أجل دخول الشيطان. لقد جُرّبت شبيبتنا هذه التجربة، على ما يـــبدو، لكـــن شبيبتنا أفضل من ذلك، وأحلى من ذلك في الواقع. لقد دعا الكتاب المقـــدس الأبوين إلى التعاون وليس إلى أن يكون كل واحد لوحده، و لم يقل اذبحوا ذبـــيحة لتأكلوا، أو اكسروا شجرة لتقطفوا ثمرتها. لم يأمر الله بتحطيم أي شيء، أو تهديمـــه، الإنسان مدعو من الأساس مع بقية البشر إلى التعاون، ولا شيء يدوم مثل الـــتعاون بين البشر، حتى العاطفة لا تدوم كالتعاون. لذلك فالاعتماد على العاطفة لوحدهـــا، ومنها «الهيجان» الذي يحدث، هي في غير موضعها الصحيح، لأنه يدمر ولا يـــبني، وعـــلى الأقل لا يدوم: «انموَا وأكثرا واملآا الأرض» أي أن عندكما ما يشغلكما. ليس صحيحاً أن الراحة تعني ألا يفكر الإنسان في شيء. ذلك مستحيل، الـــلهم إلا إذا كان الإنسان سكراناً أو مخدَّراً. الأكيد أن ليس عند الإنسان أي فراغ وهـــو لا يقبل الفراغ في نفسه. شبيبتنا وللأسف كانت مدعوة إلى هذا الفراغ من أجل أن تتقبل الشر، وهو أن يقتلوا أشخاصاً لا يعرفونهم، ولسبب هم لا يعرفونه.

إذاً هـــل كـــانت ظاهـــرة عـــبادة الشيطان تستهدف ضرب الأديان، وخصوصاً الدين المسيحي؟

يتـــبادر إلى ذهني ما حصل في سويسرا، وفي أميركا. أعتقد أنه ليس للعالم كله إيماننا. لا أريد إدانة الأشخاص، أما الأفعال فهي لا شك سيئة. نتمنى لشبابنا أن يدركـــوا أنهـــم في هذا الشرق، وفيه ولد المخلص المسيح، وفيه عبَّر عن المحبة التي لا تقـــاس ولا تحـــد، محبة الله للبشر، آملاً منهم أن ينقلوا هذا الأمر إلى الخارج، لا أن

يـــأخذوا مـــن الخارج الذي يرى الكثير من الشر، الكثير من الشيطان. يرى آلات ومحـــركات، ودخائن تتصاعد، وأناساً في مشارب مختلفة. هم لا يصلون إلى الشيء الذي نحن وحدنا نستطيع أن نصل إليه. من أجل ذلك ندعو شبيبتنا إلى كرامة أكثر من أن تقتل ذاتها، وأن تهرب من الواقع المخطط لها، وعليها هي إما أن تصلحه أو لا تصلحه. وبدونها لا يصلح، لأنها هي الواقع وهي المستقبل.

الكنيســـة تـــرفض هـــذه المظاهر الحديثة إكراماً للإنسان، وكل ما يُعرِّض كرامـــته لـــلخطر. مَن يقتل نفسه؟ الحيوان لا يقتل نفسه. هناك استهداف للأديان عمومـــاً، وفي هـــذا الشرق، وخصوصاً هناك استهداف للدين المسيحي من جهات مـــتعددة، ومن بلدان يعتبر إخواننا المسلمون أنها بلدان مسيحية. المطلوب إزالة هذا الصنم الذي لا يأتينا من أي بلد مسيحي في العالم.

أشعر أن الكنيسة هي مجرّد موضوع درس*

وليست موضوع حياة فعلية

أهلاً وسهلاً بالشباب عندنا.

تعـــرفون أني أرفض أن أرى الكنيسة مجرّد فئات، وإذا رأيتها فئات أكون قد قَسّمتُ الكنيسة في نظري فيما المطلوب مني، بصورة خاصة، أن تكون الصورة عندي أن الكنيسة واحدة. والمطلوب منا ككنيسة أن نستفيد من الطاقات عند كل واحد منا وأن نغتني من الهيئات كلها.

والـــذي أطلـــبه هـــو أن تعي الهيئات كلها أن عندها مركزاً واحداً، كنيســـة واحـــدة، انـــتماءً واحداً في النهاية. فعليها تالياً أن تقترب من بعضها البعض وألا تعمل تنافرياً بل تعاضدياً فنكون بنائين غير هدّامين، هذا يهمني إلى أقصى الحدود. أنا شاكر جداً لأنكم أتيتم.

وأحـــب أن أُعـــلق عـــلى الاجتماعات التي حصلت فأقول إنها ستستمر هنا، وسيكون عندنا في فترة العنصرة اجتماع، أتصور أنه سيُعقد في البلمند حيث نجد مكاناً نجلس فيه وآخر نأكل فيه. الغريب جداً أن الكنيسة عندنا لم يكن فيها الهاجس أن يكون فيهـــا أمكـــنة اجتماع واسعة، وكأنه مقضي علينا أن تكون آفاقنا محدودة ومتقوقعة. لم يتصـــور أحد أن نجلس ٥٠٠ شخصاً ونمضي وقتاً معاً. ويسبق هذا الاجتماع ما أُسميه لقاء الخمسة من كل أبرشية مع المطران: الكاهن والرجل والمرأة والصبية والشاب.

كنيستنا:

عندما نذكر كلمة الكنيسة ماذا نقصد؟. أعتقد أن الكلمة تظهر أحياناً غامضة.

---

* مجلة «النور»، السنة ٥٤، العدد ٤، ١٩٩٨

واحـــد يقـــول إن الكنيســـة هي الناس كلهم ما عداي، أو هي أنا ما عدا الناس، أو أن الإكـــليريكي هـــو المقصود. فحذار أن نجزئ الكنيسة في فكرنا وأن نصنع فيها فئات. ليـــس واضـــحاً أن عندنا السعي لكي نُعبِّر معاً، بتعددنا، أن على الكل أن ينهضوا مع بعضهم البعض. لا نستطيع أن نعمل في الكنيسة إذا لم يكن الجميع ينظرون معاً. إذ كل مـــا يصـــيبها أو يحدث فيها يخص الجميع حتماً. هذا لا يخص شخصاً واحداً أو هيئة واحدة، إنه يخص الجميع بدون استثناء: معمودية واحدة وأسرار إلهية واحدة.

كـــنا في الماضي إذا أسسنا جمعيتين نظن أن الأولى لا تقوى إلا إذا حاربت الـــثانية. إذا لـــم أضـــرب أخي لا أظهر للعيان. لقد اختبرنا هذا الأمر وعرفنا أثره في الكنيسة. الدليل على خطأه أنكم تقولون إن هناك أشياء كثيرة بحاجة لأن تتعمر.

عـــندي شـــعور أننا نجعل من الكنيسة أحياناً كياناً لاهوتياً، أي نظرياً. فعندما نتكـــلم في الكنيسة نتكلم عن الناس كلهم ما عدا الذين نصلي معهم والذين نُقدس معهم ومعهم يجب أن نُظهِر فضيلتنا وندعمهم ونسخِّر مواهبنا لهم. عندي شعور أن الكنيسة دائمـــاً موضوع درس وليست موضوع حياة فعلية، لأننا نتكلم عن الأزمنة كلها ما عدا الزمن الذي نحن فيه. وكأننا ننكر أن كنيسة الله لا تقفز في التاريخ قفزاً أو كأنها وجدت في وقت ما وليست موجودة بعد.

كنيســـتنا هـــي كنيسة يسوع الذي قال: «سأبني كنيستي» ولم يقل إنه يضعها جانـــباً أحياناً، لذلك هي موجودة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. هذا يعني أنه سيكون جحيم ولكنه لن يقوى على الكنيسة.

الكيـــان الكنسي حيّ الآن. مقاييسنا ليست من الماضي، إنها المسيح القائم من بين الأموات. نحن لا نغني أغنيات القيامة بل نتكلم عن واقع القيامة. المسيح في كنيسته قائم دائماً من بين الأموات. لذلك أنظر إلى كل واحد أنه الكنيسة، لا أحتاج أن أنظر هنا وهـــناك. يشعر البعض خطأً أن الكنيسة هي القرن الرابع أو السادس، الكنيسة لم تمت بعد القرن الرابع أو السادس.

الكنيســـة هي التي تراها الآن. أريد أن ترى عيوننا الواقع الكنسي. الموضوع

فـــي الواقـــع هو كيف يجب أن نقرأ حضور المسيح؟ الآن يجب أن نقرأه وإذا لم نفعل نكـــون وكأنـــنا نتكلم عن غيرنا وليس عن كنيسة المسيح على الأرض. كنيسة المسيح ليست فقط في السماء، هي ههنا، فمن الضروري أن نعيها واقعاً.

شعب الكنيسة:

شـــعب الكنيســـة هو هذا الذي نعرف، ولم يكن في التاريخ شعباً مختلفاً عنه. تاريخ الكنيسة لا يعطي صورة عن واقع الكنيسة، إنه تاريخ نخبة، تاريخ فئة معينة. لا أحـــد يعرف كيف كانت تعيش العائلات وتمارس حياتها، لا نعرف كيف كان المطارنة في الأبرشيات كلها. نعرف واحداً يبرز أكثر من غيره والعيون تلاحظه أكثر من سواه. لا لوم عليه لأنه يبرز، ولا لوم على الذين يرونه ولكن ليس صحيحاً أن الرؤية حقيقية. يجب أن ننظر إلى الكنيسة في واقعها ولا ننسَ أننا نحن كلنا الذين نؤلفها.

لسنا ديانة كتاب بل ديانة شخص:

مـــا هو القانون في الكنيسة؟ القانون علّمنا إياه الرب يسوع، لقد قال للرســـل أنـــتم اثنا عشر وكل منكم مختلف عن الآخر. وما تعملوه اعملوه بمحبة الواحد للآخر. وإذا لـــم نمـــارس المحبة مع الآخر القريب فلن يكون الادعاء بممارستها مع الآخرين البعيدين صادقاً.

إن وجودنـــا فـــي كنيسة ليس نعمة نتمتع بها فقط. ليست النعمة في الكنيسة للتمـــتع ولكـــنها مســـؤولية كـــالذين كانوا قبلنا. نحن كهنوت مئة بالمئة كالذين قبلنا، والأســـرار هـــي هي كما كانت قبلنا. لدي شعور أنه عندما نتكلم عن كنيستنا نتجه إلى الوراء.

الكنيســـة، قال بولس الرسول، هي جسد والجسد له أعضاء. كل واحد مختلف عـــن الآخر، ولكن لا أحد من دون نعمة إلهية. ولا أحد يستطيع أن يعيش وحده. يجب أن يعمل الكل معاً: العين واليد والسمع. لذلك لا تظن أنك وحدك الكنيسة. أنت الكنيسة، هـــذا صحيح، ولكن ليس وحدك. خوفي أن نجعل الكنيسة موضوعاً للبحث وليس واقعاً

نُحدثه.

مَن لا يقرأ الوجه لا يعرف الكنيسة. ليس من طريق الصدفة أن الرب يسوع عـندما أتى لـم يكـتب أي كـتاب. أعرف أنه عندما انطلق إلى الناس انطلق يحبهم ويحاكيهم، أي ليعيش عيشهم ولا يبقى بالنسبة إليهم سراً مخفياً. أشعر أن ثمة خطراً في الكنيسـة كأن نُحوّل المسيح من ابن الله الوحيد الحي إلى فكرة أو مبدأ. هو ليس هكذا. إنه كائن حي. لسنا ديانة كتاب بل ديانة شخص. إلهنا شخص وليس ورقة نقرأها.

هـذا ما أحب أن ننتبه إليه. لا لاهوت روحي عندنا، المسيح ليس روحاً، هو ابن الله الوحيد. إله تام وإنسان تام. مَن يؤلف الكنيسة هم من تراهم وتجلس معهم، أي أنتم، لا بل كلنا معاً.

إن الفكـر المسـيحي التجسدي الأنطاكي الأصيل الذي شددتم عليه لم يكن دوماً هو السـائد في الجماعـة الكنسية. عرفنا تيارات أفلاطونية كان لها دور في المسيحية الأولى والكنيسة جابهتها، ونعرف مثلها اليوم. فهل تعكس كتبنا كافة وصلواتنا جميعاً هذا البعد التجسدي الواقعي؟

إن الـتيار الأفلاطوني الذي يجزئ الكنيسة تيارٌ فكريٌ محصورٌ قد يتاح له الظهور أكثر من غيره ولكنه ليس هو الشعب. المنسي في هذه الأمور كلها هو شعبنا الحقيقي الحامل أسرار المعمودية والزواج والكهنوت وأنا أفتش عنه.

ثمـة خـوف أن تحصـر اللقاءات على الصعيد الأعلى، من هنا لا بد من التركيز على القوانين. الناموس ضروري ليوصلنا إلى حرية أبناء الله. ألا ترون أن تطبيق القوانين على صعيد الأبرشيات يُوجِد أطراً صالحة لتجسيد الواقع الكنسي الذي ركزتم عليه؟

لا أعـتقد أن القانون يُحدِث الواقع. أعتقد أنه يجب أن يكون عندك واقع وبعدهـا تنظمه. أنا لا أنكر هذا الشيء. أنا شَكّي في أن الواقع الكنسي الذي انبثق عـنه القانون الحديث والقوانين القديمة ليس سليماً. إنه يحتاج إلى إعادة نظر ما دام

الهـــدف ليـــس هـــو الشعب بل هيئات فوقية تتناحر في كثير من الأحيان. الكنيسة موجـــودة في الشـــعب وهذا ما يجب أن يظهر الآن. وهذا يظهر وجودياً بنوع من الرعاية الحية. الوجود يسبق الفكر. نحن متأثرون بالفكر الغربي القائل «أنا أفكر إذاً أنـــا موجـــود» وهـــذا غير صحيح. إذا كنت أنا موجوداً فأنا بالتأكيد أفكر وليس العكس. أنا لا أرفض القوانين لكن يجب أن نرى الواقع أولاً ثم نعطيه نظامه.

هل دورنا كشباب آمنوا أن نساهم بالرعاية والتبشير ليصبح الشعب موجوداً؟

الـــناس لا تحصل عليهم «بكبسة زر»، بل تحتاج لسنوات، ولا نستطيع أن نعرف ماذا سيفعل الله. نترك له المجال ليصنع العجيبة. ولكن ما لا شك فيه أنه يجب أن نرسم خطة ونعمل على تنفيذها.

الكنيسة هي الشعب والكهنة، هل الكهنة هم الذين يربون الشعب؟

أُجيب سلبياً لأرد على جانب من السؤال، التربية لا تكون بدون الكهنة.

هل هم قادرون على ذلك؟

ليسوا كلهم قادرين.

هل هناك الكثير من التقصير من الناحية التبشيرية؟

نعـــم، ولكن ليس الكهنة وحدهم المسؤولين عن ذلك، بل المؤمنون جميعاً. هـــناك تقصـــير عندما لا نقدر أن نصل للناس كلهم لأنه ليس لنا «الدنيا بكاملها، الأرض وكل الساكنين فيها»، والدليل على ذلك هو أنك لا تعرف أشياء كثيرة في كنيستك ولا أناساً من كنيستك أيضاً. هذا تقصير لكنه حاصل.

ألا توجهون الكهنة إلى هذا؟

هـــذا الـــتوجيه ليس للكهنة فقط، بل لكم أيضاً. يبدو أن هناك كثيراً من

الناس يستغنون عن غيرهم ولسان حالهم يقول: «أنا أقوم بواجبي فلماذا أهتم بفلان و فلان؟»، ليس من أحدٍ يحتكر الطلاح، وغير صحيح أيضاً أن أحداً يحتكر الصلاح.

ما هي المناولة الاحتفالية التي نسمع بها في كنيستنا هذه الأيام؟

المناولة الاحتفالية هي جواب على واقع يأخذون فيه أولادنا ويحرمونك تالياً أن يكـــون أولادك عـــندك. ما نسميه المناولة الاحتفالية هو رفض ما يُسمى المناولة الأولى، لأن المـــناولة الأولى عندنا تُعطى في وقت المعمودية. عاشت الكنائس الباقية عـــلى أساس أن تتصيدنا. موضوع المناولة الاحتفالية لكي نحمي أنفسنا، وإذا كانت هناك طرائق أخرى نرحب بها.

ألا نفهم بكلمة احتفالية أن هناك شيئاً مميزاً عن بقية المناولات، وكأن الاسم لا يُعبِّ ر عن واقع ما يتم؟

سَـــمِّها مـــا تـــريد، نـــريد أن نوحي أنها مناسبة كي لا يبتعد أولادنا عن كنيســـتهم. أمـــا من ناحية التعبير فنحن لا نصيغ لاهوتاً، وأولادنا يعرفون أن هذه تحـــدث مرة ولا تحدث ثانية. وسيعرفون بعدها أن كل مناولاتنا احتفالية. أعتقد أن الفائدة من الموضوع أكثر من إمكانية سوء الفهم.

ليس خفياً عليكم أن الاتصال مع الغربيين سحب موضوع المناولة الأولى من المدارس إلى الـــرعايا، هـــذا حصـــل بالحوار مع مجلس البطاركة الكاثوليك. الأمر الأساسي في هذه القضية هو توعية الشعب، فالتدبير الاحترازي لا يلغي الأمر الهام الذي يجب أن تقوم به الكنيسة!.

في الكنيســـة لا يوجد إلغاء، فكل ما هو ضروري يجب أن يتم. لكن عندك أمـــران يجـــدر أخذهما بعين الاعتبار: قياس قدرتك، ومن أين يجب أن تبدأ؟. عندما واجهنا هذا الموضوع كانت الحاجة لجواب معين. في ذلك الزمان لم نكن نجتمع مع

الأخـــوة الـــبطاركة الكاثوليك، ونحن لو كنا مكتفين بالتدبير الذي اتخذناه لما عدنا وتكلمـــنا عن المناولة الأولى مع أصحاب الغبطة البطاركة. عندما تريد الذهاب إلى مكان، تجد أن الطريق على الأرض هو غير الطريق على الورق. ومن الظلم بمكان أن نظن أنه إذا كان هناك أمر لا يتم فإن الرئاسة هي المخططة كي لا يتم، وكأنها متهمة بأنها لا تعمل. أعتقد أننا غير منصفين، الأكيد أننا لسنا قادمين من جنة الفردوس. يا أحـــباء، نحن مقصرون وسنبقى مقصرين. مَن يعتقد أنه كامل فهو متوهم، وكذلك مـــن يظـــن أنه سيُغيّر وجه الدنيا بين ليلة وضحاها. نحن نعرف أنه إلى يوم الدينونة سيظل للشيطان دور كبير. المهم هل نحن نمشي في الخط الذي تريده الكنيسة. أعتقد أنـــنا نمشـــي في الخط السليم وهناك خطىً كثيرة تحققت، فلم يعد يخجل الواحد أن يقول: "أنا أرثوذكسي". في الماضي كان الأرثوذكسي متخلفاً، كان الرقي عند غيرنا وكذلك الفهم، أما الآن فلا يستطيع أحد أن يزاود علينا.

مَن يتلمس الواقع يره تبديلاً في العالم المتجه دوماً نحو الجديد، ولا نستطيع أن ننغلق أمام العـــالم الغـــربي أو العالم الإسلامي الشرقي. لا نستطيع أن نفصل الإيمان والكنيسة عن الواقـــع وحيـــاة العالم، ويشعر المؤمن بهوة سحيقة بين الكنيسة والعالم. فلا بُد من شيء يُماشـــي تطورات العصر: كموضوع المؤسساتية والتنظيم والاستفادة من العلم والمنهجية الفكـــرية. أشعر أن كنيستنا بعيدة عن هذا الأمر. وإذا حصل وفكرنا بهذه الطريقة نُتَّهم بالكثـــلكة أو بالمنحى الغربي أو ما شابه ذلك. فهل يجب أن نبقى كما في القرن الرابع أو القرن العاشر وتالياً محافظين ومنعزلين عن العالم؟ المرجو توضيح خطة الكرسي الأنطاكي. هـــناك فقر بحيث نشعر أن لكل مؤمن كنيسته وأن المطران هو البابا على أبرشيته وليس هناك وحدة تجمع الكرسي الأنطاكي.

أعتقد أن الاستنتاج الأخير بعيد. لكنك مصيب في ما تكلمت عنه في البدء. إذا رأى الواحـــد تاريخنا، ونحن جماعة من هذا البلد، يجد أننا متقدمون إذا كان البلد مـــتقدماً، ونحـــن فقراء في فقر البلد. نحن أبناء هذا الشعب. ليس عندنا مَن يأتي من

الخارج ويبني مدرسة أو كنيسة أو ميتماً. أما الآن فمدارسنا قليلة وهي مدعوة لتكون مـــن مستوى معين. من لا تستطيع أن تأخذ منه لا تستطيع أن تدفع لمعلمه. وضعنا ليـــس غريـــباً عن وضع شعبنا: فقر، أمية، نقص في المدارس وهناك محاربة للكنيسة. ليـــس صـــحيحاً أننا نعيش في جنة الفردوس والإنسان إنسان أينما كان، لا تنسوا ذلـــك، لذلك يحتاج دائماً إلى رحمة وليس فقط إلى دينونة. إذا كنت لا ترحم الناس فلن ترى أحداً أمامك، إذ ليس من شخص لا يحتاج إلى رحمة.

ولكـــن لا نســـتطيع القول عن أبرشية واحدة إنه ليس فيها سعي في اتجاه التقرير والتخطيط. والمساعي ليست متساوية لأن الإمكانات ليست متساوية. ولكن نســـيتم أننا في بلد حصل فيه تأميم فلا يسمح لك أن تعمر مدرسة متى شئت أو أن تكلف إدارتها لمدير له طابع كنسي.

إلى جـــانب المؤسسات التربوية هناك مؤسسات توثيقية ترصد ما يجري ووسائل للإعلام. فلماذا لا يكون هناك بث أرثوذكسي؟

أي مشروع يُقدَّم وقابل للتنفيذ نحن حاضرون له. الساحة لكم ولا يعرف حقيقة الوضع إلا مَن ينزل إلى الساحة.

ما الذي طرأ، قررتم استقالة المطارنة عند بلوغ الـــ ٧٥ سنة ثم ألغيتم القرار؟

الـــذي طـــرأ هو التالي: إن القرار الأول ـــ وأنا شخصياً غير مقتنع به ـــ مـــنقول عن الأجانب. إن الإنسان يستطيع أن يستقيل من وضعٍ ولكن هل يستقيل مـــن كونه أباك؟ لا يمحى الكهنوت عندنا. هذا غير مألوف في الكنيسة. أحب أن تعود للكهنوت طبيعته الأبوية وطبيعته الكيانية وهذه تحل كثيراً من المشاكل. فيجلس المطران الشيخ ويحافظ على كرامته إذ لطالما خدم وصلى.

لكن عليك في الآن ذاته أن تهيء أشخاصاً يعرفهم الناس ويكشفونهم. ليس

صـــحيحاً أن الذي تحكي عنه بالخير أنت تعرفه جيداً أو أن الذي تحكي عنه بالسوء أنـــت تعرفه جيداً. من المشاكل الكبيرة جداً أن الإكليريكي يتخرج من معهد وليس من أبرشية.

إلى أي حد نستطيع أن نتحرك في الإعلام وعلى الأقل في مجال الكتاب حيث ننتظر مدة عـــام كامل للحصول على الموافقة بينما نرى الكتب التي تحاربنا منشورة ومعروضة على الأرصفة؟

لم يطـــلب مني أحد الموافقة على أي شيء. ألا ترى النشرة التي نصدرها، يبدو أن بعضكم لا يعرفها. أولاً إننا نسميها نشرة ولا يحق لنا أن نسميها مجلة، وثانياً نصدرها بطريقة مُعيّنة.

إلى أي مـــدى نســـتطيع أن نتخـــلص من اللغة اليونانية في الليتورجيا؟ هل لكل أبرشية استقلال في الحذف أو التغيير في الطقوس أم هناك توجيه عام؟

نـــريد أن نصلي بالعربية. لقد بدأنا الترتيل بالعربية في معظم الأوقات. ما يقال في الليتورجيا يجب أن يصل إلى الشعب.

يا شباب نحن لسنا تسع مئة ألف نسمة. ما تقولونه أقوله قبلكم وأنا لست خائفاً من أية حقيقة. في الواقع عندنا الرؤية أوسع من القدرة ولكننا سائرون. الأكيد أن هناك مَن يرجمنا بحجارة عندما نُغيّر شيئاً من هنا وآخر من هناك. البطولة اليوم في المـــزاودات في الأصـــولية. لا يهمهم أن تفهم أو ألا تفهم، المهم عندهم أنهم كانوا يفعلون هكذا في الماضي.

هـــل يخـــدم العمل المسكوني في مجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس الشرق الأوسط الأرثوذكسية والعمل الكنسي أم أنه مجرد نشاط؟

عـــليك أن ترى إطار الشيء لكي تفهمه. تألف مجلس الكنائس العالمي في

السنة ١٩٤٨، في زمن كانت الشيوعية فيه تغلق معظم العالم الأرثوذكسي. وكانت هـــناك محاربة للكنيسة من الجهات كلها. ونحن هنا كانت تأكلنا الحملات التبشيرية (البروتستانتية أو الكاثوليكية). فلم نستطع أن نكلم جماعاتنا الأرثوذكسية. لم يكن عـــندنا وســـيلة لـــلحوار مع الكنائس الأرثوذكسية الأخرى: بلغاريا أو رومانيا أو روسيا. البطريرك المسكوني لا يستطيع الخروج دائماً من كرسيه وللبطريرك الروسي الوضـــع ذاتـــه، لذلك قلنا إن مجلس الكنائس العالمي يكون لنا منبراً هاماً جداً وليس عندنا غيره. كان لنا الفرصة الوحيدة لنتمكن من رؤية بعضنا البعض. لم تكن هناك رئاسة واحدة أرثوذكسية تستطيع الدعوة إلى اجتماع. وإذا دعينا إلى اجتماع باسم مجـــلس الكنائس العالمي نرى بعضناً بعضاً. هذا شيء أساسي جداً. في المرحلة الأولى كان الأرثوذكس محترمين جداً (جرمانوس رئيس أساقفة لندن والأب فلوروفسكي). شـــعر البروتستانت والكاثوليك، وهم لا يحتاجون إلينا، أن عندنا شيئاً غير موجود عـــندهم. نحـــن الآن أفضل. صاروا يعرفون أن عند الأرثوذكسيين شيئاً يقولونه ولا يســـمع إلا مـــنهم. وكانت عندنا مؤسسة سان سيرج في باريس التي لولاها لظلت الأرثوذكسية مجهولة في أوروبا. الفائدة التي جنيناها فعلياً هي أن نرى بعضنا البعض ويـــرانا غيرنـــا وإلا فنحن مغمورون. وليس عن طريق الصدفة أن الدنيا هنا كانت مـــلأى بالقســـس مـــن أميركـــا ولم يبق منهم أحد فاستطعنا أن ندفع عنا حملات الإرســـاليات الفرنسية والأميركية والألمانية. كانت الكنائس تساعدنا ونحن نستفيد. كـــنا نقول لهم لا نريد أن نتعلم منكم اللاهوت ونحن مسيحيون. فلماذا ترسلون لنا المبشـــرين؟ إذا كنـــتم تريدون تقوية المسيحيين يجب أن نقوى نحن وأعتقد أننا قوينا وتعلمـــنا منهم الكثير. ليس كل شيء سيئاً. السيء هو أن نصير نسخة طبق الأصل عنهم. ولكن ليس صحيحاً أننا لم نستفد منهم.

وهـــناك أيضـــاً مشكلة وهي أننا نُسمَّى أعضاء في مجلس الكنائس العالمي.

الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية لا تكون عضواً عند أحد، الناس يكونون أعضاء فيها وليس العكس.

أعتقد أن الكنيسة الأرثوذكسية عندها شيء تفعله على الصعيد العالمي. كل كنيسة وحدها خارجة من كثير من المشاكل. هناك الكثير من العمل ولكنه لا يصير كلـــه في يـــوم واحد. نطلب إلى الله أن لا نقع في تجربة التفتت وخصوصاً عندنا في الكرســـي الأنطـــاكي. وانقـــلوا عني هذا الكلام وأنا لا ألقيه جزافاً بل أقول كلاماً مســـؤولاً: ينقص العالـــمَ الأرثوذكسي تكوينياً التعبيرُ عن الوحدة. وحدانية الرعية تكمن في وجه الكاهن، في الأبرشية ترى المطران وهناك طبعاً مطارنة يرون أنفسهم في الكرسي. رمز الوحدة في الكنيسة الأرثوذكسية غير موجود.

فيما كنا نتدارس صباحاً العمل المسكوني بان لنا أن الكرسي الانطاكي يتمثل في مؤتمرات يـــنظمها مجـــلس كـــنائس الشـــرق الأوسط بشكل مبعثر فتظهر الفرديات وذلك لأن الدعوات توجه إلى السادة المطارنة فينتدب كل مطران شخصاً دونما تحضير. وهناك يلتقي الأنطـــاكيون ويختـــلفون في مـــا بينهم وينسف بعضهم بعضاً في الفكر. هذا مؤلم للغاية ويُشكّل بالنسبة إلينا جرحاً أنطاكياً.

نحن مشاركون في الجرح ولكن أين العلاج؟

عندكم حل وحيد وهو أن تحصروا الدعوة في البطريركية وأن تُشكّل هيئة معدة للتمثيل الخارجي؟

هل تذكر حرب المقالات الهجومية وكلها كانت لتلغي البطريرك.

لا أذكر أن أحداً تجرأ حتى الآن على ذلك في الأمور الخارجية. ألا يقبلون بلجنة مجمعية خارجية؟

كلا.

هذا غريب!

مَن لا يعرف الواقع يكون متكلماً في النظريات. هل تتصور أن أناساً يمثلون أنطاكية ولا يجودون علينا بورقة صغيرة لنقرأ ما الذي يحدث؟

في الكنيسة لا يستطيع الإنسان أن يكون معلماً فقط، هو معلم وتلميذ في آن واحد وفي الحالات كلها. أتمنى أن تبنوا بالمقدار الذي تستطيعون. ليس في الكنيسة ردع. فيها محبة، عندما لا يكون هناك محبة لا يكون هناك شيء حتى ولو كان باسم الحقيقة.

ليس من إنسان معصوماً عن الخطأ *

أليس من المخيف الحديث بلهجة الطوائف؟

أعتقـــد أنه يجب أن نتحدث عن كل شيء، وهذا جيد، ويعني أن لكل ذي رأي رأيـــه وأن ثمـــة إمكاناً للتعبير عن الرأي، ولكن هذا لا يعني أن كل ما يحكى صـــحيح، ونحن لا نعتقد بوجود إنسان معصوم عن الخطأ في الأجهزة الرسمية ولا في صفوف الشعب. وعلى الإنسان عندما يريد أن يحكم على الأمور الحاصلة أن يجري حســـاباً لـــلغد وما سيكون، وهو لا بد أنه مختلف عما يحصل اليوم «ونأمل في أن يكون أفضل».

وحول قول البطريرك الماروني مارنصرالله بطرس صفير إن حديث الرئيس رفيق الحريري لم يكن كله مقنعاً.

كان مقنعاً إلى آخر درجة عندما قال إن هناك أشياء نُفِّذَت، وهذا صحيح، وإن أشياء لم تُنفّذ، وهذا صحيح ومقنع، وهناك أشياء لا نستطيع تحقيقها، وهذا في غاية الإقناع.

الوعود في البلاد كثيرة ومستمرة منذ أعوام، فهل سينفذ الرئيس الحريري اليوم؟

أســـتغرب الشـــعور الســـائد في البلاد، والذي يبدو كأنه بعيد عن أجهزة الدولـــة. الرئيس الحريري في الحكومة، صحيح أنه رئيسها، ولكنه أحد أعضائها. أنا أتوقع أن يتمتع الوزراء بالوعي في مجلس الوزراء، وهذا أقل ما يمكن. ولماذا علينا أن نذكـــر رئيـــس الـــوزراء بما يحس به اللبنانيون ولا نذم الوزراء أو النواب و«ليش محظوظين كلهم»، ألكي لا يتكلم أحد؟.

---

* صحيفة «النهار» اللبنانية، ١٩٩٨/٣/١٢.

هـــناك تقصير من الوزراء والنواب وعدم محاسبة لمجلس الوزراء، فهل هذا مرتبط بمعمعة «الترويكا» وسلب حقوق المؤسسات؟

لا أرى أن هـــذا مـــا يحصل. وإننا نتوقع من النواب أن نسمعهم في المجلس ليحـــلوا محل الناس الذين يمثلونهم هم مبدئياً. لماذا يتركون الناس؟ فليقولوا هم هذه الأمور.

هناك كلام كثير لكن الفعل غائب؟

لا أتحـــدث عن الكلام. أفترض أننا شبعنا من الكلام والخطابات. في كل منطقتـــنا هناك الكثير من هذا الكلام ولكن «القليل من الفعل»، في كل المنطقة وفي كل الجو. والمفترض أن نميز بين مَن يتكلم لمجرد الكلام ومَن يتكلم عن شيء محدد.

الاســـتحقاق الرئاسي اقترب ويحكى عن اتجاه إلى تعديل جديد للمادة ٤٩. ألا ترى أن لبنان في حاجة إلى رئيس جديد ودم جديد؟

إذا قلـــنا إننا نريد لبنان ونريد دولة فنعرف أن الحديث يبدأ بهيئة مسؤولة تسير بالإصلاح إلى آخره، والمفروض أن تكون عندنا الأجهزة التي ستنفذ هذه المسألة ولا يكون ذلك بدون رئيس. صعب أن يضع الإنسان في ذهنه وضعا مثل هذا، لأنه يعـــني إزالة لبنان. وربما نرى خطوات يقدم عليها لبنان اليوم وتحدث بشكل طبيعي، وخوفنا الآن أقل بكثير من السابق.

نفهم أنك متفائل بالمشاورات مع الرئيس الحريري؟

مـــا أعتقده أن في ما قاله الرئيس الحريري الكثير من الواقعية، وهناك نواح جيدة. ولا يمكننا القول إن شيئاً لم ينفذ في البلاد، وإذا لم نقل ذلك فلا نكون نقول الحقيقـــة. هناك أشياء حصلت، ومهما كانت قليلة فإنها موجودة، ونتوقع أن يتحقق الأكـــثر. ولكنـــنا نحتاج أولاً إلى فريق العمل الذي يُحَضِّر جيداً الأمور ويسعى إلى

تسويقها وتهيئة الأجواء لها وإلا فلن تتحقق.

وعن «الترويكا»؟

نحن في الكنيسة الأرثوذكسية نذوق طعم الكلام عن «أول بين متساوين»، وهـــذا يُســـبب مشكلة عندنا في الكنيسة الأرثوذكسية يطالها من أولها إلى آخرها. وآمل ألا يكون هناك التباس. وليس من العيب أن تكون مراتب وتقاسم مسؤوليات لأن هذه المسؤوليات ليست حصصاً، ففي الكنيسة المسؤوليات خدمة، ولا نعرف إذا كان الوضع نفسه قائماً في الدولة، ولكن نتمنى أن يكون كذلك.

ما رأيكم في الاقتراح الإسرائيلي عن القرار ٤٢٥؟

رأيـــي أننا لا نهدف أن ندخل في التفاصيل. القرار ٤٢٥ يقول إن إسرائيل يجب أن تنسحب، فلتنسحب وليس لها أن تشاورنا بأمر تريد هي تنفيذه.

كونوا لبنانيين من أجل لبنان كله

ينبغي أن لا يتجاهل أحد أحداً*

صاحب الغبطة، ما رأيكم بما يحصل في لبنان؟

ما يحصل في لبنان، أرى من دمشق أن المقصود به هو اختراع ملهاة للناس الذين لا يزالون متعلقين بمجيء ساعة الفرج. أي فرج؟ الله أعلم إن شاء الله تكون ساعته قريبة. أمن أجل أن «تمشي المياه» يحدث ما يحدث؟ لا نعرف. خرجوا علينا بقصة الزواج المدني، وعمل فخامته من نفسه النبي إيليا منقذ لبنان، فقامت عليه كل الطوائف. بالطبع ستقوم عليه ولن تقول له «سلمت يداك». لم يسبقه أحد إلى تحريك هذه القصص. ثم ما الغاية؟ كل قصة إذا لم يكن في لبنان وفاق عليها ينبغي ألا تكون. لبنان عليه، أولاً، أن يوجد وإذا لم يكن فيه وفاق لا يوجد. وجوده هو المطلوب أولاً، وبعد هذا كل شيء يطرح ويحكى باسم الشعب. فباسم مَن تكلموا لا أعرف. لا الشعب ولا أحد كلف هؤلاء أن يتكلموا باسمه. دعوا الشعب أن يختار رؤساء بلدياته ومختاريها.

هذه السنة الأعياد تتوالى وتشمل كل الطوائف فمن الأضحى إلى الفصح الغربي وثم الفصح الشرقي فما شعورك؟

تحدثت طويلاً إلى إحدى محطات الإذاعة والتلفزيون عن الأعياد. قبل كل شيء أبارك للجميع بعيد الفصح، ولجميع الطوائف بأعيادها. وأنا أخشى مما يشاع في أميركا عن أن المسيحيين متضايقون في مصر. ربما يكون المسيحيون في مصر

* صحيفة «النهار» اللبنانية، دمشق، البطريركية، ١٩٩٨/٤/٢١

متضايقين. فإذا أرادوا بناء كنيسة مثلاً، فهل يعقل أن يقال إنهم يعمرون دكاناً؟. قد يكـــون هذا صحيحاً في مصر. وأما عندنا نحن فلا شيء من هذا. وفي أميركا يظنون أن كل الناس مثل بعضهم، ويخلطون الأمور. أنا أصر على القول إننا مثل كل الناس، ليس عندنا كل شيء. لا أحد في أي مكان عنده كل شيء. حرية الإنسان تقف عند حدود حرية الآخرين. وليس صحيحاً كما يقال في أميركا إننا لا نستطيع أن نمارس شـــعائرنا، ولا نســـتطيع أن نحكـــي، ولا نســـتطيع أن نستعمل وسائل الإعلام في المناسبات الدينية. لا أحد يحد لي فكري على الإطلاق، ولا أحد يوحي لي أي شيء، ولا أحد يقول لي قل هذا ولا تقل هذا. هذا مهم أن يعرفه الجميع. نحن لا سوابق لنا في الطعـــن في الناس مجاناً وبخفة. ليست هذه «شغلتنا» وليس هذا من طبعنا ولا من تربيتنا. إننا نذكر الأشياء الصحيحة ونعلنها.

ونقـــول إن الأشياء الناقصة ينبغي أن تكمل ليس لنا، بل لكل البلد. اليوم عندنا آمال كثيرة. سألوني عن لبنان فقلت لهم: «أنا مشغول بالي على سوريا» لأنني أخاف أن «يثقلوا دمهم»، ولأني أرى أنهم في لبنان لم يعودوا يفعلون شيئاً «وكل ما دق الكوز بالجرة» هيا إلى سوريا. ولكن السوريين عندهم بلدهم وعندهم مشاغلهم فدعوهم وشأنهم وافعلوا ما يجب أن تفعلوه في لبنان.

وما رأيكم، سيدنا، بالخلاف الرئاسي في لبنان؟

يكفـــي أن نكـــون أنا وأنت عندنا مصلحة مشتركة، وأنت مقتنع بها وأنا مقتنع بها، حتى نسير معاً. علينا أن نُعَبِّر عن المصلحة المشتركة كي لا يظن الآخرون أن واحـــداً منا يُلزم الثاني ويجبره على أن يتبعه. لا نريد أحداً تابعاً ولا نرى أن أحداً قاصر ويحتاج إلى وصاية. المصلحة المشتركة يُعَبَّر عنها إعلامياً. ولا يُتَكلم فيها كثيراً. فليعـــرف الجميع أننا لا نستطيع أن نتطاول على أحد، ولا أحد يستطيع أن يتطاول علينا. أما الاجتماع في اللاذقية، فكل الاجتماعات ممتازة، من أجل توضيح أن هناك

مصلحة عامة.

إنما أنا أعترف أنني أشعر أن «الوضع الثلاثي» (ترويكا الحكم) لا ينبغي أن يستمر كما هو. هذا غير طبيعي، وغير موجود في أي مكان. في اعتقادي أن وحدة الرأس، كيفما كانت هي الطبيعية في هذه الدنيا. ولذا، لا يخلق ربنا أحداً برأسين، أو بـــثلاثة رؤوس. هذا غير معقول إطلاقاً، كل يوم أو يومين يختلفون مع بعضهم. نحن ليـــس عندنا الوقت لمثل هذه الحرتقات. إذا كان من خلل، فالتركيبة نفسها يجب أن تعاد قراءتها من جديد.

صاحب الغبطة، ما قولكم بالشروط الإسرائيلية لتنفيذ القرار الدولي ٤٢٥؟

هدف إسرائيل هو دائماً إسرائيلي. إنها تريد لنفسها ومصلحتها. لا تتصور أبـــداً أن هناك شيئاً تفعله إسرائيل من أجلك، لا تصدق هذا. عندما يقولون السلام مقـــابل الأرض أو الأرض مقـــابل السلام، فهذا يعني أن السلام لإسرائيل والأرض أرضـــك. أي أنـــت تدفع الثمن. في نظري، علينا ألا نستعجل كثيراً هذا الموضوع. ولنصبر ٢٠ سنة أو ٣٠ سنة أخرى «شو بدو يصير؟». وفي النهاية لم يمت أحد من الجوع.

سيدنا، إن إسرائيل تعتمد على ترسانتها المسلحة لفرض شروطها

السلاح مادة جامدة. ولكن البشر يتكاثرون والتاريخ للمستقبل لا مع ناس محصورين آتين من هنا وهناك. الوضع الإسرائيلي في نظري ليس طبيعياً. والصيغة التي قـــامت عليها ليست لخدمة اليهود. لو أرادوا خدمتهم لكانوا تركوهم في أميركا مع مالهم، وما كانوا جلبوهم من كل مكان إلى فلسطين، وشردوا ألوفاً منهم، وأضاعوا مستقبلهم وحقهم في العيش والعلم والتربية. أتوا بهم من أماكن آمنة إلى بركان. لم تكـــن لنا هنا أية مشاكل مع اليهود، فخلقوا لهم ولنا المشاكل. ودفعوهم إلى السكن

في بيـــوت ليســـت بيوتهم. أنا أقول إن كل هذا الموضوع غلط. اليهودي الأميركي أميركي فكيف يعيش في فلسطين؟ في كل حال، أقول لماذا التهافت على السلام؟ وما الـــذي ستحصـــل عليه؟ أرضك المأخوذة مأخوذة منذ ٣٠ سنة، ولا أحد يقدر أن يأخذها معه. ستظل الأرض أرضك.

وفي النهاية، ماذا تقولون للبنانيين؟

قـــبل كل شيء أقول لكل اللبنانيين، كونوا لبنانيين، ثم كونوا لبنانيين من أجل لبنان. لبنان يستأهل كل خير. ينبغي ألا يتجاهل أحد أحداً فيه، لأنه عند ذاك يكـــون كالجسد الذي يتجاهل عينه أو يده أو أي عضو فيه فيكون مبتوراً. في لبنان كلـــنا في حاجة إلى الكل. إنما أرى أن التركيبة الحكومية في لبنان تجاوزتها الأوضاع وتجـــاوزت ما تمثله. كانت تمثل ناساً يتقاتلون، واليوم لا أناس يتقاتلون. كانت تمثل هيـــئات تتناحر من أجل مصالحها الخاصة، واليوم لا هيئات تتناحر. لذا، أعتقد أنه ينبغي إعادة النظر في هذه التركيبة الحكومية التي جاءت في ظروف تبدلت اليوم. إذا كـــان لـــنا أن نـــرى في لبنان جمهورية واحدة فليكن لها رأس واحد. يتحدثون عن الطائفية. لا أرى أن المرشح يترشح عن طائفته ولا الوزير يصبح وزيراً عن طائفته بل يترشـــح ويصبح وزيراً لأسباب سياسية لا علاقة لطائفته بها. لا شك أنني أدعو إلى التغيير، لأن التغيير في التركيبة يحل مشاكل عدة.

نحن لسنا مشركين، نحن موحِّدون*

تمـــر هـــذه الأيام الذكرى الخمسون لاغتصاب فلسطين، وإقامة الكيان الصهيوني فوق أرضها، فماذا تقولون في هذه المناسبة، وما مستقبل الكيان الصهيوني في تصوركم؟

الذكـــرى الخمسون للاغتصاب، هي في الواقع خمسون اغتصاباً لفلسطين، لأنـــه لا يمكـــنني أن أتصـــور، أن يرضى ضمير واحد، وهو يرى عائلات وأطفالاً، تُغْتَصَب بيوتها، وتُغْتَصَب كرامتها، ويُغْتَصَب مستقبلها.

إن قضية فلسطين هي قضيتنا جميعاً، وهذه الذكرى هي تذكر لآلام تتراكم فوق بعضها. وأنا من الذين يعتقدون أنه يجب ألا يتهافت أحد على ما يسمونه اليوم السلام الذي أدعوه أنا: السلام لإسرائيل وليس لنا.

يقـــال لـــنا بكل صفاقة الأرض مقابل السلام، يعني أن ندفع لإسرائيل من "كيســـنا" في النهاية. إن هذه الذكرى مؤلمة جداً، ولكن يجب أن يكون لدينا تصور معين من أجل المستقبل. ولكي نخرج من مجرد أن تكون عندنا عاطفة، يجب أن نصل إلى الفعـــل. وهنا نجد أن الأمر معقد، لأننا نحن في العالم العربي نعقده. إننا عاجزون عـــن فعل أشياء كثيرة، وعندي الظن أننا في بعض الأماكن نريد أن نكون عاجزين، لأنـــنا لا نـــريد أن نـــتعاون، ولا نريد أن نتعاضد، ولذلك يستسهل العدو ـــ كل عدو ـــ الوضع الممزق كي يصل إلى أعز ما لدينا، ويأخذ منا ما يشاء.

الخمسون سنة التي مرت يجب أن تكون قد أعطتنا درساً، يجب أن نتجاوز المصائب، ونتجاوز الحالات الاستثنائية، ونتغلب عليها جميعاً، وإلا فنحن نقضي على أنفســـنا بأنفسنا. يجب أن نجد طريقة للخروج من الوضع الذي أدى إلى أن تُغتَصَب

* مجلة «تشرين الأسبوعي» السورية، دمشق، طالب أبو عابد، ١٩٩٨/٥/٢٥

فلسطين، وأن يكون لها تاريخ اغتصاب أكثر مما يكون لها تاريخ تحرير وتاريخ كرامة وتـــاريخ نظـــرة مستقبلية مريحة لأبنائها ولكل الوطن العربي. لا يجوز أبداً ألا تكون عـــندنا هذه النظرة، والأمر بيدنا. قسط كبير من الحل على الأقل بيدنا، وليس كل الحلول. والعالم أصبح متصلاً بطريقة تجعل من غير الممكن للإنسان أن يكون وحده، أو أن يفكر وحده، أو أن يتصرف وحده، إنما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الآخرين، وأن تكون لديه خطة لكي يلزم الآخرين معه بما يهمه، وبما يراه هو جيداً. وأعتقد أنه يجب أن نفعل شيئاً في هذا المجال.

في نظري هناك أمر أكيد من أجل المستقبل، نحن والحمد لله، لا نزال نعتقد بالأســـرة، ونعـــتقد بالتوالد، وإن شاء الله نبقى على ازدياد، والسؤال: أين ستكون الأجيـــال الآتية؟ لا شك أنها ستفتش عن موطئ قدم لها، وهي التي ستُحْدِث واقعاً آخر.

إن المســـتقبل لنا، المستقبل لأصحاب فلسطين الأصليين، أولئك الذين بنوا فلسطين. إن معظم اليهود في فلسطين يعيشون في منازل لم يبنوها. وفي مدن ما كان لهم فيها موطئ قدم، لذلك فالمستقبل لنا شرط ألا يتهافت بعضنا على الاستسلام.
أنا أقول: «شو يللي بدّو يصير أكثر مما صار.. شو يللي خايفين منو»، ما الذي يمكن أن يحدث أكثر من إخراجنا من بيوتنا في فلسطين والجولان وجنوب لبنان؟ المستقبل يقـــرره الواقـــع، ويقرره الوجود، ونحن سيكون لنا المستقبل من حيث الوجود. مر خمســـون عامـــاً على اغتصاب فلسطين،«فلتكن خمسون سنة أخرى». نحن أجيالنا مستمرة ولن تتمكن أية قوة إن شاء الله أن تزيل ديمومتنا.

المســـتقبل لنا، وإن شاء الله نقوى، ونشد همتنا ولن يحدث أسوأ مما حدث. والمهم أن لا يستسلم بعضنا.

صـــاحب الغبطة يعتزم الاسرائيليون الاحتفال بما يسمونه ذكرى مرور ثلاثة آلاف عام عـــلى حكمهم القدس، فكيف تنظرون إلى هذه المسألة لا سيما أمام إصرار الإسرائيليين على ضم القدس واعتبارها عاصمتهم الأبدية؟

إن القـــدس بالنسبة لي كمسيحي هي عاصمة المسيحية، وهي أولى القبلتين عند المسلمين. ونحن المسيحيين ليس لدينا سواها، وتمسكنا بها عضوي وأساسي جداً. وأي تغيير في وضع القدس هو تغيير في صميم ديانتنا وإيماننا، لن نقبل به.

إن القدس هي «المسيح» وكنيسة القيامة، وإذا استطاع اليهود تنفيذ خطتهم في تهويد القدس وبيت لحم، فمعنى هذا أن يطرد المسيح من مكان ولادته، ومن البلد الذي عاش فيه. وهو ما يعني أن تصبح ديانتنا ديانة مجرد كتاب هو الانجيل، وليس ديانـــة المسيح. المسيح جاء حقيقة، وتكلم إلى الناس، ومعروف كيف ولد، وكيف عـــاش، وأين عاش. وتهويد القدس يعني إنكار هذه الحقائق وهذا التاريخ. إن القدس التي يتحدث عنها اليهود لم يعد لها وجود. إنهم يتكلمون عن ذكريات عندهم. نحن لا نتكلم عن ذكريات، بل نتكلم عن واقع، ومَن لا يصدق فلينظر؟ أقول: لو بقيت زاوية واحدة في القدس، هذه الزاوية ستتوسع كلما مشينا إلى الأمام وستأخذ القدس طابعها الحقيقي.

صـــاحب الغـــبطة، لماذا لا نلمس تعاطفاً حقيقياً من العالم الغربي تجاه قضية القدس، وهو بطبيعة الحال يَدَّعي أنه «عالَم مسيحي»؟

هـــذا الأمـــر لا يفهمـــه الغربيون لسبب واحد، وهو أن الغرب ليس عالماً مسيحياً، أريد أن نمحو هذا التصور الخاطئ من أذهاننا، وأن نزيل هذه الأوهام. إن هـــذا الغرب لا تهمه المسيحية لا من قريب ولا من بعيد، وهو يتآمر على المسيحيين، وإذا رُفِـــع صوت من وقت إلى آخر ينطبع بالطابع المسيحي، فهو صوت أقلية، نعم أقـــلية، لذلـــك يجب ألا نتوهم! إن العالم الغربي هو العالم الأجنبي، وهو الذي أنشأ

ودعـــم دولـــة إسرائيل. وهو يقول بكل جسارة بل بكل وقاحة لإسرائيل يجب أن تكـــوني أقـــوى من كل الناس المجاورين لك ـــ يعني نحن ـــ ثم يقال لنا في وسائل الاعلام: نحن ندعم إسرائيل حتى تكون أقوى منكم جميعاً.

يعـــني أن تكون إسرائيل إشارة على أنكم مقهورون، ومفروض عليكم هذا الوجـــود مـــن الأول حـــتى الآخر يعني بقوة السلاح، بقوة المدفع، لا بل بالأسلحة النووية. والآن هناك هيجان في الغرب لأن الهند فجرت قنابل نووية، ولأن باكستان تفكر بالموضوع النووي. لكنهم لا يتحدثون أبداً عما لدى إسرائيل. إسرائيل لديها أسلحة نووية تهددنا بها، ولا أحد في الغرب يتحدث أو يقول شيئاً!

فهل نتوقع من هؤلاء تعاطفاً أو عدلاً؟

إن العـــدل يجب ألا نتوقعه من هؤلاء الغربيين لذا لا بد من تعاون الاخوة أولاً. عليهم أن يسعوا ليسعى الله معهم.

أما الأمل والرجاء أن غيرنا سيعطينا حقنا، فأعتقد أنه يجب أن نسقط ذلك من حسابنا، ولا نتوقعه.

هـــل في المســـيحية ما يشير أو يؤكد أن اليهود هم «شعب الله المختار»، وأن احتلالهم لفلســطين هو تنفيذ لوعد إلهي؟ وما هو رأي صاحب الغبطة بهذا الادعاء؟

هم أحرار في أن يقولوا عن أنفسهم ما يريدون. لكن إذا قرأنا التوراة كما هي، تقول لنا التوراة: إن هناك مجموعة من الناس عاشوا في مصر وليس في فلسطين، وعـــندما أرادوا الانتقال حتى يأتوا إلى فلسطين، كان أول ما فعلوه ليلة الرحيل هو أنهم قاموا بالنصب والاحتيال. «انهبوا قدر ما تستطيعون لأنكم راحلون ولن تعيدوا شيئاً لأصحابه».

هكذا فإن أول ما في تاريخهم عملية لصوصية. وبعد أن خرجوا من مصر،

وحتى يصلوا إلى فلسطين. يجب أن يذبحوا كل الأحياء في المكان الفلاني. هذا موجود ونقرأه. بل أكثر من ذلك يرد أن هناك «ديكا» لم يذبح!. وهذا غير مقبول. «أنتم شـــعب الله المختار وربكم يقول لكم يجب ألا تبقى روح في المكان الفلاني. أرجعوا حتى تذبحوا هذا الديك».

إنـــه أمـــر فظيـــع وهو يختصر تاريخاً من هذا النوع. إن عبارة «شعب الله المختـــار» عـــندهم تعني أن كل الناس ليسوا في الحسبان، وإذا ماتوا، أو ذبحوا، فلا بأس! وأما هم فيجب ألا يُمَسُّوا بسوء وإلى الآن يتصرفون كذلك، يعطون لأنفسهم الحق في السكن في بيتي الذي بنيته، وأعيش فيه.

فهـــل الشـــعب المختار، هو المختلف عن كل الشعوب، وهو الذي يقتل، ويغتصـــب كما هي الحال وكما نرى؟ وأريد أن أقول: ليست إرادة ربنا أن يصنع «ميليشيات» تحت يديه كي تذبح الناس. فليسموا أنفسهم بما شاؤوا، فهذا لا يلزمنا بشيء أبداً حتى بالنسبة لله نحن كمسيحيين إيماننا ثابت أن مجيء المخلص أنهى ما هو عهد قديم وكل شيء يتجدد «ها أنذا أصنع كل شيء جديداً» قال الكتاب.

أما الادعاء بالوعد الإلهي فهذا ادعاء باطل. الانجيل يقول: لا تقولوا إنكم أبـــناء لابراهـــيم، لا تدّعوا أنكم أولاد لإبراهيم لأن الله قادر أن يجعل من الحجارة أولاداً لإبراهيم. هكذا يقول الانجيل.

إن هـــذا الادعاء مرفوض مسيحياً، وواضح تماماً أن الله لا يمكن أن يتخلى عن كل خليقته من البشر ما عدا عدداً قليلاً هم اليهود العرقيون. إن تفكيرهم تفكير خاطئ. ولا يمكن قبوله، والمنطق نفسه يرفضه.

ومن المهم أن نعرف نحن أنه إذا لم يكن هناك دين جديد وإذا لم يكن الوجه لـــلإرادة الإلهيـــة فلماذا الدين عندنا إذن؟ نحن نقول إن مجيء يسوع يعني أنه لم يعد

هناك عهد قديم ولا شعب مختار وما نقوله صحيح. ويغلق باب الادعاء.

نحن في الكنائس الشرقية هنا، وحتى الكنائس المتصلة بالفاتيكان، نشعر أننا لم نأخذ إيماننا من التراث اللاتيني، ومن حقنا الاحتفاظ بشخصيتنا الشرقية، وعلى الآخرين في الغرب الاعتراف بهذا الأمر، وعدم معاملتنا «كعدو». هذا الكلام منسوب إليكم صاحب الغبطة، فهل أطمح في إيضاح أكثر؟ وهل أطمح في استيضاحكم عن محاولات تبشيرية لبعض الكنائس الأمريكية المسماة «الحرة» ــ في الأردن مثلاً ــ معتمدة على وسائل اغراءات متعددة؟

المسيحية لم تأتنا من لندن أو أمريكا. المسيح من هنا، المسيح من هذه المنطقة، وأمه مريم ست أمهاتنا وأخواتنا، وهن يشبهنها، سمراوات وعيونهن ليست زرقاء! نعم المسيح ظهر هنا ولن نبيع المسيحية للأجانب.

الأجانب عندما يريدون التعبير عن غيرتهم المسيحية فكل ما يفعلونه هو أن يرسلوا «المبشرين» إلى المنطقة، يرسلونهم لتبشيرنا نحن؟ هم مثل الصليبيين ــ وأول حملة كبيرة هي الحملة الصليبية ــ قالوا: نريد تخليص القدس من المسلمين، وجاؤوا مثل «الجرافة» و«جرفوا» المسيحيين قبل المسلمين.

والمبشرون هؤلاء لم يجدوا من يبشرونه إلا نحن الكنائس الشرقية (الروم الأرثوذكس، السريان الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس) وهم يأتون إلى المنطقة معدون إعداداً دقيقاً، ومعهم إمكانات مادية. ونحن ككنائس شرقية لا نتغذى من هنا أو هناك بل نطعم بعضنا بعضاً، وإذا جعنا نجوع جميعاً معاً. هذا واقعنا نحن، وهذه أصولنا. إن التراث المسيحي، والعناصر المسيحية في هذه المنطقة هي من مقوماتها، ومن مقومات وجودنا وتاريخنا. نحن أبناء هذه المنطقة، أبناء شعب واحد، إذا جعنا نجوع معاً، وإذا تعرضنا لعدوان نتعرض له جميعاً، نحن نعتز باخوتنا في العالم العربي جميعاً، لأننا إخوة ولسنا غرباء، لسنا من عرق آخر.

مـــاذا يفعل هؤلاء المبشرون في الأردن؟ وفي كثير من الحالات نُحسّ أنهم يُشـــجَّعون! هل من حقوق الإنسان «أن يبشروا فينا» ونقول لهم: «أهلاً وسهلاً» وأنا أخرج من بيتي!

ونحـــن لا نـــزال نستغرب! المسيحية دين شرقي مثل الإسلام لكن بعض حكوماتـــنا عندما تتكلم عن المسيحية تقصد المسيحية الغربية. أما المسيحية الشرقية فيعتبرونها «في الجيب»! لكن يجب أن ننتبه إلى أنه إذا كان البعض يعتقد أن المسيحية الشرقية في الجيب، فهناك خطر أن تختنق. ثم لماذا نغطي على ما عندنا، ونفسح المجال لما لا نريده من الخارج. يجب أن نقوي ما عندنا حتى يستطيع الكلام والمجابهة، وعنده مستنداته وتاريخه، الذي لا يستطيع أحد إنكاره لا في الشرق ولا في الغرب. فلماذا ننكر ما عندنا، ونسلط مَن لا يريدنا على أنفسنا؟

إن السماح للبعثات التبشيرية الغربية والامريكية (الحرة وغير الحرة) بالتبشير في بلادنا الشرقية ليس تسامحاً دينياً بل هو سماح بالاعتداء على مسيحية الشرق، التي قـــامت وانطلقت من هذه المنطقة، وحملت هويتها، وهمومها على الدوام. لذا أدعو الحكومات وأرجوها أن تضع حداً لهذا الاعتداء. ثم إذا كانت هذه البعثات مسيحية حقاً فلماذا تبشر بين المسيحيين؟ هل تعتبرنا نحن غير مسيحيين؟

هل يعتقد صاحب الغبطة أن صوت المسيحية الشرقية يصل إلى العالم؟ وإذا لم يكن كذلك فكيف يمكن أن يصل؟

حتى يصل الصوت، يجب على وسائل الاعلام أن تكون مستعدة كي توصل هـــذا الصـــوت وأنـــا أعتقد أنه ليس في كل مكان من هذه المنطقة يصل الصوت المسيحي. نحن هنا والحمد لله نتكلم الآن، ويجب أن نتكلم وأن يصل الصوت. لكن في أماكن أخرى أنا أسأل من المستفيد من عدم رفع صوت الكنيسة الشرقية وإيصاله إلى العالم كله؟

الآن مـــثلاً يشـــنون حمـــلة عـــلى مصر ويزعمون أن الأقباط يتعرضون للاضـــطهاد، فمَـــن هـــو الأقدر على رد هذا الزعم ودحضه إلا الأقباط؟ فلندعهم يتكلمون ليقولوا الحقيقة وليردوا على الافتراءات.

ثم إن وســـائل الاعلام العربية مقصرة في تعريف الناس بعضها ببعض. نحن شعب واحد، ونسيج واحد، ويجب أن يتعرف الناس إلى بعضهم. وعلى سبيل المثال مـــنذ الحـــروب الصليبية ارتبط اسمها بكنيسة معينة، وصارت كلمة كنيسة مرتبطة بالحروب الصليبية، وكأنه لم يكن هنا كنيسة، وهذا غير صحيح. الصليبيون الفرنجة أجانب أما الكنيسة الشرقية وأبناؤها المسيحيون فهم مثل كل أبناء الشعب والوطن. الشـــعب شعبنا، والدولة دولتنا، ونحن وطنياً جميعنا واحد. ويجب أن نصل إلى وعي واضح حول هذه المسألة.

صاحب الغبطة هل تودّون توجيه كلمة لقراء مجلة «تشرين الأسبوعي»؟

أقـــول: كلـــنا خلقنا الله من أصل واحد، الله وحده هو الخالق، وكلنا من صنعه. دعونا نحب بعضنا بعضاً، الشعب يحب بعضه بعضاً ويحمل الوطن، والله خلقنا جميعـــاً وعلينا أن نحب ما خلق الله، وأن نعتمد على المحبة دائماً إن شاء الله. إن ربنا الواحد هو الذي خلقنا، ومَن يتهمنا بالشِرك بالله، لا يعبر عن فكرنا، ولا يسمع ماذا نتكـــلم نحن. فنحن لسنا مشركين، بل نحن موحِّدون. لربنا أسماء متعددة ـــ الأسماء الحسنى ـــ والمسمى واحد عند الكل وعندنا.

سيرة ومسار*

هـو حـبيب أسـعد هزيم وُلد في قرية محردة (محافظة حماة) سوريا السنة ١٩٢٠. تتـلمذ أولاً عـلى يد والده المعلم أسعد ولما صار عمره ١٦ سنة انتقل السنة ١٩٣٦ إلى بيـروت ولـبس الـثوب الكهـنوتي (مبـتدئاً) في مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس. درس في الثلاثة الأقمار ثم في الكلية الفرنسية التابعة للجامعة الأميركية ثم فـي الجامعة نفسها حيث نال الإجازة في العلوم الفلسفية والتربوية السنة ١٩٤٩. ترك إلى بـاريس حيث التحق بمعهد القديس سرجيوس الأرثوذكسي متخصصاً في اللاهوت والفلسـفة. بعـد أربعـة أعـوام عاد إلى بيروت واستحق أن يصير كاهناً فرُسِمَ في مطرانيـتها وأسس كلية البشارة. السنة ١٩٦١ صار أسقفاً ووكيلاً بطريركياً وانتقل من بيروت إلى دمشق ليمارس وكالته البطريركية ولكنه بعدما يقارب السنة ترك إلى البلمند ليرأس الدير والمدرسة الاكليريكية فأنشأ ثانوية سيدة البلمند الأرثوذكسية ومعهد القديس يوحـنا الدمشقي للاهوت وأكمل لاحقاً توسيع الدير فحوله إلى صرح علمي أرثوذكسي ببناء جامعة كان هو في أساسها. السنة ١٩٦٥ انتخب مطراناً على اللاذقية وبات عليه أن يغادر لبنان إلى سوريا ولو متأخراً ليتسلم مقاليد أبرشيته.

فـي تمـوز ١٩٧٩ وبعد ١٩ سنة على انتخابه مطراناً انتخب بطريركاً على أنطاكية وسائر المشرق خلفاً للبطريرك الياس الرابع ونُصِّبَ في الكاتدرائية المريمية في دمشـق. في العام نفسه شارك في مؤتمر الدول الإسلامية الذي عقد في الطائف لبحث موضوع القدس وأُطلق عليه لقب بطريرك العرب.

العـام ١٩٨٩ شـارك إلى جانب القيادات اللبنانية الأخرى في اللقاءات التي عقدت في الكويت مع اللجنة العربية السداسية.

يتمسك البطريرك هزيم بطابع الكنيسة المشرقية ويعتبرها الأساس لأن المسيح هـو ابـن هذا الشرق ولأن الانجيل كتاب شرقي. منفتح على الإسلام يعتبر أن اللقاء

---

* المؤسسة اللبنانية للإرسال، لبنان، دمشق، برنامج «حوار العمر»، جيزيل خوري، ١٩٩٨/١٢/٢٠.

اليومي في الحياة المشتركة أهم من الحوار. ساهم في الحوار بين الكنائس الأرثوذكسية المتعددة وبينها وبين الفاتيكان. لعب دوراً مهماً في رأب الصدع في الكنيسة البلغارية بعدما انقسمت. والسنة ١٩٩١ استضاف بطريرك روسيا ألكسي الثاني الذي جال في لبنان وسوريا. وبعد عامين استقبل بطريرك القسطنطينية برثلماوس الأول الذي كانت له جولات مماثلة شملت الكنائس القديمة في صيدنايا ومعلولا حيث استقبل استقبالاً شعبياً ومظاهر التكريم اللافتة. السنة ١٩٩٣ استضاف البطريرك هزيم في البلمند مؤتمر الحوار الأرثوذكسي الكاثوليكي الذي شارك فيه مندوبون عن معظم الكنائس وسط معارضة بعض الأصوليين المسلمين الذين نفذوا عملية تفجير استهدفت باصاً ينقل مشاركين. يحذر البطريرك هزيم من خطورة هجرة المسيحيين من الشرق ويدعوهم إلى البقاء في أمكنة التجسد الإلهي في القدس وبيت لحم وصيدا وصور وغيرهما. شارك في تأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط وهو أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمي.

٧٨ عاماً من العمر، ٦٠ عاماً من الحياة الكهنوتية، ٣٤ عاماً مطراناً، ٢٠ عاماً بطريركاً. لم يتعب اغناطيوس هزيم من حمل هذا الصليب بعد.

سيدنا، كنت في بيروت في ٦ كانون الأول من أجل حفل متخرجي الجامعة الأميركية وقلت فيه: منذ خمسين سنة كنت أحد خريجي الجامعة العام ١٩٤٥ فماذا تتذكر من الطالب الذي كان يدعى آنذاك حبيب أسعد هزيم. ماذا تبقى من ذلك الطالب؟

بالفعل بقي الكثير على أساس أنه نحن في العائلة كان والدي شخصاً قريباً من الكنيسة، يرتل في الكنيسة، وكنا في محيط بسيط ليس عنده من تعقيدات العصر. أتذكر أنه يوم الأحد كان بيتنا تغلق أبوابه ونذهب جميعاً إلى الكنيسة. وإذا لم نذهب إلى الكنيسة لا تصلنا (الخرجية) لأنها كانت تعطى لنا في نهاية القداس. ولا يعني هذا أننا كنا نشعر بأننا مجبرون على حضور القداس، أبداً. الإنسان يجب أن يميز بين ما كان يشعر به وبين ما يصفه. كنا مبسوطين بالذهاب إلى الكنيسة وأنا أقف إلى جانب أبي ونرتل معاً ونحس وكأن الكنيسة بيتنا. الكاهن قريب منا لأننا نعرفه.

يزورنا ونراه دائماً. يعني أن الكنيسة ليست آخر بالنسبة إلينا.

وهـــنالك شيء هام جداً جداً وهو أننا كنا نرى جرن المعمودية فنقول هنا اعـــتمدنا. وهذا ما نسيناه الآن فلا أحد يتذكر أحداثه الكنسية. إذن يوم الأحد كنا نذهب إلى الكنيسة وبعدئذ نعود سوية إلى البيت، والدي كان يُعَلِّم وأمي حتى الآن حيـــة (توفيـــت بعد ذلك) وهي طيبة جداً. ولا أتذكر أنها كانت تأكل حتى الشبع بالفعل وكذلك أخواتي وإخوتي. عشنا محيطاً عائلياً بمشاركة كلية، وكنا نحب بعضنا ولا نزال، وفي ذهابنا إلى الكنيسة لم نكن نجد شيئاً سيئاً فلا القداس يُفْرض علينا ولا المـــناولة. (نعـــرف أن نـــرتل أكثر مما نعرف أن نغني). مع أني شخصياً أتمتع بأذن موسيقية. وكنت أحفظ النغم بكثير من السرعة ولذلك في وقت من الأوقات كنت أعرف الشعر دون أن أعرف أسماء الأوزان.

هل كنت تسمع التراتيل أكثر مما كنت تستمع إلى الأغاني؟

كيف لي أن أسمع الأغاني، كنا نسمع الأغاني التي تغنى في الأعراس مثلاً و لم تكـــن هنالك من إذاعة. أنا أتحدث عن السنة ١٩٢٠ حيث لم تكن هنالك راديوات على الأقل في وسطنا.

لـــلمرة الأولى الـــتي فيهـــا رأيت الراديو كان ذلك عندما أحضر قسيس بروتســـتانتي راديو ليسحرنا. وفي ذلك اليوم قيل لنا انتظروا ستستمعون إلى لندن. وهذا شيء معبِّر جداً وهو أن أول شيء يُتَحَدّث به إلينا كان من لندن. ولكن محيطنا كان من هذه الناحية غير متنوع، كي لا أقول ضيق، لكننا كنا مبسوطين جداً للعيش فيه. والإنسان الذي يعيش في قرية ليست صغيرة جداً ولكنه يعتقد أنه إذا سقط المطر فيهـــا فإنـــه لا شك يعم كل مكان. وإذا كان ثمة صحو فهو لا شك يعم العالم. إن الدنيا هي هنالك أو مثل القرية.

لماذا ذهبت إلى بيروت لتتعلم؟

لأنـــني كنت من الأوائل الذين يتعلمون في القرية. والدي رحمه الله، كان يحـــب العلم كثيراً. والدي كان يُعَلِّم وعنده مدرسة. وكان على أيام الأتراك فدرس الـــلغة التركية وبعدئذ أتى الفرنسيون فحاول تعلم اللغة الفرنسية. كان يحب العلم. وهـــو أراد لي أن أتعـــلم. وأنا أحببت العلم لأنني كنت أجد أنني كلما تعلمت شيئاً فمعنى ذلك أنني حصلت على شيء أفضل.

وفي الضـــيعة كـــنت أول مَن تكلم وكنت صغيراً جداً (٣ سنوات) حيث أصـــعدني والـــدي إلى المنبر لألقي بعض أبيات من الشعر. وبالتالي فإني كنت أقف وأواجـــه الناس منذ صغري. وكذلك في الكنيسة فالذي يرتل فهو يرتل أمام الناس وليس لوحده.

نلت السرتفيكا السنة ١٩٣٢ وفي ذلك الوقت كنت أعرف شيئاً من اللغة الفرنسية وقد اكتشفت في بيروت إلى أي حد كنت أعرف من اللغة الفرنسية. لكن في ذلـــك الوقت كان يوجد إثنان من قريتنا وقد يكونون ثلاثة، كان هؤلاء يذهبون إلى المديـــنة ليتعلموا والمدينة هي حمص. وقد كان مجالنا حماة التي تبعد ٢٥ كم عن محردة حيث كان الناس يذهبون مشاة.

كـــانت عـــندي رغـــبة في التعلم وقد تأخرت قليلاً لأننا لم نكن في وضع نـــتمكن فيه من التعلم على حسابنا. لذلك تأخرت حتى حصل الاتصال مع المطران اغناطيوس حريكه (مطران حماه) وهو الذي قال ما رأيك في بيروت؟ فقلت ليكن ما دام والـــدي يقـــول ذلك. وأنا قَدِمت بيروت السنة ١٩٣٥. وفي السنة الأولى من وصـــولي دخلت مدرسة الثلاثة أقمار ولم أكن قد سمعت بها سابقاً ولكنني وجدت رفـــاقي الذين سبقوني موجودين في مدرسة أخرى وهي ما كنا نسميها الكلية IC.

ســـألت يومهـــا سيدنا (ايليا) لماذا أنا في هذه المدرسة ولماذا رفاقي في الكلية؟ فكان الجواب نحن نريد أناساً يبيضون وجوهنا هنالك. فقلت له: يا سيدنا أنا لم أسقط في أي امتحان حتى الآن. وهذا صحيح. ثم ذهبت إلى هناك وكانت خطتي أن أنجح في كل المواد لا أن أحصل على المعدل فقط.

سيدنا، لقد أتيت لتتعلم إذن لا لتصبح كاهناً؟

أنا أعيش الكهنوت. الإنسان لا يفكر بشيء يجب أن يحصل وهو حاصل. إذ يمكنكِ القول بأننا نحن تربينا كنسياً وتربينا في الكنيسة.

إخوتك لم يفعلوا كما فعلت؟

إن وضعهم لم يكن نفس وضعي وأنا أكبر منهم. أنا بكر العائلة، لذلك هم أتوا بعد ذلك وكانت أوضاعهم مختلفة. أنا أتحدث عن تياري الخاص ويمكن أنهم لم يكونوا يلفتون النظر من الناحية العلمية بقدر ما كان يُظَن أني أفعله.

ما أود قوله هو، هل كانت هنالك دعوة؟ أنا أرى أنه لم يكن عندك الخيار في النهاية؟

الإنســـان يختار عندما يوجد شيئان غريبان عنه، ولكنه لا يختار نفسه. لقد كانت «الشغلة» طبيعية عندي أنا.

ألم تفكر بعد كل هذه السنوات أنه كان بإمكانك أن تقوم بشيء آخر؟

أنا لم أتصور نفسي «غير شكل» أبداً أبداً. منذ البداية رأيت نفسي هكذا واعتقدت أنه هكذا يجب أن أكون.

في بـــيروت قد يرى الإنسان أشياء كثيرة ويرى عالماً غير عالمه وهذا شيء طبيعي. ويصير يتساءل ما هذا؟ وما ذاك؟ ولكنني أتصور نفسي فقط اكليريكياً وليس عندي صورة ثانية إطلاقاً.

هل هذا عن قناعة بأن الرب اختارك لتكون كذلك؟

ما زلتِ في السؤال تتكلمين عن الناحية الفكرية. أنا كيانياً كنت ألبس هذه الثياب التي ترينني فيها. وعندما لم تكن في هذا اللون كانت بألوان الثياب التي نلبسها في القرية. لم يتغير شيء بالنسبة لي ولا يمكنني أن أتصور نفسي غير شكل.

في بيروت مَن كانوا أصحابك وكيف عشت؟

في المطرانية، كنا هنالك ومعي رفاق شباب أتوا ولا أعرف لماذا ولا الخلفية التي دفعتهم.

كنا جميعاً ننام في المطرانية وكنا نواظب على الصلاة صباح مساء. والمطران إيليا الصليبي كان يرعانا. وكنا نحس بأن هذا هو بيتنا.

وفي تلك الأيام كانت توجد أماكن لم أرها. مثلاً أنا لم أجلس في مقهى؟ ولا أعرف لماذا علي أن أفعل ذلك.

غير أن تشرب قهوة يمكنك أن تقوم بجدل فكري في مقاهي بيروت؟

كل ما تفتكرين به بناء على معطيات لم تكن موجودة آنذاك. في ذلك الوقت كنا نتصل ببعضنا ونتحدث، كنا نجتمع بأساتذة وطلاب. في الكلية كان يوجد عندنا اجتماعات. هنالك لأول مرة سمعت بأنه يوجد شيء اسمه (موراني).

لم تكن تعلم أنه يوجد موارنة مع أنه من سوريا أتى الموارنة؟

يظهر أنهم جاؤوا و لم يتركوا أثراً.

إذن صرت أرى الشباب وأسمع ما يتكلمون به وبماذا يتناقشون وأنا ميلي كان من الناحية الفكرية إلى الرياضيات والعلوم. كنت جيداً باللغات وخاصة باللغة العربية ولكنني كنت أرتاح كثيراً إلى الهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء. يمكن أنه لو

كان هنالك من تغيير في حياتي لكنت طبيباً.

لكن أخاك طبيب؟

ولكـــنه طبيب أسنان، أنا كنت أتصور بأنني أحب أن أكون جراحاً أعمل شـــيئاً للآخرين، وكنت حساساً بشأن الوجع. كنت لا أحب أن أرى طفلاً يبكي، وأتمنى ألا يبكي.

سيدنا، قلت إنك سمعت بكلمة ماروني لأول مرة في بيروت. والمسلم هل تعرفت عليه؟

أنـــا تعـــودت على المسلم أكثر لأنه في الضيعة كان عندنا جيران مسلمون وكانت هنالك صداقة متبادلة يزوروننا ونزورهم وعلى علاقة جيدة معهم.

أنـــا لم أسمـــع بالكاثوليك، لأنه في قريتنا لم يكن هنالك كاثوليك. لذلك يعرف رفاقي انه لم تكن عندي مشكلة الطوائف إطلاقاً. في الصفوف التي كنت فيها كان يوجد أشخاص أصدقاء لي وإن شاء الله نبقى كذلك طالما نحن أحياء. فأصحابي هـــم مـــن المسلمين من حلب وحماة ودمشق. أنا لا توجد عندي مشكلة من هذه الـــناحية. كان عندنا من كل الأديان. وبعدئذ صار عندي من أهم أصحابي المرحوم ريمون كرم «ماروني» وكنا نزوره كثيراً ونجلس معاً. يعني أن المحيط الذي أعيش فيه لم يكن ضيقاً.

يُقال عنك إنك رجل المؤسسات وفي النهاية بأنك أسست عدة مؤسسات. في السنة ٥٣ أسســـت كلية البشارة بعد عودتك من فرنسا. ولكن قبل التحدث عن هذه المؤسسات ماذا أعطتك فرنسا وقد قلت إن بيروت أعطتك الانفتاح؟

فرنســـا أعطـــتني أشياء كثيرة، أنا عندما وددت الذهاب إلى فرنسا ذهبت بـــدون أن أكـــون مشوقاً كثيراً على أساس أنه عندما نلت شهادتي الجامعية السنة ١٩٤٥ دخـــلت سلك التعليم وذلك يمكن أن يكون نتيجة ميلي العقلاني وكذلك

مواجهـــتي لمجتمع يحتاج إلى ترتيب أعني الصف. وأنا كنت متمكناً من ضبط الصف ومعـــروفاً بالإدارة، وأعرف ما أريد. وكان الهدف عندي دائماً واضحاً وأسير دائماً نحـــو الهدف دون أن أتطلع يمنة أو يسرة. في البداية اعتقدت أن موضوع فرنسا غير مطـــروح إلى أن طرح بطريق الصدفة. وهنا يجب أن أذكر شيئاً وهو أن شابين كانا قـــد سبقاني إلى فرنسا هما جورج خضر واسبيريدون خوري اللذين أصبحا مطرانين عـــلى جـــبل لبنان وزحلة. وكانت المراسلات فيما بيننا. وقد كتب المطران جورج ليقـــول بأنـــه هـــناك يمكن الاستفادة أكثر والتعمق أكثر. وكان في معهد القديس ســـرجيوس أســـاتذة عـــلماء تركـــوا روسيا ـــ أيام الشيوعية ـــ وأتوا إلى فرنسا ليؤسسوا معهداً. فَكّري أن أناساً لا يعرفون كيف سيؤمنون طعامهم ولكنهم فكروا أن يكون عندهم معهد لاهوت جامعي ذو مستوى لا نجده إلا عند القلة من المعاهد.

المهـــم أني لمـــا ذهبت إلى فرنسا كنت قد قرأت كثيراً وأمتلك لغة فرنسية جيـــدة وبالـــتالي فإني لم أذهب إلى هنالك متعلماً. أنا كنت أدرس باللغة الفرنسية ودرست الفلسفة بالإنكليزية.

ذهبت إلى هنالك وكانت الحياة بالنسبة لنا صعبة كنا السنة ١٩٤٨ هناك. معنى ذلك أن الحرب كانت قد انتهت منذ فترة غير بعيدة وكان الإنسان يحتاج إلى قســـائم لكي يتمكن من شراء بعض المواد. ونحن لم نذهب إلى هناك مرتاحين مادياً. عندما ذهبت كنت أتوقع أن يصلني في الشهر ١٠٠ ل.ل. لأعيش منها.

سيدنا، عشت في مجتمع آخر وحضارة مختلفة؟

لغـــتي الفرنسية وطابعي الكهنوتي ـــ إذ أن الاثنين اللذين ذكرتهما لم يكونا بعـــد قد أصبحا اكليريكيين ـــ كانا يتيحان لي أن أرى فرنسيين، لا بل حتى بعض الـــبيوت الفرنســـية التي لا يدخلها إلا الكاهن. ولذلك كان هنالك أناس من نوعية

معينة يمكن أن أراهم وأتحدث وإياهم.

ثم إنني هنالك عملت، لأنني أتيت بعد دراستي الفلسفة، وكنت أحاضر هنا وهـــنالك. في إنكلـــترا مثلاً. إذن لم أكن تلميذاً عادياً وأعتقد أنه لم يكن في المعهد ســـوى المطران جورج الذي يحمل شهادة حقوق وأنا الوحيدين اللذين دخلا المعهد بعد دراسة جامعية.

ما هي علاقتكم مع المطران جورج مثلاً؟

أنا أكبر منه سناً، هو تلميذ يسوعية وأنا تلميذ جامعة أميركية ولكن هنالك شيئاً هاماً يجمعنا وهو اهتمامه الكنسي، وأنا موجود في الكنيسة. وفي باريس كانت لنا يد في إيجاد مؤسسة ما يسمى الآن بالسيندسموس (حركات الشبيبة الأرثوذكسية العالمية). هناك عملت فيها وحاولت أن أجمع بين الروس واليونان. هذا ساعد كثيراً لممارســـة نـــوع من الرجولة. يرى البعض في طبعي شيئاً من الحزم وأنا أحب هذا الشـــيء. أنا أقول إن ما يجب أن يحصل يجب أن يحصل بدون بحث. الكلام كله لا ينتج عنه شيء، وهذه هي خطيتي في الكنيسة. لذلك تظهر المؤسسات وغيرها، تكلم فعلاً وبعدئذ الكلام.

هذا الأسلوب يشبه أسلوب العسكر إلى حد؟

نعم أنا معجب بالجيش إجمالاً لأن فعله دائماً يسبق الكلام. الكلام يأتي من مصدر ولكن الفعل عند الشخص هو غاية بحد ذاتها.

وإذا سبق الفعل التفكير، فماذا يحصل؟

يحصل خطأ وقد يكون فادحاً. وأعتقد أن أحداً لا يخطئ مهما كان الموقف ومهمـــا كان الاتجاه. أنا لا شك كنت أرى كثيراً أخطائي. وفي بعض المرات هنالك

شـــيء من التسرع وكذلك يوجد بعض القساوة، لكن تربوياً إذا كان البحر هائجاً فتجب تهدئته أولاً ثم نتكلم.

ما هو الخطأ الذي أنت نادم عليه بالطبع على صعيد عملك؟

أعـــتقد أنني الآن ألين بكثير ولكنني لست أقل وضوحاً بالرؤيا. قد تكون أخطائي ناتجة عن أنني لم أكن أعرف نفسي بما فيه الكفاية، ولأننا لم نعاشر ما يسمى بالمجتمع. أنتم تعاشرون وتخالطون ولكن نحن لا يوجد عندنا مثل ذلك.

أتذكر أنه توجد أشياء لم أكن أراها ولا أسمع بها. وعندما قال لي أصحابي بـــأنهم ذاهـــبون للرقص صدمت لأنه لم يخطر في بالي ذلك أبداً. ولماذا الرقص؟ وقد يكون شيئاً غير حسن. وبالتالي لم تكن عندي أية فكرة إطلاقاً.

الآن أصـــبح عـــندنا شعور بالأبوة أكثر وبالتالي عندما كنا نبشر بالغفران والمســـامحة والمحبة الحقيقية كان هذا كله نظرياً. ولكن يلتزم به الإنسان عندما تكون هنالك أوضاع يحتاج فيها الإنسان إلى المحبة والغفران. الآن أصبحنا نعي هذه القضية أكـــثر من قبل. لذلك أنا لا أحب الادعاء. كنت دائماً أحارب من يظن بأنني أفضل ممـــا أنـــا. في الكنيسة أقول انظروا نحن وسيلة، أنا أكلمك لا لتقول لي بأنني شيء عظيم. أكلمك لكي تقول: المجد لك يا رب. إذا لم أوصلك إلى هنالك فأكون لست في الطريق السوي وتكون أنت مخطئاً.

سيدنا لماذا أسست كلية البشارة؟

مـــن ناحيـــة أنا أسستها ومن ناحية أخرى لا. أنا جئت من فرنسا وكنت اكليريكياً مزعجاً في وضعه لأن الأبرشية في بيروت كانت تحتار ماذا تفعل باكليريكي مـــن هذا النوع. كان في الجامعة ولم يكن كل الاكليروس متخرجين من جامعة. ثم ذهب إلى باريس وعاد من هناك ويحمل بعض الشهادات. وكانت مؤسساتنا ضعيفة

في بـــيروت. وكلية البشارة بنيت في الأساس لتكون ميتماً وهذه من القضايا الكثيرة الـــتي فكرت بها إذ كانت الأبعاد التي نفتكر بها من أجل العمل الكنسي هي ليست المدارس بالدرجة الأولى وبالتالي ليست الجامعات. لذا كانوا يتصورون أنها يجب أن تكـــون ميـــتماً ولكـــن وجد سيدنا أنها يجب أن تكون مدرسة. وهكذا أذهب إلى المدرسة فترتاح المطرانية من وجودي. فلم يكن مطلوباً أن أكون منظوراً. قد يكون أن هـــنالك خطـــة مغايرة حتى يكون بعض الناس منظورين أكثر. لذلك قد يكون حصل استغراب عندما قلت لهم أنا أذهب إلى المدرسة وأبقى هناك. ظنوا أنني أبتعد. وبالنســـبة لي لم يكـــن هـــنالك أي فرق لأنني لم أفكر يوماً بمراكز ولم تكن عندي طموحات من هذا النوع. على الأقل لم أفكر جدياً.

هل كانت مشكلة هوية كونك سورياً ولست لبنانياً؟

قـــد يكون هنالك شيء من هذا ولكن وضعي كان يختلف عن رفاقي على أســـاس أن رفـــاقي كانوا قريبين من أهلهم وأنا لوحدي منفرداً. ونحن فخورون بما أعطانا إياه ربنا وما أعطانا إياه ربنا ليس الغنى ولا الجاه. نحن لا نملك شيئاً من ذلك. لذلك وجودي في بيروت وجود هو آت من بعيد.

لكنـــنا رأينا مؤسسات أرثوذكسية تتركز أي نوعاً من الانقلاب حسب التعبير الدارج اليـــوم. كـــلية البشـــارة، مستشفى الروم، الأكاديمية اللبنانية، البلمند، حركة الشبيبة الأرثوذكســـية الـــتي عمـــلت حـــركة سياسية وفكرية ودينية في لبنان، أي أنكم كنتم تتحضرون إلى رياح تغييرية ما في الكنيسة.

نحـــن جيـــل، ونحن لسنا كثيرين، وأنا الاكليريكي الوحيد الذي وصل إلى مستوى علمي معين. لذلك كان هذا شيئاً خاصاً وليس في الحسبان.

وأنا أتذكر أنه عندما نويت السفر إلى فرنسا أن ذهبت إلى سيدنا وقلت له:

سـيدنا، أنت مترعج من وجودي لذلك إذا أردتني أن أترك وأعمل عملاً آخر فأنا قادر وإذا أردتني أن أسافر وأدرس فإني سأكلفك مبلغ كذا في الشهر. فكان الجواب: أريد أن تذهب وتدرس.

لم نكن نحن هذا العدد الكبير وحركة الشبيبة حصلت بين شباب وليس بين اكليريكيين. أنا وحدي كنت الاكليريكي. وحتى بين شبابنا كان يعتقد أن الحديث معي يجب أن يكون من نوع معين وأظن أن ذلك حصل فكان الحديث معي من نوع معين. أنا اكليريكي وبرنامجي يختلف عن برامجهم ولكن كلنا عندنا هم. نحن درسنا تاريخ الكنيسة، درسنا التاريخ عامة ودرسنا اللغات. إذن نحن ثقافتنا وعقلنا صياغته غربية نوعاً ما لذلك نحن نتحسس كثيراً. وغير صحيح أننا لا نرى ما هو حسن عند الكنيسة الكاثوليكية أو عند البروتستانت ولا نتمناه.

لقـد اشتركت في مجلس الكنائس العالمي منذ تأسيسه. وكنت نائب رئيس حـركات الطـلاب المسيحيين العالميين لمدة عشر سنوات. يعني أننا دخلنا في هذا الاختبار لذلك مقاييسنا هي أن نتبنى الأشياء الحسنة الموجودة عند غيرنا لأن الإنسان يحس بأن كرامته ممسوسة إذا كان يقنع بأن يرى غيره أفضل منه. وفي لبنان المدارس عـند غيرنا، المؤسسات عند غيرنا، وشبيبتنا عند غيرنا. نحن أولهم، نحن لم نتعلم في مدارس أرثوذكسية لذلك كان عندنا نوع من عزة النفس لنقول لماذا لا نحاول، وهذا الهاجس كان موجوداً منذ البداية.

أود أن أركز على حركة الشبيبة الأرثوذكسية، في رأيك ماذا أعطت غنى للأرثوذكسية عامة وللكنيسة وكموقع في لبنان طائفي؟

كموقـع طـائفي على وعيي أنا كإكليريكي أنا لا أرى ذلك. مرة حاول شخص نحبه أن يترشح للانتخابات النيابية ورفضنا أن يترشح باسم الحركة وقلنا إن

الحـــركة ليست سياسية. وكان واضحاً لدينا أننا لا نعمل على تكوين طائفة ولكن نعمل على المستوى الكنسي. ولذلك فالأرثوذكسي الحقيقي هو الذي يسير حسب الأنظمة الأرثوذكسية وحتى إذا أخطأ فليكن حسب هذه الأنظمة الأرثوذكسية.

لا نـــريد أن نكـــون جمعية بالمعنى الحقيقي. لسنا في وارد تكوين نوع من الحـــزبية. هـــذا لم يخطر في بال أحد. ولذلك فنحن أتينا من وسط اكليريكي، ألبير لحام، المطران جورج، الأب الياس أتوا من مدرسة الحقوق.

تساءلنا في وقت من الأوقات لماذا الكنائس الكاثوليكية تبقى أبوابها مفتوحة لمن يريد الصلاة ولماذا كنائسنا مغلقة.

ما كان هدف الحركة إذن؟

هـــذا هو الهدف، كما ذكرت، نحن نتكلم مع الآخرين. إذ كوننا متعلمين عند اليسوعيين وفي الجامعة الأميركية كنا نعي الحركات الدينية البروتستانتية وغيرها ولذلك لم يكن عندنا قوقعة. ولكننا على اتصال دائم وهذا داخل في صميم توجهنا.

أنا كاكليريكي كنت أذهب إلى الاجتماعات هنا وهنالك. ولم تكن عندنا أيـــة جفجفـــة من هذه الناحية بالرغم من أننا لم نكن متعلمين كفاية ولم نكن على نضـــوج كاف وكنا نقول أشياء قد تكون حسنة ولكنها لا تناسبنا تماماً. هذا يظهر فيما بعد.

ولكن الحسن في عملنا أننا أصبحنا نرى شباباً وشابات يصومون ويصلون، صار يوجد مستوى أخلاقي. ولكن هذا لا يقتصر علينا وحدنا.

لمـــاذا دائماً الحركات القومية أو الأممية في لبنان خاصة كانت بقيادة أرثوذكسي إن كان الحزب السوري القومي الاجتماعي، حزب البعث أم حتى أهم كوادر الحزب الشيوعي. لمـــاذا هؤلاء معظمهم من الطائفة الأرثوذكسية؟ وهل لبنان لم يكن عندكم وطناً نهائياً إلا

بعد فترة كما قال مرة المطران جورج خضر؟

أنا أعتقد أن الأرثوذكس هم أقلية وليس عندهم أي جهاز ليرسم لهم خطة عامة لذلك لا توجد سياسة أرثوذكسية. يوجد وضع أرثوذكسي. الوضع الأرثوذكسي عندما كان يوجد عدة أشخاص يتحدثون على مستوى معين ويسمعهم المثقفون. لم يكن في الوقت نفسه توجد رعاية لذا هذا لا يصل إلى كل الناس. لذلك الذي تعلم عند غيرنا ماذا له من الأرثوذكسية ، في الواقع كل الذين نتحدث عنهم هم أرثوذكس ولكنهم لم يتعلموا عند الأرثوذكس ولا تثقفوا عند الأرثوذكس. لأن الأرثوذكس ليس عندهم أدوات التثقيف والتعليم التي يحتاجها أشخاص من هذا النوع. لذلك كان الشخص يصل إلى مستوى معين ولنقل البكالوريا وهو بعد ذلك ليس في الوسط الأرثوذكسي حتى بالنسبة للبكالوريا فكانت نسبة الأرثوذكس المئوية التي تنتمي إلى مؤسساتنا هي ضئيلة جداً لأن مؤسساتنا كانت لا تستوعبها. لذلك كان يوجد نقص وأنا أعتبر هذا تقصيراً في واجباتنا الوطنية.

سيدنا، قبل أن نتحدث عن وضع الأرثوذكس في لبنان، هل لك أن تصف لنا وضعكم كمسيحيين مشرقيين في سوريا؟

بالفعل نعرف أنفسنا مسيحيين وعرباً أصيلين. وإذا كنا نتكلم تاريخياً نقول عندما حصل الفتح الإسلامي لدمشق لم يجدها خربة ووجد بشراً كثيرين وهم غير مسلمين لذلك نحن لا نحس أنفسنا غرباء وما نود فعله نفعله. وأعتقد أن علاقاتنا على الورق قد تعطي صورة ضيقة جداً. وهذا غير صحيح. يستغرب الأجانب أننا لا ندفع ثمن الكهرباء ولا الماء. كما في الجامع كذلك في الكنيسة. ونحن لنا نظامنا الخاص، ومرجعنا ليس وزارة الأوقاف الإسلامية، مرجعنا رئاسة مجلس الوزراء.

أعود وأقول نحن ليس عندنا مراجع خارجية، بيتنا هنا لذلك عند الضرورة يجدنا كل مَن يدافع عن البلد إلى جانبه بقطع النظر عن أي شيء آخر.

تطـــلعوا تجـــدوا البطريركية كلها جديدة. هذا لا يعني أنه لا ينقصنا أشياء كثيرة. نحن تنقصنا أشياء كثيرة مثلاً في الإعلام في لبنان يمكن أن نقوم بأشياء.

ما عددكم في سوريا؟

لســـنا بعيديـــن عـــن المليون وقد يصل العدد إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ من كل المســـيحيين. أعتقد أننا كأرثوذكس عددنا أكثر مما هو لبنان لذلك كنت دائماً ألوم الذيـــن يعمـــلون سياســـة مســـيحية هناك. لأن الإنسان هناك يجب أن لا يتجاهل ١,٢٠٠,٠٠٠ مسيحي هم في جواره، وأن لا يدخل ذلك في اعتباراته.

حضـــرتك انتخبت مطراناً على اللاذقية السنة ١٩٦٥ ودخلتها في العام ١٩٧٠. وفي العام ١٩٧٩ انتُخبت بطريركاً فهل كان وجودك في اللاذقية نوعاً من الإبعاد؟

هذا ليس في علمي. يعرفه الذي قرر هذا الشيء. في كل الأحوال أنا كنت في البلمـــند وفي البلمـــند انـــتقل التعليم الاكليريكي في الكرسي الانطاكي كله من مستوى البريفه إلى المستوى الجامعي، وصار عندنا معهد اللاهوت تلاه الثانوية. وهذا حصـــل في تـــلك الفترة التي ذكرتها. وكان لي الحظ أن أعطي أول درس في معهد اللاهوت من بعد ١٤ قرناً من الصمت.

ما هي الظروف التي جعلتك بطريركاً؟

أنا بالفعل لا أعرف. تعرفين أننا في الهيئة الاكليريكية التي عندنا لسنا غرباء عن بعض وقد ارتأوا أن يأتي شخص معين لأننا كنا في مرحلة فيها شيء من القلق. المجمـــع فيـــه بعض المشاكل. يوجد أناس خارج المجمع وقد اتسم الطابع الإداري في المجمع بشيء من العصبية في وقت من الأوقات. قد يكون خطر في بالهم هذا الشيء. وهذا الشيء تم في هذا الصالون. قالوا يجب أن تكون أنت وعندما دَلَلْتهم على فلان وفـــلان وسميت اثنين على الأقل قالوا لا وأتذكر أني قلت للمطران جورج ما رأيك

أجاب لا. لا تضعني في هذا المغطس ودعني حراً. وقد يكون هو من معه الحق.

علاقة الكنيسة الأرثوذكسية بالسياسة. قلت إن الشخص الوطني والذي يعمل لوطنه يجدنا إلى جانبه. لنعد إلى سوريا قبل الانتقال إلى لبنان. عندكم حركة سياسية أكثر هل يطلب منكم مواقف سياسية معينة؟

ما يطلب منا يطلب من كل المواطنين وبالصفة المواطنية. أما نحن ككنيسة إذا كنت أمثلها وأنا كذلك، فأنا لا يطلب مني مواقف قد تكون مختلفة عن اتجاهنا الكنسي على الإطلاق. أنا لا يقال لي افعل كذا وكذا. هذا غير صحيح ولا يتم على الإطلاق. وعندما تسمعونني أتحدث في الراديو وفي التلفزيون فأنا أقول ما أود قوله دون تدخل من أحد أبداً. لأن الغاية هي أن يكون كل شيء يصب في مصلحة الوطن ولخير هذا الشعب. لأننا في الكنيسة لسنا من أجل أنفسنا نحن من أجل البشر الذين هم عندنا لكي نسير نحن بشكل جيد وحتى يستفيد الناس من إيماننا، من آثار الإيمان بالصدق والاستقامة والأخلاق. الإنسان ليس لوحده. أما من الناحية الوطنية كأن نحول الكنيسة إلى مسرح لأجل كذا وكذا فهذا لم يحدث معي أنا على الإطلاق.

هل تلتقي الشخصيات السورية السياسية؟

لا. أبداً. عندما أريد أتمكن من رؤية مَن أُريد ولكن بالتأكيد ليس من أجل القضايا السياسية، نحن لا نعتقد أننا يجب أن نعطي دروساً في السياسة للسياسيين الذين تشكل السياسة شغلهم الشاغل وهم مطلعون أكثر. هذا لا يعني أنه في بعض المرات لا يمكن أن يكون هنالك تبادل للآراء. أنا أجتمع وتحصل معي لقاءات طويلة ومهمة إلى آخر درجة. أنا أجتمع واجتمع مع المسؤولين على كل المستويات حتى نسأل ونستفهم وحتى عند وجود رأي أن نعطي رأينا وهذا مبدئياً. إن الذين يعينون وزراء أو ينتخبون نواباً فهم لا ينتخبون على أساس أنهم مسيحيون أو روم أرثوذكس

بل على انهم مواطنون مع أنه في الواقع يكون هنالك أناس من هذا النوع. ولكن هنا كمـــا هو في لبنان كل واحد يكون ويقرر السياسة التي يريدها لأنه لا يوجد عندنا جهاز يخطط للسياسية. ولا يوجد عندنا سياسة للطائفة لا هنا ولا في لبنان.

سيدنا، في لبنان على الأقل توجد مقاعد معينة لكل طائفة؟

أنا لا أتحدث عن المقاعد أتحدث عن الذي يجلس على المقعد ولو كان عندنا جهاز لزوده بتوجيهات وكان يمكنه أن يقول: الطائفة هكذا تريد. والآن، لا أحد لا يمكنه أن يقول هذا القول.

في لبـــنان يقال إن الطائفة الأرثوذكسية لا تكون راضية عن ممثليها، إذ يقال إن رأيها لم يؤخـــذ وتعتـــبر غـــير ممثلة. وفي بعض الأوقات يقال إنها ممثلة وهي راضية عن الوزراء التقليديين من العائلات المعروفة. إلى أي مدى هذا صحيح؟

أنـــا أعرف إن كان هنالك شيء مَرْضي فكلنا نرضى، وإذا كانت هنالك أشياء لا ترضي فلا يمكننا أن نقول إنها مرضية خصوصاً ونحن نُتَهَم بأنه عندنا سياسة معينة وأننا نأتي بمن ينتخبه غيرنا لنقول له: هذه هي السياسة التي يجب أن تتبعها.

في الواقـــع إنه يتحدث مع الذي انتخبه، يتحدث مع الذي وظفه، والذين عينوه.

إذن الكنيسة لا تدعم مرشحين خاصين؟

لا الكنيسة ليس لها مرشحون خاصون.

سيدنا، لماذا عندما تذهب إلى بيروت تزور كل السياسيين والروحيين؟

هـــذا طـــبيعي فعندنا زمالة وطنية وعندنا زمالة روحية لذلك نراهم. وهنا كذلـــك نجتمع كبطاركة ورؤساء كنائس. هذا موجود، وهذا ضروري لأنه يوجد

وجه، الوجه الاكليريكي، لا يمكن لأحد أن يحل محله على الإطلاق. كما أننا لا نحل محل الوزير ولا محل النائب وليس عندنا مرشحون. لسنا حزباً. أنا قدرت كثيراً اللياقة التي كانت عند وزيري الروم الكاثوليك. بالتأكيد لم يخترهما البطريرك ولكن بعد أن اختاروهما ذهبا إلى البطريرك وطلبا البركة لأن المؤمن يطلب البركة في كل عمل يقوم به. وأعتقد أن الشيء نفسه يحصل عند الموارنة. يهمني القول بان ما يسمى بالطائفية نحتاج إلى كثير حتى نراه عندنا.

سيدنا، يوجد بعض المفاصل في الحياة السياسية تكون فيها موجوداً. مثلاً الانتخابات النيابية سنة ١٩٩٢ حيث كانت المقاطعة المسيحية واجتمعت بالبطريرك صفير. فهل أثّرْتَ على بعض الأرثوذكسيين كي لا يترشحوا إلى بعض المناصب؟

إطلاقاً، لم يحصل ذلك ولكن نحن فيما بيننا عندنا آراء نبديها ولكننا لا نقول لواحد رشّح نفسك أو لا، أو قل كذا وكذا. لذلك عندما يقال في بعض المرات إننا لسنا راضين فهذا لا يعني نحن. معناها يوجد أناس بين الشعب غير راضين لأنهم يحسون أنفسهم غرباء بالنسبة إلى هذا الشخص.

سيدنا تعلم أنه في لبنان يقوم بعض المطارنة بعظات سياسية. المطران جورج خضر عنده مقال أسبوعي، المطران عودة بين الفترة والفترة تكون له عظات محض سياسية كما في ميلاد ١٩٩٦ فما رأيك؟

أنا أرى أولاً أن السياسي ليس سياسياً في الهواء. فالسياسي هو سياسي بالنسبة إلى بشر. وهؤلاء البشر نحن منهم. لذلك يجب عدم تجاهل هذا الشيء وخصوصاً أن نتائج بعض الأمور تصب على الناس. أعتقد أنه من الجيد أن يقول الإنسان هذه الأشياء ويتكلم عنها ولماذا لا؟ إنه يعبر عن الناس وهو يسمع البشر ويراهم. نحن لا نؤمن أن أحداً معصوم عن الخطأ ولو كان في أي مركز من المراكز السياسية أو غيرها. الله وحده هو المعصوم. لذلك فلا يستغرب أحد أن يقال له

أنـــت مخـــطئ. إذ نحن نقبل أحياناً أن يقال لنا بأننا مخطئون. ولكن هذا ليـــس هو الوجه العام عندنا.

ســـيدنا، دائماً تتحدث عن هجرة المسيحيين من الشرق وتخاف أن تصبح أرض المسيح خاليـــة من المسيحيين. نحن نعرف أن الهجرة كبيرة في كل بلاد الشرق. في فلسطين، في لبنان، في سوريا. فماذا تقول لهؤلاء الذين وصلوا إلى اليأس في حياتهم؟

أنـــا لا أقول لهم، لأنه بمجرد البحث فيه لا يستقيم. أعتقد أنه توجد عندنا قـــراءة تاريخيـــة. لماذا يهاجر الناس؟ هذا سؤال. أعتقد أنه في بعض الأحيان توجد أسباب يشعرون بها وغيرهم لا يحس بها، تكون مقصودة أو تكون غير مقصودة. في النهاية هذا كله وارد إذا حصلت دراسات، وتوجد دراسات. لكن الأكيد الأكيد أنه توجـــد هجرة من سورية وهجرة من لبنان ولكن لا أعتقد أنه يمكننا القول بأنها من المسيحيين فقط. لأنني أعرف أنني عندما ذهبت إلى أمريكا الشمالية التقيت مسلمين كـــثيرين وعندما ذهبت إلى أمريكا الجنوبية التقيت بمسلمين كثيرين. إذ يبدو أننا في هـــذا الشـــرق لا نعيش في جنة الفردوس. أشياء كثيرة موجودة عند غيرنا وليست موجـــودة عندنا. عندنا الكثير مما يجب أن نجلبه من عند غيرنا ولا نتمكن من ذلك. يوجـــد وضـــع معـــين ولكنه يمس كل البشر وهذا الوضع يظهر بشكل أوضح عند المسيحيين لأنه يؤثر كثيراً في وجودهم، في عددهم.

أعـــتقد أن مشـــكلة الهجـــرة مشكلة، وهي مشكلة لكل الناس. وما دام المســـيحي مواطـــناً والمسلم مواطناً فلماذا لا تبحث الدولة هذه المشكلة وتسأل لماذا يرحـــلون. قضايا أمنية وقضايا اقتصادية وقضايا حضارية. وليس صحيحاً أن الذي يسافر لا يحصل عنده عناصر من الغربة.

ولكن يوجد خوف على وجوده، غربة عن الوجه المسيحي الباقي في الشرق الأوسط؟

هـــذا حصـــيلة الهجـــرة أو نتـــيجة أن المسيحيين يتوقفون عن أن يكونوا مسيحيين. لأننا نعتبر أنه من تراث هذه البلاد ـــ بقطع النظر عن السكان إن كانوا مسيحيين أو مسلمين ـــ يوجد شيء أساسي هو الحدث الفلسطيني الذي حصل في فلســـطين وهـــو ميلاد المخلص. هذا حصل هنا. نحن إذا كنا ننكر أشياء كهذه فلا أدري أي حـــدث يمكننا أن نفتخر به ونذكره. أنا أقول بأننا في كل شيء نتعلم من الأجانب ما عدا هذا الشيء فنحن نعلمه للأجانب. نقول إن المسيح من عندنا وليس مـــن عندكم وهذا شيء مهم جداً. تصوري أن الدول إذا لم تحب أن تتحدث باسم طوائف وغيرها فلتتكلم باسم تيار روحي هو في تراثك. نحن إذا لم نتحدث بالإسلام في هذه المنطقة وإذا لم نتحدث بالمسيحية أو اليهودية فإننا نتحدث عن تاريخ مبتور لهذه المنطقة. الشخصية المشرقية مركبة على هذه التركيبة لذلك أعتقد يجب أن تواجه هذه الأمور حتى يحاول الإنسان أن لا يدع البشر يشعرون بأن لا مستقبل لهم هنا في وجودهم وفي عيشهم.

يجـــب أن نتوسع قليلاً فهذا ليس حلاً للمشكلة. في النهاية إقرار بالوجود للآخر والتعاون معه والتعاون في العطاء والأخذ. ومن المؤكد أن الخطأ موجود حتى في كـــثير مـــن الـــبيوت. في الســـجون تجد أناساً غير مختلفين دينياً، كلهم يصلّون ويصومون ومع ذلك فهم مجرمون .

ســـيدنا، في هـــذا المعنى إلى أي حد صورة لبنان الوحدات هي ضرورة وتشكل خلفية مسيحية للشرق؟

أنـــا بالنسبة لي لبنان يعني لي كثيراً لأنه من الناحية الروحية والإنسانية فيه أجـــد اختباري كمسيحي، في لبنان أجد أنه كيفما تحركت هنالك إنسان أمامي هو

موضوع محبتي وموضوع تعاوني وهو مسلم. يعني لا يمكنني أن أغيبه عن فكري ولا أغيبه عن اهتمامي. هو من صميم حياتي وموجود كمسلم. إنه أمامك. أعتقد أن لبنان هو المكان الذي فيه اللبناني مهما كان دينه هو في حالة حوار. يفتح عينيه ويرى الآخر. لا يوجد تجاهل وكل تجاهل هو إنكار للإرادة الإلهية أن يوجد أمامك شخص خلقه الله. لذلك في لبنان ولأن البلد صغير لا يحس الإنسان بغربة عندما يكون عنده أصحاب كفلان وفلان. ومن أعرفهم أنا أكثرهم من المسلمين وأعرفهم أكثر من المدعوين مسيحيين. أعتقد أن هنالك ظرفاً استثنائياً وهو غالٍ وتأثيره مهم جداً جداً.

وهل سيبقى هذا الوضع الاستثنائي؟

أنا أعتقد، يجب أن يكون الجهد الأساسي الذي يبذل هو من أجل استمرارية هذا الشيء لأنه كما يقال الفاعل هو قبل كل فعل، والإنسان الفاعل في لبنان قبل كل شيء يجب أن يكون عنده مفهوم معين لأخيه الموجود في بلده، الموجود معه. يقال إنه يوجد تعايش. لا، يوجد أكثر من تعايش. يوجد أناس تحبهم. يوجد أناس صاروا فيك وأنت تصير فيهم بكل صدق. وهم يصدقون معك أكثر من صدقهم مع بعضهم أي المسيحي مع المسيحي وكذلك المسلم مع المسلم. أعتقد أن هذا الحقل لم يعمل فيه كفاية في لبنان.

سيدنا صار الإرشاد الرسولي الذي رَحّب به كل الفرقاء إقليمياً ووطنياً. كيف تراه أنت؟

كل دعوة حتى يرى الإنسان الآخر هي دعوة مباركة. أفتكر أننا يجب أن نتطلع إلى الاختبار غير السياسي. مشكلة السياسة أنها تسبب اختلاف الناس. والناس لا يختلفون فقط لأنهم من أديان مختلفة ولكن كذلك من نفس الدين. أعتقد أن هذا عنصر مساعد له معنى كبير جداً. ويمكننا القول إن السياسة في لبنان كانت تجعل من بيروت زهرة دون أن يمتد ذلك إلى الجنوب وإلى عكار. هذا واقع وهذا خطأ. ولكن

لا يجب أن نرد على الخطأ بخطأ لأنه يصبح عندنا خطآن. أعتقد أنه الآن يطلب من الاخوة الذين يردون على الخطأ أن لا يقعوا هم في الخطأ. فنكون لم نفعل شيئاً سوى نقل الضرر من جهة إلى جهة أخرى.

العام ١٩٨١ قلت كل الناس ضيوف عندنا وكنت تقصد المسلمين والكاثوليك حسبما أعتقد. فمَن كنت تقصد؟

خطاب مؤتمر الطائف. كان المخاطب في الدرجة الأولى هو المسلم وهذا لا يمنع أن ينسحب على الكاثوليك. فالكاثوليك تاريخهم معروف متى بدأوا هنا. في هذه الناحية الكاثوليك يختلفون عن الموارنة إذ أنهم بدأوا العام ١٧٢٤ مثل إخوتنا البروتستانت الذي هم أولاد البارحة ولكن هذا لا يفيد أحداً فالناس تختلف أعمارهم.

هنالك حديث عن التوحيد بين الروم الأرثوذكس والكاثوليك، فماذا حصل؟

التوحيد! يوجد عندنا القواعد الأرثوذكسية. لا شك أنه بعملية تبشيرية صارت هذه الفرق كلها. من أين أتت؟ إذن الوضع المسيحي عانى في وقت من الأوقات نوعاً من الاقتناص الواحد من الآخر، حصل ذلك بروح عدائية جداً. المشكلة بالنسبة إلى المسيحيين هي أني أنا سأكون مكانك. يعني إما أنا أو أنت. وهكذا جاؤوا على أيام الصليبيين الذين اعتقدوا أنهم جاؤوا ليكونوا هم محل الكنيسة الشرقية. وهذا المنطق استمر. ونحن الآن مسؤولون بشكل خاص في هذا الشرق الأوسط عن أن يتلهى الواحد بالآخر كما لو كان لا يوجد غيرنا في الساحة وهذا غير صحيح، وأن نعيش في كبرياء وكأن الناس لا يهموننا. خاصة عندما كان الفرنسيون أصبح التفكير: أنا لا يهمني ولو لم يبق أرثوذكسي واحد، ولا يهمني ولو لم تبق كنيسة أرثوذكسية واحدة. هذه اللغة نجدها ليست الطريق إلى البناء لأنها فتتت الكنيسة، فتتت المسيحيين في الشرق الأوسط أكثر مما كانوا مفتتين. يعني أنها

أتـــت لتعالج فغدت هي المرض. الآن أصبحنا نعتقد أنه من المعيب أن نستمر في هذا الخط، وأنه يجب أن نتحدث مع بعضنا. عندما أقاتل يحق للخصم أن يقاتلني ولكن لا يحق له ذلك عندما أحدثه بمحبة.

لماذا لم يحدث هذا بعد؟

أعتقد أنه بدأ يتحقق.

ما هو الخلاف؟

الخلافـــات أصـــبح لها هيكلية والهيكلية تجمد الأمور وتعطيها منطقاً معيناً. لكن الآن أعتقد أن الطوائف المسيحية تتصل ببعضها وتقول ما هو الخير الذي يمكن أن تعملـــه مـــن أجلي وما هو الخير الذي يمكن أن أعمله من أجلك، وهذا يحصل. وعمـــلية الاقتـــناص الـــتي كانت تحصل أصبحت الآن من القلة بمكان. يبقى أناس مـــتطرفون مـــن كل الجهات تطرفهم ناتج عن محاولة لتبرير مواقفهم وكونهم كذا وكذا. الاتصالات بيننا دائمة وتوجد لجنة عالمية تَضُمُنا مع الكنيسة الكاثوليكية الأم. والآن لغـــة المخاطبة بدأت تتغير فأخذ بالقول: الكنيسة الأخت. وهذا فَتْح في العالم كلـــه وعـــرف الناس أن هذا شيء لا سابق له وأنت موجود ليس لتحل محلي ولا العكس.

سيدنا، المسافة طويلة لتوحيد الكنائس؟

بقدر ما نحن جيدون لأن الوحدة هي وحدة في المحبة وفي الصدق والتعاون، أكثر مما هي تفكير سلبي بالنسبة للآخرين. الوحدة ليست هكذا.

«شغلة بسيطة»، عيد الفصح متى يأتي دوره؟

مســـألة عيـــد الفصـــح ليست على هذه البساطة، وليست مهمة إلى هذه

الدرجة. ليست بسيطة، فالكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية هي في النهاية فروع من كنيسة وهذا يعني أن الحوار الحقيقي من أجل القرارات النهائية تؤخذ ليس هنا.

معـــنى ذلك ما يحصل هنا يحصل لأننا نريد ذلك بقطع النظر عما يحصل مع الرئاسات العليا. وهذا يحصل. أولئك تفكيرهم عالمي. نحن تفكيرنا محلي إلى أن يصير العالمي حتى نصير منه.

نحن نتمنى أننا كشرقيين أن نتمكن من القول للمسلمين إن الشرق لم يوجد يـــوم وجـــدت أنت. نحن شرقيون أباً عن جَدّ. ونعيّد شرقياً ونحن في الشرق مكان مولـــد المسيح ومكان قيامته. وما دام لا يوجد اتفاق عالمي فقد يصح أن نتبنى هذا الشيء. مع العلم أن كل واحد سيصلي في كنيسته. ولكن لا يمكنك أن تطلب مني أن أكون غربياً. كلمة غربي تعني أجنبي.

معنى ذلك أنكم لن تتفقوا؟

لا نحن متفقون ولكن توجد عندنا مشاكل عملية. مثلاً إحدى الكنائس هنا لا يمكـــنها أن تسير في هذا الخط لأنه إن أصبح العيد هنا مختلفاً عن فرنسا مثلاً وهم يعطـــلون حسب العيد هنالك فلن يتمكنوا من المجيء في فرصهم ليُعَيّدوا معنا. إذن توجـــد اعتبارات تحترم. ولكننا أصبحنا في وضع مغاير للوضع السابق وصار واضحاً أن الكنيسة الفلانية لا تعيد في وقت مختلف حتى لا تعيد مع أختها. أعتقد أننا تجاوزنا هذا الشيء.

ما هي علاقاتكم بالكنائس الأرثوذكسية الأخرى؟

أنا لم أذكر أن الذين عندهم اعتبارات خاصة هي الكنائس غير الأرثوذكسية فقط لا. كذلك نحن ككرسي انطاكي نحن نتحدث مع الفاتيكان بشأن الوحدة. لا يمكـــنني أن أقوم بعمل هنا لا يرضى عنه الفاتيكان فنكون نهرب من الانشقاق لنقع

بانشـــقاق. عندنا هذه الاعتبارات الشاملة التي تحتاج إلى منطق يتجاوز المنطق الضيق ونحن لا نسير على خط الفرض على غيرنا. هذا كان والآن لا يوجد.

سيدنا، تقول نحن عرب قبل الإسلام ومعه وبعده وفي كل مشرقي شيء من الإسلام ليتك تفسر لي العلاقة المعقدة بين العروبة والإسلام والمسيحية؟

توجـــد أشياء في هذه التعابير لا أفهمها. أنا أتكلم عن البشر. أكيد أنه لا أحد يقول بأنه لم يكن أحد سابقاً ينطق بالعربية. وأظن أن القرآن الكريم ليس ألف بـــاء الـــلغة العربية. ولكنها كانت تحكى وكانت تكتب. مَن كان يقوم بذلك؟ إما يهودي أو مسلم أو من ديانات أخرى. أعتقد أننا ننتمي إلى الديانات الأخرى وآثار الكـــنائس تـــدل على وجود المسيحيين قبل مجيء الإسلام إلى هذه المنطقة. لذلك ما أقولـــه ليس فيه مغالاة إطلاقاً. أما إذا كانت فكرة العروبة ـــ ولا أدري ماذا يعنون بها ـــ فكرة قومية فكرة عرقية فأنا لا أفهم هذه الأشياء وأخشى أن أقع في نوع من اليهودية التي لا نوافق عليها. البشر يختلفون في الحضارة، في الثقافة، في اللغة ولكنهم يشكلون نوعية أخرى غير منفتحة على أحد. يبقى باعتقادي إذا كان الله واحداً وهو كذلـــك، وإذا كـــان وحده الخالق وهو كذلك، معنى ذلك أن الناس مدعوون إلى بعضهم. وكلما شق طريق جديد معنى ذلك أنني سأتعرف إلى أناس جدد غير الناس الذيـــن كنت أعرفهم. وكلما سافرنا سنشاهد أناساً ونحن مجبرون على محبتهم وإذا أصيبوا بأذى فلنقل هذا أذىً وهو شيء لا نقبله. يجب أن نرفض ما يحصل معنا فنعتبر كأننا بشر ينقصنا شيء بالنسبة إلى غيرنا. أنا لا أعتقد بالعرقية أينما كانت وكيفما كانت. قد يصح المفهوم الذي يقال: كلنا نتكلم العربية. هذا ليس جديداً علينا وهذا لا يفـــرض على أحد وكأنه يقال أنت عربي ولكن تنقصك عروبة. لا نحن على هذا الأساس نعتبر أننا ككل الناس لا بل أصيلين ونتمنى أن يكون كل الناس منفتحين.

سيدنا ولكن يوجد يهود عرب؟

ولمـــاذا لا. اليهود كانوا موجودين في كل المدن السورية. كانوا موجودين معـــنا في الجامعة الأميركية ـــ القسم الثانوي ـــ اليهود العرب هم يهود عرب. كان يوجـــد العربي الكافر، العربي الملحد، العربي المجرم. هذا ماذا يجمعني به؟ أنا أقول إن الصـــفات الإنســـانية هي التي تقرر نوعية الشخص الذي يمكنه أن يعيش معنـــا أو نعيـــش معـــه.

ســـيدنا، يوجد نوع من عملية السلام. الرئيس كلينتون كان في إسرائيل وكان في غزة. كيف ترى العلاقة بين هذه الشعوب وهذه الأديان؟

أنـــا يصعب علي أن أبتلع أي شيء مفروض، وأكره كل ما هو مفروض. وأعتقد أن كل القضية الفلسطينية مفروضة على سكان فلسطين فرضاً وكذلك علينا كلنا. يعني أننا بالقوة أتينا وبالقوة سكنا وبالقوة نأكل وغصباً نُطْعِم، كله اغتصاب باغتصاب. وهذا مما لا شك لا تقبله نفوسنا. نحن نختار ربنا وإذا لم نختره فلا نريده. فكـــم بالأحـــرى أن تعالوا أيها الدول وافرضوا مثل هذا الوجود. هذا الكلام غير سياسي. سياسياً قد يكون السياسيون عمليين أكثر. يرون ما هو أفضل الممكن الذي يمكـــن عمله في ظرف معين وهم يعملونه ونحن نتمنى ذلك ما دام لا يوجد الأفضل. ومـــن جهـــة ثانية نتمنى لهم النجاح. ولكن هذه تكشف أنه يمكن من ناحية الدول العربية أن يشعر الناس بأنهم مقربون إلى بعضهم أكثر مما هو الآن. حتى، على الأقل، يتورع الشخص الذي سيتكلم. الإسرائيليون وكلهم عدد محدود لكن معهم أمريكا وإنكلـــترا وفرنســـا، يجب على الأقل أن نُشْعِرهم بأننا أصحاب حق وقضية حتى لا يقولوا إذا كان أصحاب القضية لا يهتمون فهل سنـــزاود عليهم. أعتقد أنه يجب أن يكون هنالك تعبير عن الاهتمام المشترك أكثر من الآن بكثير.

موضـــوع القـــدس كشأن كنائسي، توجد اتهامات وجهت إلى بطريرك القدس أنه يبيع أملاك الكنيسة (الأوقاف) إلى اليهود فهل تدخلتم لتعرفوا ماذا يحدث؟

نحـــن كنسياً لا نحب أن يتدخل أحد عندنا وأعتقد أن هذا صحيح بالنسبة لكـــل الكراسي الأرثوذكسية. في لبنان ألم يحصل بيع أراضٍ لأناس يجب أن لا يباع لهـــم بنظر البعض. هذا ليس طابعاً كهنوتياً. كهنوتياً نحن نُصرّ على القدس، القدس محلـــنا. المسيح من هناك وهو وحده ولد في بيت لحم، وهناك حصل صلبه وقيامته. ونحـــن نتكـــلم عـــلمياً وتاريخياً ولا أحد يمكنه المزاودة علينا في هذا الموضوع حتى الإسرائيلي. لذلك يجب أن نتمسك بها. ونحن ككرسي انطاكي نسعى دائماً ونحرك الهيئات الكنسية العالمية إن كان مجلس الكنائس العالمي أو كان مجلس كنائس الشرق الأوسط وكل من يمكننا أن نحدِّثهم فنقول لهم إن هذا الأمر يهمنا وهو يقلقنا بعض الشـــيء. والآن قضـــية القدس يتداولها السياسيون. ونحن لأنه لا يوجد عندنا دول مســـيحية ـــ والذي يتهمنا في هذا الشيء فهو يظلمنا كثيراً ـــ وبالتالي ليس عندنا سياسيون مسيحيون. معنى ذلك أنه لا يوجد عندنا صوت في قضية القدس لأنه هنا دولة تتحدث وهناك دولة تتكلم. ولكن السياسي المسيحي إن وجد لا يمثل دولة.

الفاتيكان دولة؟

الفاتيكان كنيسة ونحن نعتبر أن الكنيسة الأولى في القدس معروفة من هي. إســـألي الفاتيكان من هي الكنيسة الأولى في القدس. يعني نحن لا نريد أن نُدخِّل هذا الموضـــوع. المهم في الموضوع أن لا تكون الناحية السياسية ضعيفة فتكون الخسارة ليست لجهة واحدة بل ستكون للجميع. وإذا حصل ربح من جهة اليهود فالخسارة حتماً إسلامية مسيحية. وما نتمناه أن ترتفع الأصوات وأن ترتفع دائماً وهكذا نقول للوفود الأجنبية وخاصة الأميركية التي تزورنا. إذا كنتم مهتمين لمكان ولادة المسيح وأيـــن صُلب تكلموا. نسمعكم تتكلمون من أجل غيرنا. لن يولد المسيح في أميركا.

وعندما يقال إنه موجود في كل مكان فإنني أجيب هل هذا يعني في كل مكان سوى مكان ولادته.

لم تجبني إذا كان هناك حقاً بيع للأراضي؟

يجوز أن يكون شيء من هذا موجوداً ولكن هذا تصرف يتعلق بالأوقاف، وبيعها إن حصل فنحن لا نحبذه.

في رأيك، هل يجب أن تكون هنالك دولة مسيحية في الشرق لتطالب بحقوقكم؟

لا. أنـــا أصـــف الواقع. أنا أتصور الدولة التي أنا فيها هي الدولة من أجل المســـيحي وهـــي الدولة من أجل المسلم وحتى بالنسبة إلى الذي لا ينتمي إلى كلا الدينين. الدولة لكل الناس وهكذا أتصورها.

وهل ترى مستقبلاً للمسيحيين في الشرق؟

أنـــا عندي نظرة في هذا الموضوع. ما هو المستقبل؟ ومَن يفعله؟ صحيح أن كل شيء الآن لا يصنعه الإنسان لوحده ولكن توجد عناصر أخرى تصنعه. ولكنني أتصور في النهاية أنه يوجد شيء يجب أن أقوم به أنا ليكون لي مستقبل. وهذا الشيء الـــذي يجب أن أفعله سأفعله لأقول للناسٍ في النهاية أن يؤمنوا بي، لا. إذا كنت أود أن أقـــول لهـــم أن يؤمنوا بالرب يسوع مخلصاً لهم جميعاً فهذا يعني أن أحدثهم عنه، ويجب أن يشاهدوه، ويجب أن يحبوه هو. لأنه في كثير من الأحيان يكرهونه بسببـــي لأني أُظْهِر نفسي أكثر مما أظهره. أعتقد أنه عندنا شهادة للمسيحيين في هذه المنطقة ولا شـــيء يحل محلها. لذلك سنبقى. لذلك فالبلد بلدنا بالمعنى العام للكلمة في هذه المنطقة. والمسيح من عندنا. البارحة كانت ابنة في جريدة تشرين تقول يجب أن نُعيِّد ـــ كدولـــة ـــ هـــنا للألفين لأن المسيح من عندنا. وهو فلسطيني فلماذا نتنازل نحن عـــنه؟ مسلمين كنا أو غير مسلمين. وهذا كلام صافٍ ونقي وأنا أعتقد هكذا ونحن

لا نتنازل عن كل التراث الروحي الموجود عندنا. نأخذه بكل غناه ولكننا لا نفرض عـــلى أحد أن يكون صورة طبق الأصل عني أو طبق الأصل عن غيري. إما أن تقول هكذا أو تموت. هذا لا يوجد عندنا بالفعل ولا أريد أن يكون عندنا منه.

سيدنا سنة الـــ ٢٠٠٠ أين تحب أن تقدس وتستقبل الألفية ٢٠٠١؟

في أنطاكيـــة، ســـنذهب إلى أنطاكية بعون الله وسنقدس هناك حتى نقول للجماعة التي هي هناك بأنها لم تنقطع عن تراثها. تراثهم مرتبط بنا. وحتى نقول إنه إذا غاب الوجه المسيحي التراثي عن مناطق كثيرة فنحن لا نريد لأنطاكية أن تفرغ. نحن نتجاوز في تفكيرنا الحدود السياسية والجغرافية والمعاهدات. نحن كرسي أنطاكي وحيث يوجد الأنطاكي فنحن نكون معه.

هل يمكن أن تعود الكنيسة إلى أنطاكية؟

أشـــك بذلـــك كثيراً وأقول أكثر من ذلك إنه لو لم يرحمنا الله وننتقل من أنطاكية إلى دمشق لما كنا الآن نجلس مع بعضنا ونتحدث. أي أن الانتقال لم يُشكل كارثـــة. لذلـــك فأنطاكية التاريخية شيء وأنطاكية الحية مَن قال إنها يجب أن تكون محصورة ضمن أربعة جدران موجودة هناك؟ هذا نحن نقوله لجميع الناس.

سيدنا، سأسأل أيضاً سؤالاً سياسياً قبل أن أدعك تعايد كل العرب المسيحيين بعيد الميلاد المجيـــد الذي سيكون بعد أربعة أو خمسة أيام. أنت التقيت رؤساء دول عربية كثيرة فهل اعتـــبرت أحداً منهم متفهماً للوضع المسيحي أكثر من غيره ومن هو الذي أعجبك من الرؤساء العرب؟

لا أريد أن يُساء فهمي. الذين أعجبوني هم الذين يعرفون اللغة العربية، لأنه ليسوا جميعهم يحسنون العربية. أعتقد أن من بين الذين كنت معهم هناك فالمعروفون هم في حوزتنا هنا وليس حسناً أن نذكر أسماء.

وأنا أتصور أنه إذا كان يوجد أناس حتى الآن لم يتفهموا الآخر فمن المؤكد أنـــه يوجد أناس وموجود منهم حتى الآن مَنْ أكون جالساً بقربه ولكنه لا يحاول أن يســـألني بماذا أعتقد. هو يظن بماذا أعتقد ويحدثني على أساس أن ظنه صحيـــح أو ترجمته لبعض النصوص هي صحيحة. وبمعنى آخر فإنه لا يأخذني بعين الاعتبار. نحن لا نفعـــل هكذا. نحن درسنا القضايا الدينية و لم ندرس أنفسنا فقط ولكننا درســـنا غيرنا بكل صدق لنرى أين توجد النواحي الإيجابية، لأنه توجد نواحٍ إيجابية. أتمنى أن يكـــون هـــنالك شيء بالمقابل وهذا ليس متوفراً دائماً. يوجد أناس يعتقـــدون أن مـــرجعهم الـــروحي يجب أن يكون واحداً أحداً وإلا فيكونون يمارسون نوعـــاً من الشـــرك وهذا غير صحيح. الله ليس مرجعاً مخطوطاً وهو ليس مرجعاً ماديـــاً. هو أوســـع مـــن كل تعبير آخر صار معه. لذلك دعنا نتطلع إلى الله أكثر مما نتطلع إلى الورقة في كثير من الأحيان.

ســـيدنا قلت في تصريح من شهر تقريباً أنك متفائل بالرئيس لحود، ونحن طبعاً في العهد الجديـــد توجد حكومة جديدة. هل يمكنك أن توضح لنا لماذا أنت متفائل بالرئيس لحود وهل تدخلتم في المقاعد الأرثوذكسية أو هل أنتم راضون عن المقاعد الأرثوذكسية؟

أنا أعرف العماد لحود ولذلك أتحدث عن شخص. وهذا الشخص بالنسبة لمـــا فعلـــه جيد باتفاق الكل. وهنالك يوجد مغزى لمجيئه كما أتى. هذا المغزى هو وكـــأن لبنان يأخذ شخصيته الذاتية وكأنه أصبح بالغ الرشد بصورة أنه أصبح عنده نظرة محلية، مشورة محلية. وهذا لا يعني أن ينقطع عن أي شيء أبداً. ولكن الإنسان يحـــس بـــأن شـــيئاً حصل مكانياً و لم يكن يحصل مكانياً. وهذا مهم جداً. بالنسبة لـــلحكومة أنـــا لا أعرفهم كأشخاص. أعرف الرئيس الحص كرئيس للدولة سابق. أعرفه بماضيه العلمي بأخلاقه الرفيعة بصفاته الإنسانية وأنا أقدره إلى آخر درجة ولا أنســـى فضـــله إذ بتوقيعه أعطيت لنا رخصة جامعة البلمند. أذكر هذا الشيء بكل

اعتراف بالفضل. ماذا ستفعل الحكومة؟ نحن لم نستشر بذلك والذي اختار هو غيرنا لاعتبارات لم نضعها ولن نضعها. ولذلك نتمنى التوفيق للكل.

سيدنا قبل الميلاد أعايدك من البطريركية في دمشق وماذا تود أن توجهه للناس في هذه المناسبة؟

أتمنى لكل المسيحيين وأتمنى لإخوتنا المسلمين كذلك أن يعرفوا بأننا لا نحتكر المسيح ولكنه أتى من أجل كل الناس وهم من الجملة. وليس صحيحاً أننا نشكل شعباً خاصاً وإذا كنت أطيع ربي فمن أجل كل الناس وليس من أجل فئة من الناس. عيد الميلاد نفتخر به ويبقى أن يقال إن الشرق كان منبع إيحاء روحي لكثيرين من البشر: للديانة اليهودية والديانة المسيحية والديانة الإسلامية. ونحن لا نتنازل عن هذا الشيء. في هذا الشيء نحن أساتذة وفي سواه نحن تلاميذ.

فلنشدد في حديثنا على ما عندنا وليس فقط على الذي يأتينا من الخارج.

يجب أن نواجه الوجود بوجود

الهرب من الواقع لا يغير الواقع*

صاحب الغبطة، بعد أشهر تكتمل الألفية الثانية، وتبدأ الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح، كيف تنظرون إلى هذه المناسبة؟ وما هي الرسالة التي توجهونها فيها إلى العرب والعالم؟

الألـــف الثالث للميلاد قادم عما قريب، وهذه المناسبة ذات معنى ومغزى خـــاص بالنسبة إلينا، نحن أبناء هذه المنطقة العربية، لأن الكثيرين باتوا يعتقدون أن المسيحية أصبحت حكراً على جماعة في أوروبا أو في أمريكا أو في مكان آخر ناسين أن المسيحية نبعت من عندنا، من منطقتنا، وخصوصاً إذا كنا نتكلم عن دمشق. فمن دمشق بصورة خاصة، حمل بولس الرسول المسيحية التي اهتدى إليها هنا إلى العالم. هـــذه حقيقة نسيها كثيرون ولا يعرفها الناس عموماً. وأعتقد أن بدء الألفية الثالثة يدعونا إلى أن نعيد النظر في كيفية فهمنا للمسيحية. وأعتقد أنه من واجبنا أن نتبنى الـــتراث الروحي الذي نبع من أرضنا. فالإسلام يجب ألا يكون حكراً على المسلمين وحدهـــم، والمســـيحية يجب ألا تكون حكراً على المسيحيين وحدهم، ومَن يدري! فاليهودية الحقيقية ـــ لا الصهيونية ـــ يجب ألا تكون حكراً على عدد محدود. نحن، عـــندما نتكلم عن تاريخنا الروحي، عن تراثنا الروحي الذي نتميز به عن كل أقطار الأرض، فيجب أن نُعَرِّف بتاريخ هذه المنطقة المباركة وأن نُذَكِّر بكل تراثنا. هذا أمر مهـــم. لأن العـــالم كله يجب أن يعرف أنه لا يمكن أن يزيدنا حرصاً على أي تراث روحي نبع من عندنا.

إنـــنا، إذا تكلمـــنا عن عواصم روحية أو بلدان روحية، يجب أن نقول إن

---

* صحيفة «تشرين» السورية، طالب أبو عابد وعصام حموي، ١٩٩٩/٦/٢٦

القـــدس هـــي عاصـــمة الديانات التي نبعت من أرضنا وانتشرت في العالم لكنها لم تـــرحل. لم تـــرحل المسيحية من هنا، ولم يرحل الإسلام، ولم ترحل اليهودية الحقة وليس الصهيونية! لم ترحل هذه الديانات من هنا، بل بقيت. يجب أن يرى العالم أن هنالك فضلاً من الله، هو أنه أراد أن يعلن عن نفسه بأشكال مختلفة. هذا تدبيره هو، وحكمـــته هو، لا حكمتنا نحن البشر. يجب أن نشكر الله على أنه اختار هذه البقعة لكي يظهر فيها، "ما لم تسمعه إذن من قبل، ولم تنظره عين، ولم يخطر في قلب بشر" كما يقول الكتاب المقدس.

صـــاحب الغـــبطة، سيشهد العالم احتفالات وتظاهرات بمناسبة بدء الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح فكيف ستحتفل كنيستنا الأرثوذكسية بهذه المناسبة؟

عندما سمعنا أن هذه الألفية ستبدأ بتظاهرات في أماكن مختلفة. ظننا أن من واجبنا أن نُذَكِّر لا بالرسل الذين انطلقوا من عندنا فحسب، ولكن بأماكن انطلاقهم كذلـــك. لذا نحن نبدأ من دمشق، وننطلق من أنطاكية: فالرسولان بطرس وبولس انطلقا من أنطاكية. وأنطاكية هذه هي التي نراها، ويمكن أن نراها كل يوم. ذلك أن دياناتـــنا ليست مجرد أفكار ومبادئ، بل لها جغرافية. هذا لا يمكن أن يقوله غيرنا، فهـــذه المـــنطقة مقدســـة ومباركة في ترابها؛ لذلك وجدنا ـــ نحـــن في الكرســـي الأنطـــاكي ـــ أن علينـــا أن نبدأ الألفية الثالثة باسم الكنيسة الأرثوذكسيـــة عامة، وباســـم كـــل من يريد أن يشاركنا الاحتفال وأن نبدأها من أنطاكية. لذلك نحن ذاهـــبون إلى أنطاكية وسيذهب الكثيرون إلى هناك، إلى حيث يجدون أنه في أنطاكية لا نُعيِّـــد لحجارة، أو لمدينة لها تاريخها فقط، لكننا نريد أن ننفخ، في ذلك التاريخ، حيـــاةً ليســـت غريبة لا عن المؤمنين عندنا، ولا عن المؤمنين في العالم، لأنه لا يمكن لمدينة أخرى أن تفاخر على أنطاكية.

ســـنُعَيِّد هـــناك، وســـنجعل مـــن السنة القادمـــة سنة تُعَيِّد فيهـــا كل

الوحـــــدات الانطاكيـــة. ســتُعيّد كل الوحدات الكهنوتية في الكرسي الانطاكي وستســـاهم كل الأبرشيات في هذا العيد. ستكون السنة القادمة كلها سنـــة تذكير بأنـــه مـــن أنطاكية انطلقت البشارة المسيحية، لا التبشير بالمعنى الذي عهدناه، بل التبشير الذي كان علينا.

نحـــن، عـــندما ننطلق من دمشق، إنما يحدونا دافع داخلي، لأن هذا التراث الروحي الذي انطلق من هنا يخصنا جميعاً، ولا يخص فئة معينة وحدها.

المســـيحية في الغرب عموماً تبدو وكأنها غير «مسيحية»! أو أنها تختلف عن المسيحية في مشرقنا العربي، ما رأي صاحب الغبطة؟

هـــناك مســـيحية في الغرب، ولكن الغرب ليس مسيحياً. هذا ما يجب أن نفهمـــه. فالغرب يحارب المسيحية، والمسيحيون فيه أقلية. وأنا أعتقد أن في الغرب طلاقـــاً بـــين الدين الصِرْف وبين الأشياء التي هي من شؤون الدولة. نحن نقول إن الشيطان لم يمت، والتجارب لم تنقص. والمال والسلطان والقوة وكل هذه الأمور لم تغب، والمؤمنون دائماً هم الوحيدون الذين يقفون صفاً منيعاً في وجه هذه القوى التي تستغل الإنسان أكثر مما تعمل في خدمته.

يجب أن نُقلع عن الظن بأن هناك دولاً مؤلفة من الملائكة أو من القديسين أو مـــن الجماعـــة التي كل ما فيها هو لله. ففي الحسابات البشرية، الناس يتقاتلون ويتذابحون، ويخططون كيف يمكن لواحدهم أن يتغلب على الآخر، كيف يفترسه إذا تَيسَّر له ذلك. والمؤمنون ليسوا من هذه الفئة.

وموقف الغرب من القدس مثلاً؟

المســـيحية في الغـــرب لا تهتم بموضوع القدس بالمقدار الذي نهتم به نحن. فالقدس بالنسبة لنا ليست مجرد موضوع سياسي تتحكم فيه القوى، بل مسألة تتعلق

بإيمانـــنا وبدينـــنا. بحيث إذا تغيرت القدس، فإن جانباً مهماً جداً من إيماننا يتعرض لـــلخطـــر. كنت أقول: نحن في هذه المنطقة العربية، وخلافاً لأية منطقة أخرى من العـــالم، التراب له معناه. وإذا لم نكن موجودين على هذا التراب، فليس من تراب آخـــر يمكـــن أن يحل محله. فهنا الإلهام الإلهي، وهنا التجسد الإلهي. ومن هنا كان الإعـــلان عن الوجه الإلهي الذي لم يره أحد، ولا يمكن لأحد أن يستوعبه. نحن لسنا ديانـــات في الهواء. نحن ديانات في جغرافية ملموسة تاريخية، لها حدودها وطابعها. ومـــن هـــذه المنطقة، يأخذ كل إنسان وكل منطقة أخرى في العالم، شيئاً مما لديها. لذلـــك فإن كل تهويد سواءٌ أكان تهويد القدس أم تهويد فلسطين أم تهويد جزء من ســـورية (الجولان)، يمس إيماننا الحقيقي. ولذلك نسأل الله، الذي أعلن عن ذاته في هذه البلاد، ألا يغيب وجهه عن أي إنسان فيها كائناً مَن كان، لئلا نقع في الضلال.

صـــاحب الغـــبطة، الـــبابا شنودة الثالث رأس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أعلن منذ ســـنوات عدم جواز الحج إلى القدس رغم وجود معاهدة صلح بين مصر وإسرائيل. ما رأيكم؟

نحـــن نحترم البابا شنودة كثيراً، ونحترم آراءه، لا شك في ذلك. أتساءل هل يجـــب مـــثلاً ألا نقتحم القدس اقتحاماً ولو كانت محتلة؟ عندي هذا التساؤل؟ وأنا أميـــل، من هذه الناحية، إلى عنفٍ في التصرف، لا إلى أن نظهر، وكأننا قابلون بهذا الوضع، ننتظر حتى ينسحبوا.

كيـــف تقـــتحمون القدس صاحب الغبطة؟ هل يدور في خلدكم تنظيم مسيرة مسيحية لاقتحامها؟

أنـــا لا أتصـــور مسيرة من المسيحيين وحدهم، فالقدس ليست للمسيحيين وحدهـــم وإنما للمسلمين أيضاً. نحن مشحونون بسبب القهر الذي مورس علينا في القضية الفلسطينية كلها، لذلك نشعر ونتمنى أن يكون هناك وضع نقتحم فيه سوانا

ولا نُقــتَحَم كما هو وضعنا حتى اليوم. أقول هذا إلى جانب الرأي الذي تفضل به قداســة البابا شنودة، لا لأنفي رأي قداسته، وإنما لأقول في هذه المناسبة إنه: لا بد للإنســان مــن أن يعبر عن مقاومته للضغط الذي أحدثته القضية الفلسطينية علينا جميعاً.

صاحب الغبطة، سورية ولبنان متضامنان متلاحمان، في وحدة المسار، في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وفي التمسك بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي السورية واللبنانية المحتلة. كيف ترون هذا الموقف؟

هــذا الموقف هو الموقف السليم والطبيعي، ونحن ندعمه. فما تتبناه سورية ومــا يتبناه لبنان، يهدف إلى أن تتعاون سورية ولبنان لكي يتخلص الاثنان معاً من الاحتلال. هذا هو الأمر الطبيعي، وإن شاء الله نصل إلى الغاية من هذا التضامن بين أقرب الأشقاء.

والمقاومة في جنوب لبنان، كيف تنظرون إليها؟

أنا أستقبل وفوداً من المقاومة، وأستمع إلى كثير مما يُقال، وأرى ما يحدث؛ فأقول: المقاومة فعل مهم جداً جداً، لأنه بغير المقاومة كانت الأوضاع ستكون مختلفة عمــا هــي الآن. أنا أتصور أن المقاومة اللبنانية هي القوة الفاعلة التي خاطبت القوة بالقوة ففرضت نفسها على إسرائيل في جنوب لبنان. وأعتقد أن المقاومة عامل ضغط فاعل وجيد ومؤثر بدأت بعض نتائجه تظهر بالانسحابات الإسرائيلية.

ومــن المؤكــد أن الإسرائيليين لم ينسحبوا لأنهم كانوا في وضع تَنَــزّه في مــنطقة من المناطق اللبنانية بل لأن الشدة كانت تضغط عليهم. وما من شك في أن المقاومــة تشــكر على ممارستها، وإن شاء الله سيكون النصر حليف لبنان وسورية، ويربح لبنان وتربح سورية ما يجب أن يربحه كل منهما.

نحـــن نعيش في عالم غير متوازن، تسود فيه شريعة الغاب وتسيطر فيه قوة وحيدة ومعايير مزدوجة. كيف ينظر صاحب الغبطة إلى هذا الوضع؟

هـــذا وضـــع مؤلم جداً. الواضح فيه هو الانفراد والتفرد الذي أصبح يميز التصـــرف الأمريكي، والذي أصبح مرافقاً للقوة، وما من شك في أنه يجب ألا تقف قوة وحدها لمجرد أنها الأقوى. هذا أمرٌ ينفيه التاريخ ولا يمكن أن يدوم، ونحن نعتقد أن العنصر الأخلاقي هو الذي يجب أن يدير ويُوَجِّه القوة لئلا تقع في غير موقعها.

تقـــول إن هناك أكثر من معيار. نعم! إن هناك معيارين على الأقل، وهذا واضـــح للأعـــين، وهو جارح للكرامة الإنسانية، خصوصاً وأن هذا التمييز يقع من طـــرف الأقويـــاء على الضعفاء والمستضعفين في هذا العالم، لا بل من قبل الأقوى الوحيد في هذا العالم وهو الدولة الأمريكية وحليفتها بريطانيا.

والعولمة! إنها تطرق أبوابنا بمختلف الأخطار منذ بعض الوقت؟

ما دمنا في قلب هذا الحديث عن الظلم والطغيان وقوى الاحتكار والعولمة، أود أن أقول: إننا نرى وسائل الإعلام الأجنبية تشن هجوماً شرساً يشكل خطراً على دياناتنا ومفاهيمنا هنا، في الشرق! والأخطر من ذلك هو أنهم يركزون على شبيبتنا. إنهـــم يســـتعملون كلمات ناعمة ليمرروا أموراً غير ناعمة. لقد أصبح هناك إغراق للشـــبيبة في الأمـــور الجنســـية، وقتل للقيم الروحية. هناك طعن في الصميم للقيم الأخلاقيـــة التي لا تزال حية مبدئياً. أنا لا أقول إننا النموذج المثالي لهذه القيم، لكننا على الأقل لا نبشر بسواها. أما وسائل إعلام العولمة فإنها تبشر عملياً بما تريد، وتدفع الـــناس وتشـــجعهم على السير في الاتجاه المخالف لمواقفنا وعقائدنا. هذا خطر على الشـــباب والأســـرة والمستقبل والحاضر، فهم يجمّلون الخطيئة والرذيلة، ويدعون إلى الانحلال والتفكك. إنه طعن جهنمي لأخلاقنا وقيمنا وعاداتنا.

في مواجهة هذا الهجوم الشرس على هويتنا ماذا يجب أن نفعل؟

في المـــدارس، ماذا يفعلون؟ في الجامعات، ماذا يفعلون؟ داخل الأسرة وفي الـــبيوت، ماذا نفعل؟ علينا جميعاً أن نتجه إلى المواجهة. لكني أحذر. يجب ألا يكون هناك قسر في التعامل مع شؤون الشباب، يجب أن نوفر لهم ظروفاً أفضل ومناسباتٍ يصـــاغ فيها الإنسان صياغة خُلُقية، وأن نتيح المجال لنمو الهاجس الخلقي لدى جيل الشباب.

صاحب الغبطة، لا جدال في أن هناك أخطاراً تهدد الجيل الجديد، وأن هناك غزواً ثقافياً وحملة إغراق وتضليل. ما هي الأسس التي ترون أنها كفيلة بمواجهة ذلك؟

يظـــن بعض مَن يجلسون في غرفة ويغلقون الباب على أنفسهم أن الدنيا قد ضـــاقت، والصحيح أنه هو الضيق. وهو الذي يُضَيِّق على ذاته، لأن العالم موجود، ولأن عليـــنا أن نواجه الوجود بوجود، ولن يكون المستقبل نسخة طبق الأصل عن الماضي. وإذا كان الماضي جيداً، فإننا لا نستطيع أن نجعل الناس تعيش في العمر الذي مضـــى. هـــذا غير ممكن! ولذلك أسأل: لماذا لا يكون عندنا تعبير وترجمة عصريين لمبادئـــنا الـــتي يفهمها الناس اليوم: الشاب والصبية، والأسرة! أنا أعتقد أنه يجب أن يكون هناك تخطيط جدي، وألا نكتفي بتوجيه معين للمؤسسات التربوية، بل يجب أن نوجـــه الجيـــل إلى عالم جديد لأننا لا نستطيع أن نترك الساحة مفتوحة ولا أن نكـــون سلبيين. هناك أمور يجب أن تُعمل من أجل الجيل الجديد. لم يعد جائزاً أن نقول: إن الدنيا «عتمة» لأننا نغمض أعيننا. فالصحيح أن مَن يقول ذلك هو الذي لا يـــرى، وأن الدنيـــا ليست في «عتمة». علينا أن نفتح أعيننا، ونواجه الأمور كي نعرف كيف نتكلم وكيف نعمل. إن أحداً لا يستطيع أن يقف في ظل أصبعه، كما أن التهرب من الواقع لا يغير الواقع ولا يزيله.

جيلنا الشاب جيل واقعي، وهذه فضيلة من فضائله يجب الاستفادة منها.

إذاً، صاحب الغبطة، أنت إلى محبتك للجيل الجديد، تنحاز إليه، وتطالب له ومعه باهتمام أكبر من أجل مستقبل أكبر.

الجيل الجديد مع العنصر النسائي يعادل حوالي ٨٠% من مجموع الشعب، وإذا لم نواصل اهتمامنا وبشكل أكبر بهذه الغالبية العظمى فماذا يبقى؟

أنـــا أحب الجيل الصاعد، أحب الشبيبة لأنهم هم المستقبل، ونحن لا نعرف مَن هو الشاب الذي سيصبح مفكراً أو عالماً أو قائداً أو مبرزاً فنياً. لذا يجب أن نربي الشـــباب حســـب موهبة كل منهم، لا حسب ما نريد نحن. وحسب العصر الذي يعيشونه، لا حسب الماضي الذي عشناه. نحن ماضون، ونحن عشنا عمرنا. أما الجيل الجديـــد فهـــو صاحب الزمن القادم، ويجب ألا نجعله يعيش في الزمن الماضي الذي عشـــناه، وإنما في الزمن الحالي والقادم الذي يعيشه، وسيعيشه. لذا أدعو إلى المراجعة والمواجهة من أجل هذا الجيل.

صاحب الغبطة، تَطرقتْ إلى العنصر النسائي في إجابتك السابقة، ورغم ما تحقق للمرأة في بلادنا، ورغم ما حققته، أود أن أسأل عن رأيك في دور المرأة؟

المرأة هي أمي دونها أنا لست موجوداً، الله خلق المرأة، وهو وحده يخلق. ثم كفى إلقاء مواعظ على المرأة، إن الذي لا يريد للمرأة أن يكون لها دور، عليه هـــو أن يبتعد! هل يقتصر دور هذه المخلوقة على أن تتلقى الأوامر من هذا وذاك؟ افعلي هـــذا ولا تفعـــلي ذاك. لماذا لا تقوم بالعمل أنت؟ ليس من حق أحد أن يستعبـــد المـــرأة، وليـــس عدلاً أن تظل المرأة تتلقى الأوامر من زيد وعمرو. فهي مخلوق مثل الـــرجل، ومـــا تستطيع المرأة إنجازه أحياناً لا يستطيع الرجل أن يقوم به. لذا أقول: كفـــى! لم يعـــد أحـــد يقبل بهذه الوصاية، ولا يجوز أن يكون هناك طرف يلقـــي

الأوامـــر، وطـــرف آخر لا عمل له إلا أن يسمع ويطيع. هذا غير معقـــول، وهذا شلـــل للمجتمع غير مقبول.

صـــاحب الغبطة أنت داعية وحدة وطنية، كيف ترى وحدتنا الوطنية والعلاقة بين أبناء هذا الوطن: مسلمين ومسيحيين؟

إنـــنا نعيـــش وحدة وطنية حقيقية. نحن كشعب نعيش معاً، لا أحد ينفي الآخـــر، والاختلاف في رأي أو عقيدة لا يستدعي الخلاف. هذا طبيعي لأننا شعب واحـــد، نعيـــش بمحبة ووئام، لا نفرق بين مسلم ومسيحي، أو مسيحي ومسلم، وليست لدينا مشكلة تفريق طائفي. فنحن نعيش جميعنا بعضنا مع البعض الآخر، ولا أحـــد غريب عن الآخر. الله هو الذي أراد أن يكون في هذه المنطقة هذا التيار الهائل مـــن الـــروحانية عندنا، لا عند سوانا، فعلينا أن نستغل ذلك على أفضل ما يكون ونبشر به العالم كله.

العـــرب الذيـــن يقبـــلون بالسلام مع إسرائيل، لا يعملون من أجل السلام فيما بينهم. والوضع العربي ليس في أحسن حالاته؟

أنـــا أتأسف كثيراً عندما أرى أن العرب قد توصلوا إلى أن يصبحوا فرقاء يتنازعون فيما بينهم ويتركون الأجانب يذبحوننا ويتحكمون فينا!

أنـــا أتأسف كثيراً لأن القوى الأجنبية تذبح بعضنا، وتقتل الأطفال والنساء كمـــا في العـــراق وغـــير العراق. إنهم يستبيحون قتلنا، ويسيطرون على مواردنا، ويتحكمون في أرزاقنا، فهل هذا معقول!؟

إذا اختلف نظامان، لا يمكن أن يمتد خلافهما إلى ما لا نهاية. من المعيـــب ألا يـــتفق العرب! وأعتقد أن هناك في بعض الحالات مبالغة في الاختلاف، فأقول: يجـــب أن يكـــون هناك اتفاق بين الدول العربية، لا يقوم على إلغاء أحد للآخـــر.

وأعـــتقد أن المبالغة في العداء أو الاختلاف غير صحيحة وغير واقعية. هناك مراحل علينا أن نقطعها. إذا كان الحد الأقصى الذي نصبو إليه هو أن نكون جميعاً في صف واحـــد، ننشد هدفاً واحداً، متساوين فيما بيننا، فإن الحد الأدنى هو أن نتفق، وألا يلغي أحدنا الآخر.

انطاكية حية وليست مجرد ذكرى*

أنا أعرف أنكم، منذ زمن طويل، تواجهون بعض الصعوبات مع الديانات الأخرى ومع الكنائس المسيحية الأخرى ككنيسة القائلين بطبيعة واحدة للمسيح والمتحدين مع روما والنسطوريين والكلدانيين وغيرهم. ويطيب لي أن أسمع رأي غبطتكم في هذا الموضوع.

سؤالك هذا يتضمن أكثر من عنصر. فيما يتعلق بالصعوبات التي تشيرين إليها، أرى لزاماً علي أن أقول إن أوضاعنا مع الديانات الأخرى ومع الكنائس الأخرى ليست بالأوضاع الصعبة. أكبر صعوبة تَعَرَّضنا لمواجهتها كانت العمل التبشيري الذي جاءنا من الخارج يتحدث عن لغتنا وكنيستنا وحضارتنا وكأننا قوم متخلفين ويجب أن نَتَمَدّن على الطريقة الأوروبية، لكن الجميع انتهوا أخيراً إلى أن يدركوا أن إلغاء الكنيسة الأرثوذكسية أمرٌ مستحيل لأنها ليست كنيسة هرطقة أو انشقاق بل حقيقة واقعة صارخة يعترف بها الجميع.

ثم يحضرني هنا أن أتحدث عن علاقتنا بالكنيسة السريانية التي كان يقال إنها تؤمن بطبيعة واحدة للمسيح. يجب أن يكف الجميع عن مثل هذا الزعم الخاطئ لأن السريان يؤمنون بأن ربنا إنسان كامل وإله كامل إيماناً لا يجوز لأحد أن ينكره عليهم. ما حصل في الماضي من محاولة إدانة هذه الكنيسة كان حالةً خاصة علينا نحن أن نتعامل معها بمحبة وتقارب دونما حاجة إلى تشريع. لم نتطرق إلى ضرورة إعلان قيام وحدة تامة مع هذه الكنيسة بانتظار أن تقوم سائر الكنائس الأرثوذكسية باتخاذ هذه الخطوة، بل اكتفينا بتحقيق قسم من مقومات الوحدة وبقي قسم ثانٍ لم يتحقق. لأن هذا الأمر، كما قلت، شأن يخص جميع كنائس العالم الأرثوذكسية.

* مجلة «الله والدين» اليونانية، ماريا كاراديمتريس، ١٠/١١/١٩٩٩

وفيما يتعلق بعلاقاتنا مع العالم الإسلامي، أستطيع أن أؤكد أننا لا نتعرض معه للضغوط التي تعرضنا إليها مع المبشرين الأجانب، فليس بين المسلمين مَن يضغط علينا يومياً ليحولنا إلى مسلمين، بل نحن نبني كنائسنا ونعلن إيماننا، ونصر على القول بأننا هنا حتى قبل الإسلام، ونجد في صفوف المسلمين أشخاصاً نحبهم ونقيم معهم أطيب العلاقات. على كل من يعتقد بوجود صعوبات قامت بيننا وبين المسلمين أن يعلم أن هذه الصعوبات لم تَقُم بين شعبٍ وشعب بل بين دولة ودولة. قد نختلف مع المسلمين حول بعض المفاهيم، لكن مثل هذا الخلاف ليس كافياً، في نظري، لأن يجعل الطرف الواحد عدواً للطرف الآخر. المسيحيون جماعةٌ يبشرون بمحبة الجميع وبدون شروط.

كيف تواجهون المشاكل التي تخلقها النزاعات القومية؟ وهل تؤثر هذه المشاكل على عملكم، وخاصة على مسيحيي بطريركيتكم في لبنان؟

الإنسان واحد أينما وجد لا بد وأن يتأثر بما يحصل له من أمور روحية أو اقتصادية أو سياسية. لكن هذا التأثر شامل لا علاقة للديانات به. فعندما تكون السياسة جيدة مثلاً تكون جيدة للجميع والعكس بالعكس، والمنظمات والدول غير معصومة عن الخطأ. من الظلم والحالة هذه أن يُقال إن هنالك اقتصاداً للمسلمين وآخر لسواهم. كل ما يأتي من الدولة يطال الجميع.

كيف تتطلعون إلى وحدة الكنيسة في البلدان الداخلة ضمن دائرة اختصاصكم؟

وحدة الكنيسة هَمٌّ نحمله جميعاً، ولا يمكن تصور كنيسة لا تحمله. إذا لم تكن الوحدة قائمةً في الكنيسة يكون المسيح الواحد مجزأ. وحدتنا في الكرسي الانطاكي واضحةٌ جداً لا نحتاج لأن نبذل في سبيل تحقيقها أي جهد. في سوريا ولبنان والعراق وفي القارات الخمس حيث نعيش، لا نواجه إلا صعوبةً واحدة من طبيعة إدارية سببها المسافات والهجرة لا المؤمنون، ومن واجبنا أن نفكر كيف

نعمل لتدارك كل صعوبة. تلك مشكلةٌ تواجهها الأرثوذكسية وكل الكنائس وكل الديانات.

كيف تتطلعون إلى وحدة الكنيسة الأرثوذكسية في الشتات؟ في أوروبا وأميركا وأوستراليا؟

نحن نهتم إذا هاجر أبناؤنا لأننا نعتقد أن الكنيسة هي المؤمنون. هنالك من يعتقد أن الكنيسة منطقة جغرافية. كان ذلك صحيحاً يوم كانت الإمبراطورية وكنا تنظيماً داخلها. أما الآن، فقد زالت الإمبراطورية ولم نَعُد نملك الأرض التي نعيش عليها. نحن لا نعلم متى نُجبَر على تبديل أماكن وجودنا أو هجرها، لأننا في حالة تَنَقُّل ولأن العالم كله في حالة حركة. علينا أن نفهم أن الكنيسة كيان يحمله البشر الذين يتحركون أنفسهم. لذلك أعتقد أن الوحدة يجب أن تكون مع أمهات الكنائس. ليس بمقدوري أن أتصور الكرسي الانطاكي بدون الانطاكيين، ونحن في النهاية نعمل للبشر لا لسواهم. هذا يدعوني لأن أفكر بالجغرافيا القديمة عندما توجد في أميركا أو سواها كنائس يعود مؤمنوها إلى أصول متعددة. نحن هنا ننتمي إلى منطقة الشرق الأوسط التي تضم بطريركيات وأبرشيات متعددة دون أن يشكل ذلك انقساماً، وهذا لا يزعجنا. فلماذا يجب أن يزعجنا في غير هذا المكان؟ الكنيسة يحملها المعَمَّدون لا الجدران والأعمدة والأشياء المادية.

أنا أتصور أنكم على علاقات حميمة مع الحكومة اليونانية، وأنكم ربما كنتم قد حظيتكم بدعمها في بعث كلية اللاهوت العتيدة في البلمند (لبنان)

هذا صحيح جداً ونحن نشكر حكومة اليونان وكنيسة اليونان ونرى أنه من الطبيعي أن يكون في الكنيسة الأرثوذكسية ما هو مشترك. هذا أمر طبيعي كان موجوداً على الدوام. كنا على مثل هذه العلاقة الطيبة مع الكنيسة الروسية، ونرحب بقيام مثل هذه العلاقات بين جميع الكنائس الأرثوذكسية. هذا

أمـــر جيد نفخر بوجوده ونشكر جميع الذين يقبلون بأن يهتم الواحد بما يفعل الآخر لمصلحة الكنيسة.

هـــل هـــنالك من يونانيين في سوريا ولبنان والبلدان العربية. وما هو مستقبل هؤلاء في نظركم؟

ليـــس هـــنالك من يونانيين في اعتقادي، بل هنالك أشخاص من أصـــل يونـــاني. فـــإذا كان هؤلاء يرغبون بأن يشكلوا جماعة روحية، لا نرى في ذلك أية مشـــكلة بـــل نمـــد إليهم أيدينا. هذا هو الواقع الذي أدى إلى وجود ممثلين لـــهذه الكـــنائس عندنا. أنا لا أخشى شيئاً على الإطلاق ما دام ذلك لا يتعدى أن يكون تعبيراً عن وجود كنسي.

كثيراً ما يقال إن الكنيسة الأرثوذكسية ستعقد «مجمعاً مقدساً موسعاً». ماذا تتوقعون من عقد هذا المجمع؟ متى سيُعقَد؟ وهل هنالك من فرصٍ يتيحها انعقاده لحل ما يقوم حالياً من مشاكل داخل الكنيسة وخارجها؟ وما هي الموضوعات التي ستطرح على المداولة؟

هذا سؤال يُقال فيه الكثير. علينا، في نظري، أن نعمم، ومن الضروري أن نلـــتقي. أمـــا طريقة اللقاء، فإنها، في رأيي، أمر ثانوي. كان مجرد القول بعقد مجمع مسكوني يشكل مشكلة، لأن المجامع المسكونية كانت مجامع إمبراطورية لا مسكونية، ولم يـــأتِ أحـــد ليشارك فيها لا من أوستراليا ولا من أميركا الشمالية. الموضوع لا يعـــني الآن ما كان يعنيه في الماضي، فلنتجاوز الشكل. إننا نرمي من وراء ذلك إلى القـــول بأنـــه يجب أن تحصل لقاءات نصلي أن تكون ممكنة. ليس أفضل الأمور هو دائمـــاً ما لا نتوصل إلى بلوغه. تلك طريقة لتجاهل الإمكانية المتوفرة في سبيل أمر يمكـــن ألا يكون قابلاً للتحقيق. لكننا، في جميع الأحوال، مدعوون لأن نعمل على جميـــع الصُعُد، وبصورة خاصة على ألا نُفوّت على أنفسنا تحقيق ما هو ممكن الآن. علينا أن نسعى الآن لعقد لقاءات بين الكراسي الأرثوذكسية، وهنالك مشروع قائم

حاليـــاً لعقد لقاء في رودس. لذلك فلنُصَلِّ الآن لأن يحصل ما من شأنه أن يساعدنا على خدمة الكنيسة بأفضل الطرق. كل نشاط نبذله في هذا السبيل هو، في نظري، كـــالولادة، فالإنسان لا يولد كاملاً على الإطلاق. إنه يولد صغيراً ويكبر ويتكامل. وإذا لم يبدأ لا يكون بإمكانه أن يتطور. إذا كان هنالك مَن يعملون على عقد مجمع مسكوني يستعيدون فيه عهد الإمبراطورية، أرجو أن يبارك الله عملهم، لكن الأهم، في نظري، هو أن تتم اللقاءات في حدود المستطاع.

أتعتقدون أن كنيستنا بحاجة إلى إصلاحات أساسية؟

أنـــا مـــتأكد من ذلك قطعاً. ربما كان يعتقد مَن يعيش في اليونـــان أو في روســـيا أننا لسنا بحاجة إلى اللغة لنفكر بالمسيحية. هذا ليس صحيحاً: فإذا كـــان البشر متفرقين في أكثر من مكان يتكلمون أكثر من لغة ويختلفون في حضاراتهم وفي تفسير الكتاب المقدس ويفهمون الأرثوذكسية وروحانيتها كلٌّ على طريقته، لا نعود قـــادرين عـــلى العيش ما لم يَدْرُسوننا. أرى من واجبنا نحن أن نَدْرُسَ الناس لأننـــا أُرســـلنا إلى الـــناس ولم يُرسَل الناس إلينا. الرب أرسل رسله إلى العالم، ولم يـــدعُ العـــالم لأن يأتي إلى حيث يوجد رسول ليعيش إلى جانبه أو يتعلم منه. منطق الأمور معكـــوسٌ تمامـــاً. علينـــا نحن أن نتجه إلى الناس، فليس هنالك شخص واحد لسنا مسؤولين عنه. علي أنا أن أتجه إلى الجميع وأن أعلم الجميع. علموهم، عمِّدوهم، قال الرب. هذا كلام واضحٌ كل الوضوح، علينا بموجبه أن نذهب إلى الناس لا أن نبقى في أماكننا ونقول للناس: تعالوا تعلموا منا. هذا لن يحصل وليس هذا ما قاله الرب، ولا هو الرسالة التي عهد بها إلينا. علينا أن نَتَحَرَّك لنُحَرِّك الغير، وإذا نحن انتظرنا أن يحركنا الغير نكون في حالة رد فعل تجاه الغير لا في حالة فعل. والمسيحية لا تقبل بأن يكون دورها هو رد الفعل.

في مصر والأردن وإسرائيل وأوروبا وأميركا وأوستراليا العديد من الناطقين بالضاد. هل تقيمون مع هؤلاء علاقات طيبة؟

علاقاتنا طيبة مع الكراسي الأخرى. فكرسي أورشليم وكرسي الإسكندرية كرسيان رسوليان، ومن الطبيعي أن تكون علاقاتنا المتبادلة معهما جيدة. كما أنه لا يغيب عن بالنا أن كراسي هذه المنطقة الأربعة (القسطنطينية ــ الإسكندرية ــ انطاكية ــ أورشليم) كانت تشكل وحدةً مع روما وتتبادل معها الآراء والمنشورات واللقاءات. ثم إن الأرثوذكسيين الموجودين حالياً في مصر أصلهم من هذه البلاد، كما أن فلسطين لم تكن مفصولة سياسياً عن سوريا ولبنان.

بيننا مفهوم مشترك للوحدة، وإن كان يحصل أحياناً شيء من الالتباس في علاقاتنا. وإذا قامت أحياناً بعض العلاقات السيئة، فإنها لا تكون بين الكراسي لأن الكراسي تحتفظ بالمفهوم الرسولي دائماً.

قد يتأثر بعض المؤمنين ــ بصفتهم مواطنين ــ بما يجري في بلدانهم فيميل البعض إلى أن يكونوا يونانيين والبعض الآخر إلى أن يكونوا عرباً، وأنا أعتقد أن اليوناني يجب أن يبقى يونانياً والعربي عربياً. أما مصلحة الكنيسة، فهي في أن تكون محلية وتتصرف بصفة محلية وتتكلم لغة البلاد وتتثقف بثقافة البلاد. يجب بكل بساطة أن نخاطب الناس بلغةٍ يفهمونها، وإلا فما فائدة الوعظ والتبشير؟

ما هي العلاقات القائمة حالياً بينكم وبين كنيسة القسطنطينية، وبصفة شخصية مع قداسة البطريرك برثلماوس إثر لقائكم الأخير؟

أنا دائماً أؤيد اللقاء، كما تلاحظين، وأهم حاجات كنيستنا ــ في نظري ــ هي حصول اللقاءات. لم تحصل بيننا وبين القسطنطينية أية مشاكل من عهد أثيناغوراس وغيره، وكانت علاقاتنا معها جيدة وواضحة على الدوام. البطريرك

أثيناغوراس زارنا في بيروت وأتى إلى دمشق، وكذلك البطريرك برثلماوس الذي نحبه كثيراً. أنا أعتقد أن علينا أحياناً أن نتجاوز البروتوكول الذي نبالغ بالتقيد به لنلتقي بعضنا ببعض، كما أعتقد بأنه لا يمكن أن نحب مَن لا نعرفه. إذا شاءت الكنيسة أن تكـــون كنيسة محبة تؤمن بأن الله محبة فمن الضروري أن نلتقي، ونحن متفقون على ذلك. يسعدني أن يكون بمقدوري أن ألتقي بقداسته وبسائر البطاركة كلما سنحت الفرصـــة. القســـطنطينية على خطوات معدودة منا، وجميع وسائل الاتصال السريع متاحة ومريحة، فلماذا لا نفعل؟

مـــا هي الموضوعات التي تدور حولها الخلافات التي كانت أو لا تزال قائمة بينكم وبين البطريركية المسكونية؟

تـــلك مجـــرد فرضية لا تستند إلى أي أساس. ليس هنالك أي خلاف فيما بينـــنا، وسؤالك بمجمله مجرد فرضية غير صحيحة، كما قلت، لا أعرف أننا طرحنا يوماً من الأيام فكرةً رفضتها اسطنبول كما لا أعرف أننا يوماً من الأيام رفضنا فكرةً طرحتها اسطنبول.

هـــل صـــحيح أن أحـــد مطارنـــة كنيسة اليونان الأرثوذكسية قال إن رئيس الأساقفة كريســـتودولوس تَدَخّـــل لتسوية علاقاتكم مع البطريركية المسكونية؟ وهل صحيح أن رئيس الأساقفة كريستودولوس لعب هذا الدور؟

أنا اشكر هذا المطران شكراً جزيلاً، لكنه لم يسبق لي أن واجهت مع قداسة الـــبطريرك المسكوني أية مشكلة. قامت بيننا وبين كرسي أورشليم بعض الصعوبات ربمـــا جنح البعض إلى الاعتقاد بأنها كانت مع القسطنطينية. أضف إلى ذلك أن تلك الصـــعوبات حصـــلت بصـــورة فردية. كرسي إنطاكية غير متورط في الخلاف مع الكراسي الأخرى.

ما هو رأيكم الشخصي في رئيس أساقفة الكنيسة اليونانية؟

إنـــه شـــخص أحـــبه كثيراً وأكُنُّ له الاحترام، وهو، في رأيي، ممن يرون الكنيســـة في معـــتقداتها لا خـــارج هذه المعتقدات، وهذا أمر يشير إلى أن علينا أن نتجاوز المؤسسات لنواجه الآخرين. فالمعمودية للمؤمنين والزواج للمؤمنـــين وتناول القـــربان المقـــدس للمؤمنين، وعلينا أن نعلم بأنه لا وجود للكنيســـة بدون وجود المؤمنين. سيدنا كريستودولوس مهتم بالشعب، وهو بذلك، كما أعتقـــد، يقوم حقاً بالعمل الذي يجب أن يقوم به الراعي الحقيقي في الكنيسة. نحن نحبـــه كثيراً، ويطيب لي هنا أن أقول إن من المهم والمرغوب والضروري في بلدٍ كاليونان ألا تعتبر الحكومة نفسها خارج مصلحة الكنيسة. رجال الكنيسة لا يقومون طبعاً مقام موظفي الدولة، لكـــن على الطرفين أن يكونا معاً وإن من زوايا مختلفة، لأنهما يتعاملان مع الشعب نفسه.

قـــامت حديثاً مناقشة في أوساط الكنيسة اليونانية حول تعديل رتبة هذه الكنيسة لتصبح بطريركية. كيف ترون مثل هذا التطور؟

أنـــا، عندما أسمع كلمة «بطريركية» يطيب لي أن أرى في كنيستنا عشرين بطريركية، إذا دعت الحاجة. أما وجود حاجة إلى ذلك أو عدم وجودها، فإنه شأن مباشر من اختصاص الكنيسة اليونانية والبطريركية المسكونية أن تقرراه.

ربـــط رئيس الأساقفة كريستودولوس بين الأرثوذكسية والهلينية. هل تعتقدون أن اتخاذ مـــثل هذا الموقف من جانب من يسمى «رأس» الكنيسة اليونانية يشكل بعض الأخطار على البعد المسكوني للكنيسة الأرثوذكسية الرسولية؟

ليـــس رئيس الأساقفة كريستودولوس، كما أعتقد، الوحيد بين اليونانيين الذيـــن يجمعـــون بين الأرثوذكسية والهلينية. إذا كان هنالك من خطأ فعلي، يجب

التعميم. ليس بمقدورنا ـــ في رأيي ـــ أن نجهل أنفسنا، فاليوناني يوناني والعربي عربي والـــروماني رومـــاني. ذلك أمر من أبسط الأمور، وتبقى مسألة أن يقوم من يفرض نفسه عربياً أو ما أشبه على الأرثوذكسية بكاملها. ذلك أمر غير منطقي كي لا أقول إنـــه مستحيل. لقد انعقد مؤخراً مجمع في القسطنطينية كان من بين مقرراته أن كل نـــزعة عرقية ليست أرثوذكسية. لنقل للجميع بأن لا نية لنا في ذلك، بل نعتقد بأن التبشـــير يجـــب أن يـــتم أياً كانت اللغة وأيا كانت الثقافة، وبأن تحويل الناس إلى مواطنين شأن الحكومة لا شأننا.

كيف تصفون علاقات بطريركية إنطاكية مع الكنيسة الروسية؟

إنها جيدة كما مع الأخريات. عندنا تقليدياً معتمد بطريركي لموسكو، وفي موسكو معتمد بطريركي لنا. ليس بيننا من مشكلة على الإطلاق لأن علاقتنا كانت ولا تزال مع الكنيسة : حتى في ظل الشيوعية كانت علاقاتنا حميمة، إنما مع الشعب الروســـي لا مـــع حكومته، وكنا واضحين في موقفنا وهو أننا لن نصبح شيوعيين إطلاقاً، بل سنكون على الدوام أرثوذكسيين مع الأرثوذكسيين. فليكن ذلك معلوماً.

هـــل تعـــتقدون أن عـــلى الكنيسة الروسية أن تلعب الدور الأساسي كما تَدَّعي بعض أوســـاطها، أم يجـــب أن تـــلعب القســـطنطينية بحق هذا الدور، وفقاً للتقليد والتاريخ والقواعد؟

ليس لدينا، في رأيي، وقت للتفكير بمثل هذه الأمور، ولا يوجد ما يمنعنا من أن نعتبر أن البطريرك المسكوني هو البطريرك المسكوني وهو الأول بالتأكيد. أنا أعتقد أن روســـيا بمســـيس الحاجة الآن لأن تفكر في أوضاعها الخاصة التي حصلت نتيجة الـــتغيير الذي طرأ، هذا التغيير الذي قلما يحصل في التاريخ. على كنيسة روسيا أن تجند جميع إمكاناتها للعمل، وهي تعرف ذلك وتعمل عليه. من هنا أرى أننا لا نملك الوقت لمعالجة موضوعات من هذا النوع لأن ذلك لا يفيد حالياً في شيء.

مـــا هـــو موقـــف بطريركية إنطاكية من تحركات البابا في العالم؟ هل أنتم موافقون على وجوده في القدس بمناسبة الأعياد الأرثوذكسية؟

ليـــس البابا بحاجة لأن يطلب موافقة أحد ليتصرف كمسؤول عن الكنيسة الكاثوليكية، وليس لأحد أن يدعي بأن موقفه من البابا هو موقف الأستاذ من تلميذه يمـــلي عـــليه ما يجب أن يفعل. ليس واقعياً، في رأيي، أن نتجاهل أمراً كهذا. نحن مدعوون إلى أن نقيم معه حواراً مستمراً، لا بقصد التفاهم فحسب، بل بقصد إقامة الوحدة. تجاهل البابا لا يعني إلا الجهل.

هل هنالك من احتمالات لتوحيد الكنيستين؟

نحـــن نعمل على توحيد الكنيسة مع جميع الأطراف، ونسير في هذا الاتجاه دائمـــاً، لكني أعتقد بأن ذلك لا يتم بمجرد رسالة بل نحتاج أن نكون معاً لتحقيقه. يجـــب ألا يغيب عن بالنا أن المسيحيين يتحولون إلى أقلية في هذا العالم. ذلك أمر في غاية الخطورة.

مـــنذ بضـــع سنوات، وقعت رئاسة الأسقفية الأرثوذكسية اليونانية في أميركا في أزمة، وخاصـــة بعـــد اســـتقالة المونســـنيور ياكوفوس، وحالياً تزايد عدد الأصوات المنادية بالاستقلالية. هل تعتقدون أن عملاً كهذا يعتبر عملاً ناضجاً؟، هل تتوفر شروطه اليوم؟ هـــل ســـتقيم بطريركية إنطاكية صلات مع هذه الكنيسة أم أنها ستتقيد بموقف كنيسة القسطنطينية الأم؟

جميع الكنائس هنا هي ـــ في نظري ـــ من أمهات الكنائس بالنسبة للوجود الأرثوذكسي في أميركا، فكنيسة اليونان هي أم للكنيسة اليونانية في أميركا، وكذلك كنيســـة القسطنطينية. أنا أعتقد أن بإمكان أمهات الكنائس ومؤمنيها أن يفكروا في هذه النقطة.

ما هي الانطباعات الشخصية التي عدتم بها من زيارتكم الحديثة للولايات المتحدة؟

زرت أميركـــا للمرة الثانية واتصلت فيها مع الجميع. قلت لأبنائنا هناك إنه ليـــس بمقدورنـــا أن نقوم بعمل جيد في الكنيسة إلا من الداخل، وأوصيتهـــم بألا يفكـــروا مطـــلقاً بأن يمسوا وحدة الكنيسة. قلت لهم إنه لا يوجد ما يمنعهم من أن يكونـــوا على اتصال مع الأرثوذكسيين الآخرين هناك، ومن أن يجتمعوا معهـــم ولو إلى مـــائدة طعـــام يتحدثون حولها عن كنيستهم وكنائسهم وحياتهم الرعوية وجميع شـــؤونهم. أما إذا شاؤوا أن تكون لهم استقلاليتهم، فإنهم أحرار قرارهم في أيديهم، وهـــذا القرار أهم من التدابير الإدارية الشكلية. نحن الأنطاكيين نتمسك بمبدأ احترام أصول الناس وحريتهم في اختيار الراعي الذي يرغبون به، وليست لنا أية مصلحـــة في أن نفـــرض أحداً على أحد. هل أنا هنا وهل أنا أتكلم العربية لأن من أخاطبهم فرنسيون أو يونانيون؟

إنطاكية ـــ عروس الشرق ـــ مقر كرسيكم موجودة عملياً في تركيا الآن. هل فيها حتى اليوم مؤمنون وهل تتصلون بهم؟ ماذا حل بالمؤسسات الكنسية في مدينة إنطاكية العتيدة؟

الآن أراني مضـــطراً لأن ألومك وألوم معك جميع من يطرحون هذا السؤال وكأنهم لا يعرفون شيئاً عن مدينة إنطاكية التي لها معناها المميز في الأرثوذكسية. أثينا لا تقوم مقام إنطاكية، واسطنبول لا تقوم مقام إنطاكية.

لك ولجميع من يخطر في بالهم أن يطرحوا مثل هذا السؤال أقول : نعم!

لا زال لدينا مؤمنون في إنطاكية هم من أبناء هذه البلاد، ولا يغيب عن بال أحد أن إنطاكية كانت من سوريا حتى عام ١٩٣٦، ثم حصل موقف سياسي ترتب عـــليه تغيير هذا الوضع. نحن على صلة بكنائسنا هناك، مهتمون، بالاتفاق مع قداسة البطريرك المسكوني، على أن نترجم لهم الكتب، وعلى أن يقوم الاكليروس ـــ وهو

تركي هناك ـــ بخدمة المؤمنين، وقد كلف أحد الأساقفة رسمياً بأن يزور هذه المنطقة مـــن حين لآخر ليضع المؤمنين على صلة تامة مع الأرثوذكسية ومعنا. نحن، بمساعدة القســـطنطينية، نـــترجم الكتب المقدسة الآن لأبنائنا في إنطاكية، ومن إنطاكية أعلنا انطـــلاق الاحتفالات بالألف الثالثة بحضور البطريرك المسكوني والبطريرك السرياني والـــبطريرك الأرمـــني وحضـــور كاردينال يمثل الكنيسة الكاثوليكية. وفي إنطاكية اشتركنا جميعاً بإقامة القداس، وأعلنا أن المسيحية تبدأ احتفالاتها بالألف الثالثة. ومن إنطاكية لا من بيت لحم التي لا نذهب إليها لأسباب سياسية، دعونا جميع أبرشياتنا في القـــارات الخمس لأن ترسل وفودها، تباعاً وعلى مدى سنة كاملة، إلى إنطاكية، وقد بدأت هذه الحركة ـــ على ما أعتقد ـــ

كان في إنطاكية معهد لاهوتي، شهير يناهض معهد الاسكندرية، ماذا لديكم أن تقولوا في هذا الموضوع؟

لم يَعُد في لواء الاسكندرون من معهد لاهوتي، لكن تعليم الكنيسة موجود مـــن الأصل في تقليد الكنيسة. هنالك طريقة رمزية في تفسير الكتاب المقدس، لكن هـــنالك كذلك المفهوم الإنطاكي الذي يقضي بأخذ النص كما هو وبجدية وبطريقة مباشرة. تلك طريقة تكشف النوايا، ونحن، من أجل متابعة هذا التقليد، جددنا معهد البلمـــند العتيد الذي أصبح «معهد القديس يوحنا الدمشقي» من المستوى الجامعي. صار جميع أساقفتنا جامعيين و لم يعد بمقدور أحد أن يكون أسقفاً ما لم يكن جامعياً، كما أصبح رجال الاكليروس الذين يتخرجون من البلمند جامعيين على العموم. هذا أمر بغاية الأهمية.

هـــل لديكم ما تضيفونه؟ وما هي رسالتكم إلى القراء، وخصوصاً حول العام ٢٠٠٠، آخر محطة للمسيحية؟

كل ما أرغبه هو أن ترسم الأرثوذكسية مخططاً للقاءاتها، وأن نتحرك جميعاً

في سبيل اللقاء. واللقاء أمر ممكن لا يمكن أن يتم فعل شيء بدونه، خصوصاً في هذه الأوقات التي يتعرض فيها العالم الأرثوذكسي للاعتداءات من كل جانب وهو مقسم وممزق ومن حوله مراكز تهاجم الأماكن التي يعيش فيها. علينا أن نعي ذلك وأن نرد عليه بتأكيد أننا جماعة روحية موجودة هنا على الدوام.

لا يجوز أن نجهل الديانات الأخرى*

ما رأيكم بزيارة البابا يوحنا بولس الثاني للأراضي المقدسة؟

رأى صـــاحب الغبطة أن هذه الزيارة كانت مفيدة نظراً للقاءات الهامة التي أجراها البابا مع العديد من الشخصيات السياسية والدينية، ونظراً لكونها تمثّل ارتفاع صوت مسيحي في هذه المنطقة التي لم يكن الصوت المسيحي مسموعاً فيها، وأعرب عـــن أمله بأن يصبح الصوت الأرثوذكسي قوياً فيها. أما فيما يخص الاعتذارات التي قدمهـــا البابا، فقد كان من الواجب ـــ في نظر صاحب الغبطة ـــ أن تقدمها الدول لأن المسيحيين لم يكونوا وحدهم المسؤولين عن الإساءة التي لحقت باليهود.

ما هي المشاكل التي يعاني منها المسيحيون في المنطقة؟

صـــحيح أن المسيحيين يشكلون أقلية روحية في هذه المنطقة، إلا أن ذكرى الحـــروب الماضـــية ليست ماثلة في نفوسهم بذات الشدة التي نراها في مناطق أخرى كالسودان مثلاً حيث يرتبط مفهوم الدولة بالدين وحيث تفكر الأقليات بإقامة دول خاصة بها.

نحن في سوريا نتمتع بحق الكلام بصوت مرتفع، والمشكلة التي تواجهنا هنا هـــي بكـــل بساطة أن علينا أن يتعرف بعضنا على البعض، وعلينا بالتالي أن ننشر ثقافاتنا الدينية وأن نُعَلِّمَها لأنها مرتبطة بالتراث الروحي لبلادنا.

من هذه الثغرة قد ينشأ بعض اللبس وقد لا تكون الرؤية واضحة تماماً. ليس من المستحيل أن نفكر إيجابياً بهذا الاتجاه. أنا أعارض أن يكون عندنا جهل بالديانات

---

* صحيفة الفيغارو الفرنسية، كلود لوريو، ٣/٤/٢٠٠٠

وأرى أن على جميع المواطنين أن يتعرفوا على الأديان السائدة في بلادهم. نحن نشعر بالحاجة لأن نُفهم على أساس أننا مخلوقات الله مثلنا مثل الآخرين.

وسئل عن الوضع في لبنان بعد انتهاء الحرب الأهلية وحول مجالات الحوار بين أبنائه؟

يعتقد صاحب الغبطة أن اللبنانيين يعالجون مشاكل الغير أكثر مما يلتفتون إلى مشاكلهم الخاصة. لذلك قال: «لا أحب أن أعمّم، ولكن المسيحية ليست شيئاً مستورداً وهي ليست شيئاً يتعارض مع الوطنية أو القومية. إننا ننتمي لتراث روحي معروف في هذه المنطقة».

وعن مشاكل الشباب في المنطقة؟

عَبَّر صاحب الغبطة عن قلقه بشأن مشاكل الشباب الخاصة بتأمين مستقبلهم لأنهم يتطلعون إلى الأفضل، فتتجه أنظارهم إلى خارج بلادهم. هذه المشكلة تطرح نفسها على الشباب المسلم والمسيحي على حد سواء. حبذا لو يتم تحرير أنظمة التعليم في منطقتنا من بعض القيود، فيتوفر للشباب أفق أوسع ورؤية أوضح.

أبدى السيد كلود إعجابه بشكل خاص بأعمال البناء والتطوير التي تقوم بها طائفة السريان الأرثوذكس فيما يتعلق بإشادة دير مار أفرام السرياني بالمعرة وتجهيزه بالتسهيلات اللازمة وتساءل عن رأي صاحب الغبطة بهذا الخصوص.

عَبَّر صاحب الغبطة عن سروره بذلك بصورةٍ تتعاظم كلما ظهرت بوادر التطور لدى إخوتنا، كما أعرب عن الأمل في أن نواصل العمل على تطوير أنفسنا كأرثوذكس.

حول مسألة مسيرة عملية السلام وما تقتضيه من تحديات، ودور الشباب في هذه العملية؟

أجاب صاحب الغبطة أن ما يتطلع إليه الشباب هو ألا نخوض غمار هذه العملية كطرف ضعيف، وأن نعمل على صون كرامتنا الإنسانية.

الفكر لا يواجه إلا بالفكر*

صاحب الغبطة، ما هي الموضوعات التي تم بحثها في المجمع الانطاكي المقدس؟

إن قيمة المجمع هي أنه ليس له أية علاقة بظرف خارجي، لأننا في كل سنة نجتمع في مثل هذا الوقت، في النصف الأول من تشرين الأول، وهذه هي الدورة السنوية العامة التي يجتمع فيها كل المطارنة في القارات الخمس، وفيها تُبحث القضايا التي تخص الحياة الرعائية في الكرسي الأنطاكي المقدس. نحن نمر في ظروف استثنائية وليست كل مهتم بأي نشاط ــ إن كان في لبنان أو كان في خارج لبنان في قضية فلسطين مثلاً ــ. ليت الجميع يضعون الله في قلوبهم، لأنني أعتقد أن ذلك يغيّر ما في الأحداث من ألم وظلم ومن أشياء نربأ بأن تحدث في الشرق الأوسط.

وتساءل البطريرك هزيم: لماذا تُرفض الكلمة إذا جاءت من فلان أو فلان، ويُقال إنها تحريض؟ ما هو الموضوع؟ هل الموضوع أن فلاناً تَكلم؟. هنالك حقيقةٌ تكلّم عنها. إذا كان هناك واقع وتَكلم عنه طفل ابن خمس سنوات فموضوعي هو الحقيقة، وهي التي يجب أن تعالج لا أن نَكُمَّ الأفواه ونقول إن الدنيا بألف خير. نحن لا نفكر هكذا لأن هذا غير صحيح على الإطلاق. أنا أتمنى أن نذهب إلى الموضوعات الهامة. إن الموضوع الذي يُطرح في لبنان يهم كل اللبنانيين كائنين مَن كانوا، وكائنة من كانت طائفتهم، أو كان تيارهم السياسي، أو كانت تطلعاتهم إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب. الموضوع لا يتغير إلا إذا ووجه. فلنواجه قضايانا الداخلية. وليس أحدٌ مُخَوّلاً أن يقول غير الحقيقة، ولكني لا أعرف مواطناً في لبنان ممنوعاً عليه أن يقول ما يشعر به في بلده. أنا لا أتصور أن نصل إلى وقت يكون فيه

* مؤتمر صحفي ــ البلمند، ٣/١٠/٢٠٠٠

اللبناني كائناً من كان ممنوعاً عن أن يتكلم في بيته وفي بلاده. أين تريده أن يقول ما لديه؟ إذا لم يكن الوطن هو المكان الذي أُعبِّر فيه عن ذاتي، أين تريدني أن أُعبّر؟

نحن متعودون أن نسمع الناس، ونحن نركز على الموضوع لا على الأشخاص. الأشخاص الله وحده يخلقهم وليس لنا أن نخلقهم نحن. أما الموضوعات فعلينا وحدنا أن نعالجها لأنها في مصلحة الذي يتكلم أو الذي لا يتكلم عن أي إنسان موجود في البلد. يجب أن نتحول عن أن نتوجه إلى الأشخاص، لأن العلاقات بين الأشخاص لا تنتهي، أما الموضوعات فيجب أن تُبحَث وهذا هو المخرج منها.

صاحب الغبطة، يجري الحديث عن الوجود السوري وعملية الانسحاب، ويُقال بأن هذا الموضوع محصور بالدولة، فما رأيكم؟

إن الدولة يجب أن تبحث في كل الأمور، وهذا هو عملها ومسؤوليتها، وعليها أن تبحث وتعالج كل الأمور. الفكر لا يُواجه إلا بالفكر، ويجب أن يكون هناك تبادل. الدولة تبحث في علاقة الولد ووالده، وتبحث في علاقة المرأة والرجل فالبحث ليس له حدود، وأنا عندما أتحدّث مع فلان الذي رأيه غير رأيي ليس معنى ذلك أني أُقاتله.

وما تعليقكم على العريضة التي يوقّعها بعض النواب حول إلغاء الطائفية السياسية؟

أنا أعتقد أنه بمجرد أن يوجد في لبنان أناسٌ يرفضون أمراً، يجب على الفريق الثاني أن يرفضه أيضاً. وأعتقد أن لبنان واحد وهو للكل، ونحن نريد أن يكون لبنان لكل اللبنانيين بدون استثناءات ولا نسأل أكثر من ذلك.

ما رأيكم بطروحات الدعوة إلى الحوار، وعما إذا كان هذا الحوار يجب أن يبدأ من القيادات الروحية؟

لا أدري إذا كـــان يجب أن يبدأ بالقيادات الروحية، لأنني لا أود أن أُعطي صـــورة أن القيادات الروحية تحل محل أحد إطلاقاً، ولكني أعتقد أنه يجب أن يكون هناك حوار ويجب أن يكون له "جهاز معين". وهذا ما أفتقده شخصياً.

في هـــذا البلد يتحدثون بالاقتصاد وغيره، وهذا أمر مشروع، ولكن هناك نقـــاط اخـــتلاف يجب أن تُبحث وإلا ما فائدة أي اجتماع. إذا كان المجتمعـــون مـــتفقين ينتهي الاجتماع بثلاث كلمات فقط. ولكن عندما يكون هناك اختـــلاف يـــتم تـــأليف هيئة أو ما شابه من أجل أن تجتمع وتبحث، وأنا لا أعـــرف كثـــيراً بالسياسة. ولكن يمكن أن يكون مجلس النواب هو المكان الملائم خصوصاً وأنه حائز على ما يكفي من ثقة الناس ولديه المستوى الكافي حتى يبحث ليس بالأمور الإدارية الـــتي يجب أن يبحث فيها لأن كل ما هو للمواطنين يستحق الاهتمام، ولأن الدولة هي من أجل المواطنين.

بعـــد الضـــجة الـــتي أحدثهـــا بيان المطارنة الموارنة لجهة ما تضمنه أو توقيته، كيـــف تنظـــرون إليه؟.

إن مـــا يهمـــني هو المضامين ولا تهمني الانفعالات وما شابه، لأنها ليست بمســـتوى الدولة وليست بمستوى شعب فيه أشخاص متعلمون ولديه جامعات وما ســـوى ذلك، وأكاد أن أقول إن هذه الأمور مستوردة. فإذا كنت سائراً في الطريق ووجـــدت شخصاً أياً كان يقول «آخ»، تسأله عن السبب أياً يكن بدون النظر إلى من هو. ولذلك علي أن أسمع هموم هذا الشخص.

ما هو تعليقكم على ما يجري في مدينة القدس؟

نحـــن مع فلسطين بدون أي نوع من التحفظ، وأنا أعتقد أن هناك وجوداً اصـــطناعياً في فلســـطين، ودليل اصطناعيته من الأول حتى النهاية هو ما يسببه حتى

للـــناس الذيـــن يركضـــون وراء الأميركان وغير الأميركان. منذ أيام التقيت أحد الأميركيـــين الرسميين وقلت له: إننا نتطلع إلى الوقت الذي تسألون فيه أنفسكم إذا كنـــتم قـــد عملتم جيداً مع الأشخاص الذين قلتم إنكم تريدون أن تخدموهم، وإذا كنتم فعلاً قد قَدَّمتم لهم خدمة أم ورطتموهم بألف مسألة ومسألة لم تنفع أحداً.

وأضـــاف: نحـــن باتصـــال مع فلسطين وقناعتنا ذات صفة دينيـــة أي أن كنيســـتنا الأرثوذكســـية في فلســـطين هي التي تجتمع والكنائس الأخرى هنـــاك، ويقومـــون بالتصـــريح عـــن آرائهـــم ويقولون إنهم يرغبون بأن تكون هناك عدالة وإنصـــاف، ونحن نشجع، ونحن معهم مئة بالمئة، ونفتخر بأننا مُمَثَّلون جيداً في تلك المـــنطقة، خصوصـــاً وأن هناك أعرق كنيسة في العالم وهي كنيسة أورشليـــم التي نسميها «أم الكنائس». ولذلك فإننا نشجع كل المسيحيين هناك من أجل أن يرفعوا صـــوتهم قدر ما يستطيعون، لأن القدس ليست لمن أتى بعدنا أو لمن كانوا قبلنا. أنا أقـــول دائماً إن السيد المسيح هو الذي وُلد في القدس وعاش هناك، وسواه لم يُولد هناك ولم يعش هناك.

ســـيدنا! ما هو موقفكم من زيارة قداسة البابا يوحنا بولس الثاني التي يزمع القيام بها إلى سوريا في الربيع المقبل؟

إن مجـــيء قداسة البابا كان فكرةً، وهي قديمة. أقول فكرة وليس مشروعاً، والفكرة كانت أن يزور قداسته الأماكن التي زارها الرب يسوع أو الرسل، وسوريا مـــن الأمـــاكن الـــتي اهتدى بها بولس الرسول إلى المسيحية، وبالتحديد أمام مقر بطريـــركية الأرثوذكـــس لا البطريركيات التي أتت لاحقاً. وقد سألت إذا كانت الفكـــرة قد تحولت إلى مشروع، لأنكم تعرفون أن قداسة البابا ليس شخصاً عادياً. ويظهـــر أن هناك اعتبارات كثيرة يجب أن تحصل واتصالات مع أشخاص وجهات عـــدة. وعـــندما سئلنا عن تقييمنا للزيارة إذا حصلت، قلنا إننا نشكر الله عليها مع

الـــتذكير بأنـــه عندما زار قداسته لبنان كنا جميعاً حاضرين، ونحن نسعد أن يحصل حضـــور مـــن هذا النوع لأن ذلك أمر مهم. كل ما أستطيع قوله هو أن الفكرة لم تتحول إلى مشروع وليس هناك من تاريخ وكل ما قلناه للسائل: إن الزيارة يجب ألا تكون في فصل الشتاء بل في الربيع، ونتمنى ألا تحصل أثناء الصوم الكبير لا أكثر من ذلك، وليس هناك من معلوماتٍ أدق، ونحن نرحب به.

لا شيء يعادل كرامة الإنسان

الإنسان أكثر من مجموعة اعتقاداته*

هل هنالك من صيغة اقتراحات عملية معينة بالنسبة إلى وضع القدس؟

كما تعلم، إن البيانات التي تصدر عن المسيحيين في القدس وفلسطين نحن في أصلها، وهنالك اتفاق بين الكنائس كلها حول هذا الموضوع على اعتبار أن الوضع المسيحي في تلك المنطقة يهم كل المسيحيين. ونحن موجودون ومشاركون في كل البيانات التي ظهرت وموقفنا هو الذي ظهر فيها. البيانات كلها تعطي الطابع الذي نريده من أجل القدس وهو الطابع العربي. ونحن متفقون تماماً مع كل الهيئات التي تتحدث. أعني أن المسلمين والمسيحيين متفقون، وهذا ما ظهر في البيانات.

سيدنا أنتم تمثلون المجموعة الأكبر من الأرثوذكس في الشرق، هل هنالك كلام معين مع الفاتيكان الذي عنده رأي في هذه المسألة أم أن كل ذلك يتم من خلال الاجتماعات التي تتم في القدس؟

بالنسبة لنا لا يحصل طرح لهذه القضايا إلا من خلال الاجتماع مع البطاركة الكاثوليك الذين نجتمع بهم. وإني أعتقد بأنه يُشتَمُّ من الاجتماع الذي نعقده أننا مع القضية الفلسطينية ومع الحق الفلسطيني ومع عودة الفلسطينيين إلى بلدهم ومع العدل. وأما عن اتصالاتنا بالأجهزة السياسية في الفاتيكان فهذا لا يوجد. لذلك فالدوافع التي عندنا هي دوافع شخصية ودوافع محلية لا أكثر.

أنا شاركت شخصياً في اجتماع جرى في هولندا عن هجرة المسيحيين من الشرق، ومن

---

* صحيفة «النهار» اللبنانية، باريس، بيار عطاالله، ٢٠٠٠/١١/٦

ســـياق المؤتمـــر وجدول الأعمال الذي ورد تبين أن السريان الأرثوذكس واجهوا حالة صـــعبة في الجزيـــرة وكذلك الكلدان في العراق. وتوجد مقاربة من هذا النوع بخصوص المسيحيين في فلسطين، واستطراداً وضع المسيحيين في سوريا وفي لبنان. وسيادتكم لكم موقف صارم في هذا الموضوع والهجرة مستمرة فما هو جديدك في هذا الموضوع؟

أنـــا أعـــتقد أن حـــدث الهجرة من المنطقة ليس له علاقة فقط بالدين لأن المهاجـــرين ليســـوا فقـــط مـــن المسيحيين. ولكننا نعتبر أن هنالك مشكلة بالنسبة للمســـيحيين لأنهم أقلية، ولذلك فالواحد من الأقلية هو خسارة أكبر من الواحد من الأكثرية. لكن ليس صحيحاً أن المهاجرين من كل دين لا يملأون أمريكا وغيرها.

أعـــتقد أن قضية الهجرة هي قضية أوسع بكثير من مجرد وجود أحداث أو غيره، وكأنه يوجد شيء في الجو كعدم الاطمئنان إلى قدرة الإنسان على الوصول إلى ســـبل العيش الكريم. وهذا له علاقة بالحكومات الموجودة في هذه المنطقة، له علاقة بالسياسات التي تحصل في هذه المنطقة وبمناخات هذه المنطقة. وأنا أعتقد أنه في هذا الحقـــل لا يُعمل بما فيه الكفاية حتى يتوقف المسلم عن الهجرة ويتوقف المسيحي عن الهجـــرة. لأن نغمة الهجرة تسمعها من كل خريجي الجامعات والذين يتعلمون حتى يكونوا عمالاً فاعلين في هذا البلد. لا شك أنه توجد عندنا، في هذه المنطقة، مشكلة بطالة عميقة، وفي الوقت نفسه يجب ألا ننظر إلى الهجرة وكأنها فقط لحاجات مادية واقتصادية. يبدو أن الذي لا يملك الوسائل للعيش الكريم يحس بأن كرامته ممسوسة، ولذلـــك يقول إذا كنت أنا أقبل مثل هذه الظروف فأولادي ليسوا مضطرين لذلك، وقد يكون الحق معه. لذلك فهذا الموضوع يحتاج إلى جهد أكثر مما يُبذل الآن بكثير. يجـــب أن نـــرفع مستوى المعيشة، مستوى الثقافة، وحتى المستوى البشري يجب أن يـــرتفع حتى يشعر الإنسان أنه يحافظ على كرامته وعلى مستقبل أولاده. ليتنا نسمع الكثير من الحكومات حول هذا الموضوع.

سيدنا، الكنيسة الأرثوذكسية في لبنان ــ مثلاً في جبل لبنان ــ عندها نشاط اجتماعي ثقافي وحتى تجمعات سكنية أي أنها تطال دَوْرَ الحكومات تقريباً. أي أن السادة المطارنة يقومون بأعباء هي من عمل الحكومات. في رأيك، هذا إلى أي حد يساعد في ضبط الهجرة، وهل هذا يشكل سياسة عامة في الكنيسة، أم أنه يقتصر على حالات خاصة؟

أعتقد أن لهذا العمل وجهين: الوجه الأول الذي يوحي بأن بعض الكنائس كما في أوروبا أو أمريكا حيث دَخْلُ الدولة يكون من الشعب، هؤلاء ما داموا هم المموِّلين فيحق لهم أن يحصلوا على الخدمات؛ أما عندنا في الكنيسة، فالتمويل ليس من الشعب ولكن من الأوقاف. ومن أخطر ما يكون أن نحاول بيع الأوقاف من أجل مشاريع آنية. لأن الحاجات السكنية وغيرها هي ليست حاجات للآن فقط، وهي ستبقى حاجات عند الأجيال الصاعدة، وستبقى الكنيسة تُسأل ما الذي يجب أن تفعله. لذلك فنحن نميل إلى أن تُستثمر الأوقاف وليس أن تُباع. الكنيسة ليست جمعية خيرية لفترة معينة، ولكنها موجودة في كل الأوقات والحاجات هي هي، وستطالب الكنيسة دائماً بسد الحاجات. لذلك فخطتنا في الكنيسة للمساعدات هي أن نساعد على قدر إمكاناتنا. نحن لسنا رأسماليين، ولا نملك نصف البلد. يجب أن نحافظ على ما عندنا وأن نستثمره إلى أقصى الحدود (على قد بساطك مد رجليك)، ونحن لا يمكننا أن نفرط الآن بكل ما عندنا. وإذا سألنا الجيل الطالع أن نساعده فكيف سيكون كذلك؟ لذلك يكون هنالك قصر نظر في بيع الأوقاف وسد حاجات الناس الآنية والادعاء أنه يمكننا أن نحل محل الدولة.

سيدنا، الوضع المسيحي في لبنان كان لك تصريح حوله بعد المجمع الأنطاكي المقدس وكان الموقف جامداً، وقلت إن البطريرك صفير محق فيما قاله وشكى منه، وهو يُعبِّر عن معاناة الشعب. سيدنا، ذُكر أنه بعد عودتك إلى سوريا حصل لقاء كبير بينك وبين مسؤول وهذا ما ذكرته مصادر صحفية ــ وهذه تحتمل التأويل ــ ذكرت المصادر أنك اجتمعت بالقيادة السورية وناقشت هذا الأمر معها. فهل هذا الأمر صحيح؟

ألفـــت النظر أنني ذكرت البطريرك صفير، فقلت عندما يوجد إنسان بهذا الوزن ويتحدث فيجب أن يوجد آخرون للبحث. ما أفتش عنه هو أن إنساناً في بلده يحق له أن يطرح القضايا، صحيحة كانت أم خاطئة هذا موضوع آخر، ولكن يوجد قـــبل ذلـــك أنك تحتاج إلى أحد يبحث في الموضوع. إنسان من بيتك، من عائلتك وبـــلدك يشـــكو من أمر ما، ألا يوجد أحد يتجاوب معه ولو في البحث. نحن نريد مجموعة سعداء وليس مجموعة أناس يواجهون المشاكل فلا يسأل عنهم أحد. نريد أن يكون هنالك شعور وطني بالحقيقة.

يقولـــون لمـــاذا يتدخل رجال الدين؟ والجواب لماذا يجب ألا يتدخلوا، ألا يجوعـــون؟ ألا يصادفون المتعبين، ويسمعون الناس يشكون؟ هل يجب أن يضحكوا فـــيما الناس يتعذبون؟ ولماذا هذا الأمر ممنوع عليهم؟ أبمجرد أن يصبح الإنسان رجل دين يغدو كافراً وخالٍ من الوطنية. نحن لا نقبل هذا على أنفسنا. عندما أروا العملة ليسوع قال لهم أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولم يقل أعطوا كل شيء لقيصر أوكـــل شيء لله وحده. إذ عندما قال أعطوا فقد عنى أن نعطي الاثنين. وهل هناك تقطيع للإنسان وتجزيئه. الإنسان روحي وجسدي، وطني وديني. ما أود قوله إنني لا أناقش رأي البطريرك ولكن أقول إن من حق البطريرك أن يتكلم ومن حقه أن يقول هنالك مشكلة إن كان يرى أن هنالك مشكلة. ومن الغريب جداً أنه عندما يتحدث إنسان هكذا لا يوجد جهاز في الدولة يبحث مثل هذا الموضوع ويعلن هل هو جدي أم لا. وإذا كان البطريرك هو أياً كان فلماذا كل هذا الاهتمام.

سيدنا! هل ناقشت أصحاب الشأن في سوريا في هذه المسألة؟

لا. لم يحصل اجتماع أو لقاء رسمي. سئلت من قبل بعض الأشخاص فقلت بـــأنني أتمـــنى أن تكون القضية السورية في لبنان في أيد أمينة وأن لا نصل أن نجعل الإنســـان يكره القضية نتيجة لحمل إنسان معين لهذه القضية. لأنه في بعض المرات

بـــدل أن يحـــارِب الإنســـان موضوعاً معيناً يجد أنه يحارِب شخصاً معيناً ويسميه الموضوع. وأعتقد أن سوريا تحتاج إلى أن يكون الذين يتحدثون عنها من النوع الذي لا يسبب كره الناس للقضية.

هذا يعني أنك أوصلت إليه الكلام الذي يجب أن يقال.

نعم. فعلت ذلك.

سيدنا. يقال دائماً إن الكنيسة لا تتدخل في السياسية. وهذا قد أجبت عنه. برأيك اليوم ألا تعطى القضية السورية طابعاً طائفياً؟

في نظري أنه أولاً لا يمكنك أن تُقطِّع الإنسان أجزاء وتفصل الجزء الواحد عـــن الآخـــر. في الطب يكتشفون الآن أن العضو المريض هو جزء من الجسم كله وأنهما يؤثران ببعضهما، وكذلك يوجد أطباء نفسانيون. وهذا يدل على أن الإنسان لا يمكن تجزيئه وأن ما يمس الروح يمس الجسد. لذلك القول بأن الكنيسة يجب أن لا تـــتدخل في السياســـية هو كلام غامض. الكنيسة تتدخل بأخلاقية الطب فلماذا لا تـــتدخل بأخلاقية السياسة. ليس المقصود أن تُعيِّن المطران وزيراً وأن تجعل الكاهن محافظـــاً. ولكن المقصود قد يكون أن اختصاص رجال الدين هو في القضايا الدينية وليـــس في شيء آخر. ولكن هل ممنوع علي أن أفكر وأن أقول عن الموظف الفلاني الذي سرق إنه قام بعمل لا أخلاقي؟

توجـــد مقاييس، وأنا مواطن كغيري فلماذا لا أتكلم. وعندما يقال لنا إننا دولـــة علمانية أجيبهم ألا يجب أن يعمل إنسان في السياسة إلا إذا كان كافراً أو لا يتصف بالأخلاق الحسنة؟

وعن الوضع في العراق؟

أنـــا ليس عندي أي مبرر للوضع الموجود في العراق. أسمع أن هنالك أناساً يجوعون. وأتساءل أين تتعلم الأجيال الطالعة وهذا ما أسأله عن الفلسطينيين. كيف يعيشون؟ في موضوع العراق أنا لست مقتنعاً إطلاقاً بالمواقف التي تصدر وخاصة من الذيـــن يتحدثون عن أمة واحدة. أصبحت أخاف من التعميم لأن التعميم حتماً لا يَصْدُق على بقعة ما.

هـــل أتـــيحت لكم الفرصة للاطلاع على شؤون الرعايا في العراق لأن الناس يقولون للمراجع الدينية في الهمس غير ما يقولونه في العلن؟

نعـــم نحن عندنا رعايا وكهنة في بغداد. إنهم يشاهدون مرضى بدون دواء. وجياعـــاً بدون طعام. فهل المطلوب أن نقول سلمت أيديكم، وأن ينتظر الناس حتى تتكـــلم أميركـــا ويتكـــلم زيد وعمر. إذا كان هنالك حُكم ظالم فاظلُمِ الحُكم لا المحكومين. هذا غير مقبول. وأنا لا أقبل إطلاقاً أن يمس الإنسان كإنسان ولأي سبب كان.

ســـيدنا، الكنيســـة وحقوق الإنسان: حقوق الإنسان هو العنوان العريض لكل السياسة العالمية. كيف تنظر الكنيسة الأرثوذكسية إلى هذه المسألة خصوصاً وأن الأرثوذكس في لبـــنان بدءاً من الدكتور شارل مالك والأستاذ غسان تويني وكل الأرثوذكس المتنورين يقودون معركة حقوق الإنسان في الطليعة.

أنا لن أتحدث في حقوق الإنسان. أنا سأتكلم عن الإنسان. حقوق الإنسان كـــانت نتيجة تفكير وقد تكون تعبيراً عن شيء، ونحن لا توجد عندنا لجان كنسية عمـــلت على النص. ولكن ما يمكنني قوله إن الكائن البشري مخلوق على صورة الله ومثاله ومعنى ذلك أنه يوجد شيء وضعه الله فيه. وهذا لا علاقة له بمزاج ولا بحضارة

ولا بثقافة ولا بأخلاق ولا بأي شيء. ما أقوله دائماً إن الإنسان هو أكثر بكثير من كـــل معـــلوماته وأكثر بكثير من كل أخلاقه وأغلاطه والأشياء الحسنة التي يفعلها. ولذلـــك فالشـــيء الـــذي صنعه ربنا لا يمكن أن تتجاهله في أية حالة من حالات الإنســـان. ما يمس الإنسان يمس الشيء الذي أراده الله وبالتالي ما يمس الإنسان هو شيء ضد الإرادة الإلهية كائنة ما كانت وفي أي حقل.

هـــنالك مَن يقول فلان غلطان هذا صحيح ولكن لا يجوز أن تعتبر بأنه هو أصـــبح غلطاً. الغلطة مسلكية، الغلطة فكرية، الغلطة سياسية ولكنه هو لا تصح فيه المعادلة: سلوك فلان يساويه كله وهذا خطأ. الإنسان أكثر من أي شيء يفعله لأنه يختلف من ساعة إلى أخرى. ولذلك لا يمكنك أن تجعله وكأنه معادلة حسابية، هذا غير صحيح. وكذلك كل ما يأتي في هذا الاتجاه من حيث كرامة الإنسان وحقه في العيش. نحن نقول إن الإنسان خُلق لكي يعيش، أعطي الحياة حتى يحيا. لذلك فالموت في تفكيرنـــا هـــو شيء عارض ولذلك أتى ربنا ليصلحه وذلك بعملية القيامة. لقد رفض الموت. لا شيء يعادل كرامة الإنسان إطلاقاً.

لمـــاذا المســـاهمة الأرثوذكسية الشرقية في النضال من أجل حقوق الإنسان هي أكثر من غيرها من الطوائف وهي مساهمة مميزة؟ هل المسألة ارتباط بشيء معين؟

بالنســـبة لـــنا لا علاقة لها بالطائفية ولا بأي شيء آخر. فالذي هو أمامي أكـــان من ديني أم لا فنظرتي إليه هي نفسها. هذا على مستوى الخليقة وليس على مســـتوى المبادئ. المبادئ كلها مهما سمت فهي من صنع الإنسان في النهاية أما على مستوى الخليقة فالله في صميمها.

سيدنا، البارحة تحدثت في حفلة تنصيب سيدنا غفرائيل عن عالمية الأرثوذكسية وقلت إن الأبرشـــية هنا حلقة من سلسلة حلقات، وقلت إننا موجودون في كل العالم وهذا يطرح

عليك أسئلة مهمة عليك الإجابة عنها: مثلاً قصة العولمة، قصة الحريات؟

أعـــتقد أنـــه لا يوجد محل له علاقة بالإنسان ومحل يوجد فيه الإنسان ولا علاقة له به. أعتقد أنه في النهاية يوجد شيء مصطنع وتدبيري. مثلاً كل الحدود التي توضـــع لما يدعى بالأوطان أو بالدول. نحن نعرف أن ربنا أتى إلى هنا ليس من أجل أنـــاس دون الآخرين ولكن من أجل كل البشر حيثما وجدوا مهما كانت دياناتهم ومهما كان لونهم بدون استثناء. ويوم القيامة الكل مدعوون.

ســـيدنا مسألة الحوار بين الأديان التي هي مطروحة الآن ولكن هناك الثقة المتزعزعة، هل أنـــتم في هـــذا الحـــوار تعمـــلون عـــلى وضع أسس واضحة وصـــريحة للحـــوار مع الأطـــراف المتحاورة؟

أنـــا في أحد أحاديثي في أحد الاجتماعات في دمشق كنت مجتمعاً مع اخوة مســـلمين يضـــمون المشايخ والعلمانيين الذين بينهم سيدات، وكنت أقول يجب أن ننطلق من مكان ما. وأنا موجود هنا ومن المهم أن نتحاور على أساس وجودنا معاً.

في مسألة الحوار هنالك تطرف عند القلة ولكن هذا يعطل مسيرة الحوار بكاملها.

هـــذا لأنهم يساوون وجود الإنسان بدينه وهذا غير صحيح لأنه لا يساوي الإنســـان إلا الإنســـان نفسه. وأعتقد أن كل تفكيرنا يجب أن يتحول عن اعتبارك مجموعة أفكارك أو مزاجك. وهي كافية حتى تسبب عداوة شخصية لك. نحن نعتبر أنك تتجاوز كل صلاحك أو طلاحك الآن الذي قد يتبدل في أي وقت كان. أعتقد أنه يجب أن نتخطى مساواة الإنسان بدينه والسؤال هل كل مسيحي هو المسيحية أو كـــل مسلم هو الاسلام؟ هذا غير صحيح. نحن نعيش في جو الحضارة الفكرية التي انتشرت في أوروبا في القرن الرابع عشر ـــ عصر النهضة ـــ الذي فيه أصبح يُتحدث عن الإنسان كما قال ديكارت: «أنا أفكر فأنا موجود» ولكني أقلب الكلمة فأقول:

«أنا موجود فأنا أفكر». لأنه لا يمكنك أن تنتقل من حال الفكرة إلى حال الوجود.

سيدنا، هل أنت خائف على مسيحيي الشرق وبتعبير آخر هل خوف مسيحيي الشرق مبرَّر؟

أنا أعتقد أنه في مستوى من المستويات يجب أن نفكر فيه. فكما يخاف الشخص الذي يحس بدواعٍ للغربة تحصل في قريته، في بلده وبين أهله، كذلك يوجد مجال حتى يبحث في هذا الموضوع.

في الشرق يجب أن يقال ويعرف أن الشرق ليس هو الشرق إذا غابت الديانة المسيحية التي يوجد أناس يُحدِّثون بها ويقولون بها ــ إذ لا يوجد شخص اسمه المسيحية ــ ولكن أعتقد أنه ينقصها الكثير وتكون مسيحية مبتورة إذا فقدت مثل هذا العنصر. وهذا الشيء ينطبق تماماً على الديانات الباقية ومنها الإسلام طبعاً. أنا لا أتوقع أن لا يكون المسلم مسلماً وليس لي الحق أن أتوقع ذلك. ولكن ليس له الحق في أن يقول بأنه لا يوجد غيره. كما أن ليس لي الحق كمسيحي أن أقول بأنه لا يوجد غيري. فالإسلام هو من هذا التراث في مستوى معين ومنذ تاريخ معين. هذا مهم جداً جداً. وفي نظري أن الإنسان أهم من مجموعة اعتقادات.

سيدنا: مَن يتحمل مسؤولية طمأنة المسيحيين: الغرب، الفاتيكان أم مَن؟

أنا لا أعرف في الواقع مَن ولكنني أعلم أنه إذا كان الإنسان يحس بالبرد فيجب أن يفتش عن شيء ما. في الواقع يجب أن يعالج.

يبدو أنه حتى الآن وكما تحصل الأمور، نجد أن هنالك مقاربة نظرية للحوار. فاللجان التي تشكلت لا تزال في حوار الطرشان.

أعتقد أنه لا يوجد شيء اسمه الحوار وأن هنالك شيئاً يجب أن يسبقه. وهذا

سبق أن أبديته في أحد الاجتماعات الحوارية كرأي وهو أن يقوم الإنسان بتعهد يقول فيه على الإنسان أن يقبل الآخر كما هو لأن الله أراده كما أراد لي أن أكون. وأمام الله أنت ليس أفضل مني وليس أنا أفضل منك. عندما نقول: «أبانا الذي في السموات» ونقولها بالجمع نقصد بذلك أن الله ليس أباك لوحدك.

يحب البعض تشبيه الوضع في لبنان بالكوسوفو أو البوسنة فإلى أي مدى ينطبق الأمر؟

أتمنى أن لا نشبه الوضع اللبناني بأي وضع آخر. يجب أن ننظر إليه بالنسبة للواقع الذي فيه وأنا أعتقد أن كل لبنان لكل لبناني وننطلق من هذه الفكرة لنقول إنه لا يوجد شخص لبناني أكثر من غيره فالكل متساوون في لبنانيتهم.

ولكن هنالك شعور عند المسيحيين أنه يوجد لبنانيون أكثر لبنانية من غيرهم؟

في السياسة يصح مثل هذا الكلام ولذلك أعتقد أنه يجب أن نربي الناس سياسياً أقل. لأنه في السياسة يصح هذا الكلام وهناك غالب ومغلوب. أما إذا كنا ننطلق أخلاقياً إلى سياسة تحترم الإنسان وتحترمه كما هو. وهذا من عمل الدولة لأن الدولة وجدت في خدمة الشعب لا الشعب في خدمة الدولة.

خوف المسيحيين اللبنانيين هل يمكن تعميمه كظاهرة عند المسيحيين المشرقيين؟

أعتقد ليس فقط عند المسيحيين المشرقيين ولكنني أعتقد أن المسيحيين هم في حال مواجهة أينما كان، المسيحيون أقلية إن كان في فرنسا أو في أميركا وقد يصح هذا عند جميع أصحاب العقائد الإيمانية. نحن نعرف أننا أقلية وأنه لا يوجد عندنا دولة مسيحية ولا عالم مسيحي.

تراجع الانتشار المسيحي هل يعود إلى الكنيسة أم إلى عدم وجود لغة تستطيع بها أن تخاطب عقل أي إنسان؟

إذا كـــنا ســـندرس الفكر الإنساني والشعور الإنساني فذلك ليس صفحة واحـــدة ولكـــنه صـــفحات متعددة تنقلب كل يوم بشكل مغاير لليوم الثاني. نحن مسيحياً نعتقد أن مبرر وجودنا في الكنيسة أننا نرى أمام أعيننا ما نسميه الخطيئة أي الشر. الناس يتقاتلون ويتذابحون فهل هؤلاء ملائكة، وهنالك أناس يتسببون بالجوع للآخرين فماذا نقول لهم؟ نحن نرى هذا الشيء ولكن تجاه المصالح الخاصة فهناك مَن يتغاضون عن التضحية بفلان تجاه مصالحهم هم. هذا لا نحبذه نحن. لذلك فالقضايا الأخلاقية هي عامة لكل الناس وتصح بالنسبة لكل الناس. وهي لا تصح في وقت من الأوقات فقط ولكن على مر الأجيال. وقد تكون قصتنا في هذا الوجود هي التغيير. دائماً نتغير وكل شيء يتغير وهذا ما نحاول أن نُثبِتَه.

الآن أصـــبحوا يفكرون بالقوانين وأنه يجب أن تكون هنالك هيئة للتشريع. معـــنى ذلك أنك في كل وقت يجب أن تعيد القراءة. يجب ألا نتطلع إلى العالم وكأنه عالم جامد لذلك فالاحصاءات في هذا الموضوع ليست صحيحة.

لو لم تكن رجل دين مسيحي فماذا كنت أحببت أن تكون؟

لا يمكنني التفكير بكوني لست هكذا لأنني كنت دائماً هكذا. وعندما كنت أفكر بشيء كان يخطر لي التعليم وأنا علمت كثيراً.

شكراً سيدنا.

لبنان لكل اللبنانيين*

صاحب الغبطة، طائفة الروم الأرثوذكس تاريخياً وسياسياً كان ولا يزال لها موقع خاص في الشرق الأوسط. حدثونا لو سمحتم عن هذا الموقع في الأمس واليوم؟

الحديث عن الكنيسة الأرثوذكسية هو الحديث عن المسيحية في هذه المنطقة. الحديث عن المسيحية يعني في بدايتها. أما التطورات التعددية التي حصلت في الطوائف المسيحية كلها فهي ذات تاريخ متأخر بالنسبة للأصل. لذلك من ناحية نرى أن منا شيئاً في الطوائف الأخرى ونرى شيئاً من الطوائف الأخرى فينا على أساس أن الأسس التي كانت تقوم عليها أية طائفة جديدة هي أسس مسيحية. ومن المؤسف أنه كان يظن أنه لا تأتي مسيحية إلا من الخارج بالنسبة لأرضنا هذه، فيما نعتقد أن المسيحية انطلقت من هنا. فنحن نذكر أنطاكية ونذكر بولس الرسول ونذكر بطرس الرسول قبله، وكيف أن أول كنيسة أنشئت خارج أورشليم هي في أنطاكية أولاً. إذن نحن لا نجد أحداً غريباً عنا ونجد أنه يجب أن نكون دائماً في حالة حوار مع الآخرين. ونحن نؤكد أنه في إيماننا نحن لا يوجد مَن يجب أن لا نكون في حالة حوار معه. هذا غير موجود. الذين خلقهم الله هم مثلنا تماماً ولذلك نحن في حالة حوار دائم. والموقع الذي نحن فيه على شرقي شاطئ البحر المتوسط كان دائماً مكان لقاء، لذلك تواترت عليه شعوب كثيرة، حضارات كثيرة، لغات كثيرة. ويكفي أن ينظر الإنسان إلى الآثار في المنطقة المذكورة لكي يتأكد من هذا الواقع. وبالتالي فإنساننا في الشرق الأوسط إنسان جديد دائماً بالنسبة إلى نفسه، بالنسبة إلى ماضيه. جديد يرى شيئاً مختلفاً عما كان عليه. ومن هنا أقول حتى في الديانات يجب أن لا نشبه المسلم هنا بالمسلم في أماكن أخرى لأن وضعنا هنا هو وضع حوار يختلف

* راديو «مونتي كارلو»، فرنسا، برنامج «الوجه الآخر»، كابي لطيف، ٢٠٠٠/١١/١٢

عـــن الأمـــاكن الأخـــرى حيث يسود دين معين فلا يوجد الآخر للحوار. فيكون الإنسان وكأنه يتحدث مع نفسه. أما عندنا فالإنسان دائماً في مواجهة مع الآخر.

كذلك، في نظري، فالمسيحي هنا هو غير المسيحي في بلدان مثل اليونان أو في روســيا (ونحـــن الآن نتكلم أرثوذكسياً) أو في إيطاليا وفرنسا (كاثوليكياً) كان المحـــاورون هم الكاثوليك مع الكاثوليك والبروتستانت مع الكاثوليك (البروتستانت نـــوع مـــن الكاثوليك) بينما عندنا في هذه المنطقة إنساننا مُجَرب أكثر إن لم نقل منفتحاً، لا بل عنده حيوية تجاه الآخرين. من هنا أنطلق أن لبنان يمكنه أن يكمل هذا التراث. لماذا؟ فيما نفتش في بلدان متعددة عن أن يكون المسيحي في مواجهة المسلم فـــلا نجـــد هذا الشيء لأن المسيحيين أقلية ضئيلة، وأن نرى المسلم يحدث المسيحي فكذلـــك لا نجـــد ذلك لأن المسيحيين كمية مهمشة في كثير من الأماكن. أما المحل الوحيـــد الذي فيه المسلم والمسيحي وجهاً لوجه وفي كل المستويات هو في لبنان. في الأماكن الأخرى يتكلمون إنسانياً وروحياً أما في لبنان فهم يُكوّنون الدولة، بصفتهم المسيحية وبصفتهم الإسلامية يُكوِّنون لبنان. لذلك فهذا المحل هو الوحيد الذي يُكمِّل إلى حـــد بعيـــد التراث الذي ورثناه. إنساننا إنسان حوار أصلاً وليس انكماشياً أو مغلقاً.

المســـيحية بـــدأت عندنا ولكنها الآن أين أصبحت؟ إنها موجودة في العالم كلـــه. «اذهـــبوا وتلمذوا كل الأمم». وكذلك الإسلام فقد انطلق من الجنوب إلى الشمال وليس من الشمال إلى الجنوب. لذلك أتمنى أن نتذكر دائماً أنه للحفاظ على التراث الحقيقي يجب أن نقرر عدم تغيير الوضع الذي فيه يكون المسلم في حالة حوار دائم مع المسيحي والمسيحي في حالة حوار مع المسلم وبالتالي أن نحافظ على لبنان من أجل هذا التراث الذي يحفظه أكثر من أي شيء آخر.

صاحب الغبطة، نلاحظ أن للروم الأرثوذكس علاقة خاصة بسوريا، لماذا برأيكم؟

أولاً، يجب أن نصحح كلمة سوريا. فاليوم سوريا تعني الدولة السورية القائمة. أما العلاقات الأرثوذكسية فهي مع كل المنطقة التي نشأت فيها المسيحية والتي كانت في وقت من الأوقات وقبل الانقسامات كنيسة واحدة ومعتقدات يعبر عنها بطريقة واحدة. لذلك القول بأننا محصورون في سوريا حسب حدودها الحالية ليس صحيحاً. لذلك فالكرسي الانطاكي ليس هو الآن في انطاكية ونحن في دمشق ونعتز بذلك. ثم إنه يمتد إلى كل الشرق الأوسط. إذن فوجودنا كان على مساحة تدعى سوريا وليس على أساس قسمة سياسية. الكيانات الأرثوذكسية هي كيانات روحية وليست سياسية.

هل هنالك إحصائيات عن عدد أبناء الطائفة في سوريا والعراق وفلسطين؟

ليس عندنا إحصائيات لكن من المؤكد أننا ولو كنا في كل الأماكن التي ذكرتها أقلية ولكننا وطنياً كل واحد منا مواطن ١٠٠% ولا مزاودات على هذا الشيء إطلاقاً.

صاحب الغبطة ما هي حدود مشرقية الطائفة، هذه الطائفة التي تتبع الكنيسة اليونانية والروسية وما هي علاقتها بالعرب والعروبة وكيف توفق بين هذين الانتماءين؟

أولاً حديثي يسبق تكوين الإمبراطوريات والدول لأن هذه تضع حدوداً وتعطي حضارة معينة. أي أن الحضارة المعينة التي عندنا لم تتكون بسبب المسيحية ولكنها تكونت لوجود إمبراطوريات لا تفهم إلا بهذا الموضوع. ومن التعدد الذي تحدثه الإمبراطوريات أصبحت المحافظات عندنا عبارة عن وحدات كنسية. فمثلاً أنطاكية كانت محافظة، وما ندعوه بالكراسي كان عبارة عن محافظات تشكلت فيها وحدات الأول فيها هو البطريرك والمجمع المقدس. ولكن من المؤكد أن هذا التنظيم لم

يـــبق كمـــا هو عندما أتى المبشرون من الخارج جاهلين أو متجاهلين أن المسيحية وجـــدت في هذه المنطقة وأنها مستمرة بدون انقطاع في أي زمن من أزمنة التاريخ. هـــؤلاء أتـــوا حتى يعمدونا من جديد ويعلمونا من جديد فكانت النتيجة أننا تعلمنا كيف ننقسم فانقسمنا.

إذن عـــندما نتكـــلم عن المسيحية في المنطقة فنحن مضطرون أن نذكر أن المســـيحية يُعَـــبَّر عـــنها في كـــنائس متعددة وقد يكون في أصول متعددة. أما نحن الأرثوذكس فنعتقد أننا نحافظ على التراث كما تسلمناه ونتبع المسيحية قبل أن تدخل عليها هذه العناصر، ولا نزال نحافظ على هذا الشيء حتى الآن.

أمـــا بالنسبة للعروبة فالمسيحية لم تغيرنا وطنياً. لأننا في أصل البلد و لم يأت أحـــد من بعيد. والذي كان عربياً بقي عربياً وفي المنطقة العربية. وبالتالي لم يحصل تغـــريب بسبب الوطنية أو القومية للمؤمنين الأرثوذكسيين. ولكن قد يكون البعض مـــن الأحزاب التي تسمى بالأحزاب العقائدية ـــ وهي الكنائس الجديدة في عصرنا والـــذي حكي عن دورها في الماضي أكثر مما يقال عنه الآن ـــ الأحزاب هذه كان يظن البعض أنه إذا أراد الانضمام إليها وطنياً فمن واجبه أن يُغَيِّر دينياً. وهذا حصل في بعض الحالات ولكن هذا ليس الوجه الحقيقي للوجود المسيحي في المنطقة. ولكن الحـــدث الإسلامي الهائل الذي حصل في هذه المنطقة منذ ١٤ قرناً أثر جداً بالوضع المســـيحي وبالوضع اليهودي وبوضع كل سكان المنطقة. ولا شك أن الشعب الذي كان موجوداً في المنطقة تأثر جداً بالإسلام وأن الكثيرين منه شهروا إسلامهم. إجمالاً الشـــعوب تتـــبع حكامهـــا. ولكننا نود الآن أن يعي الناس بأن الذي يدعو إلى الله وعبادته هو أفضل ممن يدعو إلى عبادة الناس.

غبطة البطريرك المسيحيون وعبر التاريخ لعبوا دوراً هاماً على صعيد الثقافة والسياسة في مـــنطقة الشـــرق الأوسط وكانوا رجال صحافة وقلم وفن وطبعوا اللغة العربية بحسهم

وبصماتهم أين هم اليوم من تلك الصورة؟

أعتقد أنه يجب أن ننطلق من الأساس. كنا نقول إن المسيحي الناطق بالضاد كان يعبِّر عن نفسه عندما كان يقرأ ويكتب. وهو لا يسعى إلى جلب عنصر غريب يدخله في شخصيته. لذلك فاللغة ليست لغة غيرنا نتبناها بل هي لغتنا. وهذا الحدث هو دليل أن الإنسان لم يكن يطلب منه أن يصبح إنساناً آخر ولكن أن يشارك في مجتمعه ويشارك في دولته بما لديه هو. ولذلك عندما أسمع حديثاً عن مسيحي يُشعِر بأن صاحبه مُعَمّد باللغة العربية والثقافة العربية فإنني أسخر من مقدار الجهل الموجود. المسيحي عاشر كل العالم العربي منذ عهد البداوة. نحن صنعنا العروبة كذلك وساهمنا بخلق التراث العربي. نحن لسنا مستوردين إلى العالم العربي وهذا ما أُحب أن أؤكد عليه. وهو الواقع.

البطريرك الماروني اللبناني الكاردينال نصر الله صفير أكد في حديثه الأخير على عروبة مسيحيي الشرق وعلى دورهم التاريخي في المنطقة فهل تشعرون بأن المسيحيين يحتاجون إلى تأكيدات وضمانات على أنهم عرب؟

نحن نشارك الأوطان في أوضاعها. وهنالك أناس لا يعرفون أنه في الحقيقة أننا لسنا مضطرين للدفاع عن أنفسنا وتبيان ما إذا كنا عرباً أم لا. جاءت الدولة الرومانية ولم نصبح رومانيين، وجاء البيزنطيون ولم نصبح بيزنطيين. في عبادتنا نستعير التعابير التي استخدموها. ومن المعروف أن ولاءنا الوطني لم ينتقل إلى العاصمة الرومانية.

الشيء الذي نؤكد عليه أنه لا يوجد أناس يتقدمون في العروبة فيما نحن في مكاننا. هذا ليس صحيحاً. قد تكون هنالك دواع حتى يظن البعض هكذا. في فترة كنا خاضعين للوجود الأجنبي وكان الإنسان يفرح عندما يتكلم مع الأجنبي بلغته معتقداً أن وجود الأجنبي هو للنهوض بنا. وفي المدارس الأجنبية كان الناس

يتراكضـــون ليسجلوا أولادهم فيها مسيحيين كانوا أم مسلمين. والتأثير الأجنبي لم يكـــن عـــلى فئة واحدة. ولكن في لبنان ظهر هذا بصورة أوضح. لذلك يجب أن لا نتـــنكر لهذا الوضع لأنه بالنتيجة يعطي فكرة خاطئة عن التاريخ. هذه الفترة كانت محدودة لها بداية ولها نهاية.

نحن عرب ليس «غصباً» عنا.

هنالك تقلص للدور المسيحي وللوجود المسيحي في المنطقة. يقال إن هجرة كبيرة لأبناء الطوائـــف المسيحية لوحظت مؤخراً في لبنان وسوريا وفلسطين والعراق، وهذه الهجرة تـــنذر مستقبلاً بتغيير ديموغرافي كبير وبتفريغ لهذه الطوائف ربما. فما هو شعوركم تجاه هذه الهجرة؟

صـــحيح أنه توجد هجرة ولكنني أؤكد أن الهجرة ليست للمسيحيين لأنهم مســـيحيون ولكـــن هي كذلك للمسلمين. وفي بلاد الاغتراب هنالك أحياء خاصة تغص بطائفة معينة من المسلمين. وليس صحيحاً أن كل الذين سافروا إلى أوروبا أو الذيـــن قَدِمـــوا إلى أفـــريقيا الشمالية فعلوا ذلك ليبشروا. كلا هذا ليس بصحيح. والصـــحيح أن هـــنالك حاجات جعلتهم يسافرون. إذن الهجرة هي موضوع يخص نوعية الحياة التي يمكن للإنسان أن يتحملها. الإنسان الذي يرى البيوت العامرة وهو يعيـــش في خـــيمة له الحق في التفكير بأن يكون عنده مثل ذلك البيت. إذن الهجرة موجـــودة لأســـباب عامة وتشمل الجميع. ولكن يوجد هنالك شيء خاص بالنسبة للمســـيحيين. أعتقد أنه هنا يوجد التباس كبير بين المواطنية والدين. فالبعض يحسب أنـــه إذا لم يكن الإنسان مسيحياً فليس هو بمواطن صالح وكذلك المسلم الذي يعتقد أن المواطـــن إن لم يكن مسلماً فلن يكون مواطناً صالحاً. وهذا لم يكن في وقت من الأوقـــات صحيحاً ولن يكون صحيحاً لأنه خاطئ في الأساس إذ أننا نعتقد أن كل مَـــن خلقه الله كائن موجود ومواطن كامل المواطنية لأنه يسهم في حياة البلد الذي

يوجـــد فيـــه إلا إذا كان خائناً. والخيانة موجودة عند الكثير من البشر إن كانوا من المسلمين أو من المسيحيين. ولكن الشيء الطبيعي أن يعرف المرء أن الدين عنده شيء مـــتغير قد يتبناه وقد لا يتبناه، قد يخلص له وقد لا يخلص له. أما نحن فنتطلع إلى كل الذين خلقهم الله ونقول: هؤلاء هم شركاؤنا وهم يقاسموننا الطعام والحياة والكرامة.

مـــا حصل هو نوع من التهميش للمسيحيين (وهنا حديثي لا يقتصر على لبنان). في لبنان التهميش الذي حصل مجدداً كان يوجد في كل مكان ما عدا لبنان. لذلـــك نعتقد أن الخصوصية في لبنان هي جيدة ونتمناها. وهذا لا يكفي حتى تكون غريـــباً عني فأنا أقاسمك العيش ومصيرك هو مصيري وأنت عزيز علي، وأنا مستعد للموت من أجلك، كما أنك أنت مستعد للموت من أجلي باسم هذا الوطن الذي نحن نعيش فيه. والسؤال في أي وطن نجد أن كل مواطن هو نسخة طبق الأصل عن الآخر، لا بل في أية أسرة يكون ذلك؟ لماذا نحب أن نضع الناس في قوالب ليست من صنع الله.

غبطة البطريرك هذا البرنامج يحمل عنوان «الوجه الآخر» ففي حياتكم مثلاً، حياة رجل الديـــن المليـــئة بالتضحيات هل هنالك مكان ما للندم ذات يوم، هل هناك مكان للتمني بأشياء أخرى، للأحلام المختلفة؟

يجـــب تصور حياة رجل الدين أنها حياة إنسان ملتزم قام بتعهد وهو يحقق هذا التعهد بمقدار ما يمكن. أحياناً يحققه بطريقة كاملة، وأحياناً كثيرة يكون التحقيق بعيـــداً عن المنال. أنا لا أتصور أنه يجب أن نؤله أحداً على وجه الأرض، ولا أتصور أنـــه يمكننا أن نخفي شيئاً عن الله، إنه يعرف أننا بشر ولذلك أرسل ابنه الوحيد من أجل خلاصنا.

أمـــا موضـــوع التضحية فأنا أخشى أن يكون التفكير في التضحية تفكيراً

ضيقاً. فمن الذي يمكنه أن يعيش دون أن يضحي؟ كل عمل في هذه الدنيا هو عمل عيشي أي اختبار حياتي. يعني أن الحياة هي بمقدار ما يبذلها الإنسان في الواقع. لذلك لا أعرف أين هي التضحية الكبرى؟ يجب أن نتحدث عن الإنسان في حياته إذ عليه أن لا يشعر أنها حياة فاشلة، وليست حياة عزلة، وليست حياة انقطاع، وهذا الكلام ليس صحيحاً. يوجد فرق وهو أنه لا يملك أسرة خاصة به ولكن الأسرة رغم أنها شيء ثمين جداً ولكنها ليست الشرط الوحيد بالنسبة لنا فعلياً وواقعياً.

أما الاكليريكي فإنه يشعر برباط بينه وبين الناس الذين يتحدثون إليه دون أن يعرفوه، ويصلُّون معه دون سابق معرفة. فما الذي يربطهم به؟ وهنا يوجد شيء أقوى من الرباطات التي نعتقدها. كل رباط هو سر لأنه يفوق الحساب.

في الوعظ أقول لهم أن الكنيسة تشكل أسرة يحس الإنسان فيها أن له أخوة وأن له أحباء يحبهم من كل قلبه ويُقدِّم لهم كل إمكاناته. يجب أن لا نفكر بأن الاكليريكيين هم جماعة مهملون معزولون. هذا الكلام غير صحيح. فحياة الاكليريكي ليست فارغة بل هي ملآى، وهنا أقصد الرهبان الذين إذا لم يكونوا يتقاضون أجراً فإنهم عندما يرون الذئب يهاجم الرعية يكونون أول مَن يحمي الرعية بأجسادهم.

ليس عندنا الشعور بالغربة، ليس عندنا الشعور بالنقص كما أسمع الناس يقولون: الاكليريكيون غير جائعين، وحياتهم ليست تعيسة، وليسوا معقدين. وأنا كان لي الحظ أن أُعَلِّم في المدارس الاكليريكية. وعدد من السادة المطارنة هم تلاميذي وأعتقد أنهم أرادوا أن يكونوا ما هم عليه، وأعتقد أن الرضى هو أساس كل شيء.

غـــبطة الـــبطريرك، نحلم أن نتعرف على محطات في حياتكم، مثلاً الطفولة وهل كانت سعيدة؟ وما الحافز الذي دفعكم إلى الدخول إلى عالم الكهنوت مثلاً؟

أنا لم أدخل في عالم الكهنوت لأنني منذ معموديتي (صغري) نشأتُ على أن الكنيسة هي مثل البيت للإنسان، وأن الصلوات هي شيء يتغنى به الإنسان ويسبب الفـــرح له لا بل يعيشه. ولنتذكر أنه في سن طفولتنا كانت المناسبات الكنسية هي مناســـبات يفرح بها الشعب ويعبر عن فرحه بالدبكات والغناء. ولم أحس يوماً أن الكنيسة هي شيء يكون الإنسان خارجه وبعدئذ يدخله. هذا ليس بصحيح. ونحن لم نفكر يوماً أن هنالك بديلاً لمثل هذه الحياة. ونحن نعرف أن المكان العام الذي يلتقي فيه الإنسان الناس ويختبرهم ويحبهم فيه هو الكنيسة. لذلك لم أشعر أنني انتقلت من حـــال إلى حـــال. والحـــال الذي أصبحت عليه هو الكهنوت وفي هذا شعرت أن ملابسي تَغيَّرَت ولكن أنا لم أتغير. نحن نعيش في ألفة مع الكنيسة والكهنة. وخاصة في طفولـــتي كان الكهنة هم مُعَلِّميَّ. الكنيسة هي أول مَن عَلَّم وأول مَن ربّى. وأما الذين يقولون «الدين أفيون الشعوب» فأي أفيون هو. لقد كنا على علاقة جيدة مع كهنتـــنا ونعـــرف أنهم بشر مثلنا وأنهم معرضون للخطأ كما نحن. ولكننا لا نشهر السيف لنحل محل الله في الحكم على البشر كما تفعل بعض الأحزاب التي تقول بأن الذي يقول قولها هو معها وأما الذي لا يقول قولها فهو ضدها. وهذا ليس صحيحاً وكيف يكون الإنسان ضد شيء لا يعرفه. هذه اللغة لا نعرفها. وفي حياتي لم يحصل هذا التغيير الجذري. تسألين عن الأحلام فكلنا نحلم ولكن الحلم، حتى علمياً، يتألف مـــن عناصـــر يعيشها الإنسان وليست آتية من خارج الإطار الذي هو موجود فيه. ونحـــن كـــنا في هذا الإطار. كنت أعرف بعض الأغاني وأما الترانيم فكنت أعرفها أكثر بكثير من الأغاني، وكانت تفرحني، ولم أكن أحس بأن عدم سماعي الأغاني هو مصدر إزعاج لي.

غبطة البطريرك، اليوم هل تهتمون بالموسيقى، وهل تحبون الاستماع إلى بعض الأغنيات؟

أنـــا أهـــتم بالموسيقى وعندي أذن موسيقية. درست الموسيقى ومارستها وعَلّمت الموسيقى. وتلاميذي هم الذين يطلب إليهم أن يرتلوا في الكنيسة، ويؤدون بشكل جيد. إلى جانب اللغة الصحيحة يجب أن يكون التلحين الصحيح. وأنا أمتلك هـــذه الموهبة بشكل ظاهر. وهذا لا يعني أن صوتي هو أفضل صوت كلا ولكنه لا يشـــذ. وأنـــا أحب الاستماع إلى الأغاني لأن الأغاني هي ألحان. وهناك علاقة بين الموســـيقى العـــربية التي هي ليست فقط عربية ولكنها ممزوجة بالفارسية وبالتركية وغيرهما. وأنا أحب سماع الأغاني وأحفظها بسرعة. أحفظ النغمة أكثر من الكلمات ومع ذلك قد أعرف سطراً من أغنية أو مطلعاً.

ما هي الأصوات التي تحبها؟

أحـــب الأصوات الجميلة، كصوت المرحوم المطران أبيفانيوس عضو المجمع العلمي العربي. كان يعرف الموسيقى جيداً وكان شاعراً ويلحّن. كان صوته رخيماً جـــداً والآن عـــندنا مطـــران طرابلس صاحب الصوت المتميز جداً الذي يجمع إلى الـــرخامة الرجولة وجمال الصوت. وكان عند المرحوم المطران الياس يوسف صوت جميل جداً ولا ننس المطران فيليبس صاحب الصوت الجميل ويمتاز بالرجولة لأنه في الترتيل لا يُسمَح بالميوعة.

وبالنسبة للأصوات العربية المعروفة إلى مَن تستمعون؟

استمع إلى الملحنين الجيدين. أنا لا أجهل أغاني عبد الوهاب وأم كلثوم وأنا معجـــب بالتلحين الذي يعطى للقصائد الحلوة. وهنالك أيضاً ذات الصوت الممتاز وهي السيدة فيروز التي عندما سمعتها للمرة الأولى قلت الآن عندنا بداية تيار جديد. ولا ننسَ السيدة المثقفة المحترمة ماجدة الرومي.

غـبطة الـبطريرك رأيتم النور في محردة قضاء حماه وانتقلتم إلى لبنان وإلى فرنسا ومن ثم عـدتم إلى سـوريا. لـو سمحتم أن نتحدث عن هذه الأمكنة المحطات: محردة، بيروت، باريس، دمشق. فماذا تعني هذه لغبطة البطريرك؟

محردة هي المكان الذي ولدت فيه وكنت أنظر إلى العالم كما كان يتراءى لي هـناك. فمـثلاً إذا كانت تمطر في محردة إذن فهي تمطر في كل مكان. في محردة تعلمت. وتعلمت على يدي والدي القراءة والكتابة والحساب والسباحة. وأنا تعرفت على القراءة والكتابة في عمر مبكر. وأذكر أنه عندما اشترى محرداوي سيارة هرعنا لـلفرجة عليها. وكان ذلك في العشرينات. وعندما كنا نسمع الراديو والمذيع يقول هنا لندن كنا لا نُصدّق آذاننا وكيف هذا الصندوق الخشبي يجلب الصوت من لندن. وحياتـنا كـانت بسيطة لذلك كانت توجد أشياء كثيرة لا أعلم عنها شيئا. أحب قريتي وأحب أهل ضيعتي. وأنا تركت القرية لأنه لم يعد هنالك مجال لإتمام تحصيلي. أنهيـت الابتدائي ثم انتقلت إلى بيروت إلى المطرانية حيث كان المرحوم المطران ايليا الصليبي وكان معي المطران غفرائيل. وبفضل المطران ايليا ورئيس الجامعة الأميركية آنذاك (دودج) درست في الجامعة الأميركية.

ومـن بـيروت إلى بـاريس لأدرس اللاهوت وأتعمق بالفلسفة التي هي اختصاصـي. معظم حياتي قضيتها في بيروت وبالتحديد ٢٧ سنة وفيها تعلمت كل عـلومي الثانوية ولولا ذلك لما درست لأنه لم تكن عندي الإمكانيات الذاتية لأتابع الدراسـة. عائلتـنا عائلة فقيرة وكان والدي يهتم كثيراً بأن يحصل بكر العائلة على شيء من العلم وقد شجعني كثيراً على الذهاب إلى بيروت.

وفي بـيروت لم تكن السنوات التي قضيتها هناك أسهل السنين إطلاقاً فبعد السـنة ١٩٣٦ حصـلت خضات في أوضاع بيروت وعشنا الفترة الفرنسية وزمن الخصـومة بـين فرنسا وإنكلترا. وحياتي في بيروت كانت حياة مضنية جداً وفيها

دَرَست ودَرَّست.

باريس تعني كثيراً. ذهبت إلى باريس السنة ١٩٤٩ وكانت الحرب العالمية الثانية على نهايتها. وقد أتيناها للدراسة وكانت إمكاناتي جيدة وقمت بنشاطات بين الشباب وألقيت الأحاديث. وكنت أتقن اللغتين الفرنسية والإنكليزية وكانت عندي اتصـــالات علمية. ودَرَّستُ اللغة العربية في «المدرسة الشرقية» لكي أتقاضى أجراً أعيش به. وكنا نذهب إلى إنكلترا في كل سنة لنصرف ثلاثة أشهر نطوف فيها على المكتبات ونقرأ كل جديد.

وأمـــا دمشق فهي المكان الذي فيه البطريركية وكياني كله أصبح موجوداً هناك ومن المفترض أن أعرف عن دمشق أكثر مما أعرف الآن. عندي بعض الاطلاع ولكـــن ليـــس بالقدر الكافي. ولكن اهتمامي بدمشق كان منذ أن كنت في بيروت وكنت لا أسمح لنفسي ألا أعرف دمشق. لذا كنت أقوم بزيارات قصيرة ومتقطعة. ثم إني لم أكـــتف بالبكالوريا اللبنانية فقررت حيازة البكالوريا السورية وهكذا كان. وأنا موجود الآن في دمشق لأقدم كل ما أتمكن.

ســـيدنا، لا شك أنكم عرفتم ولسنوات عديدة الرئيس السوري حافظ الأسد ولا شك أنكم التقيتم بنجله الرئيس الحالي بشار الأسد. ماذا يمكن أن يقال عن العلاقة بالرئيسين الراحل والحالي؟

أود أولاً القـــول بأن مجيئي إلى سوريا وقبولي حكومياً في سوريا كان وراءه الرئيس الأسد نفسه لذلك كنت أشعر بنوع من الالتزام تجاهه.

نحـــن لا نحـــس بالغربة عندما نكون في دمشق. وعن الرئيس الأســـد أود قـــول شيئين:

أولاً: لا أبـــالغ إن كـــنت أقول بأن الرئيس الأسد رجل دولة متميز جداً عن سواه

وكـــان رجل دولة من طينة خاصة. وكان يسعدني جداً الجلوس معه. وكان خلال هذه الجلسات يُعَرِّفني على أشياء لم يكن من الممكن أن أعرفها إلا بواسطة أستاذ من هذا النوع.

والشـــيء الـــثاني الـــذي أود ذكـــره أنه عندما كانوا يتحدثون في لبنان عن رئيس لـــلجمهورية قـــلت لهم عندنا مثال وهو الرئيس الأسد. فتشوا عن واحد يكون من النوعية نفسها ولو كان من درجة أدنى. وكنت أتمنى للبنان أن يرسل الله له شخصاً مثل الرئيس حافظ الأسد، كنت أتمنى هذا ولا أزال أتمناه.

ثانيـــاً: نحـــن الآن في عهـــد جديد، وأتمناه بالفعل أن يكون جديداً، لأنني أرى أن المعطيات لتحقيق هذا التمني متوفرة. الدكتور بشار إنسان إنسان، ليس عنده كبرياء وقـــد عالج أموراً نفسية انحرف فيها كثيرون بسبب الجو التهريجي الذي سيطر على سوريا في وقت من الأوقات، فتدخل لضبط الوضع وأحب أن تكون هنالك عقلانية أكـــثر وأعتقد أن هذا يلاحَظ كاملاً. ولكنني أعتقد أن هذا الخط مرسوم وسينفذ في الوقـــت المناســـب. نحن نتحدث عن طبيب أي عن حامل لقب علمي لذلك عنده التفاتات نحو مستوى علمي معين في البلد كان مهمشاً. كان الطابع السياسي يطغى، وأنـــا أعتقد أنه لا توجد سياسة بلا علم. ثم هنالك تمنيات نأمل أن تتحقق وهي في نظرنا خيّرة وتنسجم مع الخط الذي يتمنى الرئيس بشار أن يتحقق. أما التعبير فيجوز أن يختلف. شخصياً أتمنى أن لا يُسَخر في سوريا العلم للسياسة بل العكس أن تُسخر السياســـة للعلم وأتمنى أن لا تكون الجامعات أمكنة (لتخريج) أعضاء للحزب فقط. أعتقد أن الجامعات يجب أن تُخرِّج عيوناً تنظر إلى الواقع وأن تتفحص الواقع وتكون هي الناصحة والمشيرة للبلد كيف يجب أن يسير في المستقبل. لأن اللامستقبل هو مثل الحاضـــر وبالـــتأكيد مثل الماضي. هذا الشيء غير موجود لذلك فنحن عندنا آمال كـــبار. والرئيس بشار ليس لوحده ولكن توجد عناصر كثيرة لا يمكن تجاهلها. وإن

شاء الله يتوصل إلى أن تسير معه في ركب التطور المنشود. وأما العناصر غير المستعدة للتطور فليعطه الله القوة حتى يضعها جانباً لأنه لنا المستقبل والماضي مضى.

غـــبطة الـــبطريرك ما دمنا في التمنيات فماذا تتمنون للبنان ولشعب لبنان. لبنان الذي عرفتم فيما مضى؟

أتمنى للبنان أن لا يستحي بنفسه لأنني أشعر أن عبارات الافتخار أصبحت بغـــيره وليست به. وهذا لا يعني أنه لا يوجد سواه ولكن تفكيري البدوي يقول إن الإنسان يجب أن يبدأ احترامه للناس بدءاً من احترامه لعائلته ولبلده.

في محاكمنا وقضايانا الزوجية عندما أسمع رجلاً يتحدث عن كل النساء إلا امـــرأته أقول إن هنالك خللاً. أتمنى للبنان أن يتلبنن أكثر مما هو الآن وأنا أخاف أن تكون شخصيته في طريق التغيير.

صـــاحب الغـــبطة، علاقـــة الطائفة المارونية بسوريا هل تسعون إلى تحسين هذه العلاقة بكنيستكم مثلاً؟

أعتقد أن هذا الموضوع يجب أن يوضع في إطاره الحقيقي. فالطائفة المارونية ليســـت موجودة لتكون ضد سوريا. أعتقد أنها موجودة حتى تكون موجودة لذلك فكـــل ما يوحي لها بأنها لم تعد غريبة في بلدها هو للخير. وهذا ينسحب على كل الطوائف. والتمني أن يكون في لبنان كل اللبنانيين يشعرون أنهم في بلدهم، نعم الكل وليس عائلة خاصة فقط. ولمجرد أن يوجد أناس يَجُرّون لبنان باتجاههم ويُبعِدون فئة من اللبنانيين فهم يقومون بعمل خاطئ. وما نتمناه أن ينظر للقضية المارونية كقضية تخـــص المســـلمين والمســـيحيين والطوائف كلها. إن شاء الله نصل إلى تفكير يجمع الجميع. كل لبنان لكل اللبنانيين.

هـــل هنالك تنسيق بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة المارونية أو بالأحرى هل هناك تواصل وتنسيق في السياسة بين الطائفتين؟

أنا على اتصال مع الكنيسة المارونية وعلى اتصال مع الكنيسة السريانية ومع كـــل الكنائس الأخرى. ولا يوجد أحد يجب أن لا نتحدث معه. ونحن كذلك على اتصـــال مع أخوتنا المسلمين. ولا يمكننا أن نتصور أن نعتبر لبنان بقعة من لبنان، لا. وكـــنت أقول كل لبنان لكل اللبنانيين. ونحن نسير على هذا الأساس. ونحن نرى أن هذا يجمع ويلاقي القبول من كل اللبنانيين إلى أية ديانة انتسبوا.

الحـــوار المســـيحي الإسلامي الذي تحدثتم عنه، غبطة البطريرك، ما هي أبعاده وما هي حدوده وأين أصبح؟

هـــذا الحـــوار ليـــس له حدود لأنه واقع. وأنا أندهش عندما أسمع أناساً يتكـــلمون عـــن الحوار وكأنه لم يكن سابقاً، وأنه شيء يجب أن يُحْدَث ويجب أن نفكـــر في آليـــته. الحـــوار بـــين المسلمين والمسيحيين ليس هو الحوار بين الإسلام والمسيحية. هو بين المسلمين والمسيحيين وليس عن صحة المسيحية عند المسلمين ولا عن صحة الإسلام لدى المسيحيين. القضية كيف نتعاون لنصنع وطناً. الموضوع هو سياسي وسياسي صرف ولذلك فهو في طبيعته وفاقي اتفاقي وليس عقائدياً. شخصياً أسمـــع أناساً يقولون بالزواج المدني مثلاً وهم يعرفون سلفاً أن هذا لا يرضي فئة من اللبـــنانيين ونحـــن منهم. أنا أرفض كل تفكير يجعل الإنسان انزوائياً لنفسه. الأشياء الرئيسية العقائدية في كلا الدينين لا يتعرض لها أحد وليست هي موضوع الحوار.

بالنسبة للسلام، بالنسبة للتعايش مع العرب والمسلمين، وبالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط نلاحـــظ، غبطة البطريرك أن معركة القدس تكاد تنحصر بين المسلمين وبين اليهود فأين المسيحيون من هذه المفاوضات التي تجري على الأرض المقدسة، لماذا لا تشارك الكنيسة

المسيحية في المفاوضات عن القدس مثلاً؟

يجب أن نصحح هذه المعلومات فما يُظْهِر أنه لا يوجد دور للمسيحية في الموضوع لأنه في النهاية ليس التعامل بين ديانات ولكنه بين دول. والمسلمون عندهم دول واليهود عندهم دولتهم وأما المسيحيون فليس عندهم دولة. أما أن ينحصر الاهتمام بالموضوع بين الدول فهذا غير صحيح. فالمسيحيون والمسلمون يتحسسون إيماننا في قضية القدس. هذه قضية مقدسة بالنسبة إليهم. وهي ليست موضوع كسب ولكنها للمسيحيين كالكعبة بالنسبة للمسلمين وهي شيء هام جداً جداً. لذلك ما أتمناه أن نلاحظ الواقع الذي يحصل. منذ مدة قصيرة نلاحظ أن الحديث عن القدس يذكر المسلمين والمسيحيين ولا يذكر المسلمين فقط وكأنه لا يوجد مسيحيون. وأنا أعتقد أن هذا شيء داعم للقضية. والكنائس متحركة ككنائس وليس عندها دول ولا إمكانات الدول. ولكن الكنائس في فلسطين تجتمع وتتحدث عن الموضوع وتقف موقفاً مشتركاً. والموقف هو الموقف الذي تقفه الدول الإسلامية ولذلك فهذا عنصر يضاف إلى ما كان يحصل حتى الآن. وهذا نراه في مجلس كنائس الشرق الأوسط، ونراه في مجلس الكنائس العالمي، ونراه في بطريركية القدس الأرثوذكسية والبطريركية اللاتينية، وهذا شيء ملموس الآن ويحصل. فلا نعتقد أنه لا يوجد جهد في هذا الموضوع واشتراك في هذا الجهد.

السؤال الأخير، غبطة البطريرك، ظاهرة استشهاد الأولاد، الأطفال والشباب في فلسطين، اقتحام هؤلاء الأطفال دون وجل وبإيمان كبير بقضيتهم. والصورة يحاول تحليلها المجتمع الغربي ويتوقف عندها. كيف تنظرون إلى هذه الظاهرة وإلى أطفال الحجارة؟

أولاً أتمنى أن يرى الغرب ماذا فعل وأن يرى نتيجة أعماله. أراد أن يحل قضاياه على حسابنا وكأننا خراف، وكأننا لسنا بشراً. أتمنى أن يكون هنالك بقية

ضمير. أنا لست واثقاً من وجودها في عالم السياسة لا في الغرب القريب ولا البعيد.

أعتقد أنه إذا حصل وعي فأحب أن أفهم أن الحديث عن السلام في الغرب لا يكون المقصود به السلام لإسرائيل. وأعتقد أنه حتى الآن فإن كلمة سلام هناك لا تعني إلا السلام لإسرائيل، ولئلا يرتاح أحد إلا إسرائيل ولا أن تتوطد أقدام أحد إلا إسرائيل، لأنه لا يهمهم إلا هذا الأمر. لذلك فهؤلاء الأطفال الذين يموتون يتكلمون لغة لم يفهموها في الغرب وهو أنك عندما تُهَجِّر إنساناً من بيته وبيت أجداده وتحرمه رزقه وتمنع عنه الثقافة في القرن العشرين فكأنك تذبحه. إنهم لا يشعرون بذلك. وكل ما يفعلونه هو أن يتحدثوا عن المياه الملوثة ومرض البقر ولكنهم ليسوا خائفين من وضع برمته سيؤدي إلى أن يجعل الناس ضحايا. شخصياً أعتبر أنه لم يحصل شيء جدي في هذا الموضوع إلا ما يحصل الآن. ولندع الذين يتحدثون يتحدثون، والذين يقومون بسياسات فليفعلوا ذلك. في الإنجيل: «من ثمارهم تعرفونهم»: الشجرة قيمتها فيما تعطي من ثمر وليس من ورق. ونحن خاضعون للإنجيل في هذا الموضوع، وبالنسبة للأوضاع الموجودة عندنا. هؤلاء الشباب فليقوِّ الله قلوبهم ويفتح لهم ذراعيه، ويجعلهم المثل الصالح. لأنه في النهاية الإنسان المحب هو الذي يقبل أن يموت من أجل حبه.

القدس ليست يهودية*

عسى ألا يكون ممثلو الشعب "ممثِّلين"

أكدت سابقاً أن الهجرة هي من الشرق عامة.

الهجـــرة في الشرق الأوسط عامة هجرة للمسيحيين كما للمسلمين. ولكن يطـــرح موضـــوع هجرة المسيحيين لأن أعدادهم أقل وبالتالي فإن هجرة واحد من خمسة تختلف عن هجرة واحد من أصل مئة. نحن حريصون على الوجود المسيحي في المنطقة لئلا تبتر شخصية الشرق الأوسط من أعز ما لديها في ماضيها وحاضرها؛ أي تبـــتر من الديانات التي فيها أي المسيحية والاسلام واليهودية كدين. ونحن حريصون على ألا يقال يوماً إنه لا يوجد إلا ديانة واحدة في هذا الشرق لأن هذا يكون كذباً بالنسبة إلى التاريخ وإلى روحانية الشرق الأوسط.

ربما ينظر البعض إلى الجو العام الذي تعيشه القلة العددية ويرى ما يدعو إلى القلق. وهناك أمور مقلقة في الواقع وأقول بلغة العتب لإخواننا المسلمين الذين نحبهم ونقـــول لا يمكـــن أن تظهر الشخصية المتكاملة للمنطقة من دون الحدث الاسلامي العظـــيم الذي حصل منذ ١٤ قرناً إن لدي بعض المآخذ بروح الأمل. ففي الاعلام مـــثلاً يجب ألا يصور الشرق الأوسط وكأنه لا يوجد فيه مسيحيون. لا أعتقد أننا نـــرى صـــوراً كثيرة لكنائس في عدد من البلدان العربية، وكأن ذلك نكران ومحو للانسان المسيحي. وفي موضوع القدس الذي هو موضوع مشترك. فالقدس بالنسبة إليـــنا كمكـــة بالنسبة لإخواننا المسلمين. أتمنى أن يعامل المسيحيون وهم أقلية، لا

* صحيفة «السفير» اللبنانية، بيروت، مطرانية الروم الأرثوذكس، دنيز عطاالله حداد، ٢٠٠٠/١١/٢٣

يكلفون الكثير على ما أعتقد، معاملة تجعل الاخوة المسلمين والدول ذات الأكثرية الإسلامية، أن تفتخر بأنها متسامحة وكأنها تدلل مسيحييها كي تقول للغرب إنكم تتركون المسيحيين ونحن يعزون علينا. ولكي يزول الانطباع الخاطئ بأنه لا يوجد في الشرق إلا المسلمون.

لكن ذلك ليس مسؤولية الإعلام فقط؟

نحن نرى النتائج. لقد سررنا انهم فطنوا مؤخراً في مصر أنه يحق لعدة ملايين من المسيحيين أن «يتمثلوا» بوزير أو اثنين أو ثلاثة يتصدقون بهم عليهم. هذا أمر معيب. أنا أعتقد أنه من مصلحة الجميع، ومصلحة تلك الدول أولاً أن تُظْهر الوجوه المسيحية ووجود المسيحيين كي لا يقال إن الدول الإسلامية تنكر الآخرين خصوصاً مواطنيها الذين لا يقصرون في أي من واجبات المواطنية.

شددت على أهمية القدس بالنسبة إلى المسيحيين، لكن الأصوات المسيحية المطالبة بالقدس، كغبطتكم، قليلة.

أنا أعتز بأن أكون من المدافعين عن القدس ونحن على اتفاق مع بطريركها الأرثوذكسي. ومنذ مدة قصيرة أصبح الأرثوذكس حاضرين في كل الاجتماعات المتعلقة بالقدس. القدس هي القدس حيث تم الخلاص للعالم وصلب المسيح. هي القدس وهناك حصل ما يبرر كل وجودنا كمسيحيين. فإذا محوت القدس أصبح انتماؤنا خيالياً ونحن لسنا بخياليين.

نحن متضامنون مع إخوتنا العرب، المسيحيين منهم والمسلمين. ولا يجوز أن تكون القدس يهودية بأية صورة من الصور. نحن لا نعمل في السياسة. نعرف أن أجيالاً كثيرة عاشت في القدس ولهم الحق في أن يعيشوا فيها كما عاش ابن بيروت في بيروت وابن الشام في الشام. ولقد كان دوماً سكان القدس ذوي أغلبية عربية.

لكنكم لا تجدون مشكلة في الوجود اليهودي في القدس؟

عندنا مشكلة، لأن الوجود اليهودي مشكلة للمسلم وللمسيحي في القدس. وأتمنى أن يظهر يوماً أن هذا الوجود مشكلة لصاحبه.

سمعناك مؤخراً تطالب، كما البطريرك نصر الله صفير، بتصحيح العلاقات اللبنانية السورية.

منطلقي، ربما لا يكون مألوفاً، لأنني أنطلق فكرياً. لذلك القول إنني كما البطريرك أو غيره خطأ فهذا القول فيه نوع من الحزبية، مع أو ضد. أنا يهمني الموضوع من حيث أتى وكان جدياً، ويستحق البحث فيجب أن يبحث.

الكلام كثير حول الوجود السوري في لبنان، ما هو رأيكم وموقفكم من الموضوع وطرحه؟

أنا موقفي أن كل ما زاد قتل. فالمبالغات تضر بالموضوع. فالإنسان يتحدث مع أخيه وأخته وأهله في شتى المواضيع وليس في كل مرة يطرح الموضوع يعني ذلك أن الواحد يعادي الآخر. فإذا كان من قضية تطرح، فلماذا لا نتباحث فيها. أشعر وكأنه لا يوجد صفاء في الموضوع من أي طرف كان.

أصوات كثيرة تطالب بتصحيح العلاقات مع سوريا؟

أنا أعتقد أن كل العلاقات يجب أن تكون صحيحة وفيها صراحة ووضوح، هذا إذا لم يكن مقصوداً العداء بل تصحيح الأمور لتصير إيجابية. وهي لن تكون إيجابية إلا إذا كان فيها وضوح وصراحة خصوصاً بين جماعات تعتقد أنها قريبة من بعضها وقدرها أن تكون مع بعضها.

بعد كلام البطريرك صفير حول الوجود السوري، صدرت ردود فعل متنوعة منها حول تدخل رجال الدين في السياسة.

هـــذا كلام لا أحترمه كثيراً. فرجال الدين رجال كغيرهم. وما دام أكلهم وشربهم من أكل الناس فيحق لهم ان يتكلموا بما يتكلم به الناس وما يحصل معهم. لا أعـــتقد أن لديـــنا هـــذا التفريق. لن يتوظف رجال الدين أو يصبحوا نواباً ووزراء ومحافظين وهذا ليس مطلبهم. أما ألا يفكروا بما يرونه أمام أعينهم فهذا لا يطلب من أحـــد. وعندما يتكلم رجل دين وينبري رجل دين آخر يقول له ليس هذا من شأننا يكـــون الـــثاني من يرتكب الخطأ. دعوا الناس تتكلم. ربما يجب أن يأتي الكلام ممن يمثلون الشعب. لكن هناك تمثيل و«تمثيل». عسى ألا يكون ممثلو الشعب «ممثلين».

ما رأيك بكلام البطريرك صفير؟

كـــلام يستحق أن نأخذه بعين الجدية والاعتبار. لأن رجلاً مثله لا يتقاضى راتـــباً مـــن أحـــد وليس بحاجة لمن يوظفه ولا حتى لأحد ليعيد انتخابه. لذا أنصح أصحاب المصالح بأن يفكروا بطريقة مختلفة. أنا لا أقبل بأن يقول لي أحدهم بأن كل مـــا أقوله خطأ. مجرد أن نتحاور أعطيه كل الحق، لكن فليقل. وإذا لم يكن ما يُقال خطأ، فهذا يعني أن شيئاً ما يجب أن يُعمل.

في سوريا كلام عن التغيير..

نحـــن نـــرى صـــورة التغيير وليست مهمتنا أن نقول كيف، لأن ذلك من اختصـــاص أصحاب الشأن. نعرف أن الأمور لا تحصل فوراً «كوني فكانت» لكن الشـــعب يجب أن يرى مقدمات للأمور ليتأكد من التغيير لأنه يعيش في ضائقة كما كل المنطقة.

ما هو الهم الأساسي الذي يشغل بالك ويقلقك؟

أفكـــر بجمـــاعتي المسيحية، وهمي ألا نكون كذابين. أكبر خطأ وخطر في الديـــن ألا يتعلم الإنسان منه بل أن يُخضِع الدين لأهوائه ومصالحه الشخصية. ربما شاء الله لحكمة لا ندركها أن نكون في هذا الشرق أقلية. والعدد في نظري لا يصنف الإنســـان. ومن واجبنا أن نعوض عن قلة العدد بحسن الخدمة وزيادتها وصدقها حتى يعرف الناس الذين يعيشون معنا مَن نحن.

الله يريد الخير لخليقته*

أما المشاكل فنحن نوجدها

سيدي صاحب الغبطة، كل عام وأنتم بخير. ميلاد السيد المسيح! ماذا يعني لكم هذا العيد؟ وماذا تتحدثون بما هو إخاء إنساني وفرح ومستقبل؟

قبل كل شيء نحن نجتاز مرحلة هي صيام عيد الميلاد ومرحلة صيام رمضان المبارك وعما قريب سيكون عيد الميلاد قريباً جداً من العيد الذي نحترمه جداً عيد الفطر لدى المسلمين. أغتنم هذه الفرصة لكي أشكر الله بأن صيامهم وصيامنا يقعان معاً، يعني حتى يعرف كل واحد منا أن الآخر هو أيضاً يصوم ويصوم لله، وهو لا يصوم من أجل نفسه ولا من أجل صحته ولا من أجل أي شيء آخر، هكذا لأن الله أرادنا أن نصوم. هذا أول شيء. والشيء الثاني سيكون عندنا عيد بمناسبة شريفة جداً بالنسبة إلينا جميعاً. نحن في هذا البلد بالفعل ــ حتى في المستوى الديني الذي هو عادة شخصي والإنسان يتصرف فيه كما يشاء هو ــ حتى في هذا المستوى نحن عندنا شيء نكون فيه معاً لأني أتمنى لكل أهل وطننا هذا أن يكون دائماً الواحد مع الآخر. إذاً هذه المناسبة مناسبة تعبّر على أننا معاً، على أننا واحد. نحن لا نعتقد أن ربنا خلق كل واحد لوحده. الوحدانية ليست ضد التعدد. هذه المناسبة عزيزة علي وأود أن أعبر عن شعوري لإخوتنا الصائمين إن كانوا مسيحيين أو كانوا مسلمين وأسأل الله أن يجعل صيامهم سعيداً بالنسبة إليهم جميعاً ومباركاً وأن يكون هذا الصيام مباركاً على البلد وجميع مَن يسكنه.

والآن فلننتقل إلى الموضوع: ماذا يعني الميلاد؟ أعتقد أن هذا مهم جداً.

---

* التلفزيون العربي السوري، دمشق، ٢٠٠٠/١٢/١٥

أولاً: الميلاد في نظر البعض قد يعني شيئاً مذلاً، مثل الصليب، يعني عندما نتكلم عن الله سبحانه وتعالى ونقول إنه يتجسد كأننا بذلك نذل الله وكأننا نتزله من علياء سمائه، وكأننا نرفض تتريهه عما هو مادي وما إلى ذلك. الموضوع ليس هكذا على الإطلاق. التجسد عندنا يعني أن هنالك تدبيراً إلهياً استثنائياً يقوم به الخالق بالنسبة إلى مخلوقاته لنقول إن الله لا يجد مخلوقاته موضوع احتقاره، ولا ينظر إلى أعمال يديه وكأنها خرجت عنه وابتعدت و لم تعُد له علاقة بها. نحن نعتقد أن التجسد الإلهي هو التعبير الكلي عن محبة الخالق لمخلوقاته. الله إله المحبة ولذلك لم يَخلُق لكي يلقي بمخلوقاته وكأن هذه المخلوقات أصبحت محتقرة بالنسبة إليه. هذا لا يذل ألوهته، الله يبقى الإله الواحد الأحد، الله يبقى الذي ليس كمثله شيء، الله يبقى المنزه عن كل تَمَلُّك وعن كل تصور إنساني. من أجل ذلك عندما ننظر إلى الله قابلاً من أجلنا أن يظهر استثنائياً بشكلنا البشري فهذا لكي يقول لنا إن الشكل البشري، الكائن البشري، الطبيعة الموجودة التي نحن نعيش فيها، هذه ليست محتقرة عند الله، لذلك لا يجوز أن تكون محتقرة عند أي منا. أقول ذلك لأنه عندنا الشعور إجمالاً، أننا نحتقر كل ما هو محسوس ونعتقد أن السمو هو أن نتجاوز المحسوس أو أن ننساه. هذا غير صحيح، الله هو الذي خلق المنظور فينا وغير المنظور لذلك لا يجوز أن نَدَّعي أننا نكرم غير المنظور إذا كنا نحن لا نحترم المنظور أيضاً. أنا يهمني جداً في هذه المناسبة أن أذكر ذلك ويهمني أيضاً أن أذكر شيئاً يجب أن نتبناه بصورة نهائية في منطقتنا هذه الشرق أوسطية. حصل التجسد أي أن الله أتى في التاريخ، وهو فوق التاريخ وباق فوق التاريخ، وإلى الأبد فوق التاريخ، ولكنه أتى واخترق التاريخ في مكان ما من هذه المنطقة حيث نعيش. هذا شيء بالنسبة إلينا لم يحصل في أي مكان آخر في العالم ولذلك نحن مسؤولون عن قدسية ترابنا، مسؤولون عن قدسية أشجارنا، مسؤولون عن قدسية كل إنسان في هذه المنطقة وعن كل شيء. الناس يتكلمون عن المسيح من بعيد، نحن نتكلم وكأنه بيننا وهو بيننا لا يميز بين من يدعي المسيحية وبين

مَـــن هو مسيحي حقيقي، وبين مَن هو مسلم وغير مسلم. عند المسيح كل مخلوق، كـــل إنســـان موضوع محبة ويجب أن يبقى هذا الأمر بصورة نهائية في هذه المنطقة بصورة خاصة. نحن لا نأخذ دروساً بالمحبة ممن قاموا بالحروب العالمية الكبرى وذبحوا الملايين، لا نأخذ دروساً ممن يخنقون أبناء هذه المنطقة باقتصادهم الذي يقف حاجزاً بيننا وبين راحتنا في بلادنا. نحن يجب أن نعرف أن هذه المنطقة بالفعل منطقة مدعوة لأن تكـــون منطقة سلام ويؤسفنا جداً أن أبناء هذا الدهر ممن هم بعيدون جداً عن الروحانية المسيحية. ـــ أتكلم عن المسيحية لأترك لغيري أن يتكلم عن غيرها ـــ هذا الشيء أعتقد أنه يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا كلياً. وفي هذه المنطقة من يزيف فيها شيئاً يزيف المسيحية بالدرجة الأولى.

نعم نحن تجاوزناها الآن ولكنني أسألكم سيدي. إذا كان الميلاد محبة وسلام فما هو حكم التاريخ على الذين أحالوه إلى حرب ودمار في أرض البشارة وأرض الميلاد.

هنالك أمثولة يجب أن نتعلمها جميعاً. نحن تكلمنا عن المسيح و لم نتكلم عن المســـيحيين، المسيحيون بشر مثل سائر الناس ومبرر التجسد الإلهي أنهم خطأة. يعني أن المســـيحيين لم يكونـــوا مميزين. وعندما أتكلم أنا عن الإسلام فأنا لا أتكلم عن المســـلمين الذين ليسوا كلهم قديسين يملأون كل الأماكن كما نملأها، لا المسيح هو المسيحيين ولا الإسلام هو المسلمين. يجب أن نلاحظ دائماً هذا الفرق وفي كثير من الأحيـــان عندما نتفق، نتفق كلانا على المسيح وعلى النبي محمد، وليس من أجلهما وعـــندما نختـــلف، نختلف نحن وهما لا يختلفان. نحن نصنع ديانتنا بأيدينا هذا عملياً ولكننا نغطي ذلك في كثير من الأحيان بالتعميمات. الإسلام! ليس كل مسلم مسلماً بالحقيقـــة فالذي يوجد في السجن ما دينه؟ والذي يرتكب الموبقات كذلك هل هو مســـيحي، هل هو مسلم؟ مَن هو؟ وأنطلق من هذه النقطة لأقول يجب أن لا نكون متوهمين. الدين لمن هو متدين، لمن هو مطيع لله. الله يخلق الناس، الله لا يقتل الناس،

لا يذبح الناس ولا يصنع المدافع ولا يصنع القنابل الذرية. لذلك ما يحصل عندنا في هذه الأرض من مذابح ومن قتل فهو لا ينتمي إلى ديننا ولا بشكل من الأشكال. كل ما يمكننا أن نفعل من أجله هو أن نقاومه بسلاح الله الذي هو الصلاة والصلاح وحتى بسلاح الأرض يمكن أن ندافع عن أنفسنا.

سيدي بودي أن نذكر مباشرة موضوع القدس. هذه الأرض ما زالت تنزف وإلى الآن. سيدي ماذا نقول في هذه الأيام المجيدة ونحن مقدمين على الأعياد والانتفاضة مستمرة؟ ماذا تقول عن أطفال الحجارة الذين يواجهون العدو؟ ماذا تقول عن مقدساتنا في فلسطين؟

في الواقع عندي إحساس متعدد الجوانب لأنه ليس موضوعاً واحداً، عندي موضوع اعتزاز وأود أن أذيعه في كل العالم. وهذا الموضوع هو موضوع أولادنا هناك الذين يقفون أمام البنادق وأمام العسكر وما إلى ذلك ويعرضون أنفسهم للموت ويُقتلون في سبيل شيء من الكرامة تعطى لأبناء فلسطين الذين نشأوا في فلسطين، والذين بنوا في فلسطين، والذين عرفوا أن هذه هي بلادهم وقد اغتصبت منهم في النهاية. أنا فخور جداً بأولادنا هؤلاء وأعتقد أن مجالات الافتخار عندنا ليست كثيرة أما هذا الموضوع فهو موضوع رئيس من أجل أن نفتخر به ونعتز. ولا أدري بماذا يمكن أن نعتز إذا وضعناه جانباً. القضية الفلسطينية كلها ليست موضوع اعتزاز لأننا فيها مغلوبون، وقد أُخذ منا كل شيء ونتوقع أن يعود إلينا شيء ولكن بالكلام. الكلام لا يرد الحقوق إلى أصحابها، الله يحفظ شبيبتنا، الله يحفظ الجماعة التي لا تملك إلا حجراً يرمونها في وجه الذين اغتصبوهم ليعربوا عن غضبهم وسخطهم تجاه الذين اغتصبوهم. اغتصبوا محلاتهم، اغتصبوا بيوتهم، رزقهم، كرامتهم. بالطبع لن يقولوا لهم سلمت أيديكم. ويحدثونك عن العدل، أي عدل هذا؟ يقصدون بالعدل أن أعطوا إسرائيل رزقنا أو على الأقل تقاسموه. لا، هذا رزقنا

ولم نغتصـــبه معاً لنتقاسمه سوية. هذا رزقنا ونحن من سيخسر على كل حال. لذلك فكل مسألة المفاوضات والسلام الغاية منها هي كيف نؤمن راحة إسرائيل واستتباب الأمـــن فيها، وكيف نؤمن استمرارها. ولن يكون ذلك إلا على حساب فلسطين، وعـــلى حساب الفلسطينيين. وهذا واضح لدي. ويضحكني الناس الذين يتساءلون عمـــا سيحصل في أميركا أو ماذا ستصنع في هذا الموضوع. أمريكا صنعت ما نراه وستستمر صانعة ما نراه وما ستراه الأجيال الآتية. لا نتوقع أي شيء إلا ما يمكن أن نفعلـــه نحـــن بالفعل. الشيء الثاني، أعتقد أنه انتقص العنصر الديني. عندما نعرف القضـــية الفلســـطينية نقول إن هنالك دفاعاً عن المسجد الأقصى وهذا حق ولكن الموضـــوع ليـــس المسجد فقط ولكن كل الأماكن المقدسة والمسيحية في أولها. هذه معرضة إذا لم تكن قد احتلت اليوم فهي معرضة لأن تحتل كما احتل الجامع لا فرق بـــين الجـــامع وبـــين الكنيسة. المغتصب يهمه الاغتصاب دون تفريق على مَن يقع الاغتصـــاب. لذلـــك يجب بالفعل أن يفهم الناس أنه لا توجد فئة معينة من الناس معرضـــة ولا مكان مقدس معين معرض للاغتصاب وللتهويد وما إلى ذلك فهذا غير صحيح. البلد بمسيحييه ومسلميه معرض للتهويد والتغيير. وهي مغتصبة فعلياً لذلك أطـــلب إلى وسائل الإعلام أن تظهر أن مهمة اليهود ليست فقط اغتصاب الأماكن الإســـلامية المقدسة فالجماعة يغتصبون كل شيء. فليذكر هذا حتى يعرف أن القصة أشمل بكثير مما يقال. ما أتصوره يجب أن يقال بأن الشباب الذين يستشهدون ليسوا من فئة واحدة حتى لا يظن طرف أنه وصي على الأراضي المقدسة وأن هنالك طرفاً قـــد تخـــلى عنها. فهذا غير صحيح. فالجميع هناك يعتبرون أن التعدي على الأماكن المقدسة كلها هو تَعَدٍّ عليهم في صميم إيمانهم. نحن نعتقد أن المسيح ولد في بيت لحم وكـــان في الناصرة، وفي القدس رفع على الصليب. وهذه أحداث أساسية حصلت فعـــلاً، وواقع تاريخي، واقع مبرهن عليه تاريخياً وليس مجرد تمنيات أو تصوراً. لذلك فإني أتمنى مشدداً أن لا نستمر في إضعاف وضعنا في فلسطين وخصوصاً في القدس.

عـــندما نذكر أنه لا يغار على القدس إلا المسلمون الذين عندهم دول ـــ ونحمد الله عـــلى ذلـــك ـــ وكذلك اليهود الذين بكل أسف عندهم دولة، أتمنى أن يقال بأن المســـيحيين يحسون بأن شيئاً يقتطع من دينهم. فإذا كان سوانا عنده وضع ديني في مكان ما فنحن ليس عندنا مثل ذلك المرجع.

يجب ألا نعيش بالوهم أن صليبيي القرن الثاني عشر والثالث عشر ما زالوا مســـتمرين في أوربا وأمريكا فهذا ليس صحيحاً. لم تعد هنالك دول مسيحية وقد أصبح المسيحيون قلة. اسألوهم وهم يجيبون عن أنفسهم. لا يوجد الآن إلا نحن الذين نعيش وجهاً لوجه معاً، ونعيش المأساة.

سيدي، ما موقف الكنيسة تجاه ما يحدث الآن؟

موقـــف الكنيســـة هـــو ما كنت أقوله الآن. ما قلته هو موقف كنيستنا، وكنيســـتنا تتأذى. الذين يعتقدون بالتجسد الذي أراده الله يعني ذلك بالنسبة إليهم أنك إذا قلت بأنه يوجد مكان غير مبارك لأن الله يستحيل أن يكون قريباً من شيء مادي فأنا أقول بلى لأن الشيء المادي تقدس. وعندما يُمَس الشيء المادي فإننا نَمُسّ شـــيئاً مقدســـاً وبالتالي فإن ديني في العمق قد مُسّ. أنت تجرد الأمور وتتحدث في العموميـــات. أنا لا يمكنني ذلك فيجب أن أقول هنا صار الصليب وهنا حصل كذا وكذا. لذلك فديني يُمسّ. وليس عندنا وسائل غير وسائل الإعلان والاجتماعات التي تحصل. وأتمنى أن نلاحظ بأن الاجتماعات التي تحصل من أجل القدس فإن الكنائس وبصورة خاصة كنيستنا تشارك فيها وترفع صوتها بقدر ما تتمكن. ونحن موجودون ونحس كيانياً بأن القدس جرح يعذبنا ونطلب من الله أن لا يسمح بتهويدها كما هو المســـعى الآن. في أحـــد الاجتماعات التي عقدت مؤخراً بشأن القدس أود أن أذكر شخصـــاً عزيـــزاً علي، وليس علي فقط ألا وهو رئيسنا الدكتور بشار الأسد. كان الوحيـــد بين الرؤساء الذي تكلم عن القدس وذكر أن القدس هَمّ جِدّي للمسلمين

كما أنها هَمّ جِدّي للمسيحيين وأن الشعبين في فلسطين وسوريا هما شعب واحد.

السيد المسيح قبل الصلب بثلاثة أيام صعد إلى جبل الزيتون وبكى أورشليم. لماذا؟ بكى لأنه يعرف المستقبل ويعلم جيداً ما سيحل بها. إذن كان يتطلع إلى المستقبل ويتكلم عنه. الصورة التي عندنا إياها عن المستقبل لا تقول بأن الإيمان سيزداد وأن الخوف من الله سيزداد بل على العكس سنجد أنه ستبقى بقية من محبي الله. الله لن يغيب عن أرضه وبلاده ولكن الناس الذين يفترض بهم أن يدافعوا عن الأراضي المقدسة نجدهم لا يدافعون دائماً. كانت هنالك وسائل يمكن استخدامها ولكنها لم تستخدم. وأعتقد أنه كان على دولنا أن تتحرك منذ زمان بعيد وتتحسب كي لا تصل إلى هذا الوقت ولكنها لم تتحسب. وقد تكون هناك مسايرة في هذا الموضوع. ولكنني لا أدّعي أني أوصي بوسائل فالوسائل من اختصاص رجال السياسة ومن يتعاطون مباشرة بهذا الموضوع. أورشليم تهدمت في السنة ٧٠ ومعنى ذلك أن الرب يسوع كان يرى أن سكانها سيهدمونها. والآن عندي هذا السؤال الروحي: إذا كانت أورشليم عاصمة السلام والمكان الذي حصل فيه الفداء للناس فهل يا ترى إن الذين أتوا يَدّعون أن القدس لهم ويتحدثون بلغة الرصاص أكثر من لغة الكلام هؤلاء هم الذين سيبنون أورشليم؟ أظن أن أورشليم تهدم في أعماق أعماقها وعلى أفظع مما حصل في السنة ٧٠.

سيدي! العيد بهجة وفرح لجميع الناس، هل عيدنا منقوص؟

نعم! العيد هو مناسبة فهل تشوب هذه المناسبة عناصر معينة تجعل الإنسان لا يحس فيها بالفرح الكامل؟ نعم توجد عناصر تجعل الفرح منقوصاً. العيد مناسبة وهذه المناسبة مرتبطة مباشرة بالبشر، والعيد مناسبة للناس فكيف لا نكون متأثرين. ليس بإمكاننا ألا نتأثر لأننا رأينا الشباب يترك واحدهم أباه وأمه ويذهب ليرمي حجرين يدافع بهما عن بيته وأهله فيرجع محمولاً على أكف الشباب رفاقه. فهل

يمكننا أن نرقص في مهرجان جنازة؟ وأعترف أننا نحتار فيما سنقوله في الأعياد حتى نعبر عن شيء من الفرح. ولكن في الواقع يكون فرحنا أكمل وأفضل بكثير إذا كنا نعرف أنه لا توجد دماء بريئة تسفك في كل يوم. ولماذا؟ لأن أصحابها يطالبون بأن يكون لهم وجود في أرضهم وفي وطنهم ككل الناس. وهذا لا يدعونا إلى الفرح.

هل نرى المستقبل؟

المستقبل ليس بأيدينا نحن نصلي على الحاضر ـــ كما يقال ـــ والمستقبل الله يعـــرفه والعاملون في السياسة. نحن نفرح بالعيد لأننا وأخوتنا في الديانات الأخرى ولـــنخص المسلمين منهم الذين هم اخوتنا، وفي الواقع هم كذلك وهذا يفرحنا لأننا نلتقي في مناسبة العيد فيواجه واحدنا الآخر فنتعزى ببعضنا لأننا لا نلتقي دائماً.

وفي الواقـــع يجب أن نعيد للشيء بعد أن نتعرف إليه. لذلك يجب أن نعيد للســـنة في نهايـــتها بعد أن تكون قد عبرت وعرفناها فإما أن نضحك أو أن نبكي. والحالتان واردتان.

أملـــنا بالله وحده لأن الله يريـــد الخير لخليقتـــه، وأما المشاكل فنحن مَن يوجدهـــا. أريـــد للسنة المقبلة أن تكون كما نحن نريد وكما نسعى إلى ذلك. وإني أدعـــو إخوتنا الذين يعتقدون بأن الله موجود في النهاية وأنه هو خالق هذا الكون أن يتطلعوا إلى الله وإلى مخلوقات الله ويتذكروا أنه لولا إرادة الله في أن يكونوا لما كانوا ولما خلقهم وما كانوا موجودين أمامنا. فإذا ما أحببنا بعضنا واحترمنا بعضنا نكون في طاعة للإرادة الإلهية.

سيدنا! ما هي تمنياتك للعام الجديد؟

إن شـــاء الله نصل إلى نتيجة. أنا لا أقبل بالتجزيء وأتمنى أن تعود فلسطين إلى أصحابها والذين قدموا إليها فليتدبروا أمرهم. أنا أعلم انه لن يكون الأمر هكذا.

ولكـــن أملـــنا أن يتأنى شعبنا وفي سورية بصورة خاصة، وأتمنى أن لا نخاف من أي شـــيء جديد. الجديد المفروض علينا يأتي كما يشاء فارضوه ولا نصنعه نحن ليخرج كمـــا نريده نحن. نحن أقوياء بما فيه الكفاية ولنا تاريخنا وحاضرنا ولنا مستقبلنا. لا يوجد أي مبرر أن لا يكون الجديد من صنعنا نحن. ولا يزاودن أحد علينا.

أعد الكتاب

الدكتور يوسف هزيم

ساعده

الأستاذ فوزي بشارة

صمم الغلاف

الآنسة كاتيا نعمان

طباعة الكترونية

المهندس سامر شاهين

الآنسة منار شاهين

الطبعة الأولى ٢٠٠١

مطابع ألف باء ــ الأديب

دمشق